

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

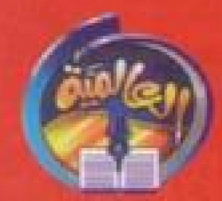


دراسة وتحقيق

أبو أنس المصري السلفي

حلمي بن محمد بن إسماعيل الرشيدي

عفا الله عنه



لأول مرة يطبع على ثلاثة مخطوطات

فتح المجيد

شرح كتاب التوحيد

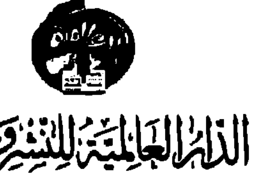


الطبعة الأولى

١٤٣١هـ ــ ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ٢٥٦٥/ ٢٠١٠ م

الترقيم الدولي: I.S.B.N : 978-977-6326-69-9



ص. ب: ٦١٠ ر. ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي
محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٦٥٥٢١١٨ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٣ ٢٠٣+
تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

دار أصحاب الحديث

للنشر والتوزيع

كفر الدوار

مساكن مجلس المدينة

بانطونيادس

محمول: ٠١٢٧٠٤٨٧٣٠ ٢+/ ت: ٢٧٣٠١٣ ٢ ٤٥٢+

فتح المجيد

شرح كتاب التوحيد

تأليف

الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

لأول مرة يطبع على ثلاثة مخطوطات

دراسة وتحقيق

أبو أنس المصري السلفي

حلمي بن محمد بن إسماعيل الرشيدي

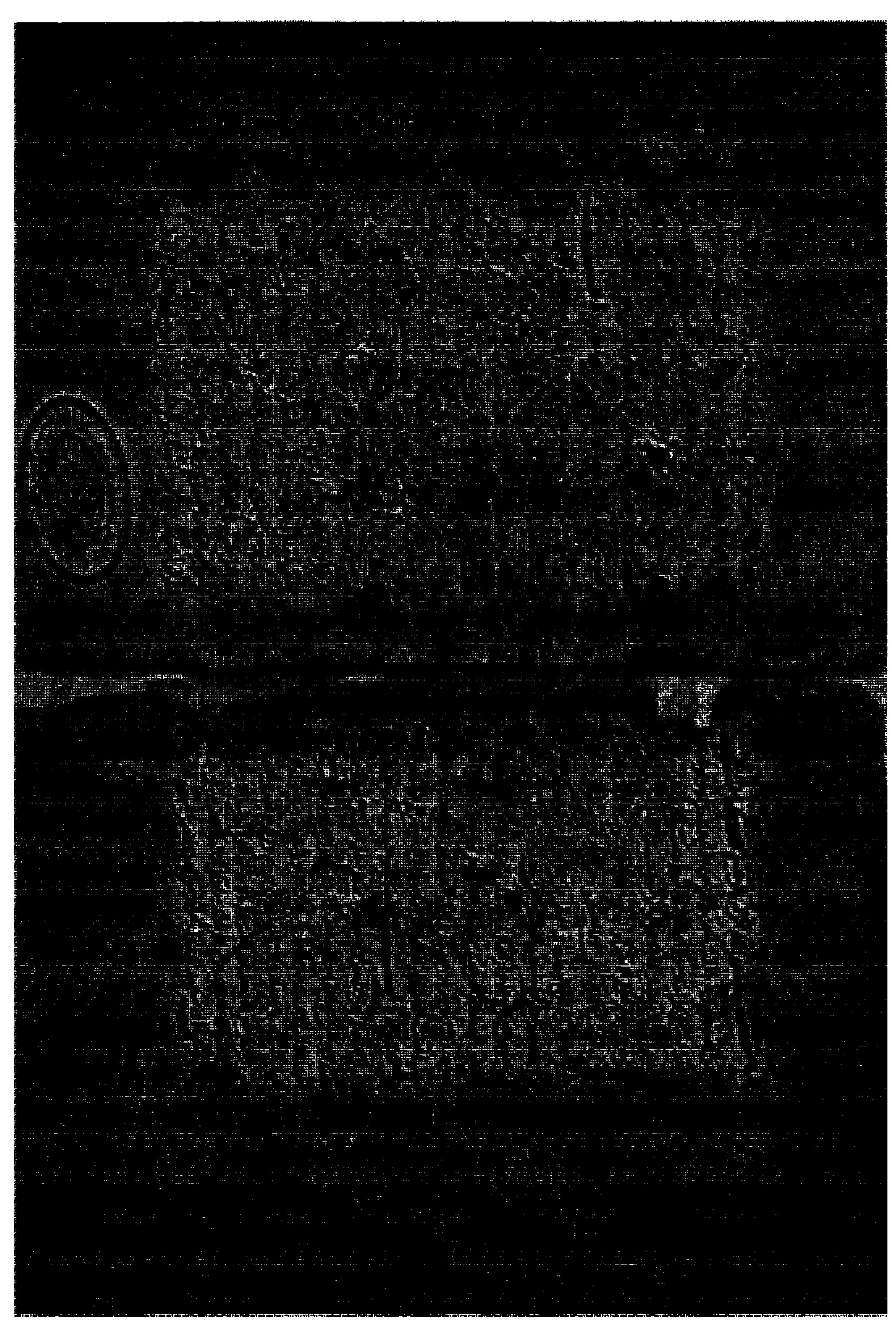
عفا الله عنه

دار أصحاب الحديث
للنشر والتوزيع

الدار العالمية
للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

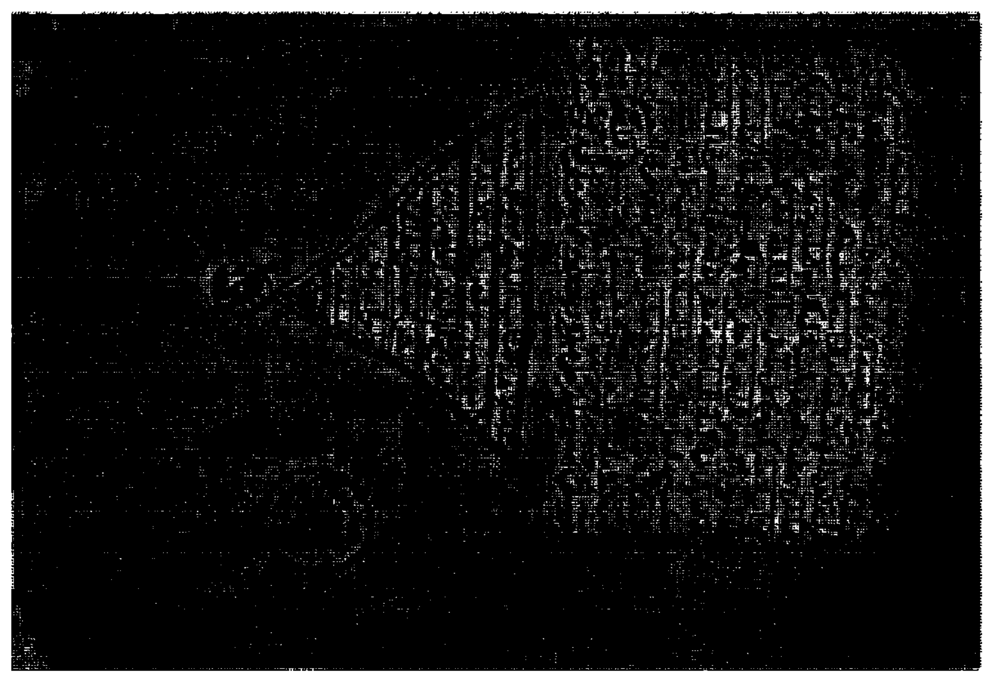
المخطوطات



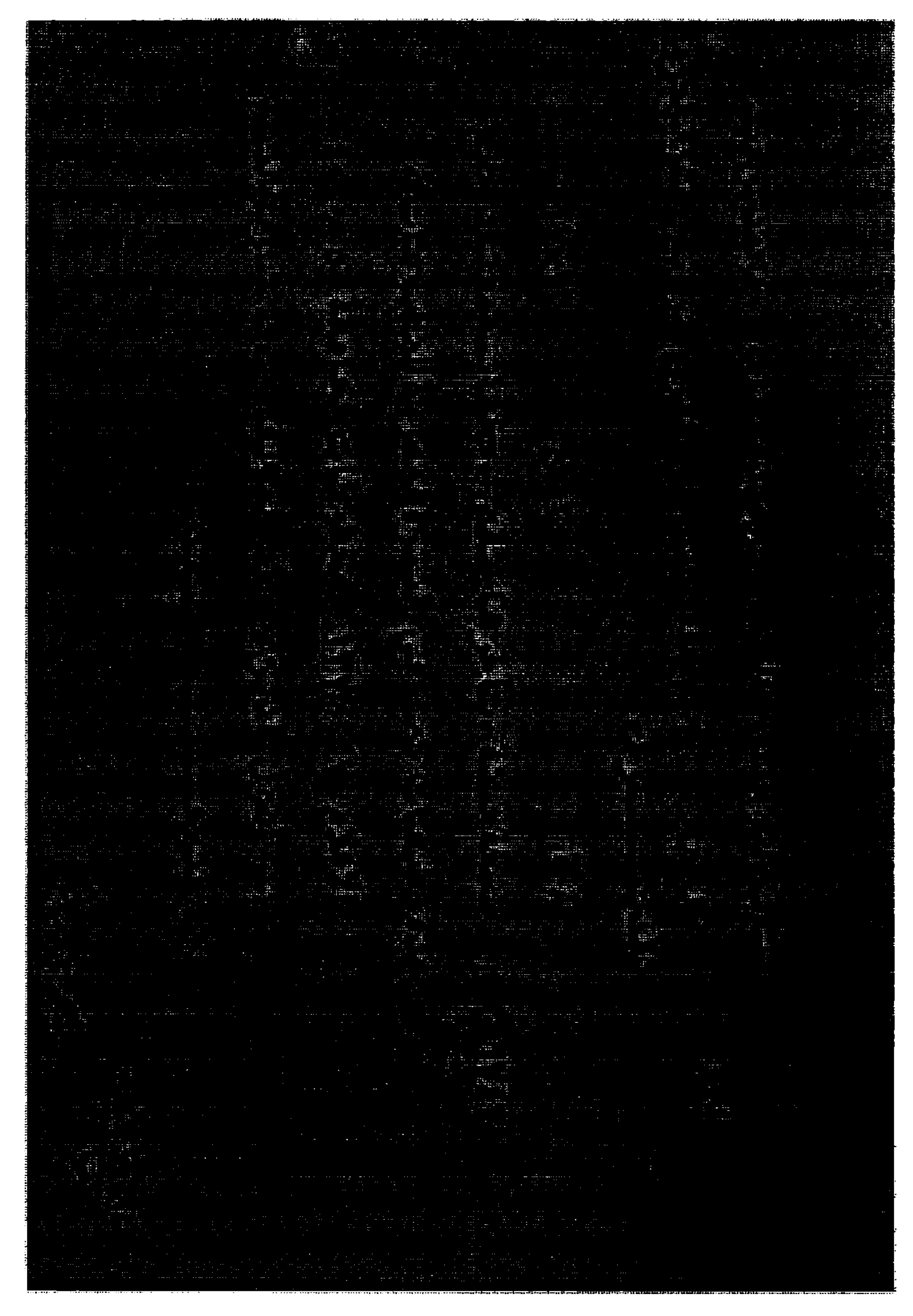
المخطوطة الأولى: من مكتبة جامعة الملك سعود
برقم ١٥٥/٦٧٤٧ عدد الأوراق: ٥٨







المخطوطة الثانية: من مكتبة جامعة الرياض
برقم ٢٢٨٦ ١٦ ق ١٧,٥×٢٥سم
بخط الشيخ إبراهيم بن محمد بن ضويان



الصفحة الأولى من المخطوطة وعليها الأرقام

المخطوطة الثالثة: مخطوطة من مخطوطات الجامعة وأصول الدين
رقم ٦٧٤٧/٢١٤ وهذه الأرقام على أول النسخة: ٤/١٣٦٥٥ ١٤٠٩/٣/٥
٨ ق - ٢٠ س - ٢٣ / ١٧سم وهذه مخطوطة ناقصة

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ١٠٢].

وبعد،،،

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد،،،

فمن نظر إلى أحوال أُمتنا وبخاصة في بلادنا العزيزة «مصر» يجد أن الوثنية عادت من جديد في ثوب جديد، وأن الشرك عمَّ البلاد وطم، وأن عبادة القبور عادت بقوة، والوثنية بدأت تشق طريقها نحو التمكين بفضل من بيده الأمر، والقول والنهي، والذي يخبئ نفسه في عمامة العلماء، وزي الشرفاء.

وعادت مع عودته الأعياد الشركية والمظاهر الكفرية، والتي تقام عند قبور من لم يُعرف لهم تاريخ، إلا تاريخًا مشوهًا، مملوءًا بالسخط على التوحيد وأهله.

وناصر هؤلاء الذين تنصبوا القول في البلاد، والفتوى بين العباد، هذه الأعياد الوثنية، واغدقوا الأموال على نشرها وإقامتها، وادَّعوا زورًا أنهم أصحاب كرامات وأن أنسابهم تتصل بأصحاب النبي ﷺ ودلسوا على الخلق لأنهم جهلة بالأنساب، أنساب هؤلاء الأولياء الذين جاءوا من الدول الباطنية فارين من السلطان العادل صلاح الدين رحمه الله وشمَّر هؤلاء المتنصبين عن ساعد الجد لعودة عبادة القبور، وساعدهم على ذلك التمكين المؤقت الذي ما كانوا ليحلموا به في ظل العداوة الظاهرة لأهل السنة في البلاد، ومحاربة الفضيلة.

إن المتتبع لتاريخ الأمة في العقود العشر الأخيرة، ومن سبَّر التاريخ جيدًا يجد أن القبورية تشق طريقها بقوة نحو عودة الوثنية الأولى التي أخبر النبي ﷺ بعودتها.

لكن ما كنا نعلم أن عودة الجاهلية، وانتشار الوثنية على يد هؤلاء الذين شَرَّفهم الله بالتوحيد واتباع النبي ﷺ، ولعل هم الدُّعاة الذين حَذَّرنا منهم النبي ﷺ حيث قال: **«دعاة على أبواب جهنم»** هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتا، ويتوجهون إلى قبلتنا، ويأكلون ذبيحتنا... لكنهم مع هذا كله: دُعاة على أبواب جهنم، لأنهم يدعون إلى الشرك، وينادون من أجل عودة الوثنية تحت مظلة أولياء الله الصالحين!!

إن الأضرحة التي أنعشوا موالدها، وجددوا ذكرها بعدما كانت قاب قوسين أو أدنى من النسيان، وبدأ التوحيد يأخذ طريقه إلى القلوب، لا يُعرف أصحابها، ولا تُعرف لهم ولاية، ولكنهم نسجوا لهم ولاية من الخيال، وكرامات من الأوهام، ونشروا

ذكرهم بين العوام، وها أنا أذكر لك بعضًا من تاريخهم، لتحمل معي معول الهدم، وتؤيدني في القضاء عليها.

يقول أهل التاريخ والعلم به أن الأضرحة لم تكن على عهد السلف من الصحابة ومن بعدهم حتى القرن الثالث الهجري، والمتتبع للأحاديث الواردة يجد أن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على المقابر، واتخاذ القبور مساجد وأعياد.

قال المؤرخ الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: إن أم الخليفة العباس استأذنت في بناء ضريح منفصل لولدها فأذن لها، إذ كانت العادة قبل ذلك أن يدفن الخليفة في قصره، فأقامت فيه الصليبية في شهر ربيع الثاني سنة ٢٨٤هـ، وقد ضُم الضريح إلى جانب المنتصر الخليفة المعتز والمهتدي، وتعتبر فيه الصليبية أول قبة في الإسلام.

أما الدكتور سعاد ماهر فتتذكر لنا أن أقدم ضريح في الإسلام أقيمت عليه قبة يرجع إلى القرن الثالث الهجري، وقد عُرف هذا الضريح باسم «قبة الصليبيين» ويوجد في مدينة سمارا بالعراق على الضفة الغربية لنهر دجلة إلى الجنوب من قصر العاشق[(١)] فلم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم من ذلك شيء في بلاد الإسلام، لا في الحجاز، ولا اليمن، ولا الشام، ولا العراق، ولا مصر، ولا خراسان، ولا المغرب، ولم يكن قد أحدث مشهد لا على قبر نبي، ولا صاحب، ولا أحد من أهل البيت، ولا صالح أصلًا، بل عامة هذه المشاهد مُحدثة بعد ذلك، وكان ظهورها وانتشارها حين ضعفت خلافة بني العباس، وتفرقت الأمة وكثر فيهم الزنادقة الملبِّسون على المسلمين، وفشت فيهم كلمة أهل البدع، وذلك من دولة المقتدر في أواخر المئة الثالثة فإنه إذ ذاك ظهرت القرامطة العبيدية القدَّاحية في أرض المغرب ثم جاؤوا بعد ذلك إلى أرض مصر[(٢)].

---

(١) «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (٤٦/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٦٦/٢٧- ١٦٧ و ٤٦٦ و ١٦١-١٦٢).

ولم يكن في العصور المفضلة «مشاهد» على القبور، وإنما كثر بعد ذلك في دولة بني بويه لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب، وكان بها زنادقة كفار مقصودهم تبديل دين الإسلام، وكان في بني بويه من الموافقة لهم على بعض ذلك ومن بدع الجهمية والمعتزلة والرافضة ما هو معروف لأهل العلم، فبنوا المشاهد المكذوبة كمشهد علي رضي الله عنه وأمثاله[١].

... وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي رضي الله عنه بناحية النجف، وإلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول: إن قبر علي هناك، وإنما دُفن علي رضي الله عنه بقصر الإمارة بالكوفة[٢].

وعلى هذا يتضح أن الذين بذروا بذور شرك القبور كانوا رافضة وذلك ما تؤكده لنا عالمة الآثار الدكتورة سعاد ماهر فهمي عندما تسرد أوائل الأضرحة ذات القباب[٣] فتقول: «ويليها من حيث التاريخ ضريح إسماعيل الساماني[٤] المبني سنة ٢٩٦هـ في مدينة بخاري ثم ضريح الإمام علي في النجف الذي بناه الحمدانيون سنة ٣١٧هـ ثم ضريح محمد بن موسى في مدينة قم بإيران سنة ٣٦٦ هـ، ثم ضريح «السبع بنات» في الفسطاط سنة ٤٠٠هـ، وقد احتفظت لنا جبَّانة أسوان بمجموعة كبيرة من الأضرحة ذات القباب التي يرجع تاريخ معظمها إلى العصر الفاطمي في القرن الخامس الهجري.

فبدايات تعظيم القبور واتخاذها مشاهد وأضرحة ارتبطت تاريخًا بأسماء:

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٦٦- ١٦٧ و ٤٦٦ و ١٦١-١٦٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/٤٦٦- ١٦٧ و ٤٦٦ و ١٦١-١٦٢).

(٣) من كتاب «دمعة على التوحيد» ص[١٧].

(٤) ينتسب السامانيون إلى رجل فارسي يسمى «سامان» كان مجوسيًا واعتنق الإسلام أواخر عهد الدولة الأموية، وإسماعيل هو ابن أحمد بن أحمد بن أسد بن سامان، آلت زعامة السامانيين إليه عام ٢٧٩هـ- توفي سنة ٢٩٥- انظر «التاريخ الإسلامي» (٦/٩١-١٠٧).

القرامطة، وبني بويه، والفاطميين (العبيديين) والسامانيين والحمدانيين... وجميعهم روافض وإن تفاوتوا في درجة العلو، يقول محمود شاكر: «... ثم هناك الدولة السامانية التي هي أقرب إلى الإسماعيلية، هؤلاء جميعًا يدّعون الشيعة، غير أن منهم الغُلاة كالحمدانيين، ومنهم أقل غُلوًا مثل بني بويه، ومنهم أصحاب الأصول اليهودية كالعبيديين ومن ينتمي إلى المجوس كالقرامطة...»[١].

هذا يعني أن تقديس القبور والمقامات والمشاهد أمر مُحدث حدث بعد جيل الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وظهور المشاهد والقباب مرتبط ارتباطًا وثيقًا بظهور البدع والخرافات.

وأكثر أهل البدع اهتمامًا بالمشاهد والقباب وتعمير المساجد التي بها قبورهم طائفة البهرة الإسماعيلية من غلاة الرافضة ولهم نشاط واسع واهتمام بالغ بهذا الأمر[٢].

وأيضًا فإن أصحاب الأضرحة ممن يُنسب إلى التصوف هم في الحقيقة من غلاة الشيعة الباطنية، حيث - من العراق انطلق أحد أتباع الرفاعي إلى مصر، وهو «أبو الفتح الواسطي - جد إبراهيم الدسوقي - لنشر دعوتهم الباطنية بها - وقد كان ذلك في العهد الأيوبي، وبعد موت الواسطي جاء «البدوي» ليخلفه في دعوته تلك، وقد توزع هؤلاء الدعاة في مصر، فكان «الدسوقي» بدسوق، و«أبو الحسن الشاذلي» بالإسكندرية، و«أبو الفتح الواسطي» ما بين القاهرة وطنطا وإسكندرية، ولما مات الواسطي حلَّ محله البدوي بطنطا، وجميعهم من غلول العبيدين الذين طردهم صلاح الدين من مصر. ثم حاولوا العودة تحت ستار التصوف والزهد... كما إن كلًا من ابن بشيش وابن عربي قد تتلمذ على يد «أبي مدين» بالمغرب[٣].

---

(١) «التاريخ الإسلامي» (١٤٩/٦).

(٢) «دمعة على التوحيد» ص(١٧-١٨-١٩).

(٣) السيد البدوي دراسة نقدية للدكتور/ صابر.

وقال عمار علي حسن في «الصوفية والسياسة في مصر» ص[٨٨]: «وفي أواخر عهدهم أنشأ الفاطميون المشهد الحسيني عام ٥٥٠ هـ عندما شعر بأن سلطتهم قد ضعفت ليجذبوا إليهم المصريين، وعهدوا إلى ابن مرزوق القرشي (٥٦٤هـ) تربية مريدي الصوفية، فانتظم أتباعه في طوائف وطرق لنشر الدعوة الشيعية، إلا أن هذه التنظيمات انهارت بانهيار الدولة الفاطمية وتحول المشهد الحسيني إلى ضريح صوفي»[1].

قال في: «دمعة على التوحيد»: والحاصل: أن تقديس القبور وزيارة المشاهد تقليد شيعي في نشأته، فالشيعة هم أول من بنى المشاهد على القبور، حيث تتبعوا - أو زعموا تحري - قبور من مات قديمًا ممن يعظمونهم من آل البيت، وراحوا يبنون على قبورهم، ويجعلونها مشاهد ومزارات، ثم جاء الصوفية فنسجوا على هذا المنوال فجعلوا أهم مشاعرهم هو زيارة القبور وبناء الأضرحة عليها والطواف بها، والتبرك بأحجارها، والاستغاثة بالأموات، فقد جعلوا قبر معروف الكرخي - وهو رائد من رواد التصوف- مكانًا لزيارتهم، وقالوا: قبرُ معروف ترياق مُجرَّب.

وأصبح تقديس القبور والأضرحة لازمًا من لوازم الطرق الصوفية، بحيث لا يتصور أحد وجود طريقة صوفية من غير ضريح[2]... فظهر من تعدد الطرق كثرة الأضرحة، وأصبح لكل طريقة قبرًا يتبركون به، ويعملون عنده موالدهم، ويجتمعون عنده، ويحلفون به.. الخ.

ومن الحيل الرائجة لإقامة ضريح أو مشهد: نسج الكرامات حول الشخص المزعوم بأنه ولي، أو حول المكان المزعوم بأنه مكان قبر ولي.

---

(١) «الصوفية والسياسة» ص[٨٨].

(٢) «الفكر الصوفي» لـ/ عبد الرحمن عبد الخالق [٤٢٧].

فمما يُنسج حول الأشخاص: ما حدث مع (الشيخ) صالح أبي حديدة الذي كان وبعض صحبه من قُطاع الطرق، وحين كشف أمره هرب ولجأ إلى بيت مغنية مشهورة فاخفته وادّعت أنه مجنون ووضعت في رجليه قيدًا من حديد، وقد اعتقل لسانه من شدة الخوف، ثم أشاعت هي والمجتمعون من حوله أن له كرامات وإخبارًا بالمغيبات، فأقبل عليه الناس بالهدايا والنذور حتى ذاع صيته وزاره الخديوي إسماعيل واستبشر به، وبنى له قبرًا بقبة عالية بعد وفاته ووقف عليه الأرض وغيرها.

وراجع فتاوى شيخ الإسلام (٢٧/٦١-٦٢) حول نسج الكرامات بقبر مشهور في سفحة بالكرك الذي يقال له قبر نوح... وقال الشيخ: هو باطل محال.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٧/٤٥٦) حول ضريح الحسين بالقاهرة:

«كذب مختلق بلا نزاع بين العلماء المعروفين عند أهل العلم الذين يرجع إليهم المسلمون في مثل ذلك لعلمهم وصدقهم».

قال: «فإنه معلوم باتفاق الناس أن هذا المشهد بُني عام بضع وأربعين وخمسمائة، وأنه نقل من مشهد بعسقلان وأن ذلك المشهد بعسقلان كان قد أُحدث بعد التسعين والأربعمائة... فمن المعلوم أن قول القائل: إن ذلك الذي بعسقلان هو مبني على رأس الحسين قول بلا حجة أصلًا».

وذكر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المشايخ: ابن دقيق العيد وابن خلف الدمياطي وابن القسطلاني والقرطبي صاحب التفسير وعبد العزيز الديريني إنكارهم أمر هذا المشهد، بل ذكر ابن القسطلاني أن هذا المشهد مبني على قبر نصراني».

ويذكر أحمد زكي باشا أن قبر السيدة زينب بالقاهرة المنسوب ظلمًا إليها «الذي

يشهد به العارفون بالحق الصريح هو أن السيدة زينب بنت الإمام علي وأخت الإمام الحسين لم تشرّف أرض مصر بوطء قدميها المباركة مطلقًا مطلقًا مطلقًا، والحق الذي ليس بعده إلا الضلال أنها قضت حياتها بالحجاز، وإلى أن انتقلت إلى جوار ربها بالمدينة المنورة، فكان دفنها بالبقيع، هذا هو الصواب، وما عداه فإفك وبهتان»[(١)].

ويقول علي مبارك في «الخطط التوفيقية»: «لم أر في كتب التاريخ أن السيدة زينب بنت علي رضي الله عنهما جاءت إلى مصر في الحياة أو بعد الممات»[(٢)].

ومن قائل بأن ضريح السيدة زينب لم يكن له وجود في عصور التاريخ الإسلامي إلى ما قبل محمد علي باشا بسنوات معدودة[(٣)].

أما ضريح رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم بالقاهرة، فقد أقامته زوجة الخليفة الفطمي الآمر بأحكام الله، وذلك بلا خلاف»[(٤)].

وضريح السيدة سُكينة بنت الحسين بن علي[(٥)].

ويذكر المقريزي في «خططه» (٢/٤٥) جملة من الأضرحة المزعومة منها قبر في زقاق المزار تزعم العامة ومن لا علم عنده أنه قبر يحيى بن عقب، وأنه كان مؤدبًا للحسين بن علي، وهو كذب مختلق وإفك مفترى، كقولهم في القبر الذي بحارة برجوان إنه قبر جعفر الصادق، وفي القبر الآخر إنه قبر أبي تراب النخشبي.. إلى غير ذلك من أكاذيبهم[(٦)].

---

(١) «الوثنية في ثوبها الجديد» ص[٨١].

(٢) السابق ص[٨٠].

(٣) السابق ص[٨١].

(٤) «الآثار الإسلامية» لـ/ مصطفى شيحة ص[١٤٣].

(٥) «مساجد الأولياء» (جا/١٠٢).

(٦) «تأملات في حقيقة أمر الأولياء» (عن دمعة على التوحيد) ص[٣١].

وذكر أيضًا أن في القاهرة قبرًا على يُسرة من خرج من باب الحديد ظاهر زويلة، يزعمون أنه لصحابي يدعى: زارع النوى[١] وفي مدينة الشهداء بمصر ضريح داخل مسجد منسوب إلى «شبل» بن الفضل بن العباس عم الرسول ﷺ، رغم أن المصادر العلمية تتفق على أن الفضل بن العباس رضي الله عنهما لم ينجب إلا بنتًا واحدة اسمها «أم كلثوم»[٢].

وبعد،،،

ففي بلد الأزهر القلعة الحصينة ضد الشرك على مر العصور، يكون قبر الحسين المزعوم الذي لم يدخل مصر حيًا ولا ميتًا، ويحج له الناس ويتقربون إليه بالنذر والقربات، وتجاوز ذلك إلى الطواف به والاستشفاء، وطلب قضاء الحاجات عند الملمات[٣].

وقبر آخر لرجل هارب من الدولة السُّنية لأنه لم يكن على سُنيّة الصحابة، بل كان على نهج الدولة القاتلة للسنة والمحاربة لأهلها الدولة الفاطمية والعبيدية هو السيد البدوي، والذي يحج إليه الملايين من المشركين الوثنيين كل عام، ويُسمون قصد قبره الحج الأكبر!!! وهو شيعي بغيض.

إلى غير ذلك من المقابر والأضرحة التي تزيد على ألف ضريح في مصر المحروسة (الآن من الفضيلة).

وعند هذه الأضرحة تقام الموالد، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من الشركيات والوثنيات ومعصية رب البريات.

---

(١) السابق ص[٣٢].

(٢) «الوثنية» لـ/ سمير شاهين ص[٨٢].

(٣) «دمعة على التوحيد» ص[٣١].

سيفًا ومعولًا

أريد سيفًا وحربة وجيشًا من أهل التوحيد لكي أقتل اللات فلي سلف في قتله، هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم لقتل اللات، فوجد امرأة فقتلها وهدم الوثنية التي كانت تعبد في زمن الجاهلية... وعندنا سدنة مكان المرأة التي كانت تلت السويق، يُعدون بالألاف يأكلون أموال الناس بالباطل، يوهمون الناس الجهلة بالولايات المزعومة المزيفة التي لا تنطلي إلا على الجهلة بدين الله تعالى.

أريد معولًا أهدم به هذه الأصنام التي تُعبد من دون الله، ويقف الناس عندها باكين خاشعين سائلين مستغيثين، كما فعل أسوتنا وقدوتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما دخل الكعبة، ثم قام علي بن أبي طالب بتحطيم بقية الأصنام ليطهروا الكعبة ومن ثَمَّ الأرض من الوثنية الجاهلية.

ولأننا على يقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يخرج من قبره الآن لتحطيم هذه الأصنام والمقابر والأضرحة، لكنه ترك أتباع يغيرون على التوحيد عندهم همة في هدم هذه الوثنية لكن شوكتهم ضعيفة، لأن القائمين على حماية الأضرحة هم أولي الأمر في البلاد.

ولسوف يأتي اليوم الذي تقر فيه عيون الموحدين بهدم هذه الوثنيات، وتطهير البلاد منها، إن شاء الله تعالى وإن غدًا لناظره قريب.

وبعد، فإن هذا الكتاب الذي بين أيدينا هو أحد معاول هدم الوثنية، وأحد السيوف الباترة للشرك، منذ أن وضعه ماتنه وفك رموزه شارحه، رحمهما الله تعالى وغفر لهما، ومع هذا أعرض عنه إخواننا السلفيين في الآونة الأخيرة وأخذوا يتخبطون ذات اليمين وذات الشمال.

وهذا الكتاب طبع ملايين المرات، وقام بتحقيقه عدة من المحققين، ما بين عالم بالتحقيق وجاهل به، وإن كانت الأكثرية هي الأخيرة وقد كنت ممن نال شرف

تحقيقه والتعليق عليه بما تيسر منذ أعوام من شروح المتأخرين أمثال العلامة ابن باز، والعلامة ابن عثيمين رحمهما الله تعالى، وبعض التعليقات الطريفة للشيخ حامد الفقي رَحِمَهُ اللَّهُ، ولقي هذا العمل قبولًا لدى طلبة العلم، ورواجًا كبيرًا، والحمد لله على توفيقه، لكن لم يكن التحقيق على نسخة أصلية، ولم اعتني به كما ينبغي، وحين هيأ الله تعالى الأسباب، وأزال العوائق، رزقني الله تعالى الهمة، فأعدت النظر في إعادة العمل دون الشروح السابقة، ومما زاد فرحتي أن الله تعالى قَيَّد لي أخ فاضل من محبي العلم والعلماء، ونشر التوحيد، وهو الأخ الفاضل/ محمد فوزي، فأرسل لي نسخة خطية للكتاب، جزاه الله عن التوحيد والعلم خير الجزاء، فقمت بمراجعة النسخ المطبوعة سابقًا على المخطوطة التي أرسلها الأخ الفاضل/ محمد فوزي، فوجدت سقطًا كثيرًا، وتحريفًا أكثر في جميع النسخ، ولا أذكر نسخة بعينها لأن جميع النسخ تقريبًا وقع فيها التصحيف والسقط، وحتى لا يغضب أصحابها والقائمين عليها، لكن طالب العالم سوف يميز هذا السقط وهذا التصحيف، ثم رزقني الله تعالى بعد ذلك أكثر من مخطوطة مختلفة الأمكنة والأزمنة، عن طريق الأخ الفاضل/ أبو زياد - حفظه الله- فراجعت هذه المخطوطات وقمت بتصويب الأخطاء وتصحيح التصحيفات وإعادة السقط حتى أصبحت النسخة التي بين يديك أخي القارئ ...

ثم قمت بتحقيق الكتاب تحقيقًا علميًا يناسب حجم الكتاب وقيمته العلمية، وكان التحقيق ما بين مختصر ومطول، ثم قمت بعمل ترجمة لكثير ممن جاء ذكرهم ووردت أسماءهم في الشرح، وعزوت جميع أقوال الشارح للأصول التي نقل منها، والأقوال التي عزاها للعلماء، ولم أبخل على الكتاب بوقت أو مجهود حتى يخرج إلى الناس في ثوب يناسب المادة العلمية التي بين دفتيه، وهو بعد عمل بشري يعتريه النقص والعيب فإن كان فيه شيء من ذلك فإني أسأل الله تعالى الصفح والمغفرة، وإن كان خاليًا مما ذكرت فهذا من فضل الله وحده، وإني أسأله السداد والتوفيق.

وبعدما تم الكتاب على النحو المذكور دفعته إلى الأخ الفاضل/ محمد أبو زياد، صاحب الأصابع الذهبية، والأيدي الحريرية لجمعه وكتابته بسرعته الفائقة، ودقته المعهود بها لكي يمارس فيه خبرته وحنكته، حتى جاء بالصورة القشيبة والثوب الجديد بالخط العربي الأصيل، فجزاه الله خيرًا وأبقاه للدعوة والعلم ونشره.

وجزى الله تعالى القائمين على طبعه ونشره خيرًا،
إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير،
وهو نعم المولى ونعم النصير.

وكتبه

أبو أنس المصري السلفي

حلمي بن محمد بن إسماعيل الرشيدي

غفر الله له ولوالديه

غرة رمضان ١٤٣٠ هـ

مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه التكلان

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين كالمبتدعة والمشركين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه أجمعين.

اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فإن كتاب التوحيد الذي أَلَّفهُ الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب[1] أجزل الله له الأجر والثواب، وغفر له ولمن أجاب دعوته إلى يوم يقوم الحساب - قد جاء بديعًا في معناه من بيان التوحيد ببراهينه، وجمع جُملًا من أدلته لإيضاحه وتبيينه. فصار علمًا للموحدين، وحجة على الملحدين. فانتفع به الخلق الكثير، والجم الغفير. فإن هذا الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مبدأ منشئه قد شرح الله صدره للحق المبين، الذي بعث الله به المرسلين: من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله رب العالمين، وإنكار ما كان عليه الكثير من شرك المشركين، فأعلى الله همته، وَقَوَّى عزيمته، وتصدَّى لدعوة أهل نجد إلى التوحيد، الذي هو أساس الإسلام والإيمان، ونهاهم عن عبادة الأشجار والأحجار والقبور، والطواغيت والأوثان، وعن الإيمان بالسحرة والمنجمين والكهان.

فأبطل الله بدعوته كل بدعة وضلالة يدعو إليها كل شيطان، وأقام الله به علم الجهاد، وأدحض به شبه المعارضين من أهل الشرك والعناد، ودان بالإسلام أكثر أهل

---

(١) ولد في العيينة سنة ١١١٥ هـ وتوفي بالدرعية سنة ١٢٠٦ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تلك البلاد، الحاضر منهم والباد وانتشرت دعوته ومؤلفاته في الآفاق، حتى أقر الله له بالفضل من كان من أهل الشقاق. إلا من استحوذ عليه الشيطان. وكرَّه إليه الإيمان، فأصرَّ على العناد والطغيان. وقد أصبح أهل جزيرة العرب بدعوته، كما قال قتادة رحمه الله عن حال أول هذه الأمة: إن المسلمين لما قالوا: (لا إله إلا الله) أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم، وضاق بها إبليس، وجنوده. فأبى الله إلا أن يمضيها ويظهرها، ويفلجها وينصرها على من ناوأها، إنها كلمة من خاصم بها فلج، ومن قاتل بها نصر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة التي يقطعها الراكب في ليال قلائل، ويسير من الدهر، في فئام من الناس، لا يعرفونها ولا يقرون بها.

وقد شرح الله صدور كثير من العلماء لدعوته، وسُرّوا واستبشروا بطلعته، وأثنوا عليه نثرًا ونظمًا.

فمن ذلك ما قاله عالم صنعاء: محمد بن إسماعيل الأمير[1] في هذا الشيخ رحمه الله تعالى:

وقد جاءت الأخبارُ عنه بأنه	**يعد لنا الشرعَ الشريف بما يُبدي**
ويَنشر جهرًا ما طوى كل جاهل	**ومُبتدع منه، فوافق ما عندي**
وَيْعمُر أركانَ الشريعة هادمًا	**مشاهدَ، ضَلَّ الناس فيها عن الرُّشد**
أعادوا بها معنى سُواع ومثله	**يغوث وَوَدٌّ، بئس ذلك من ود**
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها	**كما يَهتفُ المُضطر بالصَّمدِ الفَرد**
وكم عَقَروا في سوحها من عَقيرة	**أُهلّت لغير الله جهرًا على عَمد**
وكم طائفٍ حولَ القبور مُقبّل	**ومُسْتَلم الأركان منهنَّ بالأيدي**

(١) ولد بصنعاء سنة ١٠٥٩هـ وتوفي في شعبان سنة ١١٨٢ هـ وكان إمامًا جليلًا، له المؤلفات الكثيرة النافعة، منها سبل السلام شرح بلوغ المرام، ومنحة الغفار على ضوء النهار، والعدة على شرح العمدة لابن دقيق العيد، وشرح التنقيح في علوم الحديث.

وقال شيخنا عالم الإحساء أبو بكر حسين بن غَنَّام رحمه الله تعالى فيه[1]:

لقد رَفَع المولى به رتبة الهدى	بوقتٍ به يعلى الضلال ويُرفع
سقاهُ نمير الفهم مولاه فارتوى	وعام بتيَّار المعارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه	وأوهى به من مطلع الشرك مهيع
سَمَا ذِرْوة المجد التي ما ارتقى لها	سواه ولا حاذَى فناها سَمَيْذَع
وشَمَّرفي منهاج سُنة أحمدٍ	يَشيد ويَحيى ما تعفَّى، ويرفع
يناظر بالآيات والسنة التي	أمرنا إليها في التنازع نرجعُ
فأضحَت به السَّمحاءُ يبسمُ ثَغْرها	وأمسى محياهَا يُضيء ويَلْمعُ
وعاد به نهج الغواية طامسًا	وقد كان مسلوكًا به الناس تَرْتعُ
وجَرَّت به نجد ذيول افتخارها	وحُقَّ لها بالألمَعِي ترفُّعُ
فآثاره فيها سَوام سوافِرٌ	وأنواره فيها تُضيء وتَلمعُ

وأما كتابه المذكور فموضوعه في بيان ما بعث به الله رسله: من توحيد العبادة، وبيانه بالأدلة من الكتاب والسنة، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر أو ينافي كماله الواجب، من الشرك الأصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك أو يوصل إليه.

وقد تصدى لشرحه حفيد المصنف، وهو الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله تعالى[2] فوضع عليه شرحًا أجاد فيه وأفاد، وأبرز فيه من البيان ما يجب أن يطلب منه ويراد، وسماه «تيسير العزيز الحميد، في شرح كتاب التوحيد».

---

(١) قالها في رثاء الشيخ رحمه الله، وهي تسعة وثلاثون بيتًا مذكورة بتمامها في كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» في حوادث سنة ١٢٠٦هـ (جا ص٩٥) توفي ابن غنام سنة ١٢٢٥هـ، وله ترجمة في عنوان المجد (جا ص١٤٩).

(٢) كان عالمًا فاضلًا بارعًا في الحديث والتفسير والفقه، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، صادق الاتصال بالله، قتل رحمه الله في آخر سنة ١٢٣٣هـ، وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا بن محمد علي باشا، بعد

وحيث أُطلق «شيخ الإسلام» فالمراد به أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، و«الحافظ» فالمراد به أحمد بن حجر العسقلاني.

ولما قرأت شرحه رأيته أطنب في مواضع، وفى بعضها تكرار يستغني بالبعض منه عن الكل، ولم يكمله. فأخذت في تهذيبه وتقريبه وتكميله، وربما أدخلت فيه بعض النقول المستحسنة تتميمًا للفائدة وسميته «فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد».

وأسأل الله أن ينفع به كل طالب للعلم ومستفيد، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وموصلًا من سعى فيه إلى جنات النعيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

دخوله الدرعية واستيلائه عليها، فأحضره إبراهيم؛ وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظةً للشيخ، ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر العساكر أن يرموه بالرصاص جميعًا فمزقوا جسمه رحمه الله ورضى عنه. اهـ (عنوان المجد جا ص٢١٠).

قال المصنف رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ كتابه بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز وعملًا بحديث «**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع**»(١). أخرجه ابن حبان من طريقين.

قال ابن صلاح: والحديث حسن. ولأبي دواد وابن ماجه «**كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد فهو أقطع**»(٢).

---

(١) ضعيف.
أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» [١٢٣٢] والسبكي في «طبقات الشافعية» (١٢/١).
بإسناد ضعيف جدًا - الإرواء [١]

(٢) ضعيف.
أخرجه أبو داود [٤٨٤٠] والنسائي في «عمل اليوم» [٤٩٤] والدارقطني (٢٢٩/١) والسبكي (٦/١) من طريق الوليد بن مسلم.
وأخرجه ابن ماجه [١٨٩٤] وابن الأعرابي في «معجمه» [٣٦١] والبيهقي في «الدعوات» [١] والخطيب في «الجامع» [١٢٣٣] والسبكي (٧،٥/١) من طريق عبيد الله بن موسى.
وأخرجه ابن حبان [١] من طريق عبد الحميد بن أبي العشرين، وأخرجه ابن حبان برقم [٢] من طريق شعيب بن إسحاق وأخرجه البيهقي (٢٠٨/٣و٢٠٩) من طريق أبي المغيرة عبد القدوس «خمستهم» عن الأوزعي عن قُرّة بن عبد الرحمن، عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.
وقرة بن عبد الرحمن، قال ابن معين: ضعيف الحديث. وقال أبو زرعة: الأحاديث التي يرويها مناكير. وقال النسائي وأبو حاتم: ليس بالقوي. وهو مع ذلك خالف فيه من هو أوثق وأعلم منه، وقد أرسلوه، ومع المخالفة اضطرب فيه.
فهو تارة يقول: أقطع، وتارة يقول: أبتر، وتارة يقول: أجذم وتارة يذكر الحمد، وتارة بذكر الله.
كما أشار إلى ذلك العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
وراجع كلامه في «الإرواء» (٣١/١).
فالحديث فيه أكثر من علة.
الأولى ـ ضعف قرة.

ولأحمد «كل أمر ذي بال لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر أو أقطع»(١).

وللدارقطني عن أبي هريرة مرفوعًا «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع»(٢).

الثانية ـ مخالفته للثقات، والضعيف إذ خالف الثقة فحديثه منكر.

الثالثة ـ الاضطراب.

والصواب أنه مرسل، والذين أرسلوه هم: يونس، عقيل، وشعيب، وسعيد بن عبد العزيز، عن الزهري مرسلًا.

وهو الصواب كما قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) ضعيف.

أخرجه أحمد (٣٥٩/٢) (٨٧/٢) والسبكي في «الطبقات» (١٥/١) من طريق ابن المبارك.

- وأخرجه الدارقطني (٢٢٩/١) من طريق موسى بن أعين.

كلاهما عن الأوزاعي عن قرة عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

وإسناده ضعيف، وهو منكر كما سبق.

(٢) إسناده ضعيف، أخرجه الدارقطني (٢/٢٢٩/١) من طريق موسى بن أعين، كما سبق.

قال الدارقطني: ورواه صدقة عن محمد بن سعيد عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا يصح، وصدقة ومحمد بن سعيد ضعيفان، والمرسل هو الصواب.

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» [١٩] [١٤١] وعنه السبكى (١٤/١) من طريق صدقة هذا.

والمرسل: أخرجه النسائي في «عمل اليوم» [٤٩٥] من طريق سعيد بن عبد العزيز، و[٤٩٦] من طريق عقيل بن خالد و[٤٩٧] من طريق الحسن بن عمر، ثلاثتهم عن الزهرى قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكره.

ورجح الدارقطنى المرسل على الموصول.

قال الحافظ العلائي في «جامع التحصيل» [ص ٧٩]:

«قال يحيى بن سعيد القطان: مرسل الزهرى شر من مرسل غيره» لأنه حافظ، كلما قدر أن يسمى سمَّى، وإنما يترك من لا يستجيز أن يسميه.

وقال أحمد بن سنان: كان يحيى بن سعيد لا يرى إرسال الزهرى وقتادة شيئًا، ويقول: هو بمنزلة الريح. ويقول: هؤلاء قومٌ حُفَّاظ كانوا إذا سمعوا الشيء علَّقوه.

والمصنف قد اقتصر في بعض نسخه على البسملة، لأنها من أبلغ الثناء والذكر للحديث المتقدم. وكان النبي ﷺ يقتصر عليها في مراسلاته، كما في كتابه لهرقل عظيم الروم(١).

ووقع لي نسخة بخطه رحمه الله تعالى بدأ فيها بالبسملة، وثَنَّى بالحمد والصلاة على النبي ﷺ. وعلى هذا فالابتداء بالبسملة حقيقي، وبالحمدلة نسبيٌّ إضافي، أي بالنسبة إلى ما بعد الحمد يكون مبدوءًا به.

والباء في «بسم الله» متعلقة بمحذوف، واختار كثير من المتأخرين كونه فعلًا خاصًا متأخرًا.

أما كونه فعلًا، فلأن الأصل في العمل للأفعال.

وأما كونه خاصًا، فلأن كل مبتدىء بالبسملة في أمر يضمر ما جعل البسملة مبدأ له.

وأما كونه متأخرًا، فلدلالته على الاختصاص، وأدخل في التعظيم، وأوفق للوجود، ولأن أهم ما يبدأ به ذكر الله تعالى.

(١) جزء من حديث ابن عباس الطويل في قصة أبي سفيان مع هرقل وفيه «ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقُرىء فإذا فيه «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم».
أخرجه البخاري [٧] [٥١] [٢٦٨١] [٢٩٣٦] ومسلم [١٧٧٣] والترمذي [٢٧١٧] والنسائي في «الكبرى» [٥٨٥٨] [٨٨٤٥] [١١٠٦٤] وابن منده في «الإيمان» [١٤٣] والبيهقي في «الدلائل» [٣٨١/٤] وأحمد [٢٣٧٠] [٢٣٧١] [٢٣٧٢].

وذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: لحذف العامل فوائد، منها أنه موطن لا ينبغي أن يتقدم فيه غير ذكر الله. ومنها: أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالبسملة في كل عمل وقول حركة. فكان الحذف أعم. انتهى ملخصًا.

وباء «بسم الله» للمصاحبة. وقيل: للاستعانة. فيكون التقدير: بسم الله أؤلف حال كونى مستعينًا بذكره، متبركًا به. وأما ظهوره في ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ وفي ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا﴾ فلأن المقام يقتضى ذلك كما لا يخفى.

والاسم مشتق من السمو وهو العلو. وقيل: من الوسم وهو العلامة، لأن كل ما سمى فقد نوه باسمه ووسم.

قوله (الله) قال الكسائي[١] والفراء[٢]: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لامًا واحدة مشددة مفخمة.

---

(١) **الكسائي**، هو: عليُّ بن حمزةَ بن عبد الله بن فيروز، أبو الحسن الأسديُّ مولاهم، الكوفيُّ المعروف بالكسائي، لإحرامه في كساءٍ. وقيل: لاشتغاله على حمزة الزَّيات في كساءٍ. النَّحويُّ اللُّغويُّ أحد أئمةِ القُرَّاء، أصله من الكوفة، ثم استوطن بغداد.
قال الشافعي: من أراد أن يتبحَّر في النحو فهو عيالٌ على الكسائي.
توفي الكسائي سنة تسع وثمانين ومائة عن سبعين سنة.
انظر تاريخ بغداد (٤٠٣/١١) والمنتظم (١٦٨/٩) السير (١٣١/٩) طبقات القراء (٥٣٥/١) التهذيب (٣١٣/٧) البداية (٦٦٩/١٣)

(٢) **الفرَّاء هو**: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، أبو زكريا. الكُوفيّ، نزيل بغداد مولى بنى سعدٍ، المشهور بالفرَّاء، شيخ النُّحاةِ واللُّغويِّين والقرَّاء. كان يُقال له: أمير المؤمنين في النحو.
توفي الفرَّاء سنة سبع ومائتين، كانت وفاتُه ببغداد، وقيل: بطريق مكة. وقد امتدحوه وأثنوا عليه في مصنفاته.
تاريخ بغداد (١٤٩/١٤) وفيات الأعيان (١٧٦/٦) والسير (١١٨/١٠) وطبقات القراء (٣٧١/٢) والبداية (١٦٦/١٤).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله[١]: الصحيح: أنه مشتق، وأن أصله الإله، كما هو قول سِيَبويْهِ[٢] وجمهور أصحابه إلا من شذ. وهو الجامع لمعانى الأسماء الحسنى والصفات العُلى.

والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى. وهى الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير، والسميع، والبصير، ونحو ذلك. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهى قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه: أصلًا وفرعًا. ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر. وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الأخر وزيادة.

---

(١) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد حريز الزرعي «نسبة إلى زرعة: قرية من حوران بدمشق» الدمشقى، الملقب بشمس الدين والمُكنى بأبي عبد الله، والمعروف بابن قيم الجوزية. والجوزية مدرسة كان أبوه قيّمًا عليها.

ولد سنة [٦٩١] في شهر صفر، بدمشق، وطلب العلم وتتلمذ على يد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وتأثر به جدًا وكان يحبه جدًا.

وله مصنفات كثيرة نافعة، وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ في ليلة الخميس ثالث عشر من رجب وقت آذان العشاء.

(٢) سِيبَوَيْهِ إمامُ النُّحاةِ واسمه: عمرو بن عثمان بن قَنْبر أبو بشرٍ، المعروفُ بِسِبَيَويْهِ، لأن أُمَّهُ كانت تُرقِّصُه وتقولُ له ذلك، ومعنى سيبَوَيْهِ: رائحة التفاح. وقد كان في ابتداءِ أمره يصحبُ المحدِّثين والفقهاء، وكان يَسْتَملي على حماد بن سلمة، فلحن يومًا، فردَّ عليه قوله، فأنف من ذلك، فَلَزِم الخليل بن أحمد، فبرع في النحو ودخل بغداد وناظر الكسائي وكان شابًا جميلًا نظيفًا تعلَّق من كل علم بسبب وضرب بكل أدبٍ بسهم مع حداثةِ سِنِّه وبراعته في النحو.

وألَّف كتابه المشهور «بالكتاب لم يُسبق إلى مثله ولا يَلْحَقهُ فيه أحدٌ.

توفى سنة ثمانين ومائة وله ثنتان وثلاثون سنة.

تاريخ بغداد (١٩٥/١٢) والمنتظم (٥٣/٩) وإنباء الرواة (٣٤٦/٢) ووفيات الأعيان (٤٦٣/٣) والسير (٣١١/٨) والبداية (٦٠٦/١٣).

قال أبو جعفر بن جرير[1]: الله أصله الإله أُسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم. فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة وهى ساكنة فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة. وأما تأويل «الله» فإنه على معنى ما روى لنا عن عبد الله بن عباس قال: هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق وساق بسنده عن الضَّحَّاك عن عبد الله بن عباس قال: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين[2] فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلًا في فعل ويفعل، وذكر بيت رؤبة بن العَجَّاج[3].

لله دَرُّ الغانيات المُدَّهِ سبَّحنَ واسترجعن من تألُّهى

(١) أبو جعفر بن جرير هو: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الطبرى أبو جعفر. ولد في مدينة «آمل» حاضرة إقليم طبرستان، وقد نشأ في بيت كريم، فحفظ القرآن وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين. ورحل وطلب العلم وصَّنف ودرّس. من أشهر مؤلفاته جامع البيان في تأويل القرآن، وكتاب الرسل والملوك، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في بغداد سنة ٣١٠هـ عن ٨٦ عامًا.
انظر الوفيات (١٩١/٤) شذرات الذهب (٢٦٠/٢) تاريخ بغداد (١٦٢/٢) المنتظم (١٧٠/٦) إنباء الرواة (٨٩/٣) والبداية (١٤٥/١١)

(٢) إسناد ضعيف جدًا. أخرجه ابن جرير [١٣٧] [١٣٨] [١٣٩] وابن أبي حاتم في «تفسيره» [٤] من طريق بشر بن عمارة حدثنا أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس به.
وإسناده ضعيف جدًا مع انقطاعه. بشر بن عمارة متروك الحديث وكذلك الضحاك غير أنه لم يسمع من ابن عباس.

(٣) رُؤْبةُ بن العَجَّاج والعَجَّاجُ لقبٌ واسمه أبو الشَّعثاءِ عبد الله بن رُؤْبةَ أبو محمد التميميُّ البصريُّ الراجزُ بنُ الراجز ولكلٍّ منهما ديوانٌ راجزٍ، وكلٌّ منهما بارعٌ في فنّه لا يُجارى ولا يُمارىَ عالم باللغة. توفي سنة ١٤٥هـ
تاريخ دمشق (٢١٢/١٨) والوفيات (٣٠٣/٢) والسير (١٦٢/٦) وتاريخ الإسلام «حوادث ووفيات» (١٤١-١٦٠) (ص ١٩٨).

يعني من تَعَبُّدي وطلبي الله بعملي. ولا شك أن التَّألهُ التفَعّل، من أَله يأله وأن معنى أله إذا نطق به: عبد الله. وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بفعل يفعل بغير زيادة. وذلك ما حَدَّثنا به سفيان بن وكيع - وساق السند إلى ابن عباس أنه قرأ «ويذرك وآلهتك» قال: عبادتك. ويقول: إنه كان يُعبد ولا يَعْبد وساق بسند آخر عن ابن عباس «ويذرك وإلاهتك»[1]. قال: إنما كان فرعون يُعبد ولا يَعْبد وذكر مثله عن مجاهد، ثم قال: فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا: أن أله عبد، وأن لإلهة مصدره وساق حديثًا عن أبي سعيد مرفوعًا «أن عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه. فقال له المعلم: اكتب بسم الله. فقال عيسى: أتدرى ما الله؟ الله إله الآلهة»[2].

(١) هذه قراءة شاذة.

(٢) موضوع.

أخرجه ابن جرير [١٤٠] وابن عدي في «الكامل» (٢٩٩/١) وابن حبان في «المجروحين» (١٢٧/١) وأبو نعيم في «الحلية» (٢٥١/٧) وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٠٣/١- ٢٠٤) والثعالبي في «تفسيره» (٢/١٨/١) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» من طريق إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحيى عن مسعر عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا به.

قال ابن عدي: «باطل بهذا الإسناد».

وقال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع محالٌ» ما يضع هذا الحديث إلا ملحد يريد شين الإسلام، أو جاهل في غاية الجهل وقلة المبالاة بالدين، ولا يجوز أن يُفَرِّقَ حروف الكلمة المجتمعة فيقال: الألف من كذا، واللّام، من كذا وإنما هذا يكون في الحروف المقطعة ثم قال: فقد جمع واضع هذا الحديث جهلًا وافرًا وإقدامًا عظيمًا وأتى بشيءٍ لا تخفى برودته والكذب فيه. وأقرَّ السيوطي بوضعه في «اللآلي» (١٧٢/١).

وقال في «التدريب» (٥٦/١): غريب جدًا.

وقال في «الدر المنثور» (٨/١): «سنده ضعيف جدًا»

وعلته إسماعيل بن يحيى فقد كذَّبه الدارقطني وأبو علي النيسابوري والحاكم.

قــال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية وساقها. ثم قال: وأما خصائصه المعنوية فقد قال أعلم الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»(١) وكيف نُحصى خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء وكل مجد، وكل جلال وكل كمال، وكل عز وكل جمال، وكل خير وإحسان، وجود وفضل وبر فله ومنه، فما ذكر هذا الاسم في قليل إلّا كثَّره، ولا عند خوفٍ إلا أزاله، ولا عند كَربٍ إلا كَشَفه، ولا عند هَمٍّ وغمٍّ إلا فَرَّجه، ولا عند ضِيق إلا وسعَّه، ولا تعلَّق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذَليل إلا أناله العز، ولا فَقيرٍ إلا أصاره غنيًا، ولا مُستوحشًا إلا آنسه، ولا مَغلوبٍ إلا أيده ونصره، ولا مُضطر إلا كشف ضُرَّه، ولا شَريدٍ إلا آواه. فهو الاسم الذي تُكشف به الكربات، وتُستنزل به البركات، وتُجاب به الدَّعوات، وتُقال به العثرات، وتُستدفع به السيئات، وتُستجلب به الحسنات. وهو الاسم الذي قامت به الأرض والسماوات، وبه أنزلت الكتب، وبه أُرسلت الرسل، وبه شُرِّعت الشرائع. وبه قَامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حَقَّت الحاقة. ووَقَعت الواقعة. وبه وُضعت الموازين القسط ونصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار. وبه عُبد رب العالمين وحمد، وبحقه بُعثت الرسل، وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور وبه

وقال الأزدي: ركن من أركان الكذب.

وقال ابن حبان: كان ممن يروى الموضوعات عن الثقات وما لا أصل له عن الأثبات، لا تحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال.

(١) أخرجه احمد (٢٠١/٦) وابن أبي شيبة (١٩١/١٠) ومسلم [٤٨٦] وأبو داود [٨٧٩] والنسائي (١١٠/٢) وفي «الكبرى» [٦٨٧] وابن ماجه [٣٨٤١] وابن خزيمة [٦٥٥] [٦٧١] وأبو عوانة (١٦٩/٢- ١٧٠) وابن حبان [١٩٣٢] والدارقطنى (١٤٣/١) والبيهقي (١٢٧/١) وفي «الدعوات» [١٨٨] وابن عبد البرفى «التمهيد» (٣٤٩/٢٣) من طرق عن الأعرج عن أبي هريرة عن عائشة به.

الخصـام وإليـه المحاكمة، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سُـعد من عرفـه وقام بحقه، وبه شقي من جهله وترك حقه، فهو سر الخلق والأمر. وبه قاما وثبتا، وإليه انتهيا، فالخلق بـه وإليـه ولأجله. فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئًا منه ومنتهيًا إليـه، وذلـك موجبـه ومقتضـاه ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١] إلى آخر كلامه رحمه الله.

قـوله (الرحمن الرحيم) قال ابن جرير: حَدَّثني السَّريُّ بن يحيى حَدَّثنا عثمان بن زُفَر سمعت العزرى يقول: الرحمن بجميع الخلق، والرحيم بالمؤمنين. وساق بسنده عن أبي سـعيد - يعني الخدري - «قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : «**إن عيسى ابن مريم قال: الرحمن: رحمن الآخرة والدنيا. والرحيم: رحيم الآخرة**»[(١)].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى[(٢)]: فاسـمه «الله» دل على كونه مألوهًا معبودًا. يألهـه الخلائـق: محبة وتعظيمًـا وخضوعًا، ومفـزعًا إليـه في الحوائج والنوائـب. وذلك مسـتلزم لكمال ربوبيتـه ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمـد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيتـه وملكه، مسـتلزم لجميع صفات كماله. إذ يسـتحيل ثبـوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أقواله وأفعـاله. فصفات الجلال والجمال أخص باسـم الله، وصفات الفعـل والقدرة والتفرد بالـضر والنفـع (العطاء والمنع ونفوذ المشـيئة وكمال القوة وتدبـر أمر الخليقة: أخص باسـم الرب)، وصفات الإحسـان والجود والبر والحنان والمنـة والرأفة والعطف أخص باسم الرحمن.

(١) موضوع كما سبق.

(٢) مدارج السالكين (١/٣٢ و٣٣).

وقال رحمه الله أيضًا: الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم. واذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧]، ولم يجيء قط رحمان بهم.

وقال: إن أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله. فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، فمن حيث هو صفة جرى تابعًا لاسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورد الاسم العلم، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ انتهى ملخصًا(١).

قال المصنف : **الحمد لله**

ش: ومعناه الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على وجه التعظيم، فمورده: اللسان والقلب، والشكر يكون باللسان والجنان والأركان، فهو أعم من الحمد متعلقًا، وأخص منه سببًا، لأنه يكون في مقابلة النعمة، والحمد أعم سببًا وأخص متعلقًا، لأنه يكون في مقابلة النعمة وغيرها. فبينهما عموم وخصوص وجهي، يجتمعان في مادة وينفرد كل واحد عن الآخر في مادة.

وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

ش: أصح ما قيل في معنى صلاة الله على عبده: ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى عن أبي العالية قال: «صلاة الله على عبده ثناؤه عليه عند الملائكة»(١). وقرره ابن القيم رحمه الله ونصره في كتابيه: «جلاء الأفهام» و«بدائع الفوائد»(٢).

قلت: وقد يراد بها الدعاء، كما في المسند عن علي مرفوعًا **«الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه: اللهم اغفر له اللهم ارحمه»**(٣).

---

(١) ذكر البخاري معلقًا في كتاب «التفسير» (٨/٤٣٢) فتح، وقال الحافظ: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أدم بن أبي إياس حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس.
قلت: هو في تفسيره برقم [١٧٧٦٨] في سورة الأحزاب.
وأخرجه إسماعيل في «فضل الصلاة» (ص ٨٠) من هذا الطريق وهو حسن.

(٢) انظر جلاء الأفهام (ص ٧٩-٩٠) طبعة دار الحديث.
وكتاب بدائع الفوائد (١/٣٣ - ٣٤) طبعة دار الحديث.

(٣) حسن.
أخرجه أحمد [١٢١٩] من طريق إسرائيل عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السّلمي قال: سمعت عليًا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«إنَّ العبد إذا جلس في مُصلاهُ بعد الصلاة، صلَّت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللَّهُم اغفر له، اللَّهم ارحمه، وإن جلس ينتظر الصلاة صلت عليه الملائكة وصلاتهم عليه اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»**.
وإسناده ضعيف.
عطاء بن السائب اختلط بآخره وسماع إسرائيل منه بعد اختلاطه.
وأخرجه أحمد [١٢٥١] والبزار [٥٩٦] [٥٩٧] من طريق إسرائيل لكن بلفظ من صلى الفجر ثم جلس في مصلاه صلّت عليه الملائكة وصلاتهم عليه ......«الحديث».
وإسناد ضعيف لنفس السبب.
وله شاهد من حديث أبي هريرة ولفظه: «الملائكة تُصلى على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يُحدث تقول: اللَّهُمَّ اغفر له، اللَّهُمَّ ارحمه».
أخرجه البخاري [٦٥٩] ومسلم (١/٤٥٩) وغيرهما.

قـوله (وعلى آله) أي أتباعـه على دينه، نـص عليه الإمام أحمد هنـا. وعليه أكثر الأصحاب. وعلى هذا فيشمل الصحابة وغيرهم من المؤمنين[١].

(١) راجع كتاب جلاء الأفهام (٨٥-٩٠).

كتاب التوحيد

كتاب: مصدر كَتَبَ يَكْتبِ كِتَابًا وكتابةً وكُتبًا، ومدار المادة على الجمع.

ومنه: تَكَتَّب بنو فلان، إذا اجتمعوا. والكتيبة لجماعة الخيل، والكتابة بالقلم لاجتماع الكلمات والحروف. وسمى الكتاب كتابًا: لجمعه ما وضع له(١).

والتوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات. وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات. وتوحيد في الطلب والقصد. وهو توحيد الإلهية والعبادة.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ(٢): وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب فهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول هو: إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد الإفصاح، كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر الحشر، وأول تنزيل السجدة، وأول آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: ما تضمنته سورة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا

(١) اللسان مادة «كتب» وفيه:
الكتاب: اسمٌ لما كُتِبَ مجموعًا والكتاب مصدرٌ.
والكتاب: ما كُتب فيه.
وانظر كتاب «المفردات» للراغب الأصبهاني (ص ٦٩٩) مادة «كتب»

(٢) مدارج السالكين (٣/٤٩٩- ٥٠٦).

مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤] وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها. وأول سورة المؤمن: ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها. وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن. بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، شاهدة به داعية إليه.

فإن القران إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التوحيد العلمى الخبرى وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمر ونهى، وإلزام بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التوحيد ومكملاته وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فُعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فُعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العُقبى من العذاب. فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه وجزائه، وفى شأن الشرك وأهله وجزائهم. انتهى.

قال شيخ الإسلام(١): التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله: لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالى إلا له، ولا يعادى إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله. وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات. قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ

(١) هو شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله. وكتابه «مجموع الفتاوى» المجلد الأول والثاني والثالث في توحيد الربوبية والإلهية.

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧]، وقال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥] وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤] وقال عن المشركين: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات:٣٥-٣٦] وهذا في القرآن كثير.

وليس المراد بالتوحيد: مجرد توحيد الربوبية. وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف. ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد. وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه. وأقر بأنه وحده خالق كل شيء، لم يكن موحدًا حتى يشهد بأن لا إله إلا الله وحده. فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة. ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له. والإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة. وليس هو الإله بمعنى القادر على الاختراع.

فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله. وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد - كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية. وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن[1] وأتباعه لم يعرفوا

(١) أبو الحسن هو الأشعريّ وهو عليُّ بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن موسى بن

حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ. فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء. وكانوا مع هذا مشركين. قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]، قالت طائفة من السلف تسألهم: من خلق السموات والأرض؟ فيقولون: الله وهم مع هذا يعبدون غيره(١) قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩]، فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابدًا له، دون ما سواه. داعيًا له دون ما سواه راجيًا له خائفًا منه دون ما سواه. يوالي فيه ويعادي فيه. ويطيع رسله ويأمر بما أمر به. وينهى عما نهى عنه. وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء. وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له أندادًا. قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ

بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعريُّ كان مُعتزليًا ثم تاب ثم أظهر فضائح وقبائح المعتزلة ثم أشعريًا ثم مات سلفيًا توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

تاريخ بغداد (٣٤٦/١١) والوفيات (٢٨٤/٣) والسير (٨٥/١٥) وتاريخ الإسلام «حوادث ووفيات ٣٢١- ٣٣٠» ص [١٥٤]. والبداية (١٠١/١٥).

(١) جاء عن ابن عباس: أخرجه ابن جرير [١٩٩٥٥] بسند ضعيف.

وعن عطاء: أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير [١٩٩٧٢].

وعن عكرمة: أخرجه ابن جرير [١٩٩٥٦] وسند ضعيف. وأخرجه [١٩٩٥٧] بسند أخر صحيح.

وعن مجاهد: أخرجه ابن جرير [١٩٩٦١] [١٩٩٦٢].

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر:٤٣-٤٤] وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام:٩٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥] ولهذا كان أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها. ويصوم وينسك لها ويتقرب إليها. ثم يقول: إن هذا ليس بشرك. إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة لي. فإذا جعلتها سببًا وواسطة لم أكن مشركًا. ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك. انتهى كلامه رحمه الله تعالى[1].

---

(١) راجع المجلد الثالث من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (ص ٩٧-١٠٥).

وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات :٥٦].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات :٥٦].

ش: بالجر عطف على التوحيد. ويجوز الرفع على الابتداء.

قال شيخ الإسلام: العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل.

وقال أيضًا: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة(١).

قال ابن القيم: ومدارها على خمس عشرة قاعدة. من كملها كمل مراتب العبودية.

وبيان ذلك: أن العبادة منقسمة على القلب واللسان والجوارح. والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح. وهن لكل واحد من القلب واللسان والجوارح(٢).

وقال القرطبي: أصل العبادة التذلل والخضوع. وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات. لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى(٣).

ومعنى الآية: أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته. فهذا هو الحكمة في خلقهم.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤٩/١٠).

(٢) انظر مدارج السالكين (١٠٩/١).

(٣) تفسير القرطبي (٥٠/٩ - ٥١) في تفسير الآية.

قلت: وهي الحكمة الشرعية الدينية.

قال العماد ابن كثير: وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور. وذلك هو حقيقة دين الاسلام. لأن معنى الإسلام: الاستسلام لله تعالى، المتضمن غاية الانقياد والذل والخضوع. انتهى[1].

وقال أيضًا في تفسير هذه الاية: ومعنى الآية أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له. فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء. ومن عصاه عذبه أشد العذاب. وأخبر أنه غير محتاج إليهم. بل هم الفقراء في جميع أحوالهم وهو خالقهم ورازقهم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الآية إلا لآمرهم أن يعبدونى وأدعوهم إلى عبادتى.

وقال مجاهد: إلا لآمرهم وأنهاهم اختاره الزَّجَّاج وشيخ الإسلام. قال: ويدل على هذا قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

قال الشافعي: لا يؤمر ولا ينهى وقال في القرآن في غير موضع: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ فقد أمرهم بما خلقوا له. وأرسل الرسل بذلك. وهذا المعنى هو الذي قصد بالآية قطعًا، وهو الذي يفهمه جماهير المسلمين ويحتجون بالآية عليه.

قال وهذه الآية تشبه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤] ثم قد يطاع وقد يعصى. وكذلك ما خلقهم إلا لعبادته. ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون. وهو سبحانه لم يقل: إنه فعل الأول. وهو خلقهم ليفعل بهم كلهم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٦٨ - ٥٦٩).

الثاني: وهو عبادته ولكن ذكر أنه فعل الأول ليفعلوا هم الثاني. فيكونوا هم الفاعلين له. فيحصل لهم بفعله سعادتهم ويحصل ما يحبه ويرضاه منه ولهم. انتهى[١].

ويشهد لهذا المعنى: ما تواترت به الأحاديث.

فمنها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا: لو كانت لك الدنيا وما فيها ومثلها معها أكنت مفتديًا بها؟» فيقول: نعم. فيقول: «قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم. أن لا تشرك - أحسبه قال: ولا أدخلك النار - فأبيت إلا الشرك»**[٢].

فهذا المشرك قد خالف ما أراده الله تعالى منه: من توحيده وأن لا يشرك به شيئًا. فخالف ما أراده الله منه فأشرك به غيره. وهذه هي الإرادة الشرعية الدينية كما تقدم.

فبين الإرادة الشرعية الدينية والإرادة الكونية القدرية عموم وخصوص مطلق.

يجتمعان في حق المخلص المطيع. وتنفرد الإرادة الكونية القدرية في حق العاصى. فافهم ذلك تنج من جهالات أرباب الكلام وتابعيهم.

(١) تفسير ابن كثير (٢/٥٦٨ - ٥٦٩).

(٢) أخرجه أحمد (٣/١٢٧و ١٢٩و ٢١٨) والبخاري [٣٣٣٤] [٦٥٣٨] [٦٥٥٧] ومسلم [٢٨٠٥] وعبد بن حميد [١١٧٩] وابن أبي عاصم في «السنة» [٩٩] وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٣١٥) والبيهقي في «البعث» [٩١] [٩٢] والبغوى [٤٤٠٣] وهذا لفظ مسلم.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

ش: الطاغوت: مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الطاغوت الشيطان»[١].

وقال جابر رضي الله عنه: «الطاغوت كهان كانت تنزل عليهم الشياطين» رواهما ابن أبي حاتم[٢].

وقال مالك: «الطاغوت كل ما عبد من دون الله».

قلت، وذلك المذكور بعض أفراده، وقد حده العلامة ابن القيم حدًا جامعًا فقال الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده: من معبود أو متبوع أو مطاع. فطاغوت كل قوم: من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله. فهذه طواغيت العالم. إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها. رأيت أكثرهم أعرض عن عبادة الله تعالى إلى عبادة الطاغوت وعن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طاعة الطاغوت ومتابعته.

---

(١) أخرجه ابن جرير [٥٨٣٥] [٥٨٣٦] من طريق أبي إسحاق السَّبيعي عن حسان بن فائدة العبسي عن عمر به.
وإسناده ضعيف.
وأخرج نحوه عن مجاهد [٥٨٣٧] بسند ضعيف.
وأخرج نحوه عن الضحاك [٥٨٣٩] بسند ضعيف.
وعلقه البخاري في «التفسير» (٨/١٠٠) فتح.

(٢) أخرجه ابن جرير [٥٨٤٦] بسند ضعيف.

وأما معنى الآية: فأخبر تعالى أنه بعث في كل طائفة من الناس رسولًا بهذه الكلمة «أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» أي اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦] وهذا معنى لا إله إلا الله فإنها هي العروة الوثقى.

قال العماد ابن كثير في هذه الآية: كلهم - أي الرسل - يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة ما سواه، فلم يزل سبحانه يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم، وكان أول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض[1] إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ، الذي طبق دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول: «لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء»، فمشيئة الله تعالى الشرعية عنهم منفية، لأنه نهاهم عن ذلك على ألسن رسله، وأما مشيئته الكونية - وهي تمكينهم من ذلك قدرًا - فلا حجة لهم فيها، لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة، وهو لا يرضى لعباده الكفر، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة، ثم إنه تعالى قد أخبر أنه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل، فلهذا قال: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل:٣٦] انتهى.

---

(١) عن أنس مرفوعًا «أول نبيٍّ أُرسل نوحٌ» انظر «الصحيحة» [١٢٨٩] وصحيح الجامع [٢٥٨٥].

قلت: وهذه الآية تفسير الآية التي قبلها. وذلك قوله: «فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة» فتدبر.

ودلت هذه الآية على أن الحكمة في ارسال الرسل، دعوتهم أممهم إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وأن هذا هو دين الأنبياء والمرسلين، وإن اختلفت شريعتهم كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وأنه لا بد في الإيمان من عمل القلب والجوارح.

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ .....

قال المصنف رحمه الله تعالى: قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

ش: قال مجاهد «قضى» يعني وصى[١]، وكذا قرأ أُبي بن كعب وابن مسعود وغيرهم ولابن جرير عن ابن عباس «وقضى ربك يعني أمر»[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ المعنى، أن تعبدوه وحده دون ما سواه، وهذا معنى لا إله إلا الله.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والنفي المحض ليس توحيدًا، وكذلك الاثبات بدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمنًا للنفي والإثبات، وهذا هو حقيقة التوحيد.

وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي وقضى أن تحسنوا بالوالدين إحسانًا، كما قضى بعبادته وحده لا شريك له. كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» [١٥٥٤] وابن جرير [٢٢١٨٦] من طريق معمر عن قتادة به.
وإسناده صحيح.
وأخرجه ابن جرير [٢٢١٨٧] عن كعب وسنده ضعيف

(٢) أخرجه ابن جرير [٢٢١٨٣] من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وإسناده ضعيف للانقطاع فإن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.

إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء:٢٣].

وقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ أي ألا تسمعهما قولًا سيئًا، حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيء «ولا تنهرهما» أي: لا يصدر منك إليهما فعل قبيح، كما قال عطاء بن أبي رباح لا تنفض يديك عليهما(١).

ولما نهاه عن الفعل القبيح والقول القبيح أمره بالفعل الحسن والقول الحسن فقال: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ أي لينًا طيبًا بأدب وتوقير وقوله: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ أي تواضع لهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا ﴾ أي في كبرهما وعند وفاتهما ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾.

وقد ورد في بر الوالدين أحاديث كثيرة، منها: الحديث المروي من طرق عن أنس وغيره «أن رسول الله ﷺ لما صعد المنبر قال: «آمين، آمين، آمين»، فقالوا: يا رسول الله، علام أمنت؟ قال: **«أتاني جبريل فقال: يا محمد رغم أنف امرىء ذكرت عنده فلم يصل عليك قل: آمين، فقلت: آمين ثم قال: رغم أنف امرىء دخل عليه شهر رمضان ثم خرج ولم يغفر له، قل آمين: فقلت آمين، ثم قال: رغم أنف امرىء أدرك أبويه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة قل: آمين، فقلت آمين»**(٢)

---

(١) أخرجه ابن جرير [٢٢١٩٣] من طريق واصل بن السائب عن عطاء بن أبي رباح به. وإسناده ضعيف، واصل ضعيف.

(٢) صحيح.

أخرجه البزار [٣١٦٨] وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة» [١٥] من طريق سلمة بن وردان عن أنس به.

وإسناده ضعيف.

سلمة بن وردان ضعيف الحديث.
ولكن الحديث صحيح بشواهد. فقد جاء عن أبي هريرة، وكعب، وجابر، ومالك بن الحويرث، وعمار، وابن مسعود، وجابر بن سمرة، وعبد الله بن الحارث.
أما حديث أبي هريرة فله طرق:
الأول: أخرجه أحمد [٧٣٥١] والترمذي [٣٥٤٥] وابن الأعرابي في «معجمه» [١٣٢٥] وإسماعيل القاضى [١٧] وابن حبان [٩٠٨] والحاكم (٥٤٩/١) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة به.
وإسناده حسن.
الثاني: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٦٤٦] والطبراني في «الأوسط» [٨٩٩٤] وإسماعيل القاضي [١٨] والبزار [٣١٦٩ كشف] وابن خزيمة [١٨٨٨] من طريق كثير بن زيد الأسلمى عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة به.
وإسناده حسن.
الثالث: أخرجه أبو يعلى [٥٩٢٢] وعنه ابن حبان [٩٠٧] من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة، به.
وإسناده حسن.
فحديث أبي هريرة بهذه الطرق يصح إن شاء الله.
حديث كعب بن عجرة:
أخرجه إسماعيل القاضي [١٩] والطبراني في «الكبير» (٣١٥/١٩) والحاكم (١٥٣/٤- ١٥٤) من طريق إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه، به.
قال الهيثمى في «المجمع» (١٦٦/١٠): رجاله ثقات.
قلت: إسحاق بن كعب مجهول.
حديث جابر
أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٦٤٤] من طريق عبد الله بن نافع الصائغ عن عصام بن زيد عن محمد بن المنكدر عن جابر، مثله.
وإسناده لا بأس به.
حديث مالك بن الحويرث
أخرجه ابن حبان [٤٠٩] وابن عدى في «الكامل» (٢٣٧٨/٦) والطبراني في «الكبير» (١٩/(٢٩١) من

....

....

طريق عمران بن أبان عن مالك ،به.
وإسناده ضعيف.
عمران بن أبان الواسطي ضعيف.
حديث عمار
أخرجه البزار [١٤٠٥] من طريق عثمان بن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جده عن عمار، به.
قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٦٤)
«وفيهم من لم أعرفهم»
حديث ابن مسعود
أخرجه البزار [٣١٦٥] بسند ضعيف.
حديث جابر بن سمرة.
أخرجه الطبراني في «الكبير» [٢٠٢٢] من طريق إسماعيل بن أبان ثناقيس بن الربيع عن سماك عن جابر بنحوه.
وإسناده ضعيف، لأجل قيس.
وأخرجه الطبراني [٢٠٣٤] من طريق عبد العزيز بن الخطاب عن ناصح عن سماك عن جابر، به.
وإسناده ضعيف.
حديث عبد الله بن الحارث بن جزاء.
أخرجه الطبراني والبزار [٣١٦٧].
فالحديث بهذه الشواهد أقطع بصحته، والله أعلم وقد صححه الشيخ الألباني : انظر صحيح الجامع [٣٥١٠].

وروى الامـام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «رغم أنـف، ثـم رغـم أنـف، ثم رغـم أنف رجـل أدرك والديـه، أحدهمـا أو كلاهمـا لم يدخل الجنة»(١).

قال العماد ابن كثير: صحيح من هذا الوجه(٢).

وعـن أبي بكـرة رضي الله عنه قـال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئًا فجلس، فقال ألا وقول الزور، ألا وشـهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»(٣) رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رضى الرب في رضى الوالدين، وسخطه في سخط الوالدين»(٤).

---

(١) أخرجه أحمد [٨٥٥٧] ومسلم [٢٥٥١] والبخاري في «الأدب المفرد» [٢١] والبيهقي في «الشعب» [٧٨٨٤].

(٢) قاله في تفسيره (٥/٤٢) في تفسير سورة الإسراء وقال: «صحيح من هذا الوجه ولم يخرجه إلاّ مسلم من حديث أبي عوانة وجرير وسلمان بن بلال عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة».

(٣) أخرجه البخاري [٢٦٥٤] [٥٩٧٦] [٦٢٧٣] [٦٢٧٤] [٦٩١٩] وفي «الأدب المفرد» [١٥] ومسلم [٨٧] والترمذي [١٩٠١] [٢٣٠١] [٣٠١٩] وفي «الشمائل» [١١٣] وأحمد (٥/٣٦) وابن منده في «الإيمان» [٤٧٠] والبيهقي (١٠/١٢١) وفي «الشعب» [٧٨٦٦]

(٤) صحيح.

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٢] والترمذي [١٨٩٩] وابن حبان [٤٢٩] والحاكم (٤/١٥١) والبيهقي في «الشعب» [٧٨٢٩] [٧٨٣٠] والبغوي [٣٤٢٣] [٣٤٢٤] وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» [٣٥٠٦] وفي «الصحيحة» [٥١٦].

عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: «بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال: **«نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما»**[1] رواه أبو داود وابن ماجه.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًا.

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (٣/٤٩٧ - ٤٩٨) والبخاري في «الأدب المفرد» [٣٥] وأبو داود [٥١٤٢] وابن ماجه [٣٦٦٤] وابن حبان [٤١٨] والطبراني في «الكبير» (١٩/(٥٩٢) والحاكم (٤/١٥٤) والبيهقي (٤/٢٨) وفي «الآداب» [٤] من طريق عبد الرحمن بن الغسيل حدثني أسيد بن علي عن أبيه علي بن عُبيد عن أبي أسيد، به.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي!!

وعلي بن عبيد لم يرو عنه إلّا ابنه، فهو مجهول الحال.

وقال الذهبي في «الميزان»: «لا يُعرف» ولهذا ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله في «ضعيف أبي داود» [١١٠١] و«ضعيف ابن ماجه» [٨٠٠]

وقوله: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء:٣٦].

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

ش: قال العماد ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: يأمر الله تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، فإنه الخالق الرازق المتفضل على خلقه في جميع الحالات، وهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئًا من مخلوقاته. انتهى[1].

وهذه الآية هي التي تسمى آية الحقوق العشرة، وفي بعض النسخ المعتمدة من نسخ هذا الكتاب تقديم هذه الآية على آية الأنعام، ولهذا قدمتها لمناسبة كلام ابن مسعود الآتي لآية الأنعام، ليكون ذكره بعدها أنسب.

---

(١) تفسير ابن كثير (١٧٨/٢) تفسير سورة النساء.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١] الآيات.

ش: قال العماد ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله، وحرموا ما رزقهم الله ﴿تَعَالَوْا﴾ أي هلموا وأقبلوا ﴿أَتْلُ﴾ أقص عليكم ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حقًا، لا تخرصًا ولا ظنًا، بل وحيًا منه وأمرًا من عنده ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وكأن في الكلام محذوفًا دل عليه السياق تقديره: وصاكم ألا تشركوا به شيئًا، ولهذا قال في آخر الآية ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ اهـ[1].

قلت: فيكون المعنى: حرم عليكم ما وصاكم بتركه من الإشراك به، وفي المغني لابن هشام في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ سبعة أقوال، أحسنها: هذا الذي ذكره ابن كثير، ويليه: بين لكم ذلك لئلا تشركوا، فحذفت الجملة من أحدهما، وهي: ﴿وَصَّاكُم﴾ وحرف الجر وما قبله من الأخرى. ولهذا إذا سئلوا عما يقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم كما قال أبو سفيان، لهرقل[2] وهذا هو الذي فهمه أبو سفيان وغيره من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم «قولوا لا اله إلا الله تفلحوا»[3].

---

(١) تفسيره (٢١٣/٣) في تفسير سورة الأنعام.

(٢) جزء من حديث ابن عباس في قصة أبي سفيان مع هرقل. وقد سبق تخريجه.

(٣) صحيح.

وقد جاء عن ربيعة بن عباد الدّيلمي:

أخرجه أحمد (٤٩٢/٣) والطبراني في «الكبير» [٤٥٨٢] والحاكم (١٥/١) من طريق عبد الرحمن بن أبي

....

....

الزناد عن أبيه عن ربيعة بن عباد الدّيلمي وكان جاهليًا فأسلم قال: رأيت رسول الله ﷺ بَصَر عيني بسوق ذي المجاز يقول:

«يا أيها الناس قولوا لا إله إلّا الله تفحلوا» الحديث.

وإسناده حسن.

وجاء من حديث رجل من بني كنانة:

أخرجه أحمد (٣٦/٤) (٣٧٦/٥) من طريق شيبان عن أشعث حدثنا شيخ من بني مالك بن كنانة قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول...» فذكره.

وإسناده صحيح.

وقال الهيثمي في «المجمع» (٢١/٦):

«رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»

وأخرجه أحمد (٣٧١/٤) من طريق شعبة عن الأشعث بن سُليم سمعت رجلًا في إمرة ابن الزبير قال: سمعت رجلًا من سوق عكاظ يقول:...»

فذكره.

وإسناده صحيح.

وجاء من حديث طارق بن عبد الله المحاربي:

أخرجه النسائي (٥٥/٨) وابن أبي شيبة (٣٠٠/١٤) وابن ماجه [٢٦٧٠] وابن حبان [٦٥٦٢] والدارقطنى (٤٤/٢- ٤٥) والحاكم (٦١١/٢ - ٦١٢) والبيهقي في «الدلائل» (٣٨١/٥) من طرق عن يزيد بن زياد بن أبي الجعد عن جامع بن شداد عن طارق، قال:

رأيت رسول الله ﷺ في سوق ذى المجاز وعليه حُلّة حمراء وهو يقول..» فذكره.

وإسناده صحيح.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» [٨١٧٥] والبيهقي في «الدلائل» (٣٨٠/٥) من طريق أبي جناب الكلبي حدثنا جامع بن شداد، به.

والحديث صحيح والحمد لله.

﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ .....

وقـوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ قال القرطبي: الإحسـان إلى الوالدين برهما وحفظهمـا وصيانتهمـا وامتثال أمرهمـا، وإزالة الرق عنهما، وترك السـلطنة عليهما، و﴿إِحْسَٰنًا﴾ نصب على المصدرية، وناصبه فعل من لفظه تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحسانًا[1].

---

(١) «تفسير القرطبي» (٤/١١٦-١١٧).

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ﴾

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ الإملاق: الفقر، أي لا تئدوا بناتكم خشية العيلة والفقر، فإني رازقكم وإياهم، وكان منهم من يفعل ذلك بالذكور خشية الفقر، ذكره القرطبي(١).

وفي الصحيحين «عن ابن مسعود رضي الله عنه (قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**». قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني بحليلة جارك**». ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠](٢).

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال ابن عطية: نهي عام عن جميع أنواع الفواحش، وهي المعاصي.

و﴿ظَهَرَ﴾، و﴿بَطَنَ﴾ حالتان تستوفيان أقسام ما جلتا له من الأشياء. انتهى(٣).

---

(١) تفسير القرطبي (١١٧/٤) طبعة دار الحديث.

(٢) أخرجه عبد الرزاق [١٩٧١٩] [١٩٧٢٠] وأحمد [٣٦١٢] [٤١٠٢] [٤١٣١] [٤١٣٢] [٤١٣٣] [٤١٣٤] والبخاري [٤٤٧٧] [٤٧٦١] [٦٠٠١] [٦٨١١] [٧٥٢٠] [٧٥٣٢] ومسلم [٨٦] [١٤١] وأبو عوانة (٥٥/١) وأبو داود [٥١٣٠] والترمذي [٣١٨٢] والنسائي (٨٩/٧) وفي «الكبرى» [١١٣٦٨] [١١٣٧٠] وأبو يعلى [٥٠٩٨] وابن حبان [٤٤١٤] [٤٤١٥] [٤٤١٦] والشاشي [٤٨٦] [٤٨٧] والطبراني في «الكبير» [٩٨١١] [٩٨١٩] [٩٨٢٠] والبيهقي في «الشعب» [٥٣٧٠] [٥٣١٦] [٥٣٧١] وأبو نعيم في «الحلية» (١٤٥/٤) والبغوي [٤٢].

(٣) انظر المحرر الوجيز (٣٦٢/٢) طبعة دار الكتب.

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ في الصحيحين: «عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «**لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(١).

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال ابن عطية: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى هذه المحرمات والوصية الأمر المؤكد المقرر(٢).

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (لعل) للتعليل أى إن الله تعالى وصانا بهذه الوصايا لنعقلها عنه ونعمل بها.

وفى تفسير الطبري الحنفي: ذكر أولًا (تعقلون) في (تذكرون) ثم (تتقون) لأنهم إذا عقلوا تذكروا وخافوا واتقوا(٣).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق [١٨٧٠٤] والحميدى [١١٩] وابن أبي شيبة (٢٧٠/١٤) والبخاري [٦٨٧٨] ومسلم [١٦٧٦] وأبو داود [٤٣٥٢] والترمذي [١٤٠٢] والنسائي [٩٠١٧] وابن أبي عاصم في «السنة» [٦٠] [٨٩٣] والشاشى [٣٧٥] وأبو يعلى [٥٢٠٢] وابن حبان [٤٤٠٧] [٤٤٠٨] والطحاوي في «شرح المعاني» (١٦٠/٣-١٦١) وفي «شرح المشكل» (٣٢١١/٢) وأحمد [٣٦٢١] [٤٢٤٥] [٤٤٢٩] والدارمي (٢١٨/٢) والدارقطنى (٨٢/٣) والبيهقي (١٩٤/٨) وفي «الشعب» [٥٣٣١] والبغوي [٢٥١٧] عن ابن مسعود، وفي كثير في النسخ عن ابن عباس وهذا غلط.

(٢) المحرر الوجيز (٣٦٢/٢).

(٣) تفسير الطبري (٨٨/٨).

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ قال ابن عطية: هـذا نهى عام عـن القرب الذي يعم وجوه التصرف وفيه سـد الذريعة، ثم اسـتثنى ما يحسن وهو السعى في نمائه(١).

قال مجاهد: التي هي أحسن، التجارة فيه(٢).

وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ قال مالك وغيره: هو الرشد وزوال السفه مع البلوغ، روى نحو هذا عن زيد بن أسلم والشعبى وربيعة وغيرهم.

وقـوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ قال ابـن كثير: يأمر تعالى بإقامة العـدل في الأخذ والإعطاء ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي من اجتهاد بأداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ الوسع وبذل جهده فلا حرج عليه(٣).

وقـوله: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ هـذا أمـر بالعـدل في القـول والفعل على القريب والبعيد(٤).

قـال الحنـفي: العدل في القول في حق الولى والعـدو لا يتغير في الرضى والغضب بل يكـون على الحق وإن كان ذا قربى فلا يميـل إلى الحبيب والقريب ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨](٥).

---

(١) المحرر الوجيز (٢/٣٦٢).

(٢) أخرجه ابن جرير [١٤١٥٢] بسند ضعيف.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٢١٦).

(٤) تفسير ابن كثير (٣/٢١٦).

(٥) تفسير الطبري (٨/٨٨).

وقوله: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾ قال ابن جرير: وبوصية الله تعالى التي وصاكم بها فأوفوا. وإيفاء ذلك بأن يطيعوه بما أمرهم به ونهاهم عنه. وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله ﷺ ذلك هو الوفاء بعهد الله. وكذا قال غيره، وقوله «ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون» تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه[١].

وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ قال القرطبي: هذه آية عظيمة عطفها على ما تقدم. فإنه نهي وأمر وحذر عن اتباع غير سبيله على ما بينته الأحاديث الصحيحة وأقاويل السلف. و(أن) في موضع نصب. أي أتلو أن هذا صراطي، عن الفرَّاء والكَسَائي. ويجوز أن يكون خفضًا. أي وصاكم به وبأن هذا صراطي. قال: والصراط الطريق الذي هو دين الإسلام. (مستقيمًا) نصب على الحال ومعناه مستويًا قيمًا لا اعوجاج فيه. فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان محمد ﷺ وشرعه ونهايته الجنة وتشعبت منه طرق، فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي يميل. انتهى[٢].

وروى الإمام أحمد والنسائي والدارمي وابن أبي حاتم والحاكم - وصححه - «عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خط رسول الله ﷺ خطًا بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا»، ثم خط خطوطًا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال: «وهذه

(١) تفسير الطبري (٨/٨٩) وهو في تفسير ابن كثير (٣/٢١٦).

(٢) تفسير القرطبي (٤/٢٥٧٣).

سبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ الآية»(١).

وعن مجاهد: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾، قال: البدع والشهوات(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولنذكر في الصراط المستقيم قولًا وجيزًا فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيء واحد، وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلًا لهم إليه ولا طريق إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله، وجعله موصلًا لعبادة الله وهو إفراده بالعبادات، وإفراد رسله بالطاعة، فلا يشرك به أحدًا في عبادته ولا يشرك برسوله ﷺ أحدًا في طاعته. فيجرد التوحيد، ويجرد متابعة الرسول ﷺ، وهذا كله مضمون شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله فأي شيء فسر به الصراط المستقيم فهو داخل في هذين الأصلين. ونكتة ذلك، أن تحبه بقلبك وترضيه بجهدك كله، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمورًا بحبه، ولا يكون لك إرادة متعلقة بمرضاته. **فالأول**: يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، **والثاني**: يحصل بتحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله. وهذا هو الهدى ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل به،

---

(١) حسن.
أخرجه أحمد (٤٣٥/١) [٤١١٢] والدارمي [٢٠٨] والطيالسي [٢٤٤] وابن أبي عاصم في «السنة» [١٧] والنسائي في «الكبرى» [١١١٧٤] وفي «التفسير» [١٩٤] وابن نصر في «السنة» (ص ٥) والشاشي [٥٣٥] [٥٣٦] [٥٣٧] والطبري [١٤١٦٨] والبزار [١٦٧٧] [١٦٩٤] [١٧١٨] [١٨٦٥] وابن حبان [٦] [٧] والحاكم (٣١٨/٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦٣/٦) والبغوي [٩٧] وحسَّنهُ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» [١٤١٦٨] [١٤١٦٩] من طريقين عن ابن أبي نجيح عنه، وإسنادهما يقوى أحدهما الآخر.

وهـو معرفة ما بعث الله به رسـوله والقيام به، وقل ما شـئت مـن العبارات التي هذا آخيتها وقطب رحاها[١].

قال: وقال سهل بن عبد الله: عليكم بالأثر والسنة، فإني أخاف، إنه سيأتي عن قليل زمان إذا ذكر إنسان النبي ﷺ والاقتداء به في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرأوا منه، وأذلوه وأهانوه. اهـ[٢].

---

(١) بدائع الفوائد (٢/٤٥ – ٤٦).

(٢) الإبانة [٦٦٧] وخرجته في البداية.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : من أرادَ أن ينظرَ إلى [وصيَّةِ محمد] صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتِمُهُ فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، إلى قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام :١٥٣].

قال المصنف رحمه الله تعالى: (قال ابن مسعود): من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الآية(١).

ش: قوله: (ابن مسعود) هو عبد الله بن مسعود بن غافل - بمعجمة وفاء - ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن، صحابي جليل من السابقين الأولين، وأهل بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان من كبار علماء الصحابة، أمَّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين رضي الله عنه .

وهذا الأثر رواه الترمذي وحسَّنه، وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني بنحوه. وقال بعضهم: معناه من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كتب وختم عليها فلم تغير ولم تبدل فليقرأ: (قل تعالوا -إلى آخر الآيات) شبهها بالكتاب الذي كتب ثم ختم فلم يزد فيه ولم ينقص. فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص إلا بكتاب الله، كما قال فيما رواه مسلم: «**وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله**»(٢).

---

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه الترمذي [٣٠٧٠] والطبراني في «الكبير» [١٠٠٦٠] وفي «الأوسط» [١٢٠٨] والبيهقي في «الشعب» [٧٩١٨] وابن أبي حاتم في «تفسيره» [٨٠٥٦] من طريق محمد بن فضيل عن داود بن يزيد الأودي عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود، به.

وإسناده ضعيف.

داود بن يزيد ضعيف.

(٢) جزء من حديث جابر الطويل في حجة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخرجه أحمد (٣/٣٢٠-٣٢١) ومسلم

وقد روى عبادة بن الصامت قال: «قال رسول الله ﷺ: أيكم يبايعني على هؤلاء الآيات الثلاث؟ ثم تلا قوله تعالى: «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم» حتى فرغ من الثلاث الآيات. ثم قال من وفى بهن فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئًا فأدركه الله به في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخره إلى الآخرة كان أمره إلى الله إن شاء آخذه وإن شاء عفا عنه «رواه ابن أبي حاتم والحاكم وصححه ومحمد بن نصر في «الاعتصام»[(١)].

قلت: ولأن النبي ﷺ لم يوص أمته إلا بما وصاهم الله تعالى به على لسانه. وفي كتابه الذي أنزله ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩] وهذه الآيات وصية الله تعالى ووصية رسوله ﷺ.

[١٢١٨] وأبو داود [١٩٠٥] وابن ماجه [٣٠٧٤] والدارمي [١٨٥٠] [١٨٥١] وعبد بن حُميد [١١٣٥] وابن الجارود [٤٦٩] والطحاوي «مشكل» [٢٤٣٤] [٤٣٠٠] وفي «شرح المعاني» (١٩٠/٢) وأبو يعلى [٢٠٢٧] وابن حبان [٣٩٤٣] [٣٩٤٤] والبيهقي في «الدلائل» (٤٣٣/٥) وفي «السنن» (٦/٥) وقد جمع طرقه وألفاظه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في رسالة بعنوان «حجة النبي ﷺ كما رواها جابر»

(١) أخرجه ابن أبي حاتم [٨٠٧٧] والحاكم (٣١٨/٢) من طريق يزيد بن هارون، حدثنا سفيان بن حسين، عن الزهري، عن أبي إدريس عن عبادة، به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي!

قلت: بل إسناده ضعيف، فإن سفيان بن حسين ما يرويه عن الزهري يضطرب فيه ويأتي بما ينكر، فهو صدوق في غير الزهري السير (٣٠٢/٧ - ٣٠٣).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن معاذ بن جبل قال: «كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟». قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**»، قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: «**لا تبشرهم فيتكلوا**»[1]. أخرجاه في الصحيحين.

ش: هذا الحديث في الصحيحين من طرق. وفى بعض رواياته نحو مما ذكره المصنف.

«ومعاذ بن جبل رضي الله عنه» هو ابن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن صحابي مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها. وكان إليه المنتهى في العلم والأحكام والقرآن رضي الله عنه. وقال النبي صلى الله عليه وسلم «**معاذ يحشر يوم القيامة أمام العلماء برتوة**»[2] أي بخطوة، قال في القاموس والرَّتْوةَ الخطوة وشرف من الأرض،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق [٢٠٥٤٦] والطيالسي [٥٦٥] وأحمد (٢٢٨/٥) والبخاري [٢٨٥٦] ومسلم [٣٠] وأبو عوانة (٢٧/١) وأبو داود [٢٥٥٩] والترمذي [٢٦٤٣] والنسائي في «الكبرى» [٥٨٧٧] والشاشي [١٣٢٨] [١٣٢٩] وابن منده في الإيمان [١٠٦] [١٠٧] [١٠٨] والطبراني في «الكبير» (٨٣/٢٠) [٨٤] [٨٥] [٢٥٥] [٢٥٦] [٢٥٧] وابن حبان [٢١٠] وأبو نعيم في «الحلية» (١٢٢/٨) والبغوي [٤٨]

(٢) صحيح.
أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤١/٢٩/٢٠) عن محمد بن كعب مرسلًا.
وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» [١٢٨٧] وابن سعد في «الطبقات» (٤٥٤/٢) من طريق شهر بن حوشب عن عمر وفيه انقطاع.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٢٨/١- ٢٢٩) من طريق أبي الجعفاء عن عمر، به.
وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» [١٠٩٠] وفي «صحيح الجامع» [٥٨٨٠].

وسويعة من الزمان، والدعوة، والفطرة، ورمية بسهم أو نحو ميل أو مدى البصر. والراتي لعالم الرباني. انتهى

وقال في «النهاية» أنه يتقدم العلماء برتوة أي برمية سهم. وقيل: بميل، وقيل: مد البصر[1]. وهذه الثلاثة أشبه بمعنى الحديث. مات معاذ سنة ثماني عشرة بالشام في طاعون عمواس. وقد استخلفه ﷺ على أهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم.

---

(١) «النهاية» (١٧٩/٢).

كُنت رديفَ النبيِّ ﷺ على حمارٍ فقال لي: «يا مُعاذ

قوله: (كنت رديف النبي ﷺ) فيه جواز الإرداف على الدابة، وفضيلة معاذ رضي الله عنه .

قوله: (على حمار) في رواية اسـمه «عفير»[1]، قلت: أهداه إليه المقوقس صاحب مصر.

وفيـه: تواضعـه ﷺ لركوب الحمـار والإرادف عليـه، خلافًا لما عليه أهل الكبر.

---

(١) هذه رواية البخاري [٢٨٥٦].

أتدري ما حَقُّ الله على العِباد، وما حَقُّ العبادِ على الله؟»

قوله: «أتدرى ما حق الله على العباد» أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم.

«وحق الله على العباد» وهو ما يستحقه عليهم وحق العباد على الله معناه أنه متحقق لا محالة، لأنه وعدهم ذلك جزاء لهم على توحيده ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم: ٦].

قال شيخ الإسلام: «كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة، كما يستحق المخلوق على المخلوق، فمن الناس من يقول: لا معنى للاستحقاق، إلا أنه أخبر بذلك ووعده صدق، ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقًا زائدًا على هذا، كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، لكن أهل السنة يقولون: هو الذي كتب على نفسه الرحمة وأوجب على نفسه الحق، ولم يوجبه عليه مخلوق.

والمعتزلة يدعون أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو أوجب، وغلطوا في ذلك، وهذا الباب غلطت فيه الجبرية والقدرية أتباع جهم والقدرية النافية».

فقلتُ: «الله ورسوله أعلم»، قال: «حَقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا،

قوله: (قلت الله ورسوله أعلم) فيه حسن الأدب من المتعلم، وأنه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول ذلك، بخلاف أكثر المتكلفين.

قوله: (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا) أي يوحدوه بالعبادة. ولقد أحسن العلامة ابن القيم رحمه الله حيث عرف العبادة بتعريف جامع فقال:

وعبادةُ الرَّحمن غايةُ حبِّه   مع ذلّ عابدِهِ هما قُطبانِ

ومدارهُ بالأمرِ - أمْرِ رسولهِ-   لا بالهوى والنفس والشيَّطانِ

قوله: (ولا يشركوا به شيئًا) أى يوحدوه بالعبادة، فلابد من التجرد من الشرك في العبادة، ومن لم يتجرد من الشرك لم يكن آتيًا بعبادة الله وحده، بل هو مشرك قد جعل لله ندًا. وهذا معنى قول المصنف رحمه الله:

(وفيه أن العبادة هي التوحيد، لأن الخصومة فيه، وفى بعض الآثار الإلهية: إني والجن والانس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشَرَّهم إليَّ صاعد، أتحبَّبُ إليهم بالنعم، ويتبغَّضون إليَّ بالمعاصي)[1].

---

(١) ضعيف.

أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» [٩٧٤] والبيهقي في «الشعب» [٤٢٤٣] وضعفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «ضعيف الجامع» [٤٠٥٢]

وحَقُّ العباد على الله أن لا يُعذب من لا يُشرك به شيئًا»، فقلت: «يا رسول الله!

قوله: «**وحقُّ العبادِ على الله ألا يُعذِّب من لا يُشرك به شيئًا**» قال الحافظ: اقتصر على نفي الإشراك لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم، إذ من كَذَّب رسول الله ﷺ فقد كَذَّب الله، ومن كَذَّب الله فهو مشرك وهو مثل قول القائل: ومن توضأ صحت صلاته، أي مع سائر الشروط. اهـ[1].

---

(١) الحافظ المراد به «الحافظ ابن حجر» رَحِمَهُ اللَّهُ وكتابه «فتح البخاري» (١١/٣٨٤) طبعة دار الحديث.

أفلا أُبشِّر النّاس؟»، قال: «لا تُبشرهم فيتَّكِلوا»

قوله: «أفلا أبشر الناس» فيه استحباب بشارة المسلم بما يسره، وفيه ما كان عليه الصحابة من الاستبشار بمثل هذا. قال المصنف رحمه الله.

قوله (لا تبشرهم فيتكلوا) أى يعتمدوا على ذلك فيتركوا التنافس في الأعمال. وفى رواية: فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا أى تحرجًا من الإثم.

قال الوزير أبو المظفر: لم يكن يكتمها إلا عن جاهل يحمله جهله على سوء الأدب بترك الخدمة في الطاعة، فأما الأكياس الذين إذا سمعوا بمثل هذا زادوا في الطاعة، ورأوا أن زيادة النعم تستدعى زيادة الطاعة، فلا وجه لكتمانها عنهم.

وفى الباب من الفوائد غير ما تقدم، الحث على إخلاص العبادة لله وأنها لا تنفع مع الشرك، بل لا تسمى عبادة. والتنبيه على عظمة حق الوالدين. وتحريم عقوقهما. والتنبيه على عظمة الآيات المحكمات في سورة الأنعام. وجواز كتمان العلم للمصلحة.

أخرجاه في الصحيحين.

قوله: (أخرجاه) أي البخاري ومسلم. والبخاري رحمه الله هو الإمام محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي مولاهم، الحافظ الكبير صاحب الصحيح والتاريخ والأدب المفرد وغير ذلك من مصنفاته. روى عن الإمام أحمد بن حنبل والحميدي وابن المديني وطبقتهم. وروى عنه مسلم والنسائي والترمذي والفربري راوي الصحيح. ولد سنة أربع وتسعين ومائة ومات سنة ست وخمسين ومائتين.

ومسلم رحمه الله هو ابن حجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري صاحب الصحيح والعلل والوجدان وغير ذلك روى عن أحمد بن حنبل ويحيي بن معين وأبي خيثمة وابن أبي شيبة وطبقتهم. وروى عن البخاري. وروى عنه الترمذي وإبراهيم بن محمد بن سفيان راوي الصحيح وغيرهما. ولد سنة أربع ومائتين. ومات سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور رحمهما الله.

فيه مسائل:

الأولى- الحكمةُ في خلقِ الجنِّ والإنس.

الثانية- أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة- أن من لم يأتِ به لم يَعبدِ اللهَ، ففيه معنى قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون:٣].

الرابعة- الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة- أن [ق/ ٢/ ب] الرسالة عمَّت كلَّ أمةٍ.

السادسة- أن دينَ الأنبياءِ واحدٌ.

السابعة- المسألة [الكبرى] أن عبادة الله لا تحصلُ إلا بالكفرِ بالطاغوتِ؛ ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

الثامنة- أن الطاغوت [عامٌّ][١] في كل ما عُبِد من دون الله.

التاسعة- عِظمُ شأن الثلاث آيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف. وفيها عشر[٢] مسائل، أولها النهي عن الشرك.

العاشرة- الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء:٢٢]؛

---

(١) في مخطوطة الأزهر [علم].

(٢) في مخطوطة الأزهر [ثمانية عشر].

وختمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩]، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ [الإسراء:٣٩].

الحادية عشرة- آية سورة النساء التي تُسمَّى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

الثانية عشرة-التنبيه على وصيَّة رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة- معرفة حق الله تعالى علينا.

الرابعة عشرة- معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة- أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة- جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة- استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة- الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة- قول المسؤول عما لا يعلم: «الله ورسوله أعلم».

العشرون- جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون- تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون- جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون- فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون- عظم شأن هذه المسألة [ق/ ٣/ أ].

باب

فضل التوحيد وما يُكَفِّرُ من الذنوبِ وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢].

فضل التوحيد

قوله: (باب بيان فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب)

باب خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا (قلت) ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره هذا. وما يجوز أن تكون موصولة والعائد محذوف، أي وبيان الذي يكفره من الذنوب، ويجوز أن تكون مصدرية، أي وتكفيره الذنوب، وهذا الثاني أظهر.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] قال ابن جرير: حدثني المثنى - وساق بسنده - عن الربيع بن أنس قال: الإيمان الإخلاص لله وحده)[١].

وقال ابن كثير في الآية: أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة[٢].

وقال زيد بن أسلم وابن إسحاق: «هذا من الله على فصل القضاء بين إبراهيم وقومه»[٣].

---

(١) لم أعثر عليه في تفسيره في هذا الموضع.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/١٧٥ - ١٧٦).

(٣) ذكره ابن جرير [١٣٤٧٧] [١٣٤٧٨] في «تفسيره».

وعن ابن مسعود: (لما نزلت هذه الآية قالوا: فأينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس بذلكم، ألم تسمعوا إلى قول لقمان: «إن الشرك لظلم عظيم»).

وساقه البخاري بسنده فقال: «حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قلنا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم، بشرك. أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾»[1].

ولأحمد بنحوه عن «عبد الله قال: (لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! فأينا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون. ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ إنما هو الشرك)»[2].

وعن عمر أنه فَسَّرهُ بالذنب[3]. فيكون المعنى: الأمن من كل عذاب.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٣٦١] بهذا الإسناد.
وأخرجه البخاري [٣٢] [٣٣٦٠] [٣٤٢٨] [٣٤٢٩] [٤٦٢٩] [٤٧٧٦] [٦٩١٨] ومسلم [١٢٤] وأبو عوانه (١/٧٣ - ٧٤) والترمذي [٣٠٦٧] والنسائي «كبرى» [١١١٦٥] [١١٣٩٠] والطبرى في تفسيره [١٣٤٨٠] [١٣٤٨٢] [١٣٤٨٣] [١٣٤٨٤] وابن منده في «الإيمان» [٢٦٦] [٢٦٧] [٢٦٨] وأبو يعلى [٥١٥٩] وابن حبان [٢٥٣] والشاشي [٣٣٥] [٣٣٧] والبيهقي (١٠/١٨٥) وأحمد [٣٥٨٩] [٤٠٣١] [٤٢٤٠] من طريق الأعمش، به.

(٢) أخرجه أحمد [٣٥٨٩] وابن جرير [١٣٤٨٤] من طريق أبي معاوية حدثنا الأعمش، به وإسناده صحيح على شرطهما.

(٣) لم أعثر على قول عمر في أكثر عشرين تفسيرًا، ولكن روى ابن جرير عنه [١٣٤٠٩] والحاكم (٣/٣٤٥) عنه أنه فسر االآية بالشرك

وقال الحسن والكلبي: أولئك لهم الأمن، في الآخرة، وهم مهتدون في الدنيا(١).

قال شيخ الإسلام: والذى شقَّ عليهم أنهم ظنوا أن الظالم المشروط عدمه هو ظلم العبد نفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فبيَّن لهم النبي ﷺ ما دلَّهم على أن الشرك ظلم في كتاب الله، فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن يلبس إيمانه بهذا الظلم، فإن من لم يلبس إيمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان من أهل الاصطفاء في قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢] وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلمه لنفسه بذنب إذا لم يتب كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة:٧-٨] وقد «سأل أبو بكر الصديق رضي الله عنه النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أينا لم يعمل سوءًا؟ فقال: **«يا أبا بكر ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ أليس يصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به»**(٢) فبين أن

---

(١) أخرجه أيضًا برقم [١٣٤١٠] [١٣٤١١] [١٣٤١٢] [١٣٤١٣].
قلت: بعد مراجعة التفاسير وجدت أن تفسيرها بالشرك هو الذى انعقدت عليه أقوال جميع المفسرين والله أعلم.
ولم أعثر عليه مسندًا.

(٢) صحيح.
أخرجه أحمد [٢٣] والمروزى في «مسند أبي بكر» [٢٢] والبزار [٢١] وأبو يعلى [١٨] والطبرى (٥: ٢٩٤) من طريق عبد الوهاب عن زياد الجصاص عن علي بن زيد عن مجاهد عن ابن عمر قال: سمعت أبا بكر، فذكره مختصرًا.
وإسناده ضعيف، لضعف زياد الجصاص وعلي بن زيد .
وأخرجه عبد بن حميد [٧] والترمذي [٣٠٣٩] والبزار [٢٠] والمروزى [٢٠] وأبو يعلى [٢١] من طريق موسى بن عبيدة عن مولى ابن سباع، عن ابن عمر عن أبي بكر، به.

قال الترمذي: «هذا حديث غريب» وفي إسناده مقال، موسى بن عبيدة يُضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد، وأحمد بن حنبل ومولى ابن سباع مجهول، وقد روى هذا الحديث من غير الوجه عن أبي بكر، وليس له إسناد صحيح أيضًا»

وأخرجه أحمد [٦٨] [٦٩] والمروزى [١١١] [١١٢] وأبو يعلى [٩٨] [٩٩] [١٠٠] [١٠١] والطبري (٢٩٤/٥ - ٢٩٥) وابن حبان [٢٩١٠] [٢٩٢٦] وابن السنى في «عمل اليوم» [٣٩٢] والحاكم (٧٤/٣) والبيهقي (٣٧٣/٣) وفي «الشعب» [٩٨٠٥] من طريق عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن أبي زهير قال: أُخبرتُ أنا أبا بكر قال: فذكره.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي!!

قلت: هذا إسناده ضعيف.

فإن أبا بكر بن أبي زهير، مستور، غير أنه لم يسمع من أبي بكر الصديق ﷺ .

وأخرجه الطبرى (٢٩٥/٥) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن مسلم بن صبيح قال: قال أبو بكر، فذكره.

وأخرجه ابن مردويه من طريق فضيل بن عياض عن سليمان الأعمش عن مسلم بن صبيح عن مسروق قال: قال أبو بكر فذكره. كما في تفسير ابن كثير.

وفيه انقطاع، لأن مسروق لم يسمع من أبي بكر.

وله شاهد من حديث عائشة ﷺ.

أخرجه أحمد (٢١٨/٦) والطبرى [١٠٥٣١] والترمذي [٢٩٩١] والطيالسي [١٥٨٤] والبيهقي «شعب» [٩٨٠٩] من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أمية ابنة عبد الله أنها سألت عائشة، فذكرت نحوه.

وقال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث عائشة لا نعرفه إلاّ من حديث حماد بن سلمة.

قلت: وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد.

وأخرجه أحمد (٦٥/٦ - ٦٦) وابن حبان [٢٩٢٣] والبيهقي في «الشعب» [٩٨٠٦] من طريق بكر بن سوادة حدثه أن يزيد بن أبي يزيد حدثه عن عبيد بن عمير عن عائشة بنحوه.

وإسناده رجاله ثقات، رجال الصحيح غير يزيد بن أبي يزيد فقد ذكره ابن حبان في «الثقات» وروى عنه جمع.

وأخرجه الطبرى [١٠٥٣٠] [١٠٥٣٢] والبيهقي في «الشعب» [٩٨١٠] [٩٨١١] من طريقين عن أبي عامر الخزار صالح بن رستم عن ابن أبي ملكية عن عائشة، به.

ـمن إذا مات دخل الجنة قد يجزى بسيئاته في الدنيا بالمصائب. فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة: الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك. كان له الأمن التام والاهتداء التام. ومن لم يسلم من ظلمه لنفسه كان له الأمن والاهتداء المطلق. بمعنى أنه لابد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى: وقد هداه الله إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة. ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه وليس مراد النبي ﷺ بقوله إنما هو الشرك أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام. فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف، لم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام اللذين يكونون بهما مهتدين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، من غير عذاب يحصل لهم. بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله عليهم ولابد لهم من دخول الجنة. وقوله إنما هو الشرك إن أراد الأكبر، فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة. وإن كان مراده جنس الشرك. يقال ظلم العبد نفسه. كبخله لحب المال ببعض الواجب - هو شرك أصغر. وحبه ما يبغضه الله تعالى حتى يقدم هواه على محبة الله الشرك أصغر ونحو ذلك. فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه. ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الشرك بهذا الاعتبار ملخصًا[1].

وله شاهد من حديث أبي هريرة
أخرجه أحمد (٢/٢٤٩) والطبرى [١٠٥٢٠] ومسلم [٢٥٧٤] والترمذي [٣٠٣٨] والبيهقي (٣/٣٧٣) وغيرهم.
وراجع مزيد من التخريجات في كتاب «عمل اليوم» لابن السنى [٣٩٢].
(١) كتاب «الإيمان» لشيخ الإسلام ابن تيمية.
ومجموع الفتاوى (٧/٨٠-٨٢) وهو كتاب الإيمان المطبوع عن طريق المكتب الإسلامى تحقيق الشيخ الألباني.

وقال ابن القيم رحمه الله: قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ قال الصحابة: وأينا يا رسول الله لم يلبس إيمانه بظلم؟ قال: ذلك الشرك. ألم تسمعوا قول العبد الصالح «إن الشرك لظلم عظيم» لما أشكل عليهم المراد بالظلم فظنوا أن ظلم النفس داخل فيه.

وأن من ظلم نفسه أى ظلم كان لم يكن آمنًا ولا مهتديًا. أجابهم صلوات الله وسلامه عليه بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق هو الشرك. وهذا والله هو الجواب، الذي يشفي العليل ويروي الغليل. فإن الظلم المطلق التام هو الشرك. الذي هو وضع العبادة في غير موضعها. والأمن والهدى المطلق: هما الأمن في الدنيا والآخرة.

والهدى إلى الصراط المستقيم. فالظلم المطلق التام رافع للأمن والاهتداء المطلق التام. ولا يمنع أن يكون الظلم مانعًا من مطلق الأمن ومطلق الهدى. فتأمله. فالمطلق للمطلق، والحصة للحصة اهـ ملخصًا.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وقـوله: («عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : «**من شـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسـوله، وأن عيسـى عبد الله ورسـوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. والجنة حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**». أخرجاه)(١).

عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، أحد النقباء بدري مشـهور مات بالرملة سـنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسـبعون سـنة، وقيل: عاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري [٣٤٣٥] ومسلم [٢٨] وأبو عوانة [٩] والنسائي في «الكبرى» [١١١٣٢] والبزار [٢٠٠٠] [٢٦٩٥] وابن منده في «الإيمان» [٤٠٤] [٤٠٥] والطبراني في «الدعاء» [١٤٧٦] وأحمد (٥/٣١٣ - ٣١٤) والبغوي [٥٥]

«مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ»

قوله (من شهد أن لا إله إلا الله) أى من تكلم بها عارفًا لمعناها، عاملًا بمقتضاها، باطنًا وظاهرًا، فلابد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولها، كما قال الله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] وقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦] أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه: من البراءة من الشرك، وإخلاص القول والعمل: قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح - فغير نافع بالإجماع.

قال القرطبي في «المفهم على صحيح مسلم»: باب لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين بل لا بد من استيقان القلب - هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة، القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان. وأحاديث هذا الباب تدل على فساده. بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها. ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق، والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح. وهو باطل قطعًا. اهـ

وفى هذا الحديث ما يدل على هذا. وهو قوله: من شهد فإن الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق.

قال النووي: هذا حديث عظيم جليل الموقع، وهو أجمع - أو من أجمع - الأحاديث المشتملة على العقائد. فإنه ﷺ جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها. فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين جميعهم اهـ[1].

---

(١) شرح مسلم للنووي (٢٦٣/١).

ومعنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا الله. وهو في غير موضع من القرآن، ويأتيك في قول البقاعي صريحًا قوله (وحده) تأكيد للإثبات (لا شريك له) تأكيد للنفي.

قال الحافظ: كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] وقال: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود:٥٠] فأجابوه ردًا عليه بقولهم: «أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا» وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى الله، وهي العبادة. وإثباتها لله وحده لا شريك له والقرآن من أوله إلى آخره يبين هذا ويقرره ويرشد إليه.

فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغبًا ورهبًا، وهذا كله لا يستحقه إلا الله تعالى، كما تقدم في أدلة هذا الباب وما قبله. فمن صرف من ذلك شيئًا لغير الله فقد جعله لله ندًا، فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل.

(ذكر كلام العلماء، في معنى لا إله إلا الله)

قد تقدم كلام ابن عباس، وقال الوزير أبو المظفر في الإفصاح: قوله: شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن يكون الشاهد عالمًا بأنه لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩] قال: واسم (الله) بعد (إلا) من حيث أنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه. قال: وجملة الفائدة في ذلك: أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله.

وقال ابن القيم في «البدائع» ردًا لقول من قال: إن المستثنى مخرج من المستثنى منه. قال ابن القيم: بل هو مخرج من المستثنى منه وحكمه، فلا يكون داخلًا في المستثنى، إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الإسلام بقوله: لا إله إلا الله لأنه لم يثبت الإلهية لله تعالى. وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفى الإلهية عما سوى الله وإثباتها له بوصف الاختصاص. فدلالتها على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قولنا: (الله إله) ولا يستريب أحد في هذا البتة. انتهى بمعناه[1].

وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره (لا إله إلا الله) أى لا معبود إلا هو[2].

وقال الزمخشري: الإله من أسماء الأجناس. كالرجل والفرس، يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق[3].

(١) بدائع الفوائد (٥٦/٣).

(٢) تفسير القرطبي (٥٧١/١).

(٣) الكشاف (٦/١).

وقال شيخ الإسلام: الإله هو المعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد. وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع، قال: فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له وتذل له، وتخافه وترجوه، وتنيب إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده، ولهذا كانت (لا إله إلا الله) أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداءه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله.

وقال ابن القيم: (الإله) هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالًا وإنابة، وإكرامًا وتعظيمًا وذلًا وخضوعًا وخوفًا ورجاء وتوكلًا.

وقال ابن رجب: (الإله) هو الذي يُطاع فلا يُعصى، هيبةً له وإجلالًا، ومحبةً وخوفًا ورجاءً، وتوكلًا عليه، وسؤالًا منه ودعاء له، ولا يصلح هذا كله إلا الله عز وجل، فمن أشرك مخلوقًا في شيءٍ من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول (لا إله إلا الله) وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك[1].

وقال البقاعي: لا إله إلا الله، أي انتفاءً عظيمًا أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون

---

(١) نظر جامع العلوم والحكم (ص ١١٣ - ١/١١٤).

علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف(١).

وقال الطيبي: (الإله) فعال بمعنى مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أله إلهةً أي عُبِدَ عِبادةً. قال الشارح: وهذا كثير في كلام العلماء وإجماع منهم.

فدلت (لا إله إلا الله) على نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى كائنًا ما كان، وإثبات الإلهية لله وحده دون كل ما سواه، وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ودل عليه القرآن من أوله إلى آخره، كما قال تعالى عن الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن:١-٢] فلا إله إلا الله لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفيًا وإثباتًا، واعتقد ذلك وقبله وعمل به. وأما من قالها من غير علم واعتقاد وعمل، فقد تقدم في كلام العلماء أن هذا جهل صرف، فهي حجة عليه بلا ريب.

فقوله في الحديث «وحده لا شريك له» تأكيد وبيان لمضمون معناها.

وقد أوضح الله ذلك وبيَّنه في قصص الأنبياء والمرسلين في كتابه المبين، فما أجهل عُبَّاد القبور بحالهم! وما أعظم ما وقعوا فيه من الشرك المنافى لكلمة الاخلاص لا إله إلا الله! فإن مشركي العرب ونحوهم جحدوا لا إله إلا الله لفظًا ومعنى. وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظًا وجحدوها معنى، فتجد أحدهم يقولها وهو يأله غير الله بأنواع العبادة، كالحب والتعظيم، والخوف والرجاء والتوكل والدعاء، وغير ذلك من أنواع العبادة.

---

(١) انظر نظم الدرر للبقاعي (١٦٥/٧).

بـل زاد شركهـم على شرك العرب بمراتب، فإن أحدهم إذا وقع في شـدة أخلص الدعاء لغـير الله تعـالى، ويعتقـدون أنـه أسرع فرجًا من الله، بخـلاف حال المشركين الأولـين، فإنهـم يشركـون في الرخاء، وأما في الشـدائد فإنما يخلصـون لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] الآيـة. فبهـذا يتبين أن مشركي أهل هـذه الأزمان أجهل بالله وبتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم.

وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ،

وقوله: (وأن محمدًا عبده ورسوله) أي وشهد بذلك، وهو معطوف على ما قبله على نية تكرار العامل، ومعنى «العبد» هنا المملوك العابد، أي أنه مملوك لله تعالى. والعبودية الخاصة وصفه، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر: ٣٦] فأعلى مراتب العبد العبودية الخاصة والرسالة فالنبي ﷺ أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين.

وأما الربوبية والإلهية فهما حق الله تعالى، لا يشركه في شيء منهما ملك مقرب ولا نبي مرسل. وقوله: «عبده ورسوله» أتى بهاتين الصفتين وجمعهما دفعًا للإفراط والتفريط، فإن كثيرًا ممن يَدَّعي أنه من أمته أفرط بالغلو قولًا وعملًا، وفرط بترك متابعته، واعتمد على الآراء المخالفة لما جاء به، وتعسَّف في تأويل أخباره وأحكامه، بصرفها عن مدلولها والصدوف عن الانقياد لها مع إطراحها فإن شهادة أن محمدًا رسول الله تقتضي الإيمان به وتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر، وأن يعظم أمره ونهيه، ولا يقدم عليه قول أحد كائنًا من كان. والواقع اليوم وقبله - ممن يتنسب إلى العلم من القضاة والمفتين - خلاف ذلك، والله المستعان.

وروى الدارمي في مسنده عن «عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه كان يقول: إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ: إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميته المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخَّاب بالأسواق، ولا يجزى بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويتجاوز، ولن أقبضه حتى يقيم الملة المتعوجة بأن يشهد أن لا إله إلا الله، يفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا».

قال عطاء بن يسار: وأخبرني أبو واقد الليثى أنه سمع كعبًا يقول مثل ما قال ابن سلام(١).

(١) صحيح.
قال البخاري عقب الحديث [٢١٢٥] وقال سعيد:
عن هلال عن عطاء عن ابن سلام.
وهذا قد وصله الدارمى [٦] والفسوى في «تاريخه» وعنه البيهقي في «الدلائل» (٣٧٦/١) عن عبد الله، ابن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن هلال بن علي بن أسامة عن عطاء بن يسار عن ابن سلام «به».
قال الحافظ في «الفتح» (٣٤٣/٤) بعد أن زاد نسبته من هذا الطريق إلى الطبراني: ولا مانع أن يكون عطاء بن يسار حمله عن كل منهما يعنى عبد الله بن سلام كما هنا، وعبد الله بن عمرو كما سأذكر ذلك.
وقد أخرجه ابن سعد (٣٦٠/١) من طريق زيد بن أسلم قال: بلغنا أن عبد الله بن سلام كان يقول: فذكره.
وفيه انقطاع، ولعل الواسطة هو عطاء فيُعدُّ شاهدًا. وله شاهد من حديث ابن عمرو وهو الطريق الذى ذكره الحافظ ونبَّه عليه.
فقد أخرجه البخاري [٤٨٣٨] وفي «الأدب» [٢٤٧] وابن سعد (٣٦١/١) وأحمد [٦٦٢٢] والطبراني (٨٣/٩) والبيهقي في «الدلائل» (٣٧٥/١) من طريق هلال بن على عن عطاء قال: لقيت عبد الله بن عمرو فقلت: «أخبرنى صفة رسول الله ﷺ في التوارة» فذكر نحوه.
وأخرجه البخاري [٢١٢٥] وفي «الأدب» [٢٤٦] والبيهقي في «الدلائل» (٣٧٣/١) من طريق فليح بن سليمان عن هلال بن على بهذا الإسناد.
وأخرجه ابن سعد (٣٦٠/١) والدارمى [٧] من طريق عبد الملك بن عمير عن ذكوان بن أبي صالح عن كعب بنحوه.
وأخرجه الدارمى [٨] وابن سعد (٣٦٠/١) من طريق معن بن عيسى ثنا معاوية بن صالح عن أبي فروة عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول ﷺ الله في التوارة فذكره.

وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ

معنى أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته

قوله: (وأن عيسى عبد الله ورسوله) أي خلافًا لما يعتقده النصارى أنه الله أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون:٩١] فلا بد أن يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله على علم ويقين بأنه مملوك لله، خلقه من أنثى بلا ذكر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩] فليس ربًا ولا إلهًا. سبحان الله عما يشركون. قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم:٢٩-٣٦] وقال: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٧٢] ويشهد المؤمن أيضًا ببطلان قول أعدائه اليهود: أنه ولد بغي، لعنهم الله تعالى. فلا يصح إسلام أحد علم ما كانوا يقولونه حتى يبرأ من قول الطائفتين جميعًا في عيسى عليه السلام، ويعتقد ما قاله الله تعالى فيه: أنه عبد الله ورسوله.

وَكَلِمَتُهُ

قوله: (وكلمته) إنما سمي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلمة لوجوده بقوله تعالى: كن كما قاله السلف من المفسرين.

قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية بالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن بكن كان. فكن من الله تعالى قول، وليس كن مخلوقًا، وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى انتهى(١).

(١) انظر الرد على الجهمية (ص ٣٥) ولكن الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة الإمام أحمد أنكر نسبته للإمام أحمد وقال: إنه موضوع عليه فالله أعلم

أَلْقاها إِلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ،

قوله: (ألقاها إلى مريم) قال ابن كثير: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم فنفخ فيها من روحه بأمر ربه عز وجل: فكان عيسى بإذن الله عز وجل، فهو ناشيء عن الكلمة التي قال له كن فكان والروح التي أرسل بها: هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقوله: (وروح منه)(١) قال أبي بن كعب: عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله تعالى واستنطقها بقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢] بعثه الله إلى مريم

---

(١) الظاهر أن معنى «وروح منه» أنه كغيره من بني آدم الذي يقول الله فيه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ كما مثل له في الآية الأخرى بأنه مثل آدم. والله أعلم.

وقال في قرة العيون: أي من الأرواح التي استخرجها من صلب آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخذ عليها العهد أنه تعالى ربهم وإلههم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ الآية. وروح عيسى من تلك الأرواح التي خلقها الله تعالى. وذكر ابن جرير عن وهب ابن منبه قال: «نفخ جبريل في جيب درع مريم حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت عليه» وعن السُّدِّي أن النفخة دخلت في صدرها فحملت، وقال ابن جريج: يقولون إنما نفخ في جيب درعها وكمها انتهى مختصرًا. فجبريل نفخ والله خلق بقول: «كن» فكان. كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فسبحان من لا يخلق غيره ولا يُعبد سواه.

وقد أورد بعض النصارى على بعض علماء المسلمين قول الله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾.

فقال في الجواب: هذا ليس خاصًا بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بل المخلوقات كذلك كلها. كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ أي خلقًا وإيجادًا وعيسى كذلك خلقه وأوجده كسائر مخلوقاته.

وفي هذا الحديث الرد على اليهود أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله فإنهم كانوا هم والنصارى على طرفي نقيض فنسبوه إلى أنه ولد بغي، قاتلهم الله. فأكذبهم الله تعالى في كتابه وأبطل قولهم كما أبطل قول الغلاة من النصارى فيما تقدم من الآيات ونحوها.

فالنصارى غلوا في عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ أعظم الغلو والكفر والضلال، واليهود جفوا في حقه غاية الجفاء، وكلاهما قد ضل ضلالًا بعيدًا، نبه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه وبيَّن تعالى الحق والصدق ورفع قدر المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وجعله من أولي العزم الخمسة المذكورين في سورة الأحزاب والشورى وأمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يصبر كما صبروا فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾

فدخل فيها رواه عبد بن حميد وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم(١).

قال الحافظ: ووصفه بأنه منه، فالمعنى أنه كائن منه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ فالمعنى أنه كائن منه، كما أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه أي أنه مكون ذلك وموجده بقدرته وحكمته(٢).

فهم أفضل الرسل على التحقيق والنبي ﷺ أفضلهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) حسن.
أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (١٣٥/٥) وعنه الضياء في «المختارة» [١١٥٨] من طريق محمد بن يعقوب حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي يحدث عن الربيع بن أنس عن رفيع أبو العالية عن أبي بن كعب مطولًا.
وسند حسن أو قريبًا من ذلك.
قال الهيثمي في «المجمع» (٢٥/٧): محمد بن يعقوب مستورا
قلت: لم يُؤثر توثيقه عن أحد، لكن روى عنه ثقتان ومثله يمرر حديثه.
وأخرجه الطبرى (١١٥/٩) واللالكائى في «شرح السنة» [٩٩١] وابن بطة فى «الإبانة» (٦٩/٢ و٧١ و٢١٥ و٢١٧) والحاكم (٣٢٣/٢و ٣٢٤) والبيهقي في «الأسماء» (ص ٣٦٨) من طريق أبي جعفر الرازى عن الربيع بن أنس، به.
وأبو جعفر الرازى ضعيف، ومع هذا صححه الحاكم ووافقه الذهبي!
قال الشيخ الألباني رحمه الله في رواية أحمد:
وسنده حسن موقوف، ولكنه في حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأى. المشكاة (٤٤/١)

(٢) فتح الباري (٥٤٨/٦).

قال شيخ الإسلام: المضاف إلى الله تعالى إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائمة به، وامتنع أن تكون إضافته إضافة مخلوق مربوب. وإذا كان المضاف عينًا قائمة بنفسها كعيسى وجبريل عليهما السلام وأرواح بني آدم امتنع أن تكون صفة لله تعالى، لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره.

لكن الأعيان المضافة إلى الله تعالى على وجهين:

أحدهما: أن تضاف إليه لكونه خلقها وأبدعها، فهذا شامل لجميع المخلوقات، كقولهم: سماء الله، وأرض الله. فجميع المخلوقين عبيد الله، وجميع المال مال الله.

الوجه الثاني: أن يضاف إليه لما خَصَّه به من معنى يحبه ويأمر به ويرضاه، كما خَصَّ البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره. وكما يقال في مال الخُمس والفيء: هو مال الله ورسوله. ومن هذا الوجه: فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا أمره. فهذه إضافة تتضمن ألوهيته وشرعه ودينه، وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه. ا.هـ ملخصًا[1].

قوله: (والجنة حق والنار حق) أي وشهد أن الجنة التي أخبر بها الله تعالى في كتابه أنه أعدَّها للمتقين حق، أى ثابتة لا شك فيها، وشهد أن النار التي أخبر بها تعالى في كتابه أنه أعدَّها للكافرين حق كذلك ثابتة، كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١] وقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤] وفى الآيتين ونظائرهما دليل على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، خلافًا للمبتدعة. وفيهما الإيمان بالمعاد.

---

(١) راجع كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١٧٥/٢) بتحقيقي.

أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ». أخرجاه

وقـوله: (أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) هذه الجملة جواب الشرط وفى رواية: أدخله الله من أى أبواب الجنة الثمانية شاء.

قال الحافظ: معنى قوله: على ما كان من العمل أى من صلاح أو فساد، لأن أهل التوحيـد لا بـدَّ لهم مـن دخول الجنة، ويحتمـل أن يكون معنى قـوله: على ما كان من العمل أن يدخله الجنه على حسب أعمال كل منهم في الدرجات[1].

قال القاضي عياض: ما ورد في حديث عبادة يكون مخصوصًا لمن قال ما ذكره ﷺ وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه فيكون له مـن الأجـر ما يرجح على سـيئاته ويوجـب له المغفـرة والرحمة ودخـول الجنة لأول وهلة.

---

(١) فتح الباري (٦/٥٤٨).

ولهما في حديث عتبان: «فإن الله حَرَّم على النَّار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله».

حديث عتبان بن مالك: أن الله حرم على النار

(قال: ولهما في حديث عتبان «فإن الله حَرَّم على النَّار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»)[1].

قوله: (ولهما) أي البخاري ومسلم في صحيحيهما بكماله. وهذا طرف من حديث طويل أخرجه الشيخان[2].

---

(١) أخرجه مالك (١/١٧٢) والطيالسى [١٢٤١] وأحمد (٤/٤٣) (٥/٤٤٩) والبخاري [٤٢٤] [٤٢٥] [٦٨٦] [٨٣٨] [٨٣٩] [٨٤٠] [٤٠٠٩] [٤٠١٠] [٦٤٢٢] [٦٤٢٣] [٦٩٣٨] ومسلم [٣٣] [٢٦٣] [١/٤٥٥] وأبو عوانة (١/١١) والنسائي (٣/٦٤) وفي «الكبرى» [١٠٩٤٧] [١٠٤٩٤] وفي «عمل اليوم» [١١٠٨] وفي «التفسير» [٥١٤] وابن ماجه [٧٥٤] وابن خزيمة في «التوحيد» (ص ٣٣٣) وابن حبان [١٦١٢] والطبراني في «الكبير» (١٨/(٤٨) [٥١] [٥٢] [٥٣] [٥٥] والبيهقي (٢/١٨١ - ١٨٢)

(٢) في قرة العيون: اختصره المصنف وذكر منه ما يناسب الترجمه وهو قوله: «من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشرك، والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فإن لم يكن مخلصًا فهو مشرك ومن لم يكن صادقًا فهو منافق، والمخلص أن يقولها مخلصًا الإلهية لمن لا يستحقها غيره وهو الله تعالى، وهذا التوحيد هو أساس الإسلام الذي قاله الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ وقالت بلقيس: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ والحنيف هو الذي ترك بشرك رأسًا وتبرأ منه وفارق أهله وعاداهم وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ فإسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك والنفاق وهو معنى الآية ونحوها إجماعًا. فهذا هو الذي يعنيه قوله: «لا إله إلا الله» ولهذا قال تعالى: ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله ويستغيث به من ميت أو غائب لا ينفع ولا يضر، كما ترى عليه أكثر الخلق، فهؤلاء وإن قالوها فقد تلبسوا بما يناقضها؛ فلا تنفع قائلها إلا بالعلم بمدلولها نفيًا وإثباتًا. والجاهل بمعناها

و«عتبان» بكسر المهملة بعدها مثناة فوقية ثم موحدة، ابن مالك بن عمرو بن عجلان الأنصاري، من بني سالم بن عوف، صحابي مشهور، مات في خلافة معاوية.

وأخرج البخاري في صحيحه بسنده «عن قتادة قال: حَدَّثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرَّحل قال: «يا معاذ»، قال: لبَّيك يا رسول الله وسعديك. قال: «يا معاذ»، قال لبيَّك يا رسول الله وسعديك. قال: «يا معاذ»، قال: لبيَّك يا رسول الله وسعديك - ثلاثًا - قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا

وإن قالها لا تنفعه لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد منها من نفي الشرك، وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقن له، فإذا انتفى اليقين وقع الشك.

ومما قيدت به في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «غير شاك» فلا تنفع إلا من قالها بعلم ويقين لقوله: «صدقًا من قلبه، خالصًا من قلبه» وكذلك من قالها غير صادق في قوله. فإنها لا تنفع لمخالفة القلب للسان كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم. وكذلك حال المشرك فلا تقبل من مشرك لمنافاة الشرك للإخلاص؛ ولما دلت عليه هذه الكلمة مطابقة فإنها دلت على نفي الشرك والبراءة منه والإخلاء لله وحده لا شريك له مطابقة. ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله: «لا إله إلا الله» كما هو حال كثير من عبدة الأوثان يقولون: «لا إله إلا الله» وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص ويعادون أهله وينصرون الشرك وأهله وقال الخليل عليه السلام لأبيه وقومه: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ وهي: «لا إله إلا الله» وقد عبر عنها الخليل بمعناها الذي وضعت له ودلت عليه، وهو البراءة من الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كما تقدم تقريره، وكذلك من قالها ولم يقبل ما دلت عليه من الإخلاص كان قوله لهذه الكلمة كذبًا منه بل قد عكس مدلولها فأثبت ما نفته من الشرك ونفى ما أثبتته من الإخلاص.

فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين من هذه الأمة بعد القرون الثلاثة، وسبب ذلك الجهل بمعناها واتباع الهوى فيصدقه عن اتباع الحق وما بعث الله بن رسله من توحيده الذي شرعه لعباده ورضيه لهم.

....

رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله تعالى على النار»، قال: يا رسول الله! أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذًا يتكلوا»، فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا»(١).

وساق بسند آخر: «حَدَّثنا مُعْتمر قال: سمعت أبي، قال: سمعت أنسًا قال: ذكر لي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: «مَنْ لَقِي الله لا يُشرك به شيئًا دخل الجنة». قال: ألا أُبشِّر النَّاس؟ قال: «لا، إنِّي أخاف أن يتَّكِلوا»(٢).

قلت: فتبين بهذا السياق معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنها تتضمن ترك الشرك لمن قالها بصدق ويقين وإخلاص.

قال شيخ الإسلام وغيره: في هذا الحديث ونحوه أنها فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدة بقوله: خالصًا من قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله تعالى جملة، «فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصًا من قلبه دخل الجنة»، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحًا، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٧/٣) والبخاري [١٢٨] ومسلم [٣٢] والنسائي في «الكبرى [١٠٩٧١] [١٠٩٧٤] وابن خزيمة (٧٨٩/٢) وأبو يعلى [٣٨٩٩] [٣٩٣٧] [٤٢٠٢] وابن منده في «الإيمان» [٩٤] [١٠٠] [١٠١] عن أنس.

وأخرجه أحمد (٢٢٩/٥و ٢٣٠و ٢٤٠) والحميدى [٤٧٠] وابن ماجه [٣٧٩٦] والنسائي فى «عمل اليوم» [١١٣٤] [١١٣٦] وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٩٢/٢) والشاشي [١٣٣٦] [١١٣٦] والطبراني في (٧١/٢٠) [٧٢] [٧٦] [٨٠] والدعاء [١٤٦٦] [١٤٦٧] وابن منده في «الإيمان» [٩٨] [٩٩].

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٧/٥) والبخاري [١٢٩] وأبو داود [٣١١٦] والبزار [٢٦٢٦] والشاشى [١٣٧٢] [١٣٧٣] والطبراني (٢٢١/٢٠) وفي «الدعاء» [١٤٧١] والحاكم (٣٥١/١) عن أنس عن معاذ، به.

يـزن ذَرَّة»(١) وتواتـرت بأن كثـيرًا ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النـار ثم يخرج منها، وتواتـرت بـأن الله حَرَّم على النار أن تأكل أثر السـجود من ابـن آدم(٢)، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأنه يحرِّم على النار من قال لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال، وأكثر من يقولها لا يعـرف الإخلاص، وأكثر مـن يقولها إنما يقولها تقليـدًا أو عادة، ولم تخالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه. وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء، كما في الحديث «سـمعت الناس يقولون شيئًا فقلته»(٣) وغالـب أعمال هؤلاء إنما هي تقليد واقتـداء بأمثالهم، وهم من أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هـذه الحـال مُصرًا على ذنب أصلًا، فإن كمال إخلاصـه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذًا لا يبقى في قلبه إرادة لما حَرَّم الله، ولا كراهة لما أمر الله.

(١) أخرجه البخاري [٤٤] [٤٤٧٦] [٦٥٦٥] [٧٤١٠] [٧٤٤٠] [٧٥٠٩] [٧٥١٠] [٧٥١٦] ومسلم [١٩٣] وغيرهما ولفظه.

«يخرج من النار من قال لا إله إلّا الله وفي قلبه شُعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن بُرةٍ من خير، ويخرج من النار من قال: لاإله إلا الله وفي قلبه وزن ذرةٍ من خير» وهذا لفظ البخاري.

(٢) خرجت هذه الأحاديث كلها في كتاب «غاية المنن في تحقيق النهاية في الفتن».

(٣) أخرجه البخاري [٨٦] [١٨٤] [٩٢٢] [١٠٥٣] [١٠٦١] [١٢٣٥] [١٣٧٣] [٣٥١٩] [٣٥٢٠] [٧٢٨٧] ومسلم [٩٠٥]

عن أسماء قالت: أتيت عائشة وهى تصلي، فقلت: ما شأن الناس، الحديث بطوله.

وجاء عن البراء وأبي هريرة وغيرهما وهذه الأحاديث مخرجة في الكتاب سابق الذكر مطولًا.

وهـذا هـو الذي يَحْرُمُ على النـار وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فـإن هذا الإيمان وهذا الإخـلاص، وهـذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين، لا تـترك له ذنبًا إلا محي عنه كما يمحو الليل النهار، فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غير مُصرٍّ على ذنب أصلًا، فَيُغْفر له ويَحْرمُ على النار، وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السـيئات فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة[1] فيحرم على النـار، ولكـن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا بخلاف من رجحت سـيئاته بحسناته ومات مصرًا على ذلك، فإنه يستوجب النار. وإن قال لا إله إلا الله وخلص بها من الشرك الأكبر ولكنه لم يمت على ذلك، بل أتى بعدها بسيئات رجحت على حسنة توحيده، فإنه في حال قولها كان مخلصًا لكنه أتى بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفتـه، وقويـت نـار الذنوب حتى أحرقـت ذلك بخلاف المخلص المسـتيقن، فإن حسـناته لا تكون إلا راجحة على سـيئاته ولا يكون مصرًا على سـيئات، فإن مات على ذلك دخل الجنة.

وإنمـا يخـاف على المخلص أن يأتي بسـيئة راجحـة فيضعف إيمانـه فلا يقولها بإخلاص ويقين مانع من جميع السـيئات، ويخشى عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فـإن سـلم من الأكـبر بقي معه من الأصغـر فيضيف إلى ذلك سـيئات تنضم إلى هذا الشرك فيرجح جانب السـيئات فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول لا إله إلا الله، فيمتنـع الإخـلاص بالقلب، فيصير المتكلم بها كالهاذى أو النائم، أو من يحسن صوته بالآية من القرآن من غير ذوق طعم وحلاوة، فهؤلاء لم يقولوها بكـمال

---

(١) حديث البطاقة سيأتي لفظه وتخريجه.

الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقض ذلك بل يقولونها من غير يقين وصدق ويحيون على ذلك، ويموتون على ذلك، ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة. فإذا كثرت الذنوب ثقل على اللسان قولها وقسا القلب عن قولها، وكره العمل الصالح وثقل عليه سماع القرآن، واستبشر بذكر غير الله، واطمأن إلى الباطل، واستحلى الرفث، ومخالطة أهل الغفلة، وكره مخالطة أهل الحق، فمثل هذا إذا قالها قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدقه عمله.

قال الحسن: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال. فمن قال خيرًا وعمل خيرًا قبل منه، ومن قال خيرًا وعمل شرًا لم يقبل منه»(١).

وقال بكر بن عبد الله المزني: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه.

فمن قال: لا إله إلا الله ولم يقم بموجبها بل اكتسب مع ذلك ذنوبًا، وكان صادقًا في قولها موقنًا بها، لكن له ذنوب أضعفت صدقه ويقينه، وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي، فرجحت هذه السيئات على هذه الحسنة، ومات مصرًا على الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق، فإنه إما أن لا يكون مصرًا على سيئة أصلًا، ويكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجح حسناته.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبه في «الإيمان» [٩٣] وأحمد في «الزهد» [٢٦٣] والبيهقي في «الشعب» [٦٥] والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» [٥٦] وإسناده ضعيف.

وجاء مرفوعًا عن أنس وهو موضوع انظر «ضعيف الجامع» [٤٨٨٣].

وأخرجه اللالكائي في «شرح الاعتقاد» [١٥٦١] مرفوعًا عن أبي هريرة ولا يصح.

والذين يدخلون النار ممن يقولها: إما أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التام المنافيين للسيئات أو لرجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تام، لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوي على محو السيئات فترجح سيئاتهم على حسناتهم. انتهى ملخصًا.

وقد ذكر هذا كثير من العلماء كابن القيم وابن رجب وغيرهم.

قلت: وبما قرره شيخ الاسلام تجتمع الأحاديث.

قال: وفي الحديث دليل على أنه لا يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد وبالعكس، وفي تحريم النار على أهل التوحيد الكامل وفيه إن العمل لا ينفع إلا إذا كان خالصًا لوجه الله تعالى على ما شرَّعه على لسان رسوله ﷺ.

(تنبيه) قال القرطبي في «تذكرته»: قوله في الحديث من إيمان أي من أعمال الإيمان التي هي من أعمال الجوارح، فيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصالحة من الإيمان، والدليل على أنه أراد بالإيمان ما قلناه، ولم يرد مجرد الإيمان الذي هو التوحيد ونفي الشركاء والإخلاص بقول لا إله إلا الله ما في الحديث نفسه من قوله «أخرجوا» - ثم بعد ذلك يقبض سبحانه قبضة فيخرج قومًا لم يعملوا خيرًا قط يريد بذلك التوحيد المجرد من الأعمال اهـ[1] ملخصًا من شرح سنن ابن ماجه.

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ٣٨٣) طبعة دار الغد.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى يا رب علمني شيئًا

قال المصنف رحمه الله («وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله. قال: كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله رواه ابن حبان والحاكم وصححه»)[(١)].

---

(١) إسناد ضعيف والمعنى صحيح.
أخرجه النسائي في «عمل اليوم» [٨٣٤] [١١٤١] وأبو يعلى [١٣٨٩] وابن حبان [٦٢١٨] والطبراني في «الدعاء» [١٤٨٠] [١٤٨١] والحاكم (٥٢٨/١) والبيهقي في «الأسماء» (ص ١٠٢- ١٠٣) من طريق درَّاج أبو السَّمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، به.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي!
وقال الهيثمي في «المجمع» (٨٢/١٠):
«رواه أبو يعلى عن أبي سعيد ورجاله وثقوا وفيهم ضعف»
وصححه الحافظ في «الفتح» (٢٠٨/١).
قلت: ودراج قال أحمد: أحاديثه مناكير، وليَّنهُ.
وقال النسائي : منكر الحديث.
وضعفه أبو حاتم.
وقال ابن عدى: عامة أحاديثه لا يتابع عليها.
قال يحي بن معين: ليس به بأس، ووثقه.
وضعفه الدارقطنى، وقال: متروك.
قلت: وروايته عن أبي الهيثم خاصة ضعيفة وهذه منها.
لكن المتن جاء في الحديث الآتي وهو صحيح.

....

أبو سعيد: اسمه سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل وأبوه كذلك، استصغر أبو سعيد بأحد وشهد ما بعدها، مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل سنة أربع وسبعين(١).

(١) انظر ترجمته في «الاستيعاب» (٦٠٢/٢) وأسد الغابة (٣٦٥/٢) والإصابة (٧٨/٣) وتاريخ دمشق (٣٩٨/٢٠) والبداية (٢٣٢/١٢).

أذكرك به وأدعوك به

قال: يا موسى! لا إله إلا الله قال موسى: يا رب

قوله (أذكرك) أي أثني عليك به (وأدعوك) أي اسألك به.

قـوله (قل يا مـوسى لا إله إلا الله) فيه أن الذاكر بها يقولها كلها، ولا يقتصر على لفـظ الجلالـة، ولا على «هـو» كمـا يفعلـه غلاة جهـال المتصوفـة، فإن ذلـك بدعة وضلال.

كل عبادك يقول هذا قال: قل لا إله إلا الله قال: لا إله إلا أنت إنما أريد شيئًا تخصني به قال يا موسى لو أن السماوات السبع

قـوله: (كُلّ عبـادك يقولون هذا) ثبت بخط المصنـف بالجمع، والذى في الأصول يقول بالإفراد مراعاة للفظة «كل» وهو في المسـند من حديث عبد الله بن عمر بلفظ الجمـع كما ذكـره المصنف على معنى كل ومعنى قوله «كل عبـادك يقولون هذا أي إنما أريـد شـيئًا تخصني به من بين عموم عبـادك، وفى رواية بعد قوله: «كل عبادك يقولون هذا» - قل لا إله إلا الله، قال لا إله إلا أنت يارب، إنما أريد شيئًا تخصنى به».

ولما كان بالناس - بل بالعالم كله - من الضرورة إلى لا إله إلا الله ما لا نهاية له، كانـت من أكـثر الأذكار وجـودًا، وأيسرها حصـولًا، وأعظمها معنى. والعـوام والجهال يعدلون عنها إلى الدعوات المبتدعة التي ليست في الكتاب ولا في السنة.

وعامرهن غيري والأرضين السبع

قوله (وعامرهن غيري)[1] هو بالنصب عطف على السموات، أي لو أن السموات

(١) قال في قرة العيون: أي كل من في السموات والأرض وقوله: «غيري» استثنى ممن في السموات نفسه لأنه العلي الأعلى تعالى وتقدس كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ علو القهر وعلو القدر وعلو الذات. فالثلاثة كلها صفته ودلت على كماله كما قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ الآية. في سبع مواضع من كتابه كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ وقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾. وأمثال هذه الآيات.
فمن سلب علو الله تعالى على خلقه فقد خالف صريح الكتاب والسنة وألحد في أسمائه وصفاته ومعنى هذه الكلمة: نفي الإلهية عن كل شيء سوى ما استثنى بها وهو الله تعالى.
لكن هذه الكلمة العظيمة لا تحصل رجحانها إلا في حق من أتى بقيودها التي قيدت بها في الكتاب والسنة، وقد ذكر الله سبحانه في سورة براءة وغيرها كثيرًا ممن يقولها ولم ينفعهم قولها. كحال أهل الكتاب والمنافقين على كثرتهم وتنوعهم في نفاقهم فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود.
(فمنهم) من يقولها جاهلًا بما وضعت له وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه والصدق والإخلاص وغيرها. كعدم القبول ممن دعى إليها علمًا وعملًا، وترك الانقياد بما تقتضيه كحال أكثر من يقولها قديمًا وحديثًا، ولكن في أواخر هذه الأمة أكثر.
(ومنهم) من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كبر أو هوى أو غير ذلك من الأسباب وهي كثيرة منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.
وأما أهل الإيمان الخالص فهم الذين أتوا بهذه الكلمة واجتمعت لهم قيودها التي قيدت بها علمًا ويقينًا وصدقًا وإخلاصًا ومحبة وقبولًا وانقيادًا وعادوا فيها ووالوا فيه وأحبوا فيه وأبغضوا فيه. وقد ذكرهم الله تعالى في مواضع من سورة براءة وغيرها وخصهم بالثناء عليهم، والعفو عنهم وأعد لهم جنته وأنجاهم من النار؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ فهؤلاء ومن اتبعهم هم أهل «لا إله إلا الله» وغير هذه من الآيات في الثناء عليهم وما أعد لهم في الدار الآخرة.

السبع ومن فيهن من العمار غير الله تعالى، والأرضين السبع ومن فيهن، وضعوا في كفة الميزان ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى، مالت بهن لا إله إلا الله.

وروى الإمام أحمد عن «عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أن نوحًا عليه السلام قال لابنه عند موته: آمرك بلا إله إلا الله، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ولا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله»(١).

فمن تدبر القرآن وعرف تفاوت الخلق في محبة ربهم وتوحيده والعمل بطاعته والهرب من معصيته وإيثار ما يحبه تعالى رغبةً وعملًا، وترك ما يكرهه خشيةً ورجاءً، واعتبر الناس بأحوالهم وأقوالهم وأعمالهم ونياتهم وما هم فيه من التفاوت البعيد؛ تبين له خطأ المغرورين. كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني». قلت: هو حديث ضعيف.

(١) صحيح الإسناد.

أخرجه أحمد (٢/١٧٠) (٢/٢٢٥) والبخاري في «الأدب المفرد» [٥٤٨] والحاكم (١/٤٩) والبيهقي في «الأسماء» (ص ٧٩) من طريق حماد بن زيد عن الصَّعب بن زهير عن أسلم بن أ سلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو، فذكره.

وإسناده صحيح.

وصححه الألباني في «الصحيحة» [١٣٤] وفي «صحيح الأدب» [٤٢٦]

في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله»

قوله: (في كفة) هو بكسر الكاف وتشديد الفاء، أي كفة الميزان.

قوله: (مالت بهن) أي رجحت. وذلك لما اشتملت عليه من نفي الشرك، وتوحيد الله الذي هو أفضل الأعمال. وأساس الملة والدين، فمن قالها بإخلاص ويقين، وعمل بمقتضاها ولوازمها وحقوقها، واستقام على ذلك، فهذه الحسنة لا يوازنها شيء، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣].

ودل الحديث على أن لا إله إلا الله أفضل الذكر. كحديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»[1] رواه أحمد والترمذي.

---

(١) حسن.
أخرجه الترمذي [٣٥٨٥]، وأحمد [٦٩٦١] من طريق حماد بن أبي حميد أخبرنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه، به.
وإسناده ضعيف.
حماد بن أبي حميد الأنصارى الزُّرق ضعيف.
وله شاهد من حديث ابن عمر.
أخرجه الطبراني في «الدعاء» [٨٧٥] من طريق فرج بن فضالة عن يحي بن سعيد عن نافع عن ابن عمر بنحوه.
وإسناده ضعيف.
فرج بن فضالة ضعيف.
وشاهد آخر من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز.
أخرجه مالك (١/٢١٤ - ٢١٥) وعنه عبد الرزاق [٨١٢٥]
من طريق زياد بن أبي زياد ميسرة المخزوي، عن طلحة بن كريز، به.

....

وعنه أيضًا مرفوعًا «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل منها مد البصر ثم يقال: أتنكر من هذا شيئًا؟ أَظَلَمكَ كَتَبتي الحافظون فيقول: لا يارب. فيقال: أفلك عُذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظُلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» رواه الترمذي وحسنه.

والنسائي وابن حبان والحاكم. وقال: صحيح على شرط مسلم، وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح(١).

وهو مرسل، وإسناد صحيح.

وشاهد آخر من حديث علي.

أخرجه الطبراني في «الدعاء» [٨٧٤] من طريق عفان بن مسلم ثناقيس بن الربيع عن الأغربن الصباح عن خليفة بن حصين عن علي نحوه.

وإسناده ضعيف.

قيس بن الربيع ضعيف، ولكن يصلح في الشواهد.

فالحديث بشواهده حسن إن شاء الله.

وحسنه الألباني في «الصحيحة» [١٥٠٣]

(١) صحيح.

أخرجه ابن المبارك في «الزهد» [٣٧١] وأحمد (٢/٢١٣)والترمذي [٢٦٣٩] وابن ماجة [٤٣٠٠] وابن حبان [٢٢٥] والحاكم (١/٦و ٥٢٩) والبيهقي في «الشعب» [٢٧٩] والبغوي [٤٣٢١] وصححه الألباني في «الصحيحة» [١٣٥].

قــال ابن القيم رحمه الله: فالأعمال لا تتفاضل بصورهــا وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضــل ما في القلوب، فتكون صــورة العملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين الســماء والأرض. قــال: وتأمــل حديث البطاقــة التي توضــع في كفة ويقابلها تســعة وتســعون سجلًا كل ســجل منها مدى البصر، فتثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب. ومعلوم أن كل موحد له هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار بذنوبه.

[رواه ابن حبان، والحاكم وصححه].

قوله: (رواه ابن حبان والحاكم) ابن حبان اسمه محمد بن حبان - بكسر المهملة وتشديد الموحدة - ابن أحمد بن حبان بن معاذ، أبو حاتم التميمي البستي الحافظ صاحب التصانيف: كالصحيح، والتاريخ، والضعفاء، والثقات وغير ذلك. قال الحاكم: كان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ، ومن عقلاء الرجال. مات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بمدينة بست - بضم الموحدة وسكون المهملة[1].

وأما الحاكم فاسمه محمد بن عبد الله بن محمد النيسابورى أبوعبد الله الحافظ ويعرف بابن البيع ولد سنة إحدى وعشرين وثلثمائة، وصنف التصانيف، كالمستدرك وتاريخ نيسابور وغيرهما، ومات سنة خمس وأربعمائة[2].

(١) انظر مزيد في التعرف عليه، كتاب الأنساب (٣٤٨/١و ٣٤٩) وسير أعلام النبلاء (٩٢/١٦) وتاريخ الإسلام «حوادث ووفيات» (٣٥ - ٣٨٠) (ص ١١٢) ولسان الميزان (١١٢/٥) والوافى بالوفيات (٣١٧/٢) والمنتظم (١٧٠/١٤) والبداية (٢٨١/١٥)

(٢) انظر كتاب تاريخ بغداد (٤٧٣/٥) والمنتظم (١٠٩/١٥) ووفيات الأعيان (٢٨٠/٤) والسير (١٦٢/١٧) وتذكرة الحفاظ (١٠٣٩/٣) وطبقات الشافعية (١٥٥/٤) وطبقات القراء (١٨٤/٢) والبداية (٥٦٠/١٥ - ٥٦١).

وللترمذي وحسنه عن أنس ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك

حديث: لو أتيتني بقراب الأرض خطايا

قال المصنف رحمه الله (وللترمذي - وحسنه - «عن أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»)[1].

---

(١) حسن.
أخرجه الترمذي [٣٥٤٠] من طريق كثير بن فائدة حدثنا سعيد بن عبيد قال: سمعت بكر بن عبد الله المزنى حدثنا أنس فذكره.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب
وله شاهد من حديث ابن عباس بنحوه.
أخرجه الطبراني في «الكبير» [١٢٣٤٦] وفي «الصغير» [٢٠١٢] من طريق قيس بن الربيع وهو ضعيف وحسن في المتابعات والشواهد.
وله شاهد من حديث أبي الدرداء بنحوه.
أخرجه القشيرى في «رسالته» (٣٥٥/١) والبيهقي في «الشعب» [١٠٠٩].
وإسناده ضعيف.
وشاهد آخر من حديث أبي ذر الغفارى بنحوه.
أخرجه أحمد (١٥٤/٥) وابن الجعد في «مسنده» [٣٥٤٨] والبيهقي «شعب» [١٠١٠] وسنده حسن.
وأخرجه أحمد (١٧٢/٥) والدارى [٧١٨] وابن أبي الدنيا في «حسن الظن» [٣٢] والبيهقي في «الشعب» [١٠١١] وإسناده لا بأس به.
والحديث بشواهده صحيح إن شاء الله. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٧/١)

ذكـر المصنف رحمه الله الجملة الأخيرة مـن الحديث، وقد رواه الترمذي بتمامه فقال: «عن أنس قال سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تبارك وتعالى: يا بن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالى يا بن آدم، إنك لو أتيتني - الحديث».

الترمـذي: اسـمه محمـد بـن عيسى بن سَـوْرة - بفتـح المهملة - بـن موسى بن الضَّحَّاك السُّـلمي أبو عيسى، صاحب الجامـع وأحد الحُفَّاظ، كان ضرير البصر، روى عن قتيبة وهنَّاد والبخاري وخلق. مات سنة تسع وسبعين ومائتين[1].

وأنس: هو ابن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه عشر سنين، وقال له: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة»[2] مات سنة اثنتين وقيل: ثلاث وتسعين، وقد جاوز المائة[3].

والحديث قد رواه الإمام أحمد من حديث أبي ذر بمعناه، وهذا لفظه «ومن عمل قـراب الأرض خطيئـة ثم لقينـي لا يشرك بي جعلت لـه مثلها مغفرة» ورواه مسـلم[4]، وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم[5].

---

(١) مزيد من ترجمته انظر وفيات الأعيان (٢٧٨/٤) وتهذيب الكمال (٢٥٠/٢٦) والسير (٢٧٠/١٣)، وطبقات الحفاظ (ص ٢٧٨) والبداية (٦٤٧/١٤ - ٦٤٨).

(٢) أخرجه البخاري [٦٣٧٨] ومسلم [٢٤٨٠] والترمذي [٣٨٢٩] وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» [٣٣١١] وأبو يعلى [٣٢٣٨] [٣٢٣٩] وابن حبان [٧١٧٨] والطبراني في «الكبير» [٢٥] [٣٠٣] وأحمد (٤٣٠/٦) والبغوي (١٨٨/١٤) وابن الأثير في «الأسد» (٣٦٤/٧) عن أنس عن أم سُليم، فذكره مطولًا.

(٣) ترجمة أنس أشهر من أن تُذكر هنا.

(٤) صحيح مسلم [٢٦٨٧] وقد سبق.

(٥) سبق تخريجه.

لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيك بقرابها مغفرة».

قوله: (لو أتيتني بقراب الأرض) بضم القاف: وقيل بكسرها والضم أشهر وهو ملؤها أو ما يقارب ملئها.

قوله: (ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا) شرط ثقيل في الوعد بحصول المغفرة، وهو السلامة من الشرك: كثيره وقليله، صغيره وكبيره. ولا يسلم من ذلك إلا من سلم الله تعالى، وذلك هو القلب السليم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

قال ابن رجب: من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة -إلى أن قال- فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه، وقام بشروطه بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أعقب ذلك مغفرة ما قد سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية. فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه خرجت منه كل ما سوى الله: محبة وتعظيمًا، وإجلالًا ومهابة وخشية وتوكلًا، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها، وإن كانت مثل زبد البحر اهـ ملخصًا[١].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى الحديث: ويعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك. فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله شيئًا ألبته ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقص توحيده. فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب، لأنه يتضمن من محبة الله وإجلاله وتعظيمه، وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة والدافع لها قوي. اهـ[٢].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٥٤٠/٢).

(٢) راجع مدارج السالكين (١٧٤/١ - ١٧٧).

وفى هذا الحديث: كثرة ثواب التوحيد، وسعة كرم الله وجوده ورحمته والرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب[١]، وعلى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين[٢]، وهي الفسوق، ويقولون ليس بمؤمن ولا كافر، ويخلد في النار.

(١) الخوارج: سّموا خوارج لخروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم الحكمين «أبو موسى الأشعرى - وعمرو بن العاص» حين كرهوا التحكيم فقالوا: لا حكم إلا الله «فسموا لذلك بالحكمية» تعريضًا بسبب علي رضي الله عنه .

وخروجهم من قبضته وقالوا: شككت في أمرك، وحكّمت عدوك من نفسك فسموا بذلك الشكاكية» ومضوا عنه، ونزلوا بأرض يقال لها «حرورية» بلدة قرب الكوفة.

فسموا «بالحرورية» وقالوا: اشترينا أنفسنا من الله تعالى «فسموا بذلك شراة» وكانوا ثمانية ألاف. انظر البرهان «للسكسكي» (ص ١٨).

قال ابن الجوزي في «كيد الشيطان» (ص ١٨٦)

وهم سبع فرق: «المحكمة، والبيهسية، والأزارقة، والنجدات، والأصفرية، الإباضية، والعجاردة» وانقسمت الإباضية إلى «الحفصية واليزيدية، والحارثية» وانقسمت العجاردة إلى عشر فرق «الميمونية والخمرية والشعيبية، الحازمية، الخلفية، والأطرافية، والمعلومية، والمجهولية والصلتية والثعالبة» وانقسمت الثعالبة إلى أربع فرق «الأخنسية، المعبدية والشيبانية والمكرمية»

وراجع الملل والنحل (١/١٢٨ - ١٣٦) والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى (ص ٨٤ - ٨٥)

(٢) المعتزلة: هم أصحاب واصل بن عطاء المخزومي رأس المعتزلة وكان إمامًا في البلاغة والكلام - اعتزل عن مجلس الحسن البصرى بسبب أن رجلًا دخل على الحسن فقال: يا إمام الدين ظهر في زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة وجماعة أخرى يوسعون فيها، ويقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك؟

فتفكر الحسن، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ولا كافر مطلقًا، ثم قام وذهب إلى أصل اسطوانة من اسطوانات المسجد وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به، من أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت له المنزلة بين المنزلتين فلذلك سمى هو وأصحابه معتزلة، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، وإنكارهم القدرفيها.

والصواب قول أهل السنه: أنه لا يسلب عنه اسم الإيمان، ولا يعطاه على الإطلاق، بل يقال هو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته. وعلى هذا يدل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

و«عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به إلى سدرة المنتهى، فأعطي ثلاثًا: أعطى الصلوات الخمس، وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئًا: المقحمات» رواه مسلم(١).

قال ابن كثير في «تفسيره»: وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والنسائى عن أنس ابن مالك قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦] وقال: «قال ربكم: أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلهًا كان أهلًا أن أغفر له»(٢).

وتتبنى هذه الفرقة هذه الأصول الخمسة «التوحيد، العدل، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» وهذه الفرقة افترقت إلى عشرين فرقة يُكفِّر بعضهم بعضًا.
راجعها في «مكائد الشيطان» (ص ١٦٩ - ١٨٥) وشرح الطحاوية (٧٩٢/٢) ومقالات الإسلاميين (١٨/١ - ٣٥) والملل والنحل (٤٣/١).

(١) أخرجه أحمد [٣٦٦٥] (٣٨٧/١) ومسلم [١٧٣] [٢٧٩] [٣٢٧٦] الترمذي [٣٢٧٦] والنسائي في «الكبرى» [٣١٥] وأبو يعلى [٥٣٠٣] والطبرى في «تفسيره» (٥٢/٢٧ - ٥٥) والبيهقي في «الدلائل» (٤٧٤/٥)

(٢) إسناده ضعيف «ولعله يحُسن»
أخرجه أحمد (١٤٢/٣) والترمذي (٣٣٢٨) والنسائي في «الكبرى» [١١٦٣٠] وابن حاجة [٤٢٩٩] والدارى [٢٧٢٤] وابن أبي عاصم [٩٦٩] وأبو يعلى [٣٣١٧] والطبراني في «الأوسط» [٨٥١٠] وابن عدى في «الكامل» (١٢٨٨/٣) والبغوي في «تفسيره» (٤٢٠/٤) من طريق سُهيل أخو حزم حدثنا عن أنس، به.
وإسناده ضعيف.
سُهيل هذا قال أحمد: روى أحاديث منكرة.

فيه مسائل:

الأولى- سعة فضل الله.

الثانية- كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة- تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة- تفسير الآية «٨٢» التي في سورة الأنعام.

الخامسة- تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة.

السادسة- أنك إذا جمعت بينه وبين حديثِ عتبانَ وما بعدَه تبين لك معنى قول: «لا إله إلا الله» وتبين لك خطأ المغرورين [ق/ ٣/ ب].

السابعة- التنبيهُ للشرطِ الذي في حديثِ عتبان.

الثامنة- كونُ الأنبياءِ يحتاجونَ للتنبيهِ على فضْلِ لا إلهَ إلا الله.

التاسعة- التنبيهُ لرجحانها بجميعِ المَخلوقاتِ، مع أنَّ كثيرًا مِمَّن يقولها يَخِفُّ ميزانُهُ.

العاشرة- النصُّ على أنَّ الأرضينَ سبعٌ كالسمواتِ.

الحادية عشرة- أنَّ لهُنَّ عُمَّارًا.

وقال البخاري: لا يتابع على حديثه، يتكلمون فيه .

وقال أبو حاتم: ليس بالقوى.

وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٥/٥٢ - ٥٣) من طريق أحمد بن محمد بن عبيد الله أبو الحسن التمار حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حميد الطويل عن أنس،به.

الثانية عشرة- إثباتُ الصفاتِ، خلافًا للأشعريةِ.

الثالثة عشرة- أنكَ إذا عَرفت حديثَ أنسٍ، عرفتَ أنَّ قولَهُ في حديثِ عتبانَ: «فإنَّ اللهَ حرَّمَ على النارِ مَن قالَ لا إلهَ إلا اللهُ، يبتغِي بذلكَ وجهَ اللهِ» أنهُ تركَ الشركَ، ليسَ قولَهَا باللسانِ.

الرابعة عشرة- [تأمّل] الجمعَ بينَ كونِ عيسَى ومحمدٍ عبْدَي اللهِ ورسُولَيْهِ.

قال المصنف رحمه الله: (تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة فإنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان تبين لك معنى قوله: لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين.

وفيه أن الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا الله والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه.

وفيه إثبات الصفات خلافًا للمعطلة. وفيه أنك إذا عرفت حديث أنس وقوله في حديث عتبان إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله تبينت لك أن ترك الشرك في قولها باللسان فقط.

وقال الخطيب: أحمد بن محمد التمار كان غير ثقة روى أحاديث باطلة، وهذا لا يصلح له متابعة.

وذكر السيوطي في «الدر المنثور» بعض شواهد له عند ابن مردويه، من طريق عبد الله بن دينار عن أبي هريرة وابن عمر، وابن عباس.

ولم أقف على أسانيدها.

والحديث ذكره الألباني في «ضعيف ابن ماجه» [٩٣٦].

الخامسَة عشرة- مَعرفة اختصاصِ عيسَى بكونِهِ كلمةُ الله.

السادسة عشرة- معرفةُ كونِهِ رُوحًا منهُ.

السابعة عشرة- معرفة فضْلِ الإيمانِ بالجنةِ والنارِ.

الثامنة عشرة- معرفةُ قولِهِ: «علَى مَا كانَ مِنَ العمَلِ».]

التاسعة عشرة- معرفةُ أنَّ الميزانَ له كفتانِ.

العشرونَ- معرفةُ ذِكْرِ الوَجْهِ.

باب

مَن حَقَّقَ التوحيدَ دَخَلَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ

من حقق التوحيد دخل الجنة

قوله: (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) أي ولا عذاب.

(قلت) تحقيقه تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي[1].

معنى أن إبراهيم كان أمة

---

(١) في قرة العيون: وتحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يوجد أهل الإيمان الخالص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه كما قال تعالى في يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ بفتح اللام، وفي قراءة (المخلصين) بكسرها، وهم في صدر هذه الأمة كثيرون وفي آخرها هم الغرباء؛ وقد قلوا. وهم الأعظمون قدرًا عند الله. وقال تعالى عن خليله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر السموات والأرض أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق (حنيفًا) أي في حال كوني حنيفًا أي مائلًا عن الشرك إلى التوحيد. ولهذا قال: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ونظائر هذه الآية في القرآن كثير. كقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾.

قال عماد ابن كثير رحمه الله تعالى في الآية: يقول تعالى مخبرًا عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأوامره واتبع شرعه، ولهذا قال: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ أي في عمله واتباع ما أمر به وترك ما عنه زجر. فدلت هذه الآية العظيمة على أن كمال الإخلاص إنما يحصل بترك الشرك والبراءة منه وممن فعله كما تقدم في الباب قبل هذا.

وقولِ الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠]،

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٠] وصف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد.

الأولى: أنه كان أمة، أي قدوة وإمامًا معلمًا للخير. وما ذاك إلا لتكميله مقام الصبر واليقين الذين تنال بهما الإمامة في الدين.

الثانية: قوله قانتًا قال شيخ الإسلام: القنوت دوام الطاعة، والمصلي إذا أطال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت. قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر:٩] اهـ ملخصًا.

الثالثة: أنه كان حنيفًا (قلت) قال العلامة ابن القيم الحنيف المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه ا. هـ

الرابعة: أنه كان من المشركين، أي لصحة إخلاصه وكمال صدقه، وبعده عن الشرك[1].

---

(١) قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في مفتاح دار السعادة في الوجه [١٤٧] من فضل العلم: إن الله أثنى على إبراهيم خليله بقوله: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ... ﴾ الآية. فهذه أربعة أنواع من الثناء؛ افتتحها بأنه «أمة» وهو القدوة الذي يؤتم به. قال ابن مسعود: «الأمة: المعلم للخير» وهي فعلة - بضم الفاء - من الائتمام كالقدوة، وهو الذي يقتدى به. والفرق بين «الأمة» و«الإمام» من وجهين:
أحدهما: أن الإمام كل ما يؤتم به، سواء كان بقصده وشعوره أو لا، ومنه سمي الطريق إمامًا. كقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۝٧٨ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ أي بطريق واضح لا يخفى على السالك. ولا يسمى الطريق أمة.
الثاني: أي «الأمة» فيه زيادة معنى. وهو الذي جمع صفات الكمال في العلم والعمل، وهو الذي بقي فيها فردًا وحده، فهو الجامع لخصال تفرقت في غيره، فكأنه باين غيره باجتماعها فيه؛ وتفرقها أو عدمها في

غيره. ولفظ «الأمة» يشعر بهذا المعنى، لما فيه من الميم المضعفة الدالة على الضم بمخرجها وتكريرها، وكذلك ضم أوله. فإن الضمة من الواو، ومخرجها فيضم عن النطق بها. وأتى بالتاء الدالة على الوحدة كالغرفة لمعنى الأمة. ومن سميت الأمة التي هي آحاد الأمم، لأنهم الناس المجتمعون على دين واحد أو في عصر واحد.

الثاني: قوله: «قانتًا» قال ابن مسعود: «القانت»: المطيع: والقنوت يفسر بأشياء كلها ترجع إلى دوام الطاعة.

الثالث: قوله «حنيفًا» والحنيف: المقبل على الله. ويلزم من هذا المعنى ميله عما سواه، فالميل لازم معنى الحنيف؛ لا أنه موضوعه لغة.

الرابع: قوله: «شاكرًا لأنعمه» والشكر للنعم مبني على ثلاثة أركان: الإقرار بالنعمة وإضافتها إلى المنعم بها؛ وصرفها في مرضاته والعمل فيها بما يحب. فلا يكون العبد شاكرًا إلا بهذه الثلاثة.

والمقصود: أنه سبحانه مدح خليله بأربع صفات كلها ترجع إلى العلم والعمل بموجبه وتعليمه ونشره؛ فعاد الكمال كله إلى العلم والعمل بموجبه ودعوة الخلق إليه. اهـ

وقال في قرة العيون: قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: يمدح الله تعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء: بتبرئته من المشركين ومن اليهودية والنصرانية والمجوسية. و«الأمة» هو الإمام الذي يقتدى به. و«القانت» هو الخاشع المطيع، والحنيف: المنحرف قصدًا عن الشرك إلى التوحيد، ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وقال مجاهد: كان إبراهيم أمة أي مؤمنًا وحده، والناس كلها إذ ذاك كفار.

قلت: وكلا القولين حق. فقد كان الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ كذلك. وقول مجاهد - والله أعلم - لما كان الخليل كذلك في ابتداء دعوته ونبوته ورسالته عَلَيْهِ السَّلَامُ، فمدحه الله تعالى بتبرئته من المشركين؛ كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ فهذا والله أعلم كان في ابتداء دعوته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولم يكن إذ ذاك على وجه الأرض مسلم غيره. وبذلك جاء الحديث.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والأركان، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته وكسر الأصنام وصبر على ما أصابه في ذات الله. وهذا هو تحقيق التوحيد وهو أساس الدين ورأسه. كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأنت تجد أكثر من يقول «لا إله إلا الله» ويدعي الإسلام يفعل الشرك بالله في عبادته. بدعوة من لا يضر ولا ينفع من الأموات والغائبين والطواغيت والجن وغيرهم؛ ويحبهم ويواليهم، ويخافهم ويرجوهم، وينكر على

قلت: يوضح هذا قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الممتحنة:٤] أي على دينه من إخوانه المرسلين، قاله ابن جرير رحمه الله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ وذكر تعالى عن خليله عليه السلام أنه قال لأبيه آزر: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٨-٤٩] فهذا هو تحقيق التوحيد. وهو البراءة من الشرك وأهله واعتزالهم، والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم. فالله المستعان.

قال المصنف رحمه الله في هذه الآية: «إن إبراهيم كان أمة» لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين (قانتًا لله) لا للملوك ولا للتجار المترفين (حنيفًا) لا يميل يمينًا ولا شمالًا، كفعل العلماء المفتونين (ولم يك من المشركين) خلافًا لمن كثر سوادهم وزعم أنه من المسلمين. أ هـ

وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: «إن إبراهيم كان أمة» على الإسلام. ولم يك في زمانه أحد على الإسلام غيره(١).

قلت: ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم: من أنه كان إمامًا يقتدى به في الخير.

من دعا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، ويزعم أن ذلك بدعة وضلالة، ويعادي من عمل به وأحبه وأنكر الشرك وأبغضه، وبعضهم لا يعد التوحيد علمًا ولا يلتفت إليه لجهله به وعدم محبته فالله المستعان.

(١) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» [١٢٦٨١] بغير إسناد.

وقال: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٩].

قال: (وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٥٩][1].

وصف المؤمنين السابقين إلى الجنة فأثنى عليهم بالصفات التي أعظمها: أنهم بربهم لا يشركون. ولما كان المرء قد يعرض له ما يقدح في إسلامه: من شرك جلي أو خفي، نفى ذلك عنهم، وهذا هو تحقيق التوحيد، الذي حسنت بهم أعمالهم وكملت ونفعتهم.

قلت: قوله حسنت وكملت هذا باعتبار سلامتهم من الشرك الأصغر، وأما الشرك الأكبر فلا يقال في تركه ذلك، فتدبر. ولو قال الشارح: صحت لكان أقوم.

قال ابن كثير: «والذين هم بربهم لا يشركون» أي لا يعبدون مع الله غيره، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا وأنه لا نظير له[2].

(١) في قرة العيون: قال العماد ابن كثير: أي مع إحسانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله وخائفون وجلون من مكره بهم؛ كما قال الحسن البصري: المؤمن من جمع إحسانًا وشفقًا، والمنافق من جمع إساءة وأمنًا» ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي يؤمنون بآيات الله الكونية والشرعية لقوله تعالى عن مريم: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ أي أيقنت أن ما كان فهو من قدر الله وقضائه، وما شرعه الله إن كان أمرًا فهو ما يحبه الله ويرضاه، وإن كان نهيًا فهو ما يكرهه ويأباه، وإن خيرٌ فهو حق.

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٢٧٧).

عن حصين بن عبد الرحمن قال:

من يدخل الجنة بغير حساب

قال المصنف: («عن حصين بن عبد الله بن عبد الرحمن قال: كنت عند سعيد بـن جبـير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحـة؟ فقلت: أنا، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاتي ولكني لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بـن الحصيـب، أنه قـال: «**لا رقية إلا من عـين أو حمة**». قال: قد أحســن من انتهى إلى ما سـمع، ، ولكــن حدثنـا ابن عباس عن النـبي ﷺ أنه قـال: «**عرضت على الأمـم، فرأيـت النبي ومعه الرهـط، والنبي ومعـه الرجل والرجلان، والنبـي وليس معه أحد. إذ رفع لى سـواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل: هذا موسـى وقومه، فنظرت فإذا سـواد عظيـم، فقيـل لي: هذه أمتك ومعهم سـبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حسـاب ولا عذاب**». ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم اللذين صحبوا رسـول الله ﷺ وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام، فلم يشركوا بالله شـيئًا، وذكروا أشـياء، فخرج عليهم رسـول الله ﷺ فأخبروه، فقـال: «**هم الذين لا يسـترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعـلى ربهم يتوكلون**». فقام عُكاشـة بن محصن فقال: يا رسـول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنت منهم**» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك بها عُكاشة**»)(١).

هكـذا أورده المصنف غير معزو، وقد رواه البخاري مختصرًا ومطولًا، ومسـلم، واللفظ له، والترمذي والنسائي.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧١/١) والبخاري [٣٤١٠] [٥٧٠٥] [٥٧٥٢] [٦٤٧٢] [٦٥٤١] ومسلم [٢٢٠] وأبو عوانة (٨٥/١ - ٨٦) والترمذي [٢٤٤٦] وابن منده في «الإيمان» [٩٨٢] [٩٨٣] [٩٨٤] وابن حبان [٦٤٣٠] والبيهقي في «الشعب» [١١٦٣] والبغوي [٤٣٢٢].

كنت عند سعيد بن جبير فقال أيكم رأى الكوكب الذي

قوله: عن (حصين بن عبد الرحمن) هو السُّلمي أبو الهذيل الكوفي. ثقة، مات سنة ست وثلاثين ومائة، وله ثلاث وتسعون سنة[١].

وسعيد بن جبير: هو الإمام الفقيه من جلة أصحاب ابن عباس، روايته عن عائشة وأبي موسى مرسلة. وهو كوفي مولى لبني أسد، قتل بين يدى الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين[٢].

---

(١) انظر ترجمته في الطبقات لابن سعد (٣٣٨/٦) وتهذيب الكمال (٥١٩/٦) والسير (٤٢٢/٥) والبداية (٣٠٠/١٣).

(٢) انظر ترجمته في «الطبقات» (٢٥٦/٦) وطبقات خليفة (٧٠٢/٢) والحلية (٢٧٢/٤) والوافى بالوفيات (٢٠٦/١٥) والبداية (٤٦٨/١٢ - ٤٦٩) و«تهذيب الكمال» (٣٥٨/١٠).

انقضَّ البَارحة؟ قُلت: أنا ثُم قُلت: أما إنِّي لم أكن في صلاة

قوله: (انقض) هو بالقاف والضاد المعجمة أي سقط. والبارحة هي أقرب ليله مضت. قال أبو العباس ثعلب[1]: يقال قبل الزوال: رأيت الليلة، وبعد الزوال: رأيت البارحة، وكذا قال غيره، وهى مشتقة من برح إذا زال.

قال: (أما إني لم أكن في صلاة) قال في «مغنى اللبيب»: أما بالفتح والتخفيف على وجهين:

أحدهما: أن تكون حرف استفتاح بمنزلة «ألا» فإذا وقعت أن بعدها كسرت.

الثاني: أن تكون بمعنى حقًا أو أحق. وقال آخرون: هي كلمتان الهمزة للاستفهام، «ما» اسم بمعنى شيء، أى أذلك الشيء حق، فالمعنى أحق هذا؟ وهو الصواب و«ما» نصب على الظرفية، وهذه تفتح «أنَّ» بعدها. انتهى.

والأنسب هنا هو الوجه الأول والقائل هو حصين، خاف أن يظن الحاضرون أنه رآه وهو يصلي، فنفى عن نفسه إبهام العبادة، وهذا يدل على فضل السلف وحرصهم على الإخلاص وبعدهم على الرياء والتزين بما ليس فيهم.

---

(١) هو أحمد بن يحي بن زيد بن سيّار أبو العباس الشيباني مولاهم المُلَقّب بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة مولده سنة مائتين، وكان ثقة حجة دينًا صالحًا مشهورًا بالصدق.
والحفظ سمع من القواريرى مائة ألف حديث وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين ومائتين عن إحدى وتسعين سنة يوم السبت لثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى.
انظر «تاريخ بغداد» (٥/٢٠٤) ووفيات الأعيان (١/٨٤) والسير (١٤/٥) وتذكرة الحفاظ (٢/٦٦٦) والبداية (١٤/٧٢٥).

ولكني لُدغت قال فماذا صنعت؟ قلت استرقيت قال فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حَدَّثناه الشَّعبي فقال وما حَدَّثكم الشَّعبي؟ قلت حَدَّثنا

وقوله: (ولكني لدغت) بضم أوله وكسر ثانيه، قال أهل اللغة: يقال لدغته العقرب وذوات السموم، إذا أصابته بسمها، وذلك بأن تأبره بشوكتها.

قوله: (قلت وارتقيت) لفظ مسلم استرتقيت أي طلبت من يرقيني.

قوله: (فما حملك على ذلك) فيه طلب الحجة على صحة المذهب.

وقوله (حديث حدثناه الشعبي) اسمه: عامر بن شراحيل الهمداني ولد في خلافة عمر، وهو من ثقات التابعين وفقهائهم مات سنة ثلاث ومائة[1].

---

(١) الشعبي: من شعب همدان كُنيته أبو عمرو وكان علّامة أهل الكوفة وكان إمامًا حافظًا وقد أدرك خلقًا من الصحابة توفي سنة أربع ومائة.

الطبقات (٦/٢٤٦) وتاريخ دمشق (٢٥/٣٣٥) وتهذيب الكمال (١٤/٢٨) والسير (٤/٢٩٤) والبداية [١٠٨٣]

عن بُريدة بن الحُصَيب الأسلمي أنه قال: لا رُقية إلَّا مِنْ عَينٍ أو حُمَة فقال:

قوله: (عن بُريدة) بضم أوله وفتح ثانيه تصغير بردة. ابن الحصيب - بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين - ابن الحارث الأسلمي، صحابي شهير. مات سنة ثلاث وستين. قاله ابن سعد(١).

قوله: (لا رقيةَ إلا من عين أو حمة) وقد رواه أحمد وابن ماجه عنه مرفوعًا. ورواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عمران بن حصين به مرفوعًا قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات(٢).

---

(١) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد أبو عبد الله ، وقيل: أبو سهل.
أسلم عام الهجرة وشهد غزوة خيبر والفتح وكان معه اللواء واستعمله النبي ﷺ على صدقة قومه.
قال الذهبي: لبريدة نحو من مائة وخمسين حديثًا.
انظر الطبقات (٤/٢٤١ - ٢٤٣) والتاريخ الكبير [ترجمة ١٩٧٧] والجرح (٢/ترجمة ١٦٨٤) والأسد (١/٢٠٩) والإصابة (١/١٥٨) والسير (٤/٩٠ - ٩١)

(٢) صحيح.
أخرجه البخاري [٥٧٠٥] موقوفًا على عمران.
وأخرجه مرفوعًا، أحمد (٤/٤٣٦و ٤٣٨و ٤٤٦) وأبو داود [٣٨٨٤] والبزار في «مسنده» [٣٥٩٧] والحميدى [٨٣٦] والترمذي [٢٠٥٧] والطبراني (١٨/(٥٨٧) وفي «الأوسط» [١٤٧٢] والبيهقي (٩/٣٤٨) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٧٤٩٦]
وأخرجه مسلم [٢١٩٦] والترمذي [٢٠٥٦] وابن ماجه [٣٥١٦] وأحمد (٣/١١٨) وابن حبان [٦٥٠٤] عن أنس بلفظ: «رخَّص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحمة والنَّملةِ»
وأخرجه أبو داود [٣٨٨٩] والحاكم (٤/٤١٣) عن أنس بفظ: «لا رقية إلاّ من عين أو حمة أو دم لا يرقأ»
وإسناده ضعيف
وأخرجه أبو يعلى [٢٨١٩] عن أنس بلفظ:

والعين هي إصابة العائن غيره بعينه. والحمة - بضم المهملة وتخفيف الميم - سم العقرب وشبهها. قال الخطَّابي[1]: ومعنى الحديث: لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة. وقد رقى النبي ﷺ ورقي.

«وأذن برقية العين والنفس» وإسناده ضعيف.

وأخرجه مسلم [٢١٩٩] والطحاوي (٣٢٨/٤) وأبو يعلى [١٩١٣] [١٩١٤] [٢٠٠٦] وابن حبان [٦٠٩١] [٦٠٩٧] عن جابر وسيأتي لفظة.

وخرجت هذه الأحاديث كلها في رسالة بعنوان «السحر والكهانة والعين».

(١) الخطَّابي هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطَّاب البُستي الخطَّابي أبو سليمان الخطابي، صاحب التصانيف ولد سنة بضع عشرة وثلاث مائة. الإمام العلامة الحافظ اللُّغوي، توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثة مائة في شهر ربيع الأخر ببُست.

انظر المنتظم (٣٩٧/٦) ومعجم الأدباء للحموي (٢٤٦/٤) واللُّباب لابن الأثير (١٥١/١) وتذكرة الحفاظ (٣/ ٩٥٠) والسير (٤٩٦/١٢ - ٤٩٧)

قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن حَدَّثنا ابن عبَّاس عن النَّبي ﷺ قال:

قوله: (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع) أي من أخذ بما بلغه من العلم وعمل به فقد أحسن بخلاف من يعمل بجهل، أو لا يعمل بما يعلم فإنه مُسيء آثمٌ. وفيه فضيلة علم السلف وحسن أدبهم.

قوله: (ولكن حدثنا ابن عباس) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ. دعا له فقال: «**اللَّهم فَقِّههُ في الدِّين، وعَلِّمه التأويل**»[1] فكان كذلك. مات بالطائف سنة ثمان وستين.

قال المصنف رحمه الله: (وفيه عمق علم السلف لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا. فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني).

---

(١) أخرجه البخاري [١٤٣] ومسلم [٢٤٧٧] وابن حبان [٧٠٥٥] وأحمد [٢٨٧٩] [٣٠٣٢] [٣١٠٢] والطبراني [١٠٥٨٧].

«عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط

قوله: (عرضت على الأمم) وفى الترمذي والنسائي[١] من رواية عبثر بن القاسم عن حصين بن عبد الرحمن أن ذلك كان ليلة الإسراء.

قال الحافظ: فإن كان ذلك محفوظًا كان فيه قوة لمن ذهب إلى تعدد الإسراء، وأنه وقع بالمدينة أيضًا[٢].

(قلت) وفي هذا نظر[٣].

قوله: (فرأيت النبي ومعه الرهط) والذي في صحيح مسلم «الرُّهيط» بالتصغير لا غير، وهم الجماعة دون العشرة، قاله النووي[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي [٢٤٤٦] والنسائي [٧٦٠٤] وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» [١٩٩١].

(٢) فتح الباري (١١/٤٥١).

(٣) في قرة العيون: فالله أعلم متى عرضت، وعرضها أن الله تبارك وتعالى أراه مثالها إذا جاءت الأنبياء ومن تبعهم، فمن نجا بالإيمان بالله وما بعث به أنبياءه ورسله من دينه الذي شرعه لهم وهو عبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، والأخذ بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه كما قال تعالى عن قوم نوح: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ فعبادته وتوحيده وطاعته بامتثال ما أمرهم به، وترك ما نهاهم عنه، وطاعة رسوله، هذا هو الدين، أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع؛ فعلًا وتركًا، وأن يقدم طاعة رسوله على ما يحبه ويهواه.

(٤) مسلم النووي (٢/٩٦).

والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي

قوله: (والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد) فيه الرد على من احتج بالكثرة[1].

قوله: (إذ رفع لي سواد عظيم) المراد هنا الشخص الذي يُرى من بعيد.

قوله: (فظننت أنهم أُمتي) لأن الأشخاص التي تُرى في الأفق لا يدرك منها إلا الصورة وفي صحيح مسلم «ولكن انظر إلى الأفق» ولم يذكره المصنف، فلعله سقط في الأصل الذي نقل الحديث منه. والله أعلم.

---

(١) في قرة العيون: أي يبعث في قومه فلا يتبعه منهم أحد كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وفيه دليل على أن الناجي من الأمم هم القليل والأكثرون غلبت عليهم الطبائع البشرية فعصوا الرسل فهلكوا؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وقال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، والناجون - وإن كانوا أقل القليل - فهم السواد الأعضم، فإنهم الأعظمون قدرًا عند الله. وإن قلوا. فيلحذر المسلم أن يغتر بالكثرة وقد اغتر بهم كثيرون حتى بعض من يدعي العلم. اعتقدوا في دينهم ما يعتقده الجهال الضلال ولم يلتفتوا إلى ما قاله الله ورسوله.

فقيل لي هذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أُمَّتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

قوله: (فقيل له: هذا موسى وقومه) أي موسى بن عمران كليم الرحمن، وقومه: أتباعه على دينه من بني إسرائيل[١].

قوله: (فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لى هذه أُمتك ومعهم سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) أي لتحقيقهم التوحيد، وفى رواية ابن فضيل: «ويدخل الجنة من هؤلاء من أمتك سبعون ألفًا».

وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين «أنهم تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر»[٢].

وروى الإمام أحمد والبيهقي في «حديث أبي هريرة «فاستزدت ربي فزادنى مع كل ألف سبعين ألفًا» قال الحافظ: وسنده جيد[٣].

(١) في قرة العيون: فيه فضيلة اتباع موسى من بني إسرائيل ممن آمن منهم بالرسل والكتب التي أنزلها الله: التوراة، والإنجيل، والزبور والفرقان وغيرها. وكانت بنو إسرائيل قبل التفرق كثيرين وفيهم الأنبياء، ثم بعد ذلك حدث ما حدث من اليهود، وهذا الحديث يدل على أن التابع لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كثيرون جدًا، وقد قال تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي في زمانهم. وذلك أن في زمانهم وقبله ممن كفر بالله خلق لا يحصون؛ كحزب جالوت وبختنصر وأمثالهم. ففضل الله بني إسرائيل بالإيمان فصاروا أفضل أهل زمنهم. وحدث فيهم ما ذكر الله في سورة البقرة وغيرها من معصيتهم لأنبيائهم واختلافهم في دينهم، وقد ذكره الله تعالى محتجًا به على اليهود الذين كفروا بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فتدبر ما ذكره الله تعالى من أحوالهم بعد الاختلاف.

(٢) البخاري [٥٨١١] ومسلم [٢١٦].

(٣) أخرجه أحمد (٣٥٩/٢) [٨٧٠٧] والبيهقي في «البعث» [٤١٦] من طريق زهير بن محمد عن سُهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة، به.

ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما الذي تخوضون فيه؟» فأخبروه فقال:

قوله: (ثم نهض) أي قام، قوله: (فخاض الناس في أولئك) خاض بالخاء والضاد المعجمتين وفى هذا إباحة المناظرة والمباحثة في نصوص الشرع على وجه الاستفادة وبيان الحق، وفيه عمق علم السلف لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل، وفيه حرصهم على الخير، ذكره المصنف.

وإسناده صحيح.

لكن قوله «فاستزدت فزادني» لم تكن عند الجماعة الذين رووا هذا الحديث وإنما تفرد بها زهير بن محمد، وهو وإن روى له الجماعة لكن عنده مناكير، وجاء عن يحي بن معين أنه قال: خُراساني ضعيف.

وقال النسائي: ليس بالقوي.

وقال عثمان الدارمى ثقة له أغاليط.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: محله الصدق وفي حفظه سوء.

راجع الميزان (٨٤/٢) والتهذيب (٣٤٨/٣) والسير (١٨٧/٨) ومع هذا قال الحافظ في «الفتح» (٤١٠/١١): سنده جيدا

«هم الذين لا يسترقوون

قـوله: (فقال هم الذين لا يسـترقون) هكذا ثبـت في الصحيحين وهو كذلك في حديث ابن مسعود في مسند أحمد[1].

وفى رواية لمسلم «ولا يرقون».

قـال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة: هـذه الزيادة وهـم من الـراوي، لـم يقل النبي ﷺ «ولا يرقـون» وقـد قـال النـبي ﷺ وقد سـئل على الرقى: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه»[2].

وقال: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا»[3].

قـال: وأيضًا فقد «رقى جبريـل النبي ﷺ» و«رقى النبي ﷺ أصحابه»[4] قال والفرق بين الراقي والمسـترقي: أن المسترقي سائل مستعط ملتفت إلى غير الله بقلب، والراقى محسن. قال: وإنما المراد وصف السبعين ألفًا بتمام التوكل، فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يكويهم. وكذا قال ابن القيم.

(١) أخرجه أحمد (١/٤٠٣) وابن حبان [٦٠٨٤] وإسناده حسن.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم [٢٢٠٠] من حديث عوف بن مالك، وقد سبق.

(٤) سيأتي مع التخريج وانظر صحيح مسلم [٢١٨٦] [٢٨٩٤].

ولا يكتوون

قوله: (ولا يكتوون) أي لا يسألون غيرهم أن يكويهم كما لا يسألون غيرهم أن يرقيهم، استسلامًا للقضاء، وتلذذًا بالبلاء.

قلت: والظاهر أن قوله «لا يكتوون» أعم من أن يسألوا ذلك أو يفعل ذلك باختيارهم. أما الكي في نفسه فجائز، كما في الصحيح «عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ بعث إلى أبي بن كعب طبيبًا فقطع له عرقًا وكواه»(١).

وفي صحيح البخاري «عن أنس أنه كوى من ذات الجنب(٢) والنبي ﷺ حي»(٣) وروى الترمذي وغيره «عن أنس أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم [٢٢٠٧] ولفظه «بعث إلى أُبي بن كعب طبيبًا، فقطع منه عرقًا ثم كواه عليه»
وأخرجه أحمد (٣١٥/٣) وأبو داود [٣٨٦٤].
وفي رواية:
«رمُى أُبي يوم الأحزاب على أكحله فكواه رسول الله ﷺ وفي رواية «فأمر ﷺ النبي فكوى على أكحله»
وأخرجه أحمد (٣٠٣/٣) وعبد بن حميد [١٠١٨] وأبو يعلى [٢٢٨٧] والطحاوى (٤٢١/٤) والحاكم (٢٤١/٤) وغيرهم.

(٢) ذات الجنب: الدمل الكبير التى تظهر في باطن الجنب إلى داخل.

(٣) أخرجه البخاري [٥٧١٩].

(٤) صحيح الإسناد.
أخرجه الترمذي [٢٠٥٠] وابن حبان [٦٠٨٠] وأبو يعلى [٣٥٨٢] والطحاوى (٣٢١/٤) والبيهقي (٣٤٢/٩) وإسناده صحيح.
وله شاهد من حديث عائشة.
أخرجه أبو يعلى [٤٨٢٥] وابن حبان [٦٠٧٩] وإسناده صحيح.
وأخرج الطيالسى [١٧٤٥] [١٧٤٦] وأحمد (٣١٢/٣ - ٣٨٦) ومسلم [٢٢٠٨] وأبو داود [٣٨٦٦] وابن

وفي صحيح البخاري «عن ابن عباس مرفوعًا «الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار، وأنا أنهى أمتي عن الكي»[1] وفي لفظ: «وما أحب أن أكتوي»[2].

قال ابن القيم رحمه الله: قد تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع **(أحدها)** فعله. **(والثاني)** عدم محبته. **(والثالث)** الثناء على من تركه. **(والرابع)** النهي عنه. ولا تعارض بينها بحمد الله، فإن فعله يدل على جوازه، وعدم محبته له لا يدل على المنع منه، وأما الثناء على تاركه فيدل على أن تركه أولى وأفضل، وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة[3].

ـرجه [٣٤٩٤] وابن حبان [٦٠٨٣] والطحاوى (٣٢١/٤) وأبو يعلى [٢١٥٨] عن جابر قال: رُمي سعد بن معاذ يوم الأحزاب فقُطع أكحلُهُ فنزفه فانتفخت يده فحسمه النبي بالنار، فنزفه فحسمه النبي ﷺ بالنار أخرى».

(١) أخرجه البخاري [٥٦٨٠] [٥٦٨١] وابن ماجه [٣٤٥١] وأحمد (٢٤٦/١) والطبراني [١٢٢٤١] والبيهقي (٣٤٠/٩).

(٢) أخرجه البخاري [٥٧٠٤] ومسلم [٢٢٠٥] من حديث جابر.

(٣) انظر زاد المعاد (٦٠/٤).

ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»

قوله: (ولا يتطيرون) أي لا يتشاءمون بالطيور ونحوها. وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان الطيرة وما يتعلق بها في بابها.

قوله: (وعلى ربهم يتوكلون) ذكر الأصل الجامع الذي تنوعت عنه هذه الأفعال والخصال وهو التوكل على الله، وصدق الالتجاء إليه، والاعتماد بالقلب عليه، الذي هو نهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف: من المحبة والرجاء والخوف، والرضا به ربًا وإلهًا، والرضا بقضائه.

واعلم أن الحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلًا، فإن مباشرة الأسباب في الجملة أمر فطري ضروري، لا انفكاك لأحد عنه، بل نفس التوكل: مباشرة لأعظم الأسباب كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي كافيه وإنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة مع حاجتهم إليها، توكلًا على الله تعالى، كالاكتواء والاسترقاء، فتركهم له لكونه سببًا مكروهًا، لا سيما والمريض يتشبث -فيما يظنه سببًا لشفائه- بخيط العنكبوت.

وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه، فغير قادح في التوكل؛ فلا يكون تركه مشروعًا، لما في الصحيحين «عن أبي هريرة مرفوعًا **«ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري [٥٦٧٨] وابن ماجه [٣٤٣٩] عن أبي هريرة، ولم يخرجه مسلم.
وقد أخرجه مسلم [٢٢٠٤] عن جابر.
وأخرجه الحميدى [٩٠] وأحمد (٣٧٧/١ و٤١٣) وابن ماجه [٣٤٣٨] وابن حبان [٦٠٦٢] [٦٠٧٥] والحاكم (٣٩٩/٤) والبيهقي (٣٤٣/٩) بسند حسن عن ابن مسعود وفيه الزيادة «علمه من علمه»..... الخ.

وعن أسامة بن شريك قال: كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: «نعم. يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء، غير داء واحد». قالوا: وما هو؟ قال: «الهرم» رواه أحمد[1].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: وقد تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها، والأمر بالتداوى، وأنه لا ينافى التوكل، كما لا ينافيه دفع ألم الجوع والعطش، والحر والبرد: بأضدادها بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله تعالى مقتضية لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة. ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإن تركها عجز ينافى التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله تعالى في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه. ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا ولا توكله عجزًا[2].

وقد اختلف العلماء في التداوي هل هو مباح، وتركه أفضل، أو مستحب أو واجب؟

---

(١) صحيح.
أخرجه الحميدى [٨٢٤] وابن أبي شيبة (٢/٨) والطيالسى [١٢٣٢] وأحمد (٢٧٨/٤) والبخاري في «الأدب المفرد» [٢٩١] وأبو داود [٣٨٥٥] والترمذي [٢٠٣٨] وابن ماجه [٣٤٣٦] والنسائي في «الكبرى» [٧٥٥٣] وابن حبان [٦٠٦١] والطبراني في «الصغير» [٥٥٩] والكبير [٤٦٣] [٤٦٤] [٤٦٥] [٤٦٦] [٤٦٧] [٤٧٠] [٤٧٤] [٤٧٧] [٤٧٨] [٤٧٩] [٤٨٠] والحاكم (٣٩٩/٤) والبغوي [٣٢٢٦] وصححه الألباني في «الصحيحة» [٤٣٣] وفي «غاية المرام» [٢٩٤].

(٢) زاد الميعاد (١٤/٤).

فالمشـهور عند أحمد: الأول لهذا الحديث وما في معناه، والمشهور عند الشافعية الثاني، حتى ذكر النووى في «شرح مسلم»: أنه مذهبهم ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف، واختاره الوزير أبو المظفر.

قـال: ومذهب أبي حنيفة أنـه مؤكد حتى يدانى به الوجوب. قال: ومذهب مالك أنه يستوي فعله وتركه فإنه قال: لا بأس بالتداوي ولا بأس بتركه[١].

وقال شيخ الاسلام: ليس بواجب عند جماهير الأئمة وإنما أوجبه طائفة قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد[٢].

---

(١) شرح مسلم للنووي (٢/٩٤ - ٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٦٩).

فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال: «ادع الله أن يجعلني منهم»

فقال: «سبقك بها عكاشة».

فقوله: (فقام عُكَّاشة بن مِحْصَنَ) هو بضم العين وتشديد الكاف، ومحصن بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين ابن حرثان - بضبم المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة - الأسدي: من بني أسد بن خزيمة. كان من السابقين إلى الإسلام ومن أجمل الرجال، هاجر وشهد بدرًا وقاتل فيها، واستشهد في قتال الردة مع خالد بن الوليد بيد طليحة الأسدي سنة اثنتي عشرة، ثم أسلم طليحة بعد ذلك وجاهد الفرس يوم القادسية مع سعيد بن أبي وقاص، واستشهد في وقعة الجسر المشهورة.

قوله: (فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال أنت منهم) وللبخاري في رواية: «**فقال اللهم اجعله منهم**» وفيه: طلب الدعاء من الفاضل.

قوله: (ثم قام رجل آخر) ذكر مبهمًا ولا حاجة بنا إلى البحث عن اسمه.

قوله: (فقال سبقك بها عكاشة) قال القرطبي: لم يكن عند الثانى من الأحوال ما كان عند عكاشة، فلذلك لم يجبه، إذ لو أجابه لجاز أن يقلب ذلك كل من كان حاضرًا فيتسلسل الأمر، فسد الباب بقوله ذلك ا هـ

فيه مسائل:

الأولى- معرفةُ مراتبِ الناسِ في التوحيدِ.

الثانية- ما معنَى تحقيقه.

الثالثة- ثناؤهُ سبحانَهُ على إبراهيمِ [بكونه لم يكنْ مِنَ المشركينَ].

الرابعة- ثناؤهُ على ساداتِ الأولياءِ بسلامتِهم منَ الشركِ.

الخامسة- كونُ تركِ الرقية والكيِّ مِن تحقيق التوحيدِ.

السادسة- كونُ الجامعِ لتلكَ الخصالِ هو التوكلُ.

السابعة- عُمقُ علمِ الصحابَةِ لمعرفتِهم أنهُم لم ينالوا ذلكَ إلا بعَمَلٍ.

الثامنة- حرصُهُم على الخيرِ.

التاسعة- فضيلةُ هذهِ الأمَّةِ بالكمِّيةِ والكيفيةِ.

العاشرة- فضيلةُ أصحابِ موسَى.

الحادية عشرة- عرضُ الأممِ عليهِ، [ق/ 4/ ب] ﷺ .

الثانية عشرة- أنَّ كلَّ أمةٍ تحشرُ وحدها مع نبيِّها.

الثالثة عشرة- قلةُ من استجابَ للأنبياءِ.

الرابعة عشرة- أنْ مَن لم يُجبهُ أحدٌ يأتي وحدَهُ.

الخامسة عشرة- ثمرةُ هذا العلمِ، وهو عدمُ الاغترارِ بالكثرةِ، وعدمُ الزهدِ في القلةِ.

السادسة عشرة- الرخصَةُ في الرقيةِ من العينِ والحُمَّةِ.

السابعة عشرة- عمق علم [السلف] لقولهِ: قد أحسنَ مَنِ انتهَى إلى ما سَمِعَ. [ولكن كذا وكذا] فعلمَ أنْ الحديثَ الأولَ لا يخالفُ الثاني.

الثامنة عشرة- بُعْدُ السلفِ عن مدحِ الإنسانِ بما ليسَ فيهِ.

التاسعة عشرة- قولهُ: «أنتَ منهُم» علمٌ مِن أعلامِ النبوةِ.

العشرون- فضيلةُ عُكَّاشَة.

الحادية والعشرون- استعمالُ المَعاريضِ.

الثانية والعشرون- حسنُ خلقِهِ ﷺ .

بابُ الخوفِ منَ الشركِ وقولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

قوله: باب (الخوف من الشرك)

وقول الله عـز وجـل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

قـال ابن كثير: أخبر تعالى أنه ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ أي لا يغفر لعبد لقيه وهـو مـشرك ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي مـن الذنـوب لمـن يشـاء مـن عبـاده. انتهى[١].

فتبـين بهـذه الآية أن الشرك أعظم الذنوب، لأن الله تعالى أخبر أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، وما دونه من الذنوب فهو داخل تحت المشـيئة إن شـاء غفره لمن لقيه به، وإن شـاء عذبه به، وذلك يوجب للعبد شـدة الخوف من الشرك الذي هذا شـأنه عند الله، لأنه أقبح القبيح وأظلم الظلم، وتنقص لربِّ العالمين، وصرف خالص حَقِّه لغيره وعدل غيره به، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] ولأنه مناقـض للمقصـود بالخلـق والأمر منـاف له من كل وجـه، وذلك غايـة المعاندة لرب العالمين، والاسـتكبار عن طاعته، والذل له، والانقيـاد لأوامره الذي لا صلاح للعالم إلا بذلـك، فمـتى خلا منه خـرب وقامـت القيامة، كما قـال ﷺ **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»** رواه مسلم[٢].

---

(١) ابن كثير (١/٥٠٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق [٢٠٨٤٧] وعبد بن حميد [١٢٤٧] وأحمد (٣/١٠٧ - ١٦٢) ومسلم [١٤٨] وأبو عوانة (١/١٠١) وابن منده في «الإيمان» [٤٤٨].

ولأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى، ومشاركة في خصائص الإلهية: من مُلك الضر والنفع، والعطاء والمنع، الذي يُوجب تعلق الدُّعاء والخوف والرَّجاء، والتوكُّل وأنواع العبادة كلها بالله وحده، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شَبَّهَهُ بالخالق وجعل من لا يملك لنفسه ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، شبيهًا بمن له الحمد كله، وله الخلق كله، وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، وبيده الخير كله، فأزمَّةِ الأمور كلها بيده سبحانه ومرجعها إليه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، الذي إذا فتح للناس رحمة فلا ممسك لها، وما يُمسك فلا مُرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم. فأقبح التشبيه تشبيه العاجز الفقير بالذات: بالقادر الغني بالذات. ومن خصائص الإلهية: الكمال المطلق من جميع الوجوه، الذي لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه. وذلك يوجب أن تكون العبادة كلها له وحده، والتعظيم والإجلال، والخشية والدُّعاء، والرَّجاء والإنابة والتوكل والتوبة والاستعانة، وغاية الحب مع غاية الذل: كل ذلك يجب عقلًا وشرعًا وفطرة أن يكون لله وحده، ويمتنع عقلًا وشرعًا وفطرة أن يكون لغيره. فمن فعل شيئًا من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا مثيل له، ولا ند له، وذلك أقبح التشبيه وأبطله. فلهذه الأمور وغيرها أخبر سبحانه وتعالى أنه لا يغفره، مع أنه كتب على نفسه الرحمة. هذا معنى كلام ابن القيم رحمه الله[1].

وفي الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب. وعلى المعتزلة القائلين بأن أصحاب الكبائر يخلدون في النار، وليسوا عندهم بمؤمنين ولا كُفَّار.

(١) ... ء والدواء (١٥٨ - ١٥٩).

....

ولا يجوز أن يحمل قوله: «ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» على التائب، فإن التائب من الشرك مغفور له كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] فهنا عَمَّم وأطلق، لأن المراد به التائب، وهناك خَصَّ وعلَّق، لأن المراد به من لم يتب. هذا ملخص قول شيخ الإسلام[1].

(١) انظر مجموع الفتاوى (٤/٤٧٥ - ٤٧٦).

وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ :

قوله: (وقال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ) ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] الصنم ما كان منحوتًا على صورة، والوثن ما كان موضوعًا على غير ذلك. ذكره الطبري عن مجاهد.

قلت: وقد يُسمَّى الصنم وثنًا كما قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] الآية ويقال: إن الوثن أعم، وهو قوي، فالأصنام أوثان، كما أن القبور أوثان.

﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قوله: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ أي اجعلني وبني في جانب عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها. وقد استجاب الله تعالى دعاءه، وجعل بنيه أنبياء، وجنَّبهم عبادة الأصنام. وقد بيَّن ما يُوجب الخوف من ذلك بقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فإنه هو الواقع في كل زمان. فإذا عرف الإنسان أن كثيرًا وقعوا في الشرك الأكبر وضلوا بعبادة الأصنام: أوجب ذلك خوفه من أن يقع فيما وقع فيه الكثير من الشرك الذي لا يغفره الله.

قال إبراهيم التَّيمي: من يأمن البلاء بعد إبراهيم؟ رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[1].

فلا يأمن الوقوع في الشرك إلا من هو جاهل به وبما يخلصه منه: من العلم بالله وبما بعث به رسوله من توحيده، والنهي عن الشرك به[2].

---

(١) أخرجه ابن جرير [٢٠٨٣٧] وإسناده حسن إليه.

(٢) في قرة العيون: فإذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة واحدة، وابتلاه بكلمات فأتمهن، وقال: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾ وأُمر بذلح ولده فامتثل أمر ربه، وكسر الأصنام واشتد نكيره على أهل الشرك، ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام، لعلمه أنه لا يصرفه عنه الله إلا بهدايته وتوفيقه، لا بحوله هو وقوته.

فهذا أمرٌ لا يُؤمن الوقوع فيه؛ وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة فاتخذت الأصنام وعبدت، فالذي خافه الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور؛ وصرفت لها العبادات بأنواعها، واتخذ ذلك دينًا، وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح واللَّات والعُزَّى ومناة وأصنام العرب وغيرهم. فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم، بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الربوبية مما يطول عَدّهُ، فذكر عَلَيْهِ السَّلَامُ السبب الذي أوجب له الخوف عليه وعلى ذريته بقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ وقد ضلت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده. فمن تدبر القرآن عرف

وفي الحديثِ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فسئل عنه؟ قال: «الرياء».

خوف النبي ﷺ على أمته من الشرك

قال المصنف: (وفي الحديث: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسُئِل عنه فقال: «الرياء») أورد المصنف هذا الحديث مختصرًا غير معزو. وقد رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي، وهذا لفظ أحمد: حَدَّثنا يُونس حَدَّثنا ليث عن يزيد - يعني ابن الهاد - عن عمرو عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء. يقول الله تعالى يوم القيامة، إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءوا في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[1].

حزن الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه والوعيد على فعله، والثواب على تركه، وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن، وجهله بما أمر الله به ونهى عنه. نسأل الله الثبات على الإسلام والاستقامة على ذلك إلى أن نلقى الله على التوحيد إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا الله العلي العظيم؛ وقال تعالى عن عيسى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ رد أمرهم إلى الله كما رده محمد عليه السلام، وقد بين الله تعالى فيما أنزله على محمد ﷺ حكمه في أهل الشرك بأنه لا يغفره لهم فلا معارضة؛ وقد بين حكمه فيهم في هذا الكتاب الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾.

(١) بسند حسن.
أخرجه أحمد (٥/٤٢٨و ٤٢٩)، والبيهقي في «الشعب» [٦٨٣١] والبغوي [٤١٣٥] وانظر الصحيحة [٩٥١].

قال المنذري[(١)]: ومحمود بن لبيد رأى النبي ﷺ ولم يصح له منه سماع فيما أرى. وذكر ابن أبي حاتم أن البخاري قال: له صُحبة، ورجَّحه ابن عبد البر والحافظ[(٢)].

وقد رواه الطبراني بأسانيد جيدة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج[(٣)]. مات محمود سنة ست وتسعين. وقيل: سنة سبع وتسعين وله تسع وتسعون سنة.

قول: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) هذا من شفقته ﷺ بأمته ورحمته ورأفته بهم، فلا خير إلا دلَّهم عليهم وأمرهم به، ولا شرَّ إلَّا بيَّنهُ لهم وأخبرهم به ونهاهم عنه، كما قال ﷺ فيما صحَّ عنه: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أُمته على خير ما يعلمه لهم...**»[(٤)] الحديث، فإذا كان الشرك

---

(١) هو الحافظ زكي الدين المُنذِرى عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة بن سعد بن سعيد، الإمام العلامة الحافظ أبو محمد زكيُّ الدين المنُذريُّ الشافعى المصريُّ وأصله من الشام ولكنه ولد بمصر، وكان شيخ مُتطاولة، وقيل ولد بالشام سنة إحدى وثمانين وخمسمائة طلب العلم ورجل وعنى بهذا الشأن حتى فاق أهل زمانه، توفي يوم السبت رابع ذى القعدة سنة ست وخمسين وستمائة ودُفن بالقرافة رَحِمَهُ اللَّهُ
السير(٣١٩/٢٣) وتذكرة الحفاظ (١٤٣٦/٤) والعبر (٢٣٢/٥) وطبقات الشافعية (٢٥٩/٨) والبداية (٣٧٨/١٧).

(٢) انظر البخاري في «التاريخ الكبير» (٤٠٢/٧) ولم يصرح فيه بأن له صحبة ولكنه أسند إلى النبي ﷺ وقال ابن أبي حاتم في «الجرح» (٤٠٢/٨) وقال البخاري له صحبة. فخط أبي عليه، وقال: لا يعُرف له صحبة»
أما ابن عبد البرفى «الاستيعاب» (١٣٧٩/٣) فرجح قول البخاري.
أما ابن كثير في «البداية» (٦٦١/١٢) فقال: روى عن النبي ﷺ أحاديث لكن حكمها الإرسال.
قلت: من تتبع أقوال العلماء وجد أن أحاديثه مرسلة.
انظر الطبقات (٧٧/٥) والسير (٤٨٦/٣).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» [٤٣٠١] عن رافع، وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه أحمد (١٦١/٢) وابن أبي شيبه (٥/١٥) ومسلم [١٨٤٤] والنسائي في «الكبرى» [٤١٣٥] وفي

الأصغر مخوفًا على أصحاب رسول الله ﷺ مع كمال علمهم وقوة إيمانهم، فكيف لا يخافه وما فوقه من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب؟ خصوصًا إذا عرف أن أكثر علماء الأمصار اليوم لا يعرفون من التوحيد إلا ما أقرَّ به المشركون، وما عرفوا معنى الإلهية التي نفتها كلمة الإخلاص عن كل ما سوى الله(١).

وأخرج أبو يعلى وابن المنذر عن حذيفة بن اليمان عن أبي بكر عن النبي ﷺ قال: «الشرك أخفى من دبيب النمل». قال أبو بكر: يا رسول الله، وهل الشرك إلا ما عُبد من دون الله أو ما دُعي مع الله؟ قال: «ثكلتك أُمك، الشّرك فيكم أخفى من دبيب النمل» الحديث(٢). وفيه: «أن تقول أعطاني الله وفلان، والند أن يقول الإنسان: لولا فلان قتلني فلان» اهـ من الدر.

«المجتبى» (١٥٢/٧) وابن ماجه [٣٩٥٦] والبيهقي (١٦٩/٨) من حديث عبد الله بن عمرو مطولًا.

(١) في قرة العيون: فإذا كان يخافه ﷺ على أصحابه الذين وحّدوا الله بالعبادة ورغبوا إليه وإلى ما أمرهم به من طاعته فهاجروا وجاهدوا من كفر به؛ وعرفوا ما دعاهم إليه نبيهم، وما أنزل الله في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشرك؛ فكيف لا يخاف من لا نسبة له إليهم في علم ولا عمل مع هو أكبر من ذلك؟ وقد أخبر ﷺ عن أُمته بوقوع الشرك الأكبر فيهم بقوله في حديث ثوبان الآتي ذكره: «حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أُمتي الأوثان» وقد جرى ما أخبر له ﷺ وعمت به البلوى في أكثر الأقطار حتى اتخذوا دينًا مع ظهور الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة في النهي عنه والتخويف منه كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ وقال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ وهذا هو تحقيق التوحيد كما تقدم في الباب قبله. ثم قال تعالى محذرًا عباده من الشرك: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ومن تخوفه هذه الآيات وتزجره عن الشرك في العبادة إذا تدبرها فلا حيلة فيه.

(٢) صحيح.
بالإسناد ضعيف، أخرجه أبو يعلى [٥٤] وابن السني في «عمل اليوم» [٢٨١] والمروزي في «مسند أبي

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَن ماتَ وهو يَدعُو مِن دونِ الله ندًا دخل النار». [رواه البخاري]،

قال المصنف: (وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار» رواه البخاري[1])[2].

بكر» [١٧] من طريق ابن جريج عن ليث بن أبي سُليم عن أبي محمد عن حذيفة عن أبي بكر الصديق، به.

وإسناده ضعيف.

ليث بن أبي سُليم مدلس وضعيف.

وأبو محمد هذا لا يُعرف.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١١٢/٧) من طريق يحي بن كثير عن الثوري عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر، بنحوه.

ويحي ضعيف.

وأخرجه أبو يعلى [٥٥] [٥٦] والمروزي [١٨] والبخاري في «الأدب المفرد» [٧١٦] من حديث جرير عن ليث عن شيخ عن أهل البصرة عن معقل بين يسار، به.

وإسناده ضعيف.

الليث ضعيف، وجهالة الراوي عنه.

وله شاهد من حديث أبي موسى.

أخرجه أحمد (٤٠٢/٤) وإسناد محتمل.

وحديث عائشة وابن عباس.

راجعها جميعًا في تحقيق العمل لابن السني.

وصححه الألباني في «صحيح الأدب» [٥٥١]

(١) أخرجه البخاري [٤٤٩٧].

(٢) في قرة العيون: وهذا الحديث فيه التحذير من الشرك أيضًا والتخويف منه - والند: - المثل والشبيه، فمن دعا ميتًا أو غائبًا وأقبل عليه بوجهه وقلبه رغبة إليه ورهبة منه سواء سأله أو لم يسأله فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، ولهذا حرم الله تعالى اتخاذ الشفعاء وأنكره على من فعل ذلك أشد الإنكار لكونه ينافي الإخلاص الذي هو إقبال القلب والوجه للشفيع في كل ما يخافه العبد ويرجوه ويتقرب به

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: النِّد الشَّبيه، يقال: فلان ند فلان، ونـد يده، أي مثله وشبيهه[1] اهـ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

قـوله: (مـن مات وهو يدعـو لله ندًا) أي يجعل لله ندًا في العبادة يدعوه ويسـأله ويستغيث به دخل النار. **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ[2]:

والشرك فاحذره، فشرك ظاهر ذا القسم يقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيًا كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الدَّيان

واعلم أن اتخاذ الند على قسمين:

الأول: أن يجعله لله شريكًا في أنواع العبادة أو بعضها كما تقدم، وهو شرك أكبر.

والثاني: ما كان من نوع الشرك الأصغر كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا الله وأنت. وكيسير الرياء، فقد ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال له رجل: «ما شاء الله وشئت» قال: أجعلتني لله ندًا؟ بل ما شاء الله وحده» رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه[3]. وقد تقدم حكمه في باب فضل التوحيد.

يعتني به. ومن المعلوم أنه إذا التفت للشفيع يسأله فقد أعرض بوجهه وقلبه عن الله تعالى وذلك ينافي الإخلاص. ويأتي بيان ذلك في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

(١) إغاثة اللهفان (ص ٥٤٠).

(٢) القصيدة النونية (١٣٢/٢).

(٣) صحيح.
أخرجه أحمد [١٨٣٩] وابن أبي شيبة (٣٤٦/١٠) والبخاري في «الأدب المفرد» [٧٨٣] والنسائي في «عمل اليوم» [٩٨٨] وابن أبي الدنيا في «الصمت» [٣٤٥] والطبراني في «الكبير» [١٣٠٠٦] والبيهقي (٢١٧/٣) من طريق الأجلح عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس، به.

....

وفيه: بيان أن دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي، كطلب الشفاعة من الأموات، فإنها ملك لله تعالى وبيده، ليس بيد غيره منها شيء، وهو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن لاقى لله بالإخلاص والتوحيد من أهل الكبائر، كما يأتي تقريره في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

وإسناده حسن.

وله شاهد من حديث الطفيل بن سخبرة مطولًا.

أخرجه أحمد (٥/٧٢ - ٣٨٤) والدارمي [٢٦٩٩] وابن ماجة [٢١١٨] والطبراني [٨٢١٤] [٨٢١٥] وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/٥٠) والحاكم (٣/٤٦٣) والبيهقي في «الدلائل» (٧/٢٢) وغيرهم.

وإسناد حسن.

وله شواهد أخرى يصح بها من حديث حذيفة.

وصححه الشيخ في «الصحيحة» [١٣٧].

ولمسلم عن جابر ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن لقيَ اللهَ لا يشركُ بهِ شيئًا دخلَ الجنةَ، ومَن لقيَهُ يشركُ بهِ [شيئًا] دخلَ النارَ».

قال المصنف رحمه الله تعالى: (ولمسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة. ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»)(١)

جابر: هو ابن عبد الله بن عمرو بن حرام - بمهملتين - الأنصاري ثم السلمي - بفتحتين - صحابي جليل هو وأبوه، ولأبيه مناقب مشهورة مات بالمدينة بعد السبعين، وقد كُفَّ بَصرهُ، وله أربع وتسعون سنة(٢)

قوله: (من لقي الله لا يشرك به شيئًا) **قال القرطبي:** أي لم يتخذ معه شريكًا في الإلهية، ولا في الخلق، ولا في العبادة، ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة: أن من مات على ذلك فلابدَّ له من دخول الجنة، وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة. وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ويُخلَّد في النار أبد الآباد، من غير انقطاع عذاب ولا تصرم آماد.

وقال النووي: أما دخول المشرك النار فهو على عمومه، فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني، وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادًا وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من

(١) أخرجه عبد بن حميد [١٠٦٢] ومسلم [٩٣] وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٥٢/٢) وأبو عوانة (١٨/١) وأحمد (٣٢٥/٣) وابن منده في «الإيمان» [٧٤] [٧٥] والبيهقي في «الشعب» [٣٦٥].

(٢) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أبو عبد الله الأنصارى السُلميّ صاحب رسول الله ﷺ شهد العقبة وأراد أن يشهد بدرًا فمنعه أبوه وخلَّفه على أخواته وإخوته، وكانوا تسعة، قيل ذهب بصره قبل موته توفي سنة ثمانين وعمره أربع وتسعون سنة وأسند ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا.

السير (١٩٤/٣) والبداية (٢٨١/١٢).

فيه مسائل:

الأولى- الخوفُ من الشركِ.

الثانية- أن الرياءَ من الشركِ.

الثالثة- أنه مِن الشركِ الأصغرِ.

الرابعة- أنهُ أخوفُ ما يُخَافُ منهُ على الصالحينَ.

الخامسة- قربُ الجنةِ والنارِ.

السادسة- الجمعُ بينَ قربهما في حديثٍ واحدٍ [ق/ ٥/ أ].

انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك. وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به. لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مُصرًّا عليها دخل الجنة أولا، وإن كان صاحب كبيرة مات مُصرًّا عليها فهو تحت المشيئة. فإن عفا الله عنه دخل الجنة أولًا، وإلا عُذِّب في النَّار ثم أُخرج من النار وأُدخل الجنة[1].

وقال غيره: اقتصر على نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم. إذ من كَذَّب رُسل الله فقد كَذَّب الله، ومن كَذَّب الله فهو مشرك، وهو كقولك: من توضأ صحت صلاته. أي مع سائر الشروط، فالمراد: من مات حال كونه مؤمنًا بجميع ما يجب الإيمان به إجمالًا في الإجمالي وتفصيلًا في التفصيلي. انتهى.

---

(١) شرح مسلم (١/٣٧٤).

السابعة- أنهُ [مَن لقيهُ لا يشركُ بهِ شيئًا دخلَ الجنةَ، و] مَن لقيهُ يشركُ بهِ شيئًا دخلَ النارَ ولو كانَ مِن أعبدِ الناسِ.

الثامنة- المسألة العظيمَة: سؤالُ الخليلِ لهُ ولبنيهِ وقايَةَ عبادةِ الأصنامِ.

التاسعة- اعتبارُهُ [بحال] الأكثرِ، لقولهِ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم:٣٦].

العاشرة- فيهِ تفسيرُ «لا إلهَ إلا اللهَ» كما ذكرَهُ البخاريُّ.

الحادية عشرة- فضيلةُ مَن سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ.

بابُ الدُّعاءِ إلَى شهادَةِ أنْ لا إلهَ إلا الله

قوله: (باب الدُّعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله)

لما ذكر المصنف رحمه الله التوحيد وفضله، وما يوجب الخوف من ضده، نَبَّه بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة. كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم كما قال الحسن البصري لما تلا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته. ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته: إنني من المسلمين. هذا خليفة الله[1].

---

(١) ذكره العماد ابن كثير في تفسير الآية [٣٣] من سورة فصلت عن عبد الرَّزاق عن مَعْمَر عن الحسن البصري رحمه الله. ويعني الحسن بذلك: أن الصدق في حب الله وعبادته وطاعته يستلزم ولابد الدعوة إلى ذلك والجهاد فيه. لأن من أحب كل ما أحبه الله وكل من أحب الله وكره كل ما كره ومن كره. وأحب أن يكون الناس كلهم معه في حب الله.

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:١٠٨].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وقوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

قال أبو جعفر بن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدَّعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها، من الدُّعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان. والإنتهاء إلى طاعته وترك معصيته ﴿سَبِيلِىٓ﴾ طريقتي، ودعوتي ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تعالى وحده لا شريك له ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك، ويقين علم مني به ﴿أَنَا۠﴾ ويدعو إليه على بصيرة أيضًا من اتبعني وصدقني وآمن بي ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يقول له تعالى ذكره: وقل. تنزيهًا لله تعالى وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به. لست منهم ولاهم مني انتهى(١)

قال في «شرح المنازل»: يريد أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم وهي البصيرة التي تكون نسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه هي الخصيصة التي اختصَّ بها الصَّحابة عن سائر الأمة وهي أعلى درجات العلماء. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ أي أنا وأتباعي على بصيرة. وقيل (من اتبعني) عطف على المرفوع في (أدعو) أي أنا أدعو إلى الله على بصيرة، ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله تعالى على بصيرة، وعلى القولين: فالآية تدل

---

(١) تفسير ابن جرير (٨٩/١٣).

على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعون إلى الله تعالى، ومن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة، وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى[(١)].

قال المصنف رحمه الله: فيه مسائل (منها التنبيه على الإخلاص لأن كثيرًا ولو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه، ومنها: أن البصيرة من الفرائض. ومنها: أن من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه لله تعالى عن المَسَبَّة. ومنها أن من قُبح الشرك كونه مَسَبَّة لله تعالى. ومنها إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك) اهـ.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في معنى قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] الآية. ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالبًا للحق محبًا له مؤثرًا له على غيره إذا عرفه. فهذا يدعى بالحكمة. ولا يحتاج إلى موعظة وجدال. وإما أن يكون مشتغلًا بضد الحق. لكن لو عرفه آثره واتبَّعه. فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب. وإما أن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يجادل بالتي هي أحسن. فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجدال إن أمكن. انتهى.

(١) مدارج السالكين (٢/٤٨١).

عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما، أنَّ معاذًا قال بعثني رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ:

بعث معاذ إلى اليمن يدعوهم الى التوحيد

قـال: (وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثَ معاذًا إلى اليمن قال: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب. فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله** - وفي رواية: إلى أن يُوحِّدوا الله - **فإن هُم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كُلِّ يوم وليلة. فـإن هُم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تُؤخذ من أغنيائهم وتُردُّ على فقرائهم. فإن هم أطاعوك لذلك فإيَّاك وكرائم أموالهم. واتَّقِ دعوة المظلوم. فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**» أخرجاه)(١).

قال الحافظ: كان بعث معاذ إلى اليمن سنة عشر. قبل حج النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره المصنف - يعني البخاري في أواخر المغازي - وقيل: كان ذلك في آخر سـنة تسع عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك. رواه الواقدي بإسناد إلى كعب بن مالك(٢). وأخرجه ابن سعد في الطبقات عنه(٣) واتفقوا على أنه لم يزل على اليمن إلى أن قدم في خلافة أبي بكـر رضي الله عنه ثم توجه إلى الشام فمات بها(٤).

قال شيخ الإسلام: ومن فضائل معاذ رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن مبلغًا عنه. ومُفَقِّهًا ومُعَلِّمًا وحاكمًا(٥).

(١) أخرجه البخاري [١٣٩٥] [١٤٩٦] [٢٤٤٨] [٤٣٤٧] [٧٣٧٢] ومسلم [١٩] وأبو داود [١٥٨٤] والترمذي [٦٢٥] [٢٠٠٤] والنسائي (٥/٥٥) وابن ماجه [١٧٨٣] وأحمد [٢٠٧١] وابن خزيمة [٢٢٧٥] وابن حبان [١٥٦] وابن منده [١١٦] [١١٧] والطبراني [١٢٢٠٧] [١٢٢٠٨] والدارقطني (١٣٦/٢) والبيهقي (١٠١/٤) والبغوي [١٥٥٧].

(٢) المغازي للواقدي (١٠١٣/٣ -١٠٥٠).

(٣) الطبقات (١٢٥/٢).

(٤) فتح الباري (٤١٩/٣).

(٥) مجموع الفتاوى (١٠/١٠).

«إنك تأتي قوما من أهل الكتاب؛ فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»

قوله (إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب) **قال القرطبي:** يعني اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب، وإنما نبَّه على ذلك ليتهيأ لمناظرتهم.

وقال الحافظ: هو كالتوطئة للوصية لجمع همته عليها.

قوله (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله[1] «شهادة» رفع على أنه اسم يكن مؤخر. وأول خبرها مقدم. ويجوز العكس.

---

(١) في قرة العيون: وكانوا يقولونها لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه، فكان قولهم: «لا إله إلا الله» لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة، فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد؛ فيأتون بما ينافيها فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك، وظنوا أن معناها القدرة على الاختراع تقليدًا للمتكلمين من الأشاعرة وغيرهم، وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون؛ فلم يدخلهم في الإسلام كما قال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ -إلى قوله:- فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ وقوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير. وهذا التوحيد قد أقر به مشركو الأمم؛ وأقر به أهل الجاهلية الذين بعث فيهم محمد ﷺ فلم يدخلهم في الإسلام؛ لأنهم قد جحدوا ما دلت عليه هذه الكلمة من توحيد الإلهية، وهو إخلاص العبادة ونفي الشرك والبراءة منه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ فهذا التوحيد هو أصل الإسلام. وقال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وقال: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾. وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ وأمثال هذه الآيات في بيان التوحيد الذي دعت

- وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله -

قوله: (وفي رواية إلى أن يوحدوا الله) هذه الرواية ثابتة في كتاب التوحيد من صحيح البخاري.

وأشار المصنف بذكر هذه الرواية إلى التنبية على معنى شهادة أن لا إله إلا الله فإن معناها توحيد الله بالعبادة ونفي عبادة ما سواه. وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله» وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦] والعروة الوثقى هي: (لا إله إلا الله).

وفي رواية للبخاري فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»[1].

قلت: لا بدَّ في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها، **أحدها:** العلم المنافي للجهل. **الثاني:** اليقين المنافي للشك. **الثالث:** القبول المنافي للرد. **الرابع:** الانقياد المنافي للترك. **الخامس:** الإخلاص المنافي للشرك. **السادس:** الصدق المنافي للكذب. **السابع:** المحبة المنافية لضدها.

وفيه دليل على أن التوحيد - الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه - هو أول واجب. ولهذا كان أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ وقال نوح: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وفيه معنى (لا إله إلا الله) مطابقة.

قال شيخ الإسلام: وقد عُلم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن

عليه الرسل ونزلت به الكتب في القرآن كثير. وسنذكر بعض ذلك إن شاء الله في هذا التعليق.

(١) رواية عند البخاري برقم [١٣٩٥].

محمدًا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلمًا، والعدو وليا، والمباح دمه وماله: معصوم الدم والمال. ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان. قال: وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين باطنًا وظاهرًا، عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء. اهـ[١].

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وفيه أن الإنسان قد يكون عالمًا وهو لا يعرف معنى لا إله إلا الله أو يعرفه ولا يعمل به).

قلت: فما أكثر هؤلاء - لا كثَّرهم الله تعالى.

(١) راجع كتاب الإيمان تحقيق الشيخ الألباني طبعة المكتب الإسلامي.

فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمنهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك

قوله: (فإن هم أطاعوك لذلك) أي شهدوا وانقادوا لذلك (فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات) فيه: أن الصلاة أعظم واجب بعد الشهادتين.

قال النووي ما معناه: أنه يدل على أن المطالبة بالفرائض في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام. ولا يلزم من ذلك أن لا يكونا مخاطبين بها، ويزاد في عذابهم بسببها في الآخرة. والصحيح أن الكُفَّار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهى عنه. وهذا قول الأكثرين اهـ[1].

قوله: (فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)[2].

فيه: دليل على أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلوات، وأنها تؤخذ من الأغنياء وتصرف إلى الفقراء، وإنما خصَّ النبي ﷺ الفقراء لأن حقَّهم في الزكاة آكد من حَقِّ بقية الأصناف الثمانية.

---

(١) شرح مسلم للنووي (١/٢٣٠).

(٢) في قرة العيون: فيه أن الزكاة لا تنفع إلا من وحَّد الله وصَلَّى الصلوات بشروطها وأركانها وواجباتها. والزكاة قرينة الصلوات في كتاب الله تعالى؛ ويدل على هذه الجملة قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ فمن أتى بهذه الأمور أتي ببقية الأركان لقوة الداعي إلى ذلك، لأن ذلك يقتضي الإتيان بها لزومًا. قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ قال أنس في الآية: «توبتهم: خلع الأوثان وعبادتهم ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة» وعن ابن مسعود مرفوعًا: «أمرت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومن لم يزك فلا صلاة له».

....

وفيـــه: أن الإمــام هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرفها: إما بنفســـه أو نائبه، فمن امتنع عن آدائها إليه أُخذت منه قهرًا.

في الحديـث دليل على أنـه يكفي إخراج الزكاة في صنفٍ واحدٍ، كما هو مذهب مالك وأحمد.

وفيه: أنه لا يجوز دفعها إلى غني ولا إلى كافر غير المُؤَلَّف، وإن الزكاة واجبة في مال الصَّبى والمجنون، كما هو قول الجمهور، لعموم الحديث.

قلت: والفقير إذا أفرد في اللفظ تناول المســكين وبالعكس، كنظائره. كما قرره شيخ الإسلام.

فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله [حجابٌ]».

قوله (إياك وكرائم أموالهم) بنصب (كرائم) على التحذير، وجمع كريمة قال صاحب المطالع هي الجامعة للكمال الممكن في حقها، من غزارة لبن، وجمال صورة، وكثرة لحم وصوف. ذكره النووي (قلت) وهي خيار المال وأنفسه وأكثره ثمنًا[1].

وفيه: أنه يحرم على العامل في الزكاة أخذ كرائم المال، ويحرم على صاحب المال إخراج شرار المال. بل يخرج الوسط، فإن طابت نفسه بالكريمة جاز.

قوله: (واتق دعوة المظلوم) أي اجعل بينك وبينها وقاية بالعدل وترك الظلم، وهذان الأمران يقيان من رزقهما من جميع الشرور دنيا وأخرى.

وفيه: تنبيه على التحذير من جميع أنواع الظلم.

قوله: (فإنه) أي الشأن (ليس بينها وبين الله حجاب) هذه الجملة مفسرة لضمير الشأن، أي فإنها لا تحجب عن الله فيقبلها.

وفي الحديث أيضًا قبول خبر الواحد العدل، ووجوب العمل به. وبعث الإمام العمال لجباية الزكاة. وأنه يعظ عماله وولاته، ويأمرهم بتقوى الله تعالى، ويعلمهم، وينهاهم عن الظلم ويعرفهم سوء عاقبته. والتنبيه على التعليم بالتدريج. قاله المصنف.

قلت: ويبدأ بالأهم فالأهم.

واعلم أنه لم يذكر في الحديث الصوم والحج، فأشكل ذلك على كثير من العلماء.

---

(١) شرح مسلم للنووي (١/٢٢٩).

قال شيخ الإسلام: أجاب بعض الناس: أن بعض الرواة اختصر الحديث وليس كذلك. فإن هذا طعن في الرواة. لأن ذلك إنما يقع في الحديث الواحد، مثل حديث وفد عبد القيس(١) حيث ذكر بعضهم الصيام وبعضهم لم يذكره، فأما الحديثان المنفصلان فليس الأمر فيها كذلك، ولكن عن هذا جوابان:

أحدهما: أن ذلك بحسب نزول الفرائض، وأول ما فرض الله الشهادتين ثم الصلاة. فإنه أمر بالصلاة في أول أوقات الوحي، ولهذا لم يذكر وجوب الحج، كعامة الأحاديث، إنما جاء في الأحاديث المتأخرة.

الجواب الثاني: أنه كان يذكر في كل مقام ما يناسبه. فيذكر تارة الفرائض التي يقاتل عليها: كالصلاة والزكاة. ويذكر تارة الصلاة والصيام لمن لم يكن عليه زكاة، ويذكر تارة الصلاة والزكاة والصوم.

فإما أن يكون قبل فرض الحج، وإما أن يكون المُخاطب بذلك لا حج عليه، وأما الصلاة والزكاة فلهما شأن ليس لسائر الفرائض ولهذا ذكر الله تعالى في كتابه القتال عليهما، لأنهما عبادتان ظاهرتان، بخلاف الصوم بأنه أمر باطن من جنس الوضوء والاغتسال من الجنابة، ونحو ذلك مما يؤتمن عليه العبد فإن الإنسان يمكنه أن لا ينوي الصوم وأن يأكل سرًا، كما يمكنه أن يكتم حدثه وجنابته، وهو يذاكر في الأعمال الظاهرة التي يقاتل الناس عليها ويصيرون مسلمين بفعلها. فلهذا علق ذلك بالصلاة والزكاة دون الصوم، وإن كان واجبًا كما في آيتي براءة نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس. وكذلك لما بعث معاذًا إلى اليمن لم يذكر في حديث الصوم، لأنه

---

(١) أخرجه البخاري [٤٣٦٨] وفي موضع كثيرة، ومسلم [١٧] عن ابن عباس وسيأتي إن شاء الله.

تبع وهو باطن، ولا ذكر الحج لأن وجوبه خاص ليس بعام، ولا يجب في العمر إلا مرة. انتهى بمعناه.

قوله (أخرجاه) أي البخاري ومسلم، وأخرجه أيضًا أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

إعطاء علي الراية يوم خيبر وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام

قال: (ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: **«لأُعطين الرَّاية غدًا رجلًا يُحب الله ورسوله ويُحبُه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»** فبات الناس يدوكون ليلتهم، أيهم يُعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: **«أين علي بن أبي طالب؟»** فقيل: هو يشتكي عينيه قال: **«فأرسلوا إليه»**، فأُتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، قال: **«انفُذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فو الله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم»**)[1].

(يدوكون) أي يخوضون.

قوله: (عن سهل بن سعد) أي ابن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي السَّاعدي، أبي العباس صحابي شهير، وأبوه صحابي أيضًا، مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٣٣) والبخاري [٣٠٠٩] [٣٧٠١] [٤٢١٠] ومسلم [٢٤٠٦] وأبو داود [٣٦٦١] والنسائي في «الكبرى» [٨١٤٩] [٨٥٨٧] وأبو يعلى [٧٥٢٧] [٧٥٣٧] وابن حبان [٦٩٣٢] والطبراني [٥٨٧٧] [٥٩٩١] وأبو نعيم (١/٦٢).

(٢) انظر «الاستيعاب» (٢/٦٦٤) وأسد الغابة (٢/٤٧٢) وتهذيب الكمال (١٢/١٩٠) والتاريخ الكبير (٤/٩٧ - ٩٨) والإصابة (٣/٢٠٠) والبداية (١٢/٤٣٤- ٤٣٥).

قال يوم خيبر:

قوله: (قال يوم خيبر) وفي الصحيحين عن سلمة بن الأكوع قال: «كان علي رضي الله عنه قد تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر، وكان أرمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علي رضي الله عنه فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله عز وجل في صباحها قال صلى الله عليه وسلم : **«لأعطين الراية - أو ليأخذن الراية - غدًا رجل يحبه الله ورسوله، أو قال: يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه»**. فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية ففتح الله عليه»[1].

(١) أخرجه البخاري [٣٧٠٢] ومسلم [٢٤٠٧] وغيرهما.

«لأعطين الراية غدًا رجلًا

قوله: «لأعطين الراية» قال الحافظ: في رواية بريدة: «إني دافعُ اللَّواء إلى رجل يحبه الله ورسوله» وقد صَرَّح جماعة من أهل اللغة بترادفهما، ولكن روى أحمد والترمذي من حديث ابن عباس «كانت راية رسول الله ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض»(١) ومثله عند الطبراني عن بُريدة(٢). وعن ابن عدي عن أبي هريرة وزاد مكتوب فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله(٣).

---

(١) حسن.
أخرجه الترمذي [١٦٨١] وابن ماجه [٢٨١٨] والحاكم (٢/١٠٥) والخطيب في «تاريخه» (١٤/٣٣٢) وإسناده ضعيف.
وله شاهد من حديث جابر.
أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه [٢٨١٧].
وشاهد أخر من حديث البراء.
أخرجه أحمد (٤/٢٩٧) وأبو داود [٢٥٩١] والترمذي [١٦٨٠] والنسائي في «الكبرى» [٨٦٠٦] وأبو يعلى [١٧٠٢] والطبراني في «الأوسط» [٤٧٣٠] وغيرهم.
والحديث بشواهده ثابت وحسنه الألباني في الصحيحة [٢١٠٠].

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» [١١٦١] وأبو يعلى [٢٣٦٦] وأبو الشيخ في «الأخلاق» [١٤٤] والبغوي [٢٦٦٤] وإسناد ضعيف.
لكن يشهد له ما سبق.

(٣) أخرجه ابن عدى في «الكامل» (٢/٦٥٨) وإسناده ضعيف.

يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله

قوله: «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فيه فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه.

قال شيخ الإسلام: ليس هذا الوصف مختصًا بعلي ولا بالأئمة، فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي، يحب الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونه، أو يكفرونه أو يفسقونه، كالخوارج. لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم، فإن الخوارج تقول في عليٍّ مثل ذلك، ولكن هذا باطل، فإن الله تعالى ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافرًا.

وفيه: إثبات صفة المحبة خلافًا للجهمية ومن أخذ عنهم[١].

(١) الجهمية: أتباع جهم بن صفوان وإليه ينسبون أسُّ الضلال وأكبر شياطينهم ينفون عن الله جميع الأسماء والصفات ويقولون: أن الإنسان مجبور لا اختيار لهم وأن الإيمان بالله هو المعرفة فقط، والكفر هو الجهل به، فأصبح أعلام عن نفي الصفات وتعطيلها، ولهم شطحات لا تحصى.

انظر الفرق بين الفرق (ص ٢١١) مقالات الإسلاميين (١/٢١٤) تاريخ الجهمية للقاسمي (ص ٩) والبرهان للسكسكي (ص ٣٤)

يفتح الله على يديه». فبات الناس يدكون ليلتهم: أيهم يُعطاها. فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ، كلُّهم يرجو أن يُعطاها.

قوله: (يفتح الله على يديه) صريح في البشارة بحصول الفتح، فهو علم من أعلام النبوة.

قوله: (فبات الناس يدوكون ليلتهم) بنصب (ليلتهم) ويدوكون قال المصنف: يخوضون. أي فيمن يدفعها إليه. وفيه حرص الصحابة على الخير واهتمامهم به، وعلو مرتبتهم في العلم والإيمان.

قوله: (أيهم) هو برفع أي على البناء لإضافتها وحذف صدر صلتها.

قوله: (فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها) وفى رواية أبي هريرة عند مسلم أن عمر قال: «ما أحببت الإمارة إلا يومئذ»[(١)].

قال شيخ الإسلام: إن في ذلك شهادة النبي ﷺ لعلي بإيمانه باطنًا وظاهرًا وإثباتًا لموالاته لله تعالى ورسوله ووجوب موالاة المؤمنين له، وإذا شهد النبي ﷺ لمعين بشهادة، أو دعا له أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة ومثل ذلك الدعاء، وإن كان النبي يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو لخلق كثير، وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس[(٢)].

وعبد الله بن سلام[(٣)] وإن كان شهد بالجنة لآخرين، والشهادة بمحبة الله ورسوله للذي ضرب في الخمر[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد [٨٩٩٠] [٣٨٤/٢] ومسلم [٣٤٠٥] والنسائي [٨١٤٩] [٨٥٨٧] والطيالسي [٢٤٤١] عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري [٣٦١٣] ومسلم [١٨٧] من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري [٣٨١٢]ومسلم [٢٤٨٣] من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٤) روى البخاري [٦٧٨٠] عن ابن عمر أن رجلًا كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله

فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه. فأرسلوا إليه، فأتى به، فبصق في عينيه؛ ودعا له. فبرأ كأن لم كن به وجع

قوله: (فقال: أين علي بن أبي طالب) فيه سؤال الإمام عن رعيته، وتفقد أحوالهم.

قوله: (فقيل هو يشتكي عينيه) أي من الرمد، كما في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص فقال: **«ادعوا لي عليًا فأتي به أرمد»**(١) الحديث.

وفى نسخة صحيحة بخط المصنف: فقيل هو يشتكي عينيه، فأرسل إليه مبني للفاعل، وهو ضمير مستتر في الفعل راجع إلى النبي ﷺ ويحتمل أن يكون مبنيًا لما لم يسم فاعله.

ولمسلم من طريق إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: **«فأرسلني إلى علي فجئت به أقوده أرمد»**(٢).

قوله: (فبصق) بفتح الصاد، أي تفل.

وقوله (ودعا له فبرأ) هو بفتح الراء والهمزة، أي عوفي في الحال، عافية كاملة كأن لم يكن به وجع من رمد ولا ضعف بصر.

وعند الطبراني من حديث علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع النبي ﷺ إليّ الراية(٣) وفيه دليل على الشهادتين.

وكان يلقب بالحمار وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب فأتى به يومًا فأمر به فجلد، فقال رجلٌ من القوم: اللَّهُمَّ العنه ما أكثر ما يؤتى به. فقال النبي ﷺ «لا تلعنوه فو الله ما علمتُ أنه يحبُّ الله ورسوله».

(١) أخرجه أحمد (١٨٥/١) ومسلم [٢٤٠٤] والترمذي [٢٩٩٩] [٣٧٢٤] والحاكم (١٥٠/٣) والبيهقي (٦٣/٧).

(٢) أخرجه مسلم [١٨٠٧] كما سبق.

(٣) أخرجه أحمد (٧٨/١) والطيالسي [١٨٩] وأبو يعلى [٥٩٣] والطبرى في «تهذيب الآثار» (ص ١٦٨)

فأعطاه الراية فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام

قوله (فأعطاه الراية) قال المصنف: فيه الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع ومنعها عمن سعى.

وفيه: إن فعل الأسباب المباحة أو الواجبة أو المستحبة لا ينافي التوكل.

قوله (وقال انفذ على رسلك) بضم الفاء، اي امض «ورِسْلك» بكسر الراء وسكون السين، أي على رفقك من غير عجلة. وساحتهم فناء أرضهم وهو ما حولها.

وفيه: الأدب عند القتال وترك العجلة والطيش، والأصوات التي لا حاجة إليها.

وفيه: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة، كما يشير إليه قوله ثم ادعهم إلى الإسلام أي الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإن شئت قلت الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الطاعة لرسوله ﷺ. ومن هنا طابق الحديث الترجمة كما قال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ

بإسناد حسن ولفظه عند أحمد «ما رمدت عيني منذ تفل النبي في عيني»

وأخرجه أحمد (٩٩/١ - ١٣٣) وابن ماجة [١١٧] والنسائي في «الخصائص» [١٤] والبزار [٤٩٦] والحاكم (٣٧/٣) عنه بلفظ: «فتفل في عيني وقال: اللَّهُمَّ أذهب عنه الحر والبرد، فما وجدت حرًا ولا بردًا منذ يومئذ».

وإسناده ضعيف.

شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له والعبودية له[1]. كذا قال أهل اللغة.

وقال رحمه الله تعالى: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله: هو الاستسلام له وحده، فأصله في القلب. والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه. فمن عبده وعبد معه إلهًا آخر لم يكن مسلمًا. ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلمًا، وفي الأصل: هو من باب العمل، عمل القلب والجوارح. وأما الإيمان فأصله تصديق القلب، وإقراره ومعرفته، فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب[2]. انتهى.

فتبين أن أصل الإسلام هو التوحيد ونفي الشرك في العبادة وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على لسان رسله، كما قال تعالى عن نوح أول رسول أرسله: ﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح:٣].

وفيه: مشروعية الدعوة قبل القتال، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء لأن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون[3] وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة وجبت دعوتهم.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/١٤).

(٢) انظر كتاب الإيمان (ص ٢٨).

(٣) الغار: الغافل. وقال البخاري: غزوة بني المصطلق من خزاعة. وهي المريسيع: قال ابن إسحاق: وذلك سنة

وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه

قـوله: (وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه)[1] أي في الإســلام إذا

ست. وقال موسى بن عقبة: سنة أربع، وقال النعمان بن راشد عن الزهري «أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم. وأصاب يومئذ جويرية بنت الحارث» وبنو المصطلق بطن شهير من خزاعة. وسبب غزوهم: أن النبي ﷺ بلغه أن الحارث بن ضرار سيدهم أبا جويرية يجمع الناس ويستعد لقتاله. ففاجأهم رسول الله وهم غافلون، وأسر منهم أكثرهم وأسلم الحارث بن ضرار.

(١) في قرة العيون: فيه مما أمر به وشرعه من حقوق «لا إله إلا الله» وهذا يدل على أن الأعمال من الإيمان خلافًا للأشاعرة والمرجئة في قولهم: إنه القول. وزعموا أن الإيمان هو مجرد التصديق، وتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة. لأن الدين ما أمر الله به فعلًا وما نهى عنه تركًا.

وفيه الرد على المشركين المستدلين على الشرك بكرامات الأولياء لدلالتها على فضلهم. وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وقع له من الكرامات ما لم يقع لغيره. وقد خد الأخاديد وأضرمها بالنار وقذف فيها من غلا فيه أو اعتقد فيه بعض ما كان يعتقده هؤلاء المشركون مع أهل البيت وغيرهم فصار من أشد الصحابة رضي الله عنهم بعدًا عن الشرك؛ وشدة على من أشرك حتى أحرقهم بالنار مثل عبد الله بن سبأ اليهودي وشيعته. والقصة في البخاري.

وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ما أعطى من الكرامات صار من أبعد الصحابة عن الشرك وذرائعه. وهؤلاء أفضل أهل الكرامات فما زادهم ذلك إلا قوة في التوحيد؛ وشدة على أهل الشرك والتنديد، كما جرى لعمر رضي الله عنه في الاستسقاء بالعباس وتعمية قبر دانيال لما وجده الصحابة في بيت مال الهرمزان، كما أن المعجزات إنما زادت الرسل قوة في الدعوة إلى التوحيد وشدة على أهل الشرك والإنكار عليهم وجهادهم، ولكن قد يقع من الأحوال الشيطانية لمن استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه ما قد يلتبس على الجهال الذين تلبسوا بالشرك؛ ويظنون أن ذلك كرامات، وهي من مكر الشيطان؛ وإغوائه لمن لم يعرف الحق من الباطل، وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ فكذلك يجب على كل أحد أن يطلب الحق من القرآن بتدبره فإنه الصراط المستقيم ولا يلتفت إلا ما زخرفته الشياطين كما اغتر به من اغتر في هذه الأمة من قبلهم.

وفيه من أداء الفرائض على الوجه الشرعي والنهي عن تعدي الحدود التي حدَّها الله بين الحلال والحرام؛ وذلك من الإيمان، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله؛ والدين ما شرعه الله، فإذا أخذ الإسلام الذي هو التوحيد والإخلاص، وأحل ما أحله الله تعالى وحرم ما حرم الله تعالى وأمر بذلك وجاهد عليه، فقد قام بما وجب. وبالله التوفيق.

يجيبوك إليه فأخبرهم بما يجب من حقوقه التي لا بد لهم من فعلها: كالصلاة والزكاة، كما في حديث أبي هريرة: «**فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**»[١].

ولما قال عمر لأبي بكر في قتاله مانعي الزكاة: «كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها**». قال أبو بكر: فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ، لقاتلتهم على منعها»[٢].

وفيه: بعث الإمام الدعاة إلى الله تعالى، كما كان النبي ﷺ وخلفائه الراشدون يفعلون، كما في المسند عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في خطبته: «ألا إني والله ما أرسل عُمَّالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم. ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسننكم»[٣].

---

(١) حديث متواتر وسيأتي.

(٢) أخرجه البخاري [١٣٩٩] [١٤٥٦] [١٤٥٧] [٦٩٢٤] [٦٩٢٥] [٧٢٨٤] [٧٢٨٥] ومسلم [٢٠] وأبو داود [١٥٥٦] والترمذي [٢٦٠٧] والنسائي (١٤/٥) (٧٧/٧) وأحمد [٦٧] [١٧٧] [٢٣٩] [٣٣٥] وابن حبان [٢١٧] وابن منده في «الإيمان» [٢٤] [٢١٦] والبيهقي (١٠٤/٤و ١١٤) (٣/٧) (١٧٦/٨).

(٣) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (١٤/١) والطيالسي [٥٤] وهنادفي «الزهد» [٨٧٧] وأبو داود [٤٥٣٧] والنسائي (٣٤/٨) وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص ١٦٧) والحاكم (٤٣٩/٤) والبيهقي (٢٩/٩ - ٤٢) من طريق سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي فراس، قال: خطب عمر فذكره مطولًا.

وإسناده ضعيف، لجهالة أبي فراس.

قال أبو زرعة غير معروف ولم يرو عنه غير أبي نضرة.

ولهذا ضعفه الشيخ في «ضعيف أبي داود» [٩٨٠]

فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النعم» «يدكون» أي: يخوضون.

لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك إلخ

قوله: (فـو الله لأن يهدى الله بك رجـلًا واحدًا خير لك من حمـر النعم) «أن» مصدرية واللام قبلها مفتوحة لأنها لام القسـم. وأن والفعل بعدها في تأويل مصدر، رفع على الابتداء والخبر «خير» و«حُمْر» بضم المهملة وسكون الميم، جمع أحمر. و«النعم» بفتح النون والعين المهملة، أي خير لك من الإبل الحمر. وهي أنفس أموال العرب.

قال النووي: وتشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها[(١)].

وفيه: فضيلة من اهتدى على يديه رجل واحد، وجواز الحلف على الخبر والفتيا ولو لم يستحلف.

---

(١) شرح مسلم للنووي (١٩٤/٨).

فيهِ مسائلُ:

الأولى- أنَّ الدعوةَ [ق/ 5/ ب] إلى اللهِ طريقُ مَن اتبعَهُ ﷺ.

الثانية- التنبيهُ على الإخلاصِ، لأن كثيرًا لو دَّعا إلى الحَقِّ فهوَ يدْعُو إلى نفسِهِ.

الثالثة- [أنَّ] البصيرةَ منَ الفرائِضِ.

الرابعة- مِن دلائِلِ حُسنِ التوحيدِ: كونُهُ تنزيهًا لله تعَالَى [عَن المَسَبَّةِ].

الخامسة- أنَّ مِنَ قُبْحِ الشركِ كونُهُ [مسبَّةٌ] لله.

السادسة- وهيَ أهمُّها إبعادُ المسلمِ [عنِ المُشركينَ] لئلا يصيرَ منهُم ولو لم يُشرِكْ.

السابعة- كونُ التوحيدِ أولُ واجبٍ.

الثامنة- [أنْ يَبدأ به] قبلَ كلِّ شيء، حتَّى الصلاةِ.

التاسعة- أنَّ مَعنَى: «أنْ يُوِّحدوا اللهَ»، معنَى شهادَةِ: أن لا إلهَ إلا الله.

العاشرة- أنَّ الإنسانَ قد يكونُ مِن أهلِ الكتابِ، وهوَ لا يَعرفُها، [أو يعرفُها] ولا يَعمَلُ بهَا.

الحادية عشرة- التنبيهُ على [التعليم] بالتدْريجِ.

الثانية عشرة- البُداءَةُ بالأهَمِّ فالأهمِّ.

الثالثة عشرة- مصرَفُ الزكاةِ.

الرابعة عشرة- كشفُ العالِمِ الشبهةَ عنِ المتعلمِ.

الخامسة عشرة- النهيُ عن كرائِمِ الأمْوالِ.

السادسة عشرة- اتقاءُ دعوةِ المظلومِ.

السابعة عشرة- الإخبارُ بأنَّها لا تُحجَبُ.

الثامنة عشرة- مِن أدلةِ التوحيدِ ما جرَىَ على سَيدِ المرسلينَ وساداتِ الأولياءِ مِنَ المَشقةِ والجوعِ والوَباءِ.

التاسعة عشرة- [قولُهُ] «لأعطينَّ الرايةَ» إلخ. عَلَمٌ مِن أعلامِ النبوةِ.

العشرون- تفْلُه في عينيهِ علمٌ من أعلامِهَا أيضًا.

الحادية والعشرون- فضيلة عليٍّ رضي الله عنه.

الثانية والعشرون- فضلُ الصحابةِ في دَوكِهم تلكَ الليلةَ وشُغلِهم عن بشارةِ الفتحِ.

الثالثة والعشرون- الإيمانُ بالقدَرِ، لحصولِهَا لَمن لمْ يَسْعَ [لها] ومَنعِها عمَّن سعَى.

الرابعة والعشرون- الأدَبُ في قولِهِ: «على رِسْلِكَ».

الخامسة والعشرون- الدعوةُ إلى الإسلامِ قبلَ القتالِ.

السادسة والعشرون- أنهُ مشروعٌ لمنَ دُعوا قبلَ ذلكَ وقُوتِلُوا.

السابعة والعشرون- الدعوةُ [بالحكمة]، لقوله: «أخبرهم بما يجب عليهم».

الثامنة والعشرون- المَعرفةُ بحَقِّ الله تعالى في الإسلامِ.

التاسعة والعشرون- ثوابُ مَن [ق/ 6/ أ] اهتدَى على يَدَيْهِ رجلٌ واحدٌ.

الثلاثون- الحَلِفُ على الفُتيا.

باب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

قوله: (باب - تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)

قلت: هذا من عطف الدال على المدلول(١).

فإن قيل: قد تقدم في أول الكتاب من الآيات ما يبين معنى لا إله الا الله وما تضمنته من التوحيد كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] وسابقها ولاحقها، وكذلك ما ذكره في الأبواب بعدها، فما فائدة هذه الترجمة؟

قيل: هذه الآيات المذكورات في هذا الباب فيها مزيد بيان بخصوصها لمعنى كلمة الإخلاص وما دلت عليه: من توحيد العبادة. فيها: الحجة على من تَعلَّق من الأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم. لأن ذلك هو سبب نزول بعض هذه الايات، كالآية الأولى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء:٥٦] أكثر المفسرين على أنها نزلت فيمن يعبد المسيح وأمه، والعُزير والملائكة، وقد نهى الله عن ذلك أشد النهى، كما في هذه الآية من التهديد والوعيد على ذلك.

---

(١) في قرة العيون: لأن التوحيد هو معنى هذه الكلمة العظيمة، وذلك يتبين بما ساقه من الآيات والحديث، لما فيها من زيادة البيان وكشف ما أشكل من ذلك، وإقامة الحجة على من غلط في معنى «لا إله إلا الله» من أهل الجهل والإلحاد.

وهذا يدل على أن دعاءهم من دون الله شرك بالله، ينافي التوحيد وينافي شهادة أن لا إله إلا الله، فإن التوحيد أن لا يدعى إلا الله وحده. وكلمة الإخلاص نفت هذا الشرك، لأن دعوة غير الله تأليه وعبادة له. و«**الدعاء مخ العبادة**»[1].

وفي هذه الآية: أن المدعو لا يملك لداعيه كشف ضرر ولا تحويله من مكان إلى مكان، ولا من صفة إلى صفة. ولو كان المدعو نبيًا أو ملكًا. وهذا يقرر بطلان دعوة كل مدعو من دون الله كائنًا من كان، لأن دعوته تخون داعيه أحوج ما كان إليها، لأنه أشرك مع الله من لا ينفعه ولا يضره. وهذه الآية تقرر التوحيد، ومعنى لا إله إلا الله.

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه الترمذي [٣٣٧١] بهذا اللفظ ، وإسناده ضعيف.

ولكن صح بلفظ «الدّعاء هو العبادة»

أخرجه أحمد [١٨٣٥٢] [١٨٣٨٦] [١٨٣٩١] [١٨٤٣٢] [١٨٤٣٦] وابن المبارك في «الزهد» [١٢٩٩] والترمذي [٣٣٧٢] وابن حبان [٨٩٠] والطبراني في «الدعاء» [١] [٤] وفي «الأوسط» [٣٩٠١] وفي «الصغير» [١٠٤١] والقضاعي في «مسند الشهاب» [٢٩] والبغوي [١٣٨٤] والحاكم (٤٩١/١) وغيرهم عن النعمان بن بشير مرفوعًا بلفظ «إن الدعاء هو العبادة»

وصححه الألباني في «صحيح الجامع» [٣٤٠٧]

وقولُ الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء:٥٧]،

الذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة

وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ يبين أن هذا سبيل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين. قال قتادة: «تقربوا إليه بطاعته والعمل فيما يرضيه»[١] وقرأ ابن زيد: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾[٢] قال العماد ابن كثير: وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين. وذكره عن عدة من أئمة التفسير.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: في هذه الآية ذكر المقامات الثلاث: الحب، وهو ابتغاء التقرب إليه. والتوسل إليه بالأعمال الصالحة. والرجاء والخوف. وهذا هو حقيقة التوحيد وحقيقة دين الإسلام كما في المسند عن بَهز بن حَكيم عن أبيه عن جده أنه قال للنبي ﷺ «والله يا رسول الله ما أتيتك إلا بعد ما حلفت عدد أصابعي هذه: أن لا آتيك. فبالذي بعثك بالحق، ما بعثك به؟ قال: «الإسلام». قال: وما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك وأن توجه وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلوات المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة»[٣] وأخرج محمد بن نصر المروزي

---

(١) أخرجه ابن جرير [٢٢٣٢٥] عن قتادة أنه قال: «القربى الزلفى» بإسناد صحيح.

(٢) يعني أن جميع الصالحين يدعوهم المشركون ويستغيثون بهم إما توسلًا إلى الله ليقضي حوائجهم، وإما استقلالًا بأن يطلبون منهم قضاء الحاجة معتقدين بأن الله وهبهم التكوين والتصرف أولئك الصالحين مشتغلون بأنفسهم يدعون الله لها ويتوسلون إليه بعبادته مخلصين له الدين خائفين عذابه راجين رحمته، وإذا لم يملكوا لأنفسهم نفعًا ولا دفع ضر، فكيف يملكون لغيرهم ضرًا أو نفعًا؟

(٣) حسن.

أخرجه مطولًا ومختصرًا أحمد (٤/٤٤٦ - ٤٤٧) (٥/٣و ٥و ٧) والنسائي [١١٤٣١] وابن قانع في «معجم

من حديث خالد بن معدان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن للإسلام صوى ومنارًا كمنار الطريق[1]. من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2] وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

الصحابة» (٧١/٣) وأبو داود [٢١٤٤] وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة» [٤٠٣] [٤٠٤] والبخاري في «خلق أفعال العباد» [٤٠١] وابن ماجه [٢٣٤] والطبرى (٦٦/٥) والطبراني (١٩/(١٠٣٦) (١٠٣٧) من طرق يقوى بعضها بعضًا.

(١) الصوي الأعلام المنصوبة من الحجارة في المفازة المجهولة يستدل بها على الطريق، واحدتها صوة - كقوة - أراد أن للإسلام طرائق وأعلامًا يهتدى بها.

(٢) صحيح.

أخرجه ابن نصر في «الصلاة» [٤٠٥] وأبو عبيد القاسم بن سلام في «الإيمان» [٣] وابن السني في «عمل اليوم» [١٦٠] والحاكم (٢١/١) وأبو نعيم (٢١٧/٥) وهو صحيح وراجع التفصيل في «عمل اليوم»

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦]،

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨] أي لا إله إلا الله.

فَتدبَّر كيف عبَّر الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن هذه الكلمة العظيمة بمعناها الذي دلَّت عليه. ووضعت له من البراءة من كل ما يُعبد من دون الله من المعبودات الموجودة في الخارج: كالكواكب والهياكل والأصنام التي صَوَّرها قوم نوح على صور الصالحين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وغيرها من الأوثان والأنداد التي كان يعبدها المشركون بأعيانها. ولم يستثن من جميع المعبودات إلا الذي فطره، وهو الله وحده لا شريك له، فهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص. كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢] فكل عبادة يقصد بها غير الله: من دعاء وغيره فهي باطلة، وهي الشرك الذي لا يغفره الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [غافر:٧٣-٧٤].

وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]،

وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ[(١)] وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التوبة: ٣١][(٢)].

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ تلا هذه الآية على عدي بن حاتم الطائي فقال: يارسول الله، لسنا نعبدهم. قال: «أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟» قال: بلى. قال النبي ﷺ: «فتلك عبادتهم»[(٣)].

---

(١) الأحبار: هم العلماء، والرهبان: هم العباد. قال السدوي: استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم. ولهذا قال تعالى في الآية: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ فصار ذلك عبادة لهم. وجعلوا أحبارهم ورهبانهم مشرعين في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله؛ فاتخذوهم بذلك أربابًا. لأن التشريع من خصائص الربوبية كما أن العبادة من مستحقات الربوبية. وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾.

(٢) في قرة العيون: أي اتخذوه ربًا بعبادتهم له من دون الله وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ فمن تدبر هذه الآيات تبين له معنى «لا إله إلا الله» وتبين له التوحيد الذي جحده أكثر من يدعي العلم في هذه القرون وما قبلها من متأخري هذه الأمة، وقد عمت البلوى بالجهل بعد القرون الثلاثة لما وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم وبنيت عليهم المساجد، وبنيت له المشاهد؛ فاتسع الأمر وعظمت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد لما حدث الغلو في الأموات وتعظيمهم بالعبادة. فبهذه الأمور التي وقع فيها الأكثر، وعاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والبدعة سنة والسنة بدعة. نشأ على هذا الصغير وهرم علي الكبير؛ وقد قال ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس» وفي رواية: «يصلحون ما أفسد الناس».

(٣) حسن.

فصارت طاعتهم في المعصية عبادة لغير الله وبها اتخذوهم أربابًا، كما هو الواقع في هذه الأمة، وهذا من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد الذي هو مدلول شهادة لا إله إلا الله.

فتبين بهذه الآية أن كلمة الإخلاص نفت هذا كله لمنافاته لمدلول هذه الكلمة. فأثبتوا ما نفته من الشرك وتركوا ما أثبتته من التوحيد.

أخرجه الترمذي [٣٠٩٥] وابن جرير [١٦٦٣١] [١٦٦٣٢] والطبراني في «الكبير» [٢١٧] [٢١٨] [٢١٩] وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» [٢٤٧٢].

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البَقَرَة:١٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البَقَرَة:١٦٥] فكل من اتخذ ندًا لله يدعوه من دون الله ويرغب إليه ويرجوه لما يؤمّله منه من قضاء حاجاته وتفريج كرباته - كحال عُبَّاد القبور والطواغيت والأصنام - فلا بد أن يعظّموهم ويحبوهم لذلك، فإنهم أحبوهم مع الله وإن كانوا يحبون الله تعالى[1].

---

(١) هم في الواقع ما أحبوا الله حقيقة. لأن حب الله لا يكون إلا عن معرفة بالله؛ بأسمائه وصفاته، ومن حب الله على الحقيقة لا يمكن أن يتخذ من دونه ندًا. وليس معنى (كحب الله) أي كحبهم لله. ولكن معناها والله أعلم: يحبونهم حبًا من جنس الحب الذي لا يكون إلا لله. وهو حب العبادة: غاية الحب في غاية الذل والتعظيم. فهذا هو الحب الذي ينشأ عنه الدعاء واللجأ والضراعة وطلب تفريج الكروف ونحوها. مما يجرده المؤمنون لله وحده وهم أشد حبًا لله. والمشركون يجردونه لأوليائهم أو يشركونهم مع الله؛ ولا يرجون لله وقارًا.

وقال في قرة العيون: الأنداء؛ الأمثال والنظراء، كما قال العماد ابن كثير وغيره من المفسرين فكل من صرف من العبادة شيئًا لغير الله رغبة إليه أو رهبة منه، فقد اتخذه ندًا لله. لأنه أشرك مع الله فيما لا يستحقه غيره.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه أي مع الله بعبادته له، وتوحيد حب أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له، فهذا الحب وإن سمي عشقًا فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه؛ وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن لا تكون محبته لغير الله، فلا يحب إلا الله؛ كما في الحديث الصحيح: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار» ومحبة رسوله هي من محبته. ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبته، وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها. ويصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه؛ - وهو الكفر - بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد. ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة. فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه شيئًا، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خُيِّر بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يُلقى في النار ولا يكفر، كان أحب إليه من نفسه. وهذه المحبة

ويقولـون لا إله إلا الله ويصلـون ويصومون، فقد أشركوا بالله في المحبة بمحبة غـيره وعبـادة غيره فاتخاذهم الأنـداد يحبونهم كحب الله يبطـل كل قول يقولونه وكل عمـل يعملونـه. لأن المشرك لا يقبل منه عمـل، ولا يصح منه. وهؤلاء وإن قالوا لا إله إلا الله فقـد تركـوا كل قيـد قُيِّدت به هـذه الكلمة العظيمة: من العلـم بمدلولها. لأن المشرك جاهل بمعناها، ومن جهله بمعناها جعل لله شريكًا في المحبة وغيرها، وهذا هو الجهل المنافي للعلم بما دلت عليه من الإخلاص: ولم يكن صادقًا في قولها: لأنه لم ينف ما نفته من الشرك، ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص وترك اليقين أيضًا، لأنه لو عرف معناها وما دلت عليه لأنكره أو شك فيه، ولم يقبله وهو الحق، ولم يكفر بمـا يعبـد من دون الله، كما في الحديـث، بل آمن بما يعبد مـن دون الله باتخاذه الند ومحبته له وعبادته إياه من دون الله كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ لأنهم اخلصـوا له الحب فلم يحبوا إلا إياه، ويحبون مـن أحب ويخلصون أعمالهم جميعًا لله، ويكفرون بما عُبد من دون الله. فبهذا يتبين لمن وَفَّقه الله تعالى لمعرفة الحق وقبوله دلالة هذه الآيات العظيمة على معنى شـهادة أن لا إله إلا الله، وعلى التوحيد الذي هو معناها الذي دعا إليه جميع المرسلين. فتدبر.

هي فوق ما يجده العشاق من محبة محبوبيهم، بل لا نظير لهذه المحبة؛ كما لا مثيل لمن تعلقت به، وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد، وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهرًا وباطنًا، وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان، ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في المحبة الخاصة كان شركًا لا يغفره الله كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ والصحيح أن معنى الآية: أن الذين آمنوا أشد حبًا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم؛ كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا، كما لا يماثل محبوبهم غيره. وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته.

قال: وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧] الآية، يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى: ﴿قُلِ﴾ يا محمد[1] للمشركين الذين عبدوا غير الله ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ من الأصنام والأنداد وارغبوا إليهم، فإنهم لا يمكون كشف الضر عنكم أي بالكلية ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي ولا يحولوه إلى غيركم[2].

والمعنى: أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر. قال العوفي عن ابن عباس في الآية: «كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة والمسيح وعزيرًا، وهم الذين يدعون. يعني الملائكة والمسيح وعزيرًا[3].

وروى البخاري في الآية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا» وفي رواية: «كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم»[4].

---

(١) يستعمل المفسرون هذا الخطاب كثيرًا؛ تفسيرًا لخطاب الله. ولكن يلاحظ أن الله لم يخاطب رسوله ولا مرة واحدة بهذا الخطاب «يا محمد» بل كل خطاب الله «يا أيها النبي، يا أيها الرسول» فينبغي أن يكون ذلك كذلك؛ والله أعلم.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤٦/٣).

(٣) إسناد ضعيف وفيه انقطاع. أخرجه ابن جرير [٢٢٣٠٨].

(٤) أخرجه البخاري [٤٧١٤] [٤٧١٥] ومسلم [٣٠٣٠] والنسائي تفسير [٣٠٧] [٣٠٨] وابن جرير [٢٢٣٧٨] [٢٢٣٨٠] [٢٢٣٨١] والطبراني [٩٧٩٨] والحاكم (٣٦٢/٢) والبغوي (١٣٥/٤).

وقول ابن مسعود هذا يدل على أن الوسيلة هي الإسلام، وهو كذلك على كلا القولين.

وقال السُّدِّي عن أبي صالح عن ابن عباس في الآية قال: عيسى وأمه وعزير[(١)].

وقال مغيرة عن إبراهيم: كان ابن عباس يقول في هذه الآية: هم عيسى وعزير والشمس والقمر وقال مجاهد: عيسى وعزير والملائكة[(٢)].

وقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء. فكل داع دعا دعاء عبادة أو استغاثة لا بد له من ذلك، فإما أن يكون خائفًا وإما أن يكون راجيًا، وإما أن يجتمع فيه الوصفان.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، في هذه الآية الكريمة، لما ذكر أقوال المفسرين: وهذه الأقوال كلها حق، فإن الآية تعم من كان معبوده عابدًا لله، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر، والسلف في تفسيرهم يذكرون تفسير جنس المراد بالآية على نوع التمثيل، كما يقول الترجمان لمن سأله: ما معنى الخبز؟ فيريه رغيفًا، فيقول هذا، فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه، وليس مرادهم من هذا تخصيص نوع من شمول الآية.

فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوًا، وذلك المدعو يبتغي الى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأولياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية الكريمة، كما تتناول من

(١) أخرجه ابن جرير [٢٢٣٢٠] بإسناد حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير [٢٢٣٢١] بإسناد صحيح.

دعا الملائكة والجن، فقد نهى الله تعالى من دعائهم، وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله، ولا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع، كتغيير صفته أو قدره، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ فذكر نكرة تعم أنواع التحويل، فكل من دعا ميتًا أو غائبًا من الأولياء والصالحين أو دعا الملائكة فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله اهـ

وفي هذه الآية رد على من يدعو صالحًا ويقول: أنا لا أشرك بالله شيئًا، الشرك عبادة الأصنام.

براءة إبراهيم مما يعبد قومه إلا الله

قال: (وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ الآية).

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء، ووالد من بُعث بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها: أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له. وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله جعلها في ذريته يقتدى به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي إليها.

قال عكرمة ومجاهد والضَّحَّاك وقتادة والسُّدِّي وغيرهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يعني لا إله إلا لله لا يزال في ذريته من يقولها[١].

وروى ابن جرير عن قتادة ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ قال: كانوا يقولون: الله ربنا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] فلم يبرأ من ربه رواه عبد بن حميد[٢].

وروى ابن جرير وابن المنذر عن قتادة «وجعلها كلمة باقية في عقبه» قال: الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده[٣].

قلت: فتبين أن معنى لا إله إلا الله توحيد العبادة بإخلاص العبادة له والبراءة من كل ما سواه.

قال المصنف رحمه الله (وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة، هي شهادة أن لا إله إلا الله).

وفى هذا المعنى يقول العلامة الحافظ ابن القيم رحمه الله في الكلمة الشافية:

وإذا تَوَلَّاه امرؤٌ دونَ الورَى طُرًا تَوَلَّاه العظيمُ الشانِ

معنى واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا

---

(١) تفسيره (١٢٦/٤).

(٢) تفسير ابن جرير (٦٢/٢٥ - ٦٣) بإسناد صحيح.

(٣) تفسير ابن جرير (٦٢/٢٥ - ٦٣) بإسناد صحيح.

قال: (وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ الآية).

الأحبار: هم العلماء والرهبان هم العباد. وهذه الاية قد فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، وذلك أنه لما جاء مسلمًا دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية. قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم. فقال: بلى: إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم رواه أحمد والترمذي وحسنه، وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طرق[(١)].

قال السُّدّي: استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فإن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله.

فظهر بهذا أن الآية دلت على أن من أطاع غير الله ورسوله، وأعرض عن الأخذ بالكتاب والسنة في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحله الله، وأطاعه في معصية الله، واتبعه فيما لم يأذن به الله، فقد اتخذه ربًا ومعبودًا وجعله لله شريكًا، وذلك ينافي التوحيد الذي هو دين الله الذي دلت عليه كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) فإن الإله هو المعبود، وقد سمى الله تعالى طاعتهم عبادة لهم، وسمَّاهم أربابًا كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾ [آل عمران: ٨٠] أي شركاء لله تعالى في العبادة «أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون» وهذا هو الشرك. فكل معبود رب، وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذا المطيع المتبع ربًا ومعبودًا، كما قال تعالى في آية الأنعام: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] وهذا هو وجه

(١) حسن - وقد سبق.

مطابقة الآية للترجمة، ويشبه هذه الآية في المعنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١] والله أعلم.

قال شيخ الإسلام في معنى قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على هذا التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، اتباعًا لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل. فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم. فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف للدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله، مشركًا مثل هؤلاء.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتًا، لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما قد ثبت «عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**»[1].

ثم ذلك المُحَرِّم للحلال والمُحلِّل للحرام إن كان مجتهدًا قصده اتباع الرُّسل لكن خَفِيَ عليه الحق في نفس الأمر وقد اتَّقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذه الله بخطئه بل يُثيبه على اجتهاده الذي أطاع به ربه. ولكن من علم أن هذا أخطأ فيما جاء به الرسول ثم اتبعه على خطئه وعدل عن قول الرسول. فهذا له نصيب من هذا الشرك الذي ذمَّه الله، لا سيما إن اتبع ذلك هواه ونصره باليد واللسان مع علمه أنه

(١) سبق تخريجه.

مخالف للرسول. فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه، ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف الحق لا يجوز له تقليد أحد في خلافه، وإنما تنازعوا في جواز التقليد للقادر على الاستدلال.

وإن كان عاجز عن إظهار الحق الذي يعلمه. فهذا يكون كمن عرف أن الدين الإسلام حق وهو بين النصارى، فإذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يؤاخذ بما عجز عنه، وهؤلاء كالنجاشي وغيره. وقد أنزل الله في هؤلاء الآيات من كتابه كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩] وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] الآية وقوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] وأما إن كان المتبع للمجتهد عاجزًا عن معرفة الحق على التفصيل وقد فعل ما يقدر عليه مثله: من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يؤاخذ إن أخطأ كما في القبلة.

وأما من قلَّد شخصًا دون نظيره بمجرد هواه، ونصره بيده ولسانه من غير علم أن معه الحق، فهذا من أهل الجاهلية، وإن كان متبوعه مُصيبًا لم يكن عمله صالحًا، وإن كان متبوعه مخطئًا كان آثمًا. كمن قال في القرآن برأيه، فإن أصاب فقد أخطأ، وإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار، وهؤلاء من جنس مانع الزكاة الذي تقدم فيه الوعيد، ومن جنس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، فإن ذلك لما أحب المال منعه من عبادة الله وطاعته وصار عبدًا له، وكذلك هؤلاء فيكون فيهم شرك أصغر، ولهم

من الوعيد بحسب ذلك، وفي الحديث: «إن يسير الرياء شرك»[(١)] وهذا مبسوط عند النصوص التي فيها إطلاق الكفر والشرك على كثير الذنوب. انتهى[(٢)].

معنى اتخاذ الأنداد من دون الله

وقال أبو جعفر بن جرير في معنى قول الله تعالى: «وتجعلون له أندادًا» أي وتجعلون لمن خلق ذلك أندادًا وهم الأكفَّاء من الرجال تطيعونهم في معاصي الله. انتهى.

قلت: كما هو الواقع من كثير ومن عُبَّاد القبور.

قال: (وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ .. ﴾ [البَقَرَة:١٦٥]) الآية.

قال العماد ابن كثير رحمه الله: يذكر الله حال المشركين به في الدنيا ومآلهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا لله أندادًا، أي أمثالًا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضدَّ له ولا ندَّ له، ولا شريك معه. وفي الصحيحين عن «عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله؟ أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»[(٣)].

---

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه ابن ماجه [٣٩٨٩] والطبراني (٢٠/٣٦/٥٣) (٢٠/١٥٣/٣٢١) والحاكم (٣/٣٧٠) وإسناده ضعيف، ضعفه الشيخ في «ضعيف ابن ماجه» [٨٦٣].

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٧٠ – ٧١).

(٣) سبق تخريجه.

....

وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ ولحبهم لله تعالى وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم لا يشركون به شيئًا. بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجأون في جميع أمورهم إليه.

ثم توعد تعالى المشركين به، الظالمين لأنفسهم بذلك. فقال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ قال بعضهم تقدير الكلام، لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعًا، أي أن الحكم له وحده لا شريك له، فإن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه «وأن الله شديد العذاب» كما قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٥-٢٦] يقول: لو علموا ما يعاينون هناك وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم لانتهوا عما هم فيه من الضلال. ثم أخبر عن كفرهم بأعوانهم وتبرؤ المتبوعين من التابعين. فقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ ﴾ تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في الدار الدنيا، فتقول الملائكة[1]: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا

---

(١) قال العماد ابن كثير في تفسير سورة القصص: وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ يعني الشياطين ومردة والدعاة إلى الكفر ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ فشهدوا عليهم أنهم أغووهم؛ ثم تبرأوا من عبادتهم اهـ والدعاة إلى الكفر: هم من بني آدم ممكن كانوا رؤساء وشيوخًا لأولئك الغاوين كأصحاب الطرق الصوفية. فإنهم الذين زينوا لمريديهم ومتبوعيهم الشرك والكفر بالله ورسوله. فإن أساس طرقهم الشيطانية: أن يعبد المريد شيخه بأنواع التعظيم والخوف واعتقاد أنه جاسوس قلبه يدخل ويخرج والمريد لا يشعر وأنه قبل أن يذكر الله يستحضر الشيخ في قلبه. ويعظمونهم بأنواع الطاعة العمياء أحياء وأمواتًا - كما هو مدون في كتبهم - من شروط المريد وما يسمونه العهد الوثيق. وتجد أكثر هذا الكفر والضلال في كتب الشعراني. وأما آيات سورة الأحقاف فإنها صريحة في أن الذين يكفرون بشرك المشركين: هم من عباد الله الصالحين الذين اتخذهم الناس آلهة بعد موتهم، واتخذوا قبورهم أوثانًا؛ وما كانوا يحبون ذلك ولا يرضون به؛ من أمثال

كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ﴾ [القصص:٦٣] ويقولون: ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ [سبأ:٤١] الجن أيضًا يتبرأون منهم ويتنصلون من عبادتهم لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥-٦] انتهى كلامه[١].

روى ابن جرير عن كلامه في قوله تعالى «يحبونهم كحب الله» مباهاة ومضاهاة للحق سبحانه بالأنداد «والذين آمنوا أشد حبًا لله» من الكفار لأوثانهم[٢].

قال المصنف رحمه الله تعالى (ومن الأمور المبينة لتفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله: آية البقرة في الكفار الذين قال تعالى فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حبًا عظيمًا، فلم يدخلوا في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده؟) اهـ

ففى الآية بيان أن من أشرك مع الله تعالى غيره في المحبة فقد جعله شريكًا لله في العبادة واتخذه ندًا من دون الله، وأن ذلك هو الشرك الذي لا يغفره الله، كما قال تعالى في أولئك: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وقوله: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ

الحسين وإخوته وأبيه وأبنائهم والإمام الشافعي في مصر وأبي حنيفة وعبد القادر في بغداد ونحوهم، فإنهم يتبرأون يوم القيامة من أولئك المشركين.

(١) تفسيره (٢٠٢/١).

(٢) أخرجه ابن جرير [٢٢٦٥] عن قتاده بإسناد صحيح، وأخرجه ابن جرير [٢٢٦٦] [٢٢٦٧] عن مجاهد بإسناد صحيح.

كذب ﴾ المراد بالظلم هنا الشرك. كقوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] كما تقدم. فمن أحب الله وحده، وأحب فيه وله فهو مخلص، ومن أحبه وأحب معه غيره، فهو مشرك، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ما معناه: فمن رغب إلى غير الله في قضاء حاجة أو تفريج كربة: لزم أن يكون محبًا له ومحبته هي الأصل في ذلك. انتهى.

فكلمة الإخلاص لا إله إلا الله تنفى كل شرك. في أى نوع كان من أنواع العبادة، وتثبت العبادة بجميع أفرادها لله تعالى. وقد تقدم بيان أن الإله هو المألوه الذي تألهه القلوب بالمحبة وغيرها من أنواع العبادة فلا إله إلا الله، نفت ذلك كله عن غير الله، وتثبته لله وحده. فهذا هو ما دلت عليه كلمة الإخلاص مطابقة، فلابد من معرفة معناها واعتقاده، وقبوله، والعمل به باطنًا وظاهرًا. والله أعلم.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه، أي مع الله تعالى بعبادته له، وتوحيد الحب: أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له فهذا الحب - وإن سمى عشقًا - فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه من كل ما سواهما، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله تعالى، فلا يحب إلا الله، ولا يحب إلا الله، كما في الحديث الصحيح «ثلاث من كن فيه» الحديث[1] ومحبة رسول الله ﷺ

(١) «ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ...»

هي من محبة الله، ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبته، وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها، ويصدق هذه المحبة بأن تكون كراهيته لأبغض الأشياء إلى الله محبوبه وهو الكفر - بمنزلة كراهيته لإلقائه في النار أو أشد، ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة، فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه وحياته شيئًا، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خُيّر بين الكفر وبين إلقائه في النار لاختار أن يُلقى في النار ولا يكفر، كان أحب إليه من نفسه، وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق المحبون من محبة محبوبيهم، بل لا نظير لهذه المحبة. كما لا مثل لمن تعلقت به، وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد. وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهرًا وباطنًا. وهذا لا نظير له في محبة المخلوق، ولو كان المخلوق من كان. ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركًا شركًا لا يغفره الله. كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ والصحيح: أن معنى الاية: أن الذين آمنوا أشد حبًا من الله أهل الأنداد لأندادهم. كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلًا، كما لا يماثل محبوبهم غيره، وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته. وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين محبته. ومن ضرب لمحبته الأمثال التي في محبة المخلوق للمخلوق: كالوصل، والهجر والتجني بلا سبب

أخرجه البخاري [١٦] [٢١] [٦٠٤١] [٦٩٤١] ومسلم [٤٣] والترمذي [٢٦٢٤] وأحمد (١٠٣/٣) وأبو يعلى [٢٨١٣] وابن حبان [٢٣٨] وابن منده في «الإيمان» [٢٨١] والطبراني في «الكبير» [٧٢٤] والصغير [٧٢٨] والبيهقي في «الشعب» [٤٠٥] عن أنس.

....

من المحب، وأمثال ذلك مما يتعالى الله عنه علوًا كبيرًا. فهو مخطىء أقبح الخطأ وأفحشه، وهو حقيق بالإبعاد والمقت. انتهى[١].

(١) مدارج السالكين منزلة المحبة.

في الصحيح عن أبي مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

من هو الذي يحرم ماله ودمه

(وفى «الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)**[(١)]» قوله في الصحيح: أى صحيح مسلم عن أبي مالك الأشجعى عن أبيه عن النبي ﷺ فذكره.

وأبو مالك اسمه سعد بن طارق، كوفى ثقة مات في حدود الأربعين ومائة[(٢)]. وأبوه طارق بن أشيم - بالمعجمة والمثناة التحتية وزن أحمر - ابن مسعود الأشجعي، صحابى له أحاديث. قال مسلم: لم يرو عنه غير ابنه.

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي مالك قال: وسمعته يقول للقوم: «**مَنْ وحَّد الله وكَفر بما يُعبد من دون الله حُرِّم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل**» ورواه الامام أحمد من طريق يزيد بن هارون قال أخبرنا أبو مالك الأشجعى عن أبيه[(٣)].

ورواه أحمد عن عبد الله بن إدريس قال: سمعت أبا مالك قال: قلت لأبي - الحديث. ورواية الحديث بهذا اللفظ تفسر: لا إله إلا الله.

---

(١) أخرجه مسلم [٢٣] وابن منده في «الإيمان» [٢٤] وابن حبان [٤٧١] والطبراني في «الكبير» [٨١٩٢] [٨١٩٤].

(٢) سعد بن طارق بن أشيم روى عن أبيه وابن أبي أوفي وأنس بن مالك وغيرهم. صدوق، ليس به بأس. انظر الطبقات (٢٨٤/٤) التاريخ الكبير (١٩٥٤/٤) والسير (٣١٥/٦) التهذيب (٤٧٢/٣) الميزان (١٢٢/٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤٧٢/٣) وإسناد صحيح على شرط مسلم.

«مَن قال لا إله إلا الله، وكفرَ بما يعبدُ من دونِ الله؛ حرُمَ مالُهُ، ودمُهُ،

قوله: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله) اعلم أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدَّم في هذا الحديث بأمرين.

الأول: قول لا إله إلا الله عن علم ويقين، كما هو قيد في قولها في غير ما حديث كما تقدم.

والثاني: الكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى، بل لابد من قولها والعمل بها.

قلت: وفيه معنى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال المصنف رحمه الله تعالى: (وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فإنه لم يجعل اللفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه. فيا لها من مسألة ما أجلَّها ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمُنازع) انتهى.

قلت: وهذا هو الشرط المصحح لقوله: لا إله إلا الله فلا يصح قولها بدون هذا الخمس التي ذكرها المصنف رحمه الله أصلًا. قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩] وقال: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ أمر بقتالهم حتى يتوبوا من الشرك ويخلصوا أعمالهم لله تعالى، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن أبوا عن ذلك أو بعضه قوتلوا إجماعًا.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[١].

وفي «الصحيحين عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[٢].**

وهذان الحديثان تفسير الآيتين: آية الأنفال، وآية براءة.

وقد أجمع العلماء على أن من قال: لا إله إلا الله ولم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها. أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات.

قال أبو سليمان الخَطَّابي رحمه الله في قوله: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»** معلوم أن المراد بهذا أهل عبادة الأوثان، دون أهل الكتاب، لأنهم يقولون: **«لا إله إلا الله»** ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف[٣].

---

(١) أخرجه البخاري [٢٩٤٦] ومسلم [٢١] وأحمد [٨١٦٣] [٨٥٤٤] [٨٩٠٤] [٩٤٧٥] [١٠١٥٨] [١٠٢٥٤] وأبو داود [٢٦٤٠] والترمذي [٢٦٠٦] والنسائي (٤١٦ و٥ - ٧٧/٧) وابن ماجه [٧١] وابن حبان [١٧٤] [٢٢٠] [٢١٨] والطبرى (١٠٣/٢٦) والطحاوى (٢١٣/٣) والطبراني في «الأوسط» [١٢٩٤] والمروزى في «الصلاة» [١] وابن منده في «الإيمان» [٢٣] [٢٧] [٢٠٠] [٤٠٢] [٤٠٣] والدارقطنى (٢٩/٢) وأبو نعيم (١٥٩/٢) (٢٥/٣) والبيهقي (١٣٦/٨).

(٢) أخرجه النجارى [٢٥] ومسلم [٢٢].

وفي الباب حديث جابر وأنس ومعاذ، وغيرهم، وهو حديث متواتر.

(٣) معالم السنن (١٦٣/٣ - ١٧١).

وقال القاضي عياض: اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، وأن المراد بذلك مشركو العرب وأهل الأوثان، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد، فلا يكتفى في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره. انتهى ملخصًا.

وقال النووي: لا بد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به الرسول ﷺ كما جاء في الرواية «**ويؤمنوا بي وبما جئت به**»[(١)].

وقال شيخ الإسلام: لما سئل عن قتال التتار فقال: «كُل طَائفةٍ ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم أو غيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه. كما قاتل أبو بكر والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة. وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم. قال: فأيما طائفة ممتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الصيام، أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء، أو الأموال أو الخمر، أو الميسر أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار. أو غير ذلك من التزام واجبات الدين ومحرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها، التي يكفر الواحد بجحودها. فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء. قال: وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة، بل هم خارجون عن الإسلام. انتهى[(٢)].

(١) شرح مسلم (١/٢٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٠٢ – ٥٠٣).

وحسابُهُ على الله».

قوله: (وحسابه على الله) أي الله تبارك وتعالى هو الذي يتولى حساب الذي يشهد بلسانه بهذه الشهادة، فإن كان صادقًا جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقًا عذبه العذاب الأليم. وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر، فمن أتى بالتوحيد ولم يأت بما ينافيه ظاهرًا والتزم شرائع الإسلام وجب الكف عنه.

قلت، وأفاد الحديث أن الإنسان قد يقول لا إله إلا الله ولا يكفر بما يعبدون من دون الله فلم يأت بما يعصم دمه وماله كما دل على ذلك الآيات المحكمات والأحاديث.

وشرح هذا الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

قـوله: (وشرح هـذه الترجمة ما بعدها من الأبـواب)[١] قلت: وأن ما بعدها من الأبواب فيه ما يبين التوحيد ويوضح معنى لا إله إلا الله وفيه أيضًا: بيان أشياء كثيرة من الشرك الأصغر والأكبر وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع، مما تركه من مضمون لا إله إلا الله فمـن عـرف ذلك وتحققه تبـين له معنى لا إله إلا الله وما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك، وبضدها تتبين الأشياء، فبمعرفة الأصغر من الشرك يعرف ما هـو أعظم منـه من الشرك الأكبر المنافي للتوحيد، وأما الأصغر فإنما ينافي كماله، فمن اجتنبه فهو الموحد حقًّا، وبمعرفة وسائل الشرك والنهي عنها لتجتنب تعرف الغايات التي نهي عن الوسـائل لأجلها، فإن اجتناب ذلك كله يستلزم التوحيد والإخلاص بل يقتضيـه. وفيـه أيضًا من أدلة التوحيد إثبات الصفات وتنزيه الرب تعالى عما لا يليق بجـلاله وكل مـا يعـرف بالله من صفات كمـاله وأدلة ربوبيته يدل على أنـه هو المعبود وحده، وأن العبادة لا تصلح إلا له، وهذا هو التوحيد، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله.

---

(١) في قرة العيون: فقد ذكر فيها رحمه الله تعالى ما يبين التوحيد وما ينافيه، وما يقرب منه، وما يوصل إليه من الوسائل، وبيان ما كان عليه السلف من بعدهم عن الشرك في العبادة وشدة إنكارهم له وجهادهم على ذلك، وقد جمع هذا الكتاب على اختصاره من بيان التوحيد ما لا يعذر أحد عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبر. وكذلك الرد على أهل الأهواء جميعهم، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك واستغنى به عن غيره في الرد على كل مبتدع، فتدبره تجد ذلك بينًا. وسيأتي التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى.

فيهِ مسائلُ: الأولَى؛ وهيَ مِن أهَمِّهَا:] تفسيرُ التوحيدِ، وتفسيرُ الشهادةِ، وبيَّنَها بأمورٍ واضحةٍ، منها: آيةُ الإسراءِ، بيَّن فيها الرَّدَّ على المشركينَ الذينَ يدعونُ الصالحِينَ، ففيها بيانٌ أنَّ هذا هَو الشركُ الأكبرُ.

ومنها: آيةُ براءةٍ، بيَّن فيها أنَّ أهلَ الكتابِ اتخذُوا أحبارَهُم ورهبانَهُم أربابًا مِن دونِ الله، وبينَ أنهُم لم يُؤمروا إلا بأن يُعبدوا إلهًا واحدًا، معَ أنَّ تفسيرَهَا الذي لا إشكالَ فيه: طاعةُ العلماءِ والعبادِ في المعصيةِ، لادِّعائِهم إياهُم.

ومنها: قولُ الخليلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ للكفارِ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [الزخرف: ٢٧]، فاستثنَى مِن المعبودينَ ربَّهُ، وذكرَ سبحانَهُ أنَّ هذِهِ البراءَة وهذِهِ الموالاةَ: هي [تفسيرُ] شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا الله. فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨].

ومنها: آية البقرة: في الكفارِ الذينَ قالَ اللهُ فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ذكرَ أنهم يحبونَ أندادَهُم كحبِّ الله، فدَلَّ على أنَّهُم يحبونَ اللهَ حبًا عظيمًا، ولم يُدْخِلْهم في الإسلامِ، فكيفَ بمَن أحبَّ الندَّ [حُبًّا] أكبرَ مِن حُب الله؟! فكيفَ [ق/ ٦/ ب] لَمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله؟!.

ومنها قولهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن قالَ: لا إلهَ إلا الله وكَفَرَ بما يُعبدُ مِن دونِ الله حرُمَ مالُهُ ودَمُهُ، [وحِسَابُهُ على الله]» وهذا مِن أعظمِ ما يُبيِّن معنَى «لا إله إلا الله» فإنه لم يجعلِ التلفظَ بها عاصِمًا للدَّمِ والمالِ، بل ولا مَعرفة معناها معَ لفظِها، بل ولا الإقرارُ بذلكَ، بل ولا كونُهُ لا يَدعو إلا الله وحدَهُ لا شريكَ

لهُ، بل لا يَحرُم مالُه ودمُه حتى يُضيفَ إلى ذلكَ الكفرَ بما يُعبَدُ مِن دونِ الله، فإن شكَّ أو توقفَ لم يحرُم مالُهُ ودمُهُ، فيَالَهَا مِن مسألةٍ ما [أعظمَها] وأجلَّها، ويالهُ مِن بيانٍ ما أوْضَحَهُ، وحجةٍ ما أقطعَها للمُنازِع.

بابُ

مِنَ الشِّرْكِ لبْسُ الحَلْقَةِ والخَيْطِ ونحوِهِما لرَفعِ البلاءِ أو دَفعِهِ

وقولِ الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ [الزُّمَر: ٣٨].

من الشرك اتخاذ الحلقة والخيط ونحوهما

قوله: (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما، لرفع البلاء أو دفعه)

رفعه: إزالته بعد نزوله. دفعه: منعه قبل نزوله.

قال: (وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزُّمَر: ٣٨]).

قال ابن كثير: أي لا تستطيع شيئًا من الأمر (قل حسبي الله) أي الله كافي من توكل عليه (عليه يتوكل المتوكلون) كما قال هود عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قال قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هُود: ٥٤-٥٦] قال مقاتل في معنى الآية: فسألهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسكتوا. أي لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها[1].

---

(١) في قرة العيون: فإذا كان آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو إمساك رحمة أنزلها على عبده فيلزمهم بذلك أن يكون الله تعالى هو معبودهم وحده لزومًا لا محيد لهم عنه. وذكر تعالى مثل هذا السؤال عن خليله إبراهيم لمن حاجه في الله فقال: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ فأقام الله تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله وتسويتهم غيره به في العبادة بضرب الأمثال وغير ذلك،

وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله، لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون أن ذلك لله وحده. كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٥٣-٥٤].

قلت: فهذه الآية وأمثالها تبطل تعلق القلب بغير الله في جلب أو دفع ضر، وأن ذلك شرك بالله.

وفي الآية بيان أن الله تعالى وسم أهل الشرك بدعوة غير الله والرغبة إليه من دون الله

والتوحيد ضد ذلك. وهو أن لا يدعو إلا الله، ولا يرغب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله. كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها كما تقدم.

وهذا في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ وقال: تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ وقال: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾. ذكر العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعًا: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأ الله؛ وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك؛ ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، جفت الصحف ورفعت الأقلام؛ واعمل لله بالشكر في اليقين؛ واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا».

عن عِمرانَ بنِ حصينٍ رضي الله عنه؛ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم رأى على عضُدِ

حديث عمران بن حصين في تعليق الحلقة وأنها لا تزيد صاحبها إلا وهنًا.

قال: («وعن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلًا في يده حلقة من صفر فقال: «**ما هذه؟**» قال: من الواهنة. قال: «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**» رواه أحمد بسند لا بأس به).

قال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد حدثنا المبارك عن «الحسن قال: أخبرني عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر على عَضُدِ رَجُلٍ حلقة - قال أراها من صفـر - فقـال: «**ويحك ما هـذه؟**» قال: من الواهنة. قـال: «**أما إنها لا تزيـدك إلا وهنًا. انبذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**» رواه ابن حبان في صحيحه فقال: «**فإنك لو مت وُكِّلت إليها**» والحاكم وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي[1].

---

(١) إسناد ضعيف.
أخرجه أحمد (٤/٤٤٥) بهذا الإسناد.
ومبارك بن فضالة - مدلس وقد عنعنه، ولم يصرح بسماعه من الحسن ولكنه توبع.
والحسن هو البصرى لم يسمع من عمران، وتصريحه هنا بالسماع ليس بشيء، وهو خطأ من فضالة.
والعلة الثالثة: فقد اختلف فيه على الحسن في رفعه ووقفه.
وقد أخرجه من طريق فضالة مرفوعًا، ابن ماجه [٣٥٣١] وابن حبان [٦٠٨٥] والطبراني في «الكبير» (١٨/(٣٩١) وعند بعضهم اختلاف يسير.
وأخرجه ابن حبان [٦٠٨٨] والطبراني (١٨/(٣٤٨) والحاكم (٤/٢١٦) والبيهقي [٣٥٠١٩] من طريق أبي عامر صالح بن رستم الخزاز عن الحسن، به.
فبقيت العلة الأولى، وهى علة ثابتة، والإعلال بها أولى.
وأخرجه عبد الرزاق [٢٠٣٤٤] وابن أبي شيبة [١٤١٨] والطبراني (١٨/(٣٥٥) [٤١٤] من طريق الحسن عن عمران موقوفًا والموقوف والمرفوع معلول، ولا يصلح منهما شيء.
وقد ضعف الحديث في «الضعيفة» [١٠٢٩] وفي «ضعيف ابن ماجه» [٧٧٢].

....

وقال الحاكم: أكثر مشايخنا على أن الحسن سمع من عمران، وقوله في الإسناد: أخبرني عمران يدل على ذلك.

قوله (عن عِمران بن حُصين) أي ابن عبيد خلف الخذاعي، أبو نجيد -بنون وجيم- مصغر، صحابي عن صحابي، أسلم عام خيبر، ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة[1].

---

(١) له ترجمة ومناقب راجعها في «الطبقات» (٢٨٧/٤) والتاريخ الكبير (٢٨٠٤/٦) والجرح [١٦٤١٠٦] والأسد (٢٨١/٤) والسير (١١٤/٤ - ١١٥).

رجلٍ حلقة أرَاهُ قال: مِن صُفرٍ فقال: «ويحك ما هذه؟» قال: مِنَ الواهِنةِ. قال: «أما إنها لا تزيدك إلا وهنًا؛ انزعها عنك،

قوله: (رأى رجلًا) في رواية الحاكم دخلت على رسول الله ﷺ وفي عضدي حلقة صفر، فقال: ما هذه الحديث فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث.

قوله (ما هذه) يحتمل أن الاستفهام للاستفسار عن سبب لبسها، ويحتمل أن يكون للإنكار وهو أشهر.

قوله: (من الواهنة) **قال أبو السعادات**[٢]: الواهنة عرق يأخذ في المنكب واليد كلها، فيرقى منها، وقيل هو مرض يأخذ في العضد، وهي تأخذ الرجال دون النساء وإنما نهى عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم، وفيه اعتبار المقاصد[٣].

قوله(انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنًا) النزع هو الجذب بقوة، أخبر أنها لا تنفعه بل تضره وتزيده ضعفًا، وكذلك كل أمر نهى عنه فإنه لا ينفع غالبًا وإن نفع بعضه فضره أكبر من نفعه.

---

(٢) هو ابن الأثير: المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، مجد الدين أبو السَّعادات الشيابي الجزرى الشافعي المعروف بابن الأثير، صاحب جامع الأصول والنهاية وغيرهما من الكتب ولد في أحد الرَّبيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة.
انظر معجم الأدباء (٧١/١٧) ووفيات الأعيان (١٤١/٤) والسير (٤٨٨/٢١) وطبقات الشافعية (٣٦٦/٨) والبداية (٩٠٠٨/١٧).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢٠٣/٥).

فإنك لو مِتَّ وهيَ عليكَ ما أفلحتَ أبدًا». رواه أحمد بسند لا بأس به.

قـوله (فإنك لو مت وهو عليك ما أفلحـت أبدًا) لأنه شرك، والفلاح هو الفوز والظفر والسعادة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (فيه شـاهد لـكلام الصحابة: إن الشرك الأصغر أكـبر الكبائـر، وأنـه لم يعـذر بالجهالـة. وفيه الإنكـار بالتغليظ على مـن فعل مثل ذلك).

قوله: (رواه أحمد بسند لا بأس به) هو الإمام أحمد بن حنبل بن هلال ابن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حسـان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسـط بن مازن ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هُنب بن أفصى بن دُعمى بن جُديلة بن أسعد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الإمـام العالم أبو عبد الله الذُّهلي ثم الشَّـيباني المروزي ثم البغدادي، إمام أهل عصره وأعلمهم بالفقه والحديث، وأشـدهم ورعًا ومتابعة للسـنة، وهو الذي يقول فيه بعض أهل السـنة: عـن الدنيا ما كان أصـبره، وبالماضين ما كان أشـبهه، أتتـه الدنيا فأباها، والشبه فنفاها، خرج به من مرو وهو حمل فولد ببغداد سنة أربع وستين ومائة في شهر ربيع الأول.

وطلب أحمد العلم سـنة وفاة مالك، وهي سـنة تسـع وسبعين فسـمع من هُشيم وجرير بن عبد الحميد وسفيان بن عيينة ومعتمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان ومحمـد بـن إدريس الشـافعي ويزيد بن هـرون وعبد الرزاق وعبـد الرحمن بن مهدي وخلق لا يحصون بمكة والبصرة والكوفة وبغداد واليمن وغيرها من البلاد.

....

روى عنـه ابناه صالح وعبد الله، والبخاري ومسـلم وأبـو داود وإبراهيم الحربي وأبو زرعة الرازي وأبو زرعة الدمشقي وعبد الله بن أبي الدنيا وأبو بكر الأثرم وعثمان بن سعيد الدارمي وأبو القاسم البغوى، وهو آخر من حدث عنه.

وروى عنه من شيوخه عبد الرحمن بن مهدي والأسود بن عامر، ومن أقرانه علي المديني ويحي بن معين.

قال البخاري: مرض أحمد لليلتين خلتا من ربيع الأول ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت منه.

وقـال حنبـل: مات يوم الجمعة في ربيع الأول سـنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة. وقال ابنه عبد الله والفضل بن زياد: مات في ثاني عشر ربيع الآخر رحمه الله تعالى[1].

---

(١) له مصنفات من أهمها «المسند» وهو يُعد أكبر مسند الآن على وجه الأرض، بعد مسند بقي بن مخلد الأندلسي، ولم يُعثر عليه للآن، ومسند أحمد يجمع نحو من ثلاثين ألف إسناد، وقيل غير ذلك، وقد كنت جرّته منذ زمن فوجدت أن عدد الأحاديث الضعيفة غير المحتملة للحسن نحو من أربعة آلاف، وأما الموضوعة فذكر ابن الجوزي نحوًا من خمسة وستون حديثًا لكن ردّ معظمها الحافظ العراقي ثم الحافظ ابن حجر في رسالة له بعنوان «المنهج الأحمد في الذب عن مسند أحمد»، ولقد بقي في الموضوعات شيء يسسير لا يتجاوز الخمس عشر حديثًا.

وما عدا ذلك ما بين حسن وصحيح، وعدد الأحاديث التي وافق فيها شروط الشيخين كثيرة جدًا بلغت نحو عشرة آ لاف أو يزيد، وقد وافق ما رواه البخاري ومسلم في آحاديث كثيرة جدًا تزيد عن ثلثي ما فيهما، والله اعلم، وله فضائل الصحابة والزهد، والورع وغيرها.

وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعًا يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَن تعلقَ تميمةً؛ فلا أتمَّ اللهُ لهُ، ومَن تعلقَ ودَعَةً؛ فلا وَدَعَ اللهُ له»،

حديث من تعلق تميمة فلا أتم الله له إلخ

قوله: (وله عن عُقبة بن عَامر مرفوعًا **«من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»** وفي رواية: **«من تعلق تميمة فقد أشرك»**) الحديث الأول رواه الإمام أحمد كما قال المصنف، ورواه أيضًا أبو يعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي[1].

---

(١) حسن. أخرجه أحمد (١٥٤/٤) وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص:٢٨٩) والطحاوي (٣٢٥/٤) وأبو يعلى [١٧٥٩] وابن حبان [٦٠٨٦] والطبراني في «الكبير» (١٧/(٨٢٠) والدولابي في «الكنى» (١١٥/٢) وابن عدي في «الكامل» (٢٤٦٠/٦) والحاكم (٢١٦/٤) وابن عبد البر في «التمهيد» (١٦٢/١٧) والبيهقي (٣٥٠/٩) من طريق حيوة بن شريح، أخبرنا خالد بن عبيد قال: سمعت مشرح بن ماهان يقول: سمعت عقبة بن عامر، فذكره وإسناده ضعيف.

خالد بن عبيد المعافري: مجهول، لم يرو عنه غير حيوة بن شريح، ولم يوثقه غير ابن حبان، ولو وثقه غير ابن حبان من العلماء غير المتساهلين لأصبح الإسناد حسنًا على قاعدة من روى عنه ثقة ووثقه ثقة يعتبر به، ولا يعد مجهولًا لكن تابع خالد بن عبيد عليه عبدالله بن لهيعة، وهو حسن في المتابعات.

فروا ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص:٢٨٩) من طريق أبي الأسود النضر بن عبد الجبار، عن ابن لهيعة، عن مشرع بن ماهان، به.

وفي رواية:

قوله: (وفى رواية) أي من حَديث آخر رواه أحمد فقال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا عبد العزيز بن مسلم حدثنا يزيد بن أبي منصور عن دُجين الحَجري عن عقبة بن عامر الجهنى «أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا يا رسول الله، بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: «إن عليه تميمة» فأدخل يده فقطعها، فبايعه وقال: «**من تعلق تميمة فقد أشرك**» ورواه الحاكم ونحوه. ورواته ثقات[١].

قوله: (عن عقبة بن عامر) صحابى مشهور فقيه فاضل، ولى إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين ومات قريبًا من الستين[٢].

---

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (١٥٦/٤) والطبراني (١٧/(٨٨٥) والحاكم (٢١٩/٤) من طرق عن عبد العزيز بن مسلم، به، وصححه الألباني في «الصحيحة» [٤٩٢].

(٢) عقبة بن عامر الجهني الإمام المقرئ أبو عيسى ويقال: أبو حَمَّاد وقيل: غير ذلك، المصري، صاحب رسول الله ﷺ كان عالمًا مقرئًا فصيحًا، فقيهًا، فرضيًا، شاعرًا كبير الشأن وكان البريد إلى عمر بفتح دمشق، شهد فتح مصر، واختط بها وقَبْره بالمقطم، مات سنة ثمان وخمسين.
قال الذهبي: له في مسند بقى خمسة وخمسون حديثًا، انظر: الطبقات (٣٤٣/٤) «التاريخ الكبير» (٢٨٨٥/٦) «الجرح» (١٧٤١/٦) «الأسد» (٥٣/٤) «الإصابة» (٥٦٠/٢) و«السير» (٨٩/٤).

«مَن تعلقَ تميمةً؛ فقدْ أشْرَكَ»، ولابنِ أبي حاتمٍ عن حذيفةَ أنهُ

قوله: (من تَعلَّق تميمة) أي علقها متعلقًا بها قلبه في طلب خير أو دفع شر.

قال المنذري: خرزة كانوا يعلقونها يرون أنها تدفع عنهم الآفات، وهذا جهل وضلالة، إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى.

وقال أبو السعادات: التمائم جمع تميمة وهى خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين، في زعمهم، فأبطلها الإسلام.

قوله: (فلا أتمَّ الله له) دعاء عليه.

قوله: (ومن تعلق وَدعَة) بفتح الواو وسكون المهملة. قال في مسند الفردوس: شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين.

قوله: (فلا وَدَع الله له) بتخفيف الدال، أي لا جعله في دعة وسكون، قال أبو السعادات وهذا دعاء عليه.

قوله: (وفي رواية: من تعلق تميمة فعد أشرك).

قال أبو السعادات: إنما جعلها شركًا لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه.

قال المصنف ﷺ (ولابن أبي حاتم عن حذيفة) أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمَّى، فقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦].

قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا محمد بن الحسين بن إبراهيم بن أشكاب حدثنا يونس بن محمد حدثنا حمَّاد بن سلمة عن عاصم الأحول عن عروة قال: دخل حذيفة على

مريض، فرأى في عضده سيرًا فقطعه أو انتزعه. ثم قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾(١).

وابن أبي حاتم هو الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي الحنظلي الحافظ، صاحب «الجرح والتعديل» و«التفسير» وغيرهما مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة(٢).

وحُذيفة هو ابن اليمان. واسم اليمان: حسيل بمهملتين مصغرًا، ويقال حسل - بكسر ثم سكون - العبسي بالموحدة، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين ويقال له صاحب السر(٣) وأبوه أيضًا صحابي، مات حذيفة في أول خلافة علي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين(٤).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» [١٢٠٤٠] وإسناده فيه انقطاع.

(٢) قال ابن كثير في «البداية» (١١٣/١٥): صاحب «الجرح والتعديل» وهو من أجلِّ الكتب المصنفة في هذا الشأن، وله التفسير الحافلُ الذي اشتمل على النقل الكامل الذي يُرْبِي فيه على تفسير ابن جرير، وله كتاب «العلل» المصنفة المرتبة على أبواب الفقه وكان من العبادة والزَّهادة والورع والحفظ والكرمات الكثيرة المشهورة على جانب كبير.
انظر: «طبقات الحنابلة» (٥٥/٢) و«تاريخ دمشق» (٣٣٦/٤١) السير (٢٦٣/١٣) و«الوفيات» (٢٨٧/٢) و«طبقات المفسرين» (٢٧٩/١).

(٣) لأن النبي صلى الله عليه وسلم استصحبه في عودته من غزوة تبوك حين أخذ في طريق العقبة التي كان المنافقون كمنوا عندها لينفروا راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقع عنها فيموت. فأطلعه الله على ما بيتوا وأعلمه بأسمائهم. فأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة بأسمائهم إذا ناداهم بأسمائهم حين حاذاهم. ثم استكتم حذيفة أسماءهم اتقاء الفتنة. ولم يكن عند حذيفة سر في الدين، كما يدعي الضالون من الصوفية. لأن الإسلام علانية لا سر فيه؛ وإنما الأسرار في النصرانية وكنائسها وقسسها ورهبانيتها.
وصاحب السر انظر: انظر: «صحيح البخاري» [٣٧٤٣].

(٤) حُذيفة في «الصحيحين» اثنا عشر حديثًا وفي البخاري ثمانية، ومسلم: سبعة عشر حديثًا.

رأى رجلًا في يدِهِ خيطٌ مِنَ الحُمَّى فقطعَهُ،

قوله: (رأى رجلًا في يده خيط من الحمى) أي عن الحمى. وكان الجهال يعلقون التمائم والخيوط ونحوها لدفع الحمى(١).

وروى وكيع عن حذيفة: أنه دخل على مريض يعوده فلمس عضده، فإذا فيه خيط، فقال: ما هذا؟ قال: شيء رقى لي فيه، فقطعه وقال: لو مت وهو عليك ما صليت عليك»(٢) وفيه إنكار مثل هذا، وإن كان يعتقد أنه سبب، فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله تعالى ورسوله مع عدم الاعتماد عليها. وأما التمائم والخيوط والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال فهو شرك يجب إنكاره وازالته بالقول والفعل، وإن لم يأذن فيه صاحبه.

له ترجمة ماتعة في «السير» (٢٧/٤) والطبقات (٣١٧/٧) و«التاريخ الكبير» (١١٤٠/٣) والأسد (١ ٨٦: ؛ «تهذيب الكمال» (ترجمة ١١٤٧) وتهذيب التهذيب ترجمة [٤٠٥].

(١) ولا يزال هذا معتقدًا عند أهل الجاهلية الثانية. يتخذون خيوطًا يعقدونها بأيدي من اسمه محمد وبعض ذلك يعملونه يوم الجمعة، وبعض ذلك يعملونه على مقاس باب الكعبة ثم يعقدونه [illegible] عقدة ممن أسماؤهم محمد، ويقرأون عند كل عقدة قل هو الله أحد. ويزعمون أن هذا الخيط [illegible] من العقم؛ فلا تلبسه عقيم في زعمهم إلا وتحمل. وهذا من أعظم الانحطاط إلى أحط دركات [illegible] والصمم والعمى، بل إلى البهيمية أن يعتقد في خيوط. ومثله اتخاذ سبع من أنواع الحبوب تعلق في كيس مع سرة الطفل وأشباه ذلك كثير فاش فيمن يتسمون بأسماء إسلامية. وهم من أجهل المشركين [illegible] الأكبر. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٣/٧) بإسناد صحيح.

وتلا قولهُ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦].

قوله: (وتلا قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ استدل حذيفة رضي الله عنه بالآية على أن هذا شرك(١). ففيه صحة الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزله الله في الشرك الأكبر، لشمول الآية ودخوله في مسمى الشرك، وتقدم معنى هذه الآية عن ابن عباس وغيره في كلام شيخ الإسلام وغيره. والله أعلم.

وفي هذه الآثار عن الصحابة: ما يبين كمال علمهم بالتوحيد وما ينافيه أو ينافي كماله.

(١) في قرة العيون: فإذا كان يقع مثل هذا في تلك القرون المفضلة فكيف يؤمن أن يقع ما هو أعظم منه؟ لكن لغلبة الجهل به وقع منهم أعظم مما وقع من مشركي العرب وغيرهم في الجاهلية مما قد تقدم التنبيه عليه، حتى إن كثيرًا من العلماء في هذه القرون اشتد نكيرهم على من أنكر الشرك الأكبر فصاروا هم والصحابة رضي الله عنهم على طرفي نقيض، فالصحابة ينكرون القليل من الشرك؛ وهؤلاء ينكرون على من أنكر الشرك الأكبر ويجعلون النهي عن هذا الشرك بدعة وضلالة؛ وكذلك كانت حال الأمم مع الأنبياء والرسل جميعهم فيما بعثوا به من توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده، والنهي عن الشرك به؛ وقد بعث الله تعالى خاتم رسله محمدًا صلى الله عليه وسلم بذلك كما بعث به من قبله، فعكس هؤلاء المتأخرون ما دعا إليه رسول الله · مشركي العرب وغيرهم، فنصر هؤلاء ما نهى عنه من الشرك غاية النصرة؛ وأنكروا التوحيد الذي بعث به غاية الإنكار، فإنه صلى الله عليه وسلم لما قال لقريش: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» عرفوا معناها الذي وضعت له وما أريد منها فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ وفي صحيح البخاري وغيره في سؤال هرقل لأبي سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «فماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة».

فيه مسائلُ:

الأولى- التغليظُ في لبسِ الحلقةِ والخيطِ ونحوهِما لمثلِ ذلكَ.

الثانية- أنَّ الصَّحابيَّ لو ماتَ وهيَ عليهِ ما أفلحَ. فيهِ شاهِدٌ لكلامِ الصحابةِ: أنَّ الشركَ الأصغرَ أكبرُ مِنَ الكبائرِ.

الثالثة- أنهُ لمْ يُعذَرْ بالجَهالِة.

الرابعة- أنَّها لا تنفعُ في العاجلَةِ بل تضَرُّ، لقولهِ: «لا تزيدُكَ إلا وَهْنًا».

الخامسة- الإنكارُ بالتغليظِ [ق/ 7/ أ] على مَن فعلَ مثلَ ذلكَ.

السادسة- التصريحُ بأنَّ مَن تعلقَ شيئًا وُكِلَ إليهِ.

السابعة- التصريحُ بأنَّ مَن تعلقَ تميمةً فقدْ أشرَكَ.

الثامنة- أنَّ تعليقَ الخيطِ منَ الحُمَّى مِن ذلكَ.

التاسعة- تلاوةُ حذيفةَ الآيةَ دليلٌ على أنَّ الصحَابَةَ يستدلونَ بالآياتِ التي في [الشركِ] الأكبرِ على الأصْغرِ، كما ذَكَرَ ابنُ عباسٍ في آيةِ البقرةِ.

العاشرة- أنَّ تعليقَ الودَعَ [عن] العينِ مِن ذلكَ.

الحادية عشرة- الدعاءُ على مَن تعلقَ تميمةً، أنَّ اللهَ لا يُتِمَّ لهُ، ومَن تعلقَ ودَعَةً، فلا وَدَعَ اللهُ له، أي؛ لا تَرَكَ اللهَ لهُ.

بابُ
مَا جَاءَ في الرّقَي والتّمَائِمِ

في الصحيح عن أبي بشيرٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه أنه كانَ معَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

باب ما جاء في الرقي والتمائم

قوله: (باب ما جاء في الرقى والتمائم)

أي من النهي وما ورد عن السلف في ذلك.

قوله: (وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فأرسل رسولًا: أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت)

هذا الحديث في الصحيحين[(١)].

قوله: (عن أبي بشير) بفتح أوله وكسر المعجمة، قيل اسمه قيس بن عبيد قاله ابن سعد[(٢)].

وقال ابن عبد البر: لا يوقف له على اسم صحيح[(٣)]، هو صحابي شهد الخندق ومات بعد الستين وقال: إنه جاوز المائة.

---

(١) أخرجه البخاري [٥] ومسلم [٢١١٥] وأبو داود [٢٥٥٢] والنسائي في «الكبرى» [٨٨٠٨] والطحاوي (٣٢٥/٤) والمشكل [٤] [٣٢٥] وابن حبان [٤٦٩٨] والطبراني (٧٥٠/٢٢) والبيهقي (٢٥٤/٥) والبغوي [٢٦٧٩] وأحمد (١٦/٥).

(٢) «الطبقات» (٢٣٩/٤).

(٣) «الاستيعاب» (١٦١٠/٤).

في بعضِ أسفارِهِ فأرْسَلَ رسولًا أنْ لا يَبقيَنَّ في رقبةِ بعير قلادة من وتر

قوله: (في بعض أسفاره) قال الحافظ: لم أقف على تعيينه[١].

قوله: (فأرسل رسولًا) هو زيد بن حارثة. روى ذلك الحارث بن أبي أسامة في مسنده قاله الحافظ[٢].

قوله: (أن لا يبقين) بالمثناة التحتية والقاف المفتوحتين وقلادة مرفوع على أنه فاعل والوتر بفتحتين، وأحد أوتار القوس. وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره وقَلَّدوا به الدواب اعتقادًا منهم أنه يدفع عن الدَّابة العين[٣].

---

(١) «الفتح» (٦/١٥٩) وقال: ليس له إلا هذا الحديث الواحد في صحيح البخاري.

(٢) فتح الباري (٦/١٦٠).

(٣) وأصل معنى القلادة: ما يوضع في العنق من الحلي والزينة للنساء؛ والحبل يوضع في عنق الدابة لتقاد به. ومثل ذلك ما يعلقه بعض الناس اليوم على السيارات من صورة قرد ونحوه وما يضعه بعضهم على أبواب البيوت والحوانيت من حدوة حمار أو حصان، وتعليق سنابل من الحنطة أو غير ذلك كله من عمل الجاهلية المنهي عنه أشد النهي وقد يصل إلى الشرك الأكبر عند بعضهم حين يعتقد فيه أنه هو الذي يدفع حقيقة الضر والسوء.

أو قلادة إلا قطعت.

قوله: (أو قلادة إلا قطعت) معناه: أن الراوى شَكَّ هل قال شيخه: قلادة من وتر أو قال: قلادة وأطلق ولم يقيده؟ ويؤيد الأول ما روى عن مالك أنه سُئل عن القلادة؟ فقال: «ما سمعت بكراهتها إلا في الوتر». ولأبى داود ولا قلادة بغير شك[١].

قال البغوي في «شرح السنة»: تأول مالك أمره عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بقطع القلائد على أنه من أجل العين وذلك أنهم كانوا يشدون الأوتار والتمائم ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات. فنهاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئًا[٢].

قال أبو عبيد: كانوا يقلدون الإبل الأوتار، لئلا تصيبها العين، فأمرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإزالتها إعلامًا لهم بأن الأوتار لا ترد شيئًا. وكذا قال ابن الجوزى وغيره[٣].

قال الحافظ: ويؤيده حديث عقبة بن عامر، رفعه **«من تعلق تميمة فلا أتم الله له»** رواه أبو داود. وهى ما عُلِّق من القلائد خشية العين ونحو ذلك. انتهى[٤].

---

(١) فتح الباري (١٦٠/١٦).

(٢) شرح السنة للبغوي (٢٧/١١).

(٣) فتح الباري (١٦٠/١٦).

(٤) فتح الباري (١٦٠//٦).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

حديث ابن مسعود: الرقي والتمائم والتولة شرك

قال المصنف: «(وعن ابن مسعود: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**» رواه أحمد وأبو داود)[1]».

وفيه قصة، ولفظ أبي داود: عن «زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: إن عبد الله رأى في عنقي خيطًا فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رُقِيَ لي فيه. قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**». فقلت: لقد كانت عيني تقذف، وكنت اختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقى في سكنت. فقال عبد الله: إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا كف عنها. إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أذهب البأس، رب البأس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا» ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح، وأقره الذهبي[2].

---

(١) حسن. أخرجه أحمد [٣٦١٥] وأبو داود [٣٨٨٣] أبو يعلى [٥٢٠٨] وابن ماجه [٣٥٣٠] والبغوي [٣٢٤٠] من طريق الأعمش عن عمرو بن مَرَّة عن يحيى بن الجزار عن ابن أخي زينب، عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود كان عبدالله ابن مسعود..... الحديث.

وإسناده ضعيف لجهالة ابن أخي زينب لكنه لم ينفرد به وقد توبع.

وأخرجه الحاكم (٤/٤١٧- ٤١٨) من طريق الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الجزار عن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن زينب، به، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي! وليس كذلك، فهو صحيح الإسناد فقط.

فالحديث بطريقيه حسن إن شاء الله وصححه الألباني في «الصحيحة» [٣٣١].

(٢) انظر التخريج السابق.

«إنَّ الرُّقى

قوله: (إن الرُّقى) قال المصنف: (هي التي تُسمى العزائم، وخصَّ منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمة) يشير إلى أن الرُّقى الموصوفة بكونها شركًا هي التي يستعان فيها بغير الله، وأما إذا لم يذكر فيها إلا بأسماء الله وصفاته وآياته، والمأثور عن النبي ﷺ، فهذا حسن جائز أو مستحب.

قوله (فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة) كما تقدم ذلك في باب من حقق التوحيد. وكذا رخص في الرُّقى من غيرها، كما في صحيح مسلم عن «عوف بن مالك: كنا نرقى في الجاهلية، فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليَّ رقاكم. لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا»[1] وفي الباب أحاديث كثيرة.

قال الخطَّابي: وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد رَقَى وَرُقِي، وأمر بها وأجازها، فإذا كانت بالقرآن وبأسماء الله فهي مباحة أو مأمور بها، وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب، فإنه ربما كان كفرًا أو قولًا يدخله شرك[2].

قلت: من ذلك ما كان على مذاهب الجاهلية التي يتعاطونها، وأنها تدفع عنهم الآفات ويعتقدون أن ذلك من قبل الجن ومعونتهم. وبنحو هذا ذكر الخطابي.

وقال شيخ الإسلام: كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به فضلًا أن يدعو به، ولو عرف معناه: لأنه يكره الدعاء بغير العربية، وإنما يرخص لمن لا يحسن العربية، فأما جعل الألفاظ الأعجمية شعارًا فليس من دين الإسلام[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «معالم السنن» (٥/٣٦٢- ٣٦٣).

(٣) وذلك مثل قول أرباب الطرق الصوفية في أورادهم «كركدن كرددن دهده، أصباءء ا ت أهيا شراهيا جلجلوت» وأمثالها مما يقولون عنه أنه ذكر الله، فهذا كله ليس من دين الإسلام في شيء لأن الإسلام

وقال السيوطي: قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاث شروط: أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي: ما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى.

عربي متين، وهذا وغيره يدل على أن أصل هذه الطرق الصوفية خدعة يهودية هندية فارسية يونانية، كادوا بها للمسلمين ففرقوهم شيعًا وأحزابًا وملأوا قلوبهم من الشرك في الإلهية والشرك في الربوبية. فوصلوا من ذلك إلى ما يريدون من تفويض الدولة الإسلامية.

والتمائمَ

قوله: (والتمائم) قال المصنف: (شيء يعلق على الأولاد من العين).

وقال الخلخالي: التمائم جمع تميمة وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين، وهذا منهي عنه. لأنه لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلَّا بالله وبأسمائه وصفاته.

قال المصنف: (لكن إذا كان المُعَلَّق من القرآن فَرَخَّص فيه بعض السلف. وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه. منهم ابن مسعود).

اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن أسماء الله وصفاته، فقالت طائفة يجوز ذلك، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص[(١)] وهو ظاهر ما روى عن عائشة. وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمد في رواية. وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك.

وقالت طائفة لا يجوز ذلك. وبه قال ابن مسعود وابن عباس. وهو ظاهر قول حذيفة وعُقبة بن عامر وابن عُكيم، وبه قال جماعة من التابعين، منهم أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه[(٢)].

---

(١) الرواية بذلك ضعيفة. ولا تدل على هذا، لأن فيها أن ابن عمرو كان يحفظه أولاده الكبار، ويكتبه في ألواح ويعلقه في عنق الصغار فالظاهر أنه كان يعلقه في الألواح ليحفظه الصغير لا على أنه تميمة والتميمة تكتب في ورقة لا في لوح. وبدليل تحفيظه الكبار. وكيفما كان فهو عمل فردي من عبد الله بن عمرو ولا يترك به حديث رسول الله وعمل كبار الصحابة الذين لم يعملوا مثل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

(٢) في قرة العيون: والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وإن خفيت فقد نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لكمال علمهم بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك قليله وكثيره لتعلق القلب بغير

قلت: هذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل:

الأول: عموم النهى ولا مخصص للعموم.

الثاني: سد الذريعة، فإنه يفضى إلى تعليق ما ليس كذلك.

الثالث: أنه إذا علق فلابد أن يمتهنه المتعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك[1].

وتأمل هذه الأحاديث وما كان عليه السلف رضى الله تعالى عنهم يتبين لك بذلك غُربة الإسلام، خصوصًا إن عرفت عظيم ما وقع فيه الكثير بعد القرون المفضلة من تعظيم القبور واتخاذ المساجد عليها والإقبال إليها بالقلب والوجه، وصرف جُلّ الدعوات والرَّغبات والرَّهبات وأنواع العبادات التي هي حَقُّ الله تعالى إليها من دونه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧] ونظائرها في القرآن أكثر من أن تحصر.

الله في دفع الضر أو جلب نفع؛ وقد عمت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة، فمن عرف هذه الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه، وفيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر.

(١) ولأن فعل ذلك استهزاء أشد استهزاء بآيات الله ومناقضة لما جاءت به ومحادة لله ولرسوله، فإن الله أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وشفاء لما في الصدور ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا. وأنه لتذكرة للمتقين. وإنه لحسرة على الكافرين. وإنه لحق اليقين. ولم ينزل القرآن ليتخذ حجبًا وتمائم. ولا ليتلاعب به المتآكلون به الذين يشترون به ثمنًا قليلًا. والذين يقرءونه على المقابر وأمثال ذلك مما ذهب بحرمة القرآن وجرأ الرؤساء على ترك الحكم به.

والتولَةَ؛ شِرْكٌ» رواه أحمد وأبو داود.

قوله: (التِولة)، قال المصنف: (هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته وبهذا فسرها ابن مسعود راوي الحديث: كما في صحيح ابن حبان والحاكم قالوا: يا أبا عبد الرحمن، هذه الرقى والتمائم قد عرفناها فما التولة؟ قال: شيء نصنعه للنساء يتحببن به إلى أزواجهن»[1].

قال الحافظ: التِولة: بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففًا - شيئًا كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر، والله أعلم.

وكان من الشرك لما يراد به من دفع المضار وجلب المنافع من غير الله تعالى.

---

(١) أخرجه ابن حبان [٦٠٩٠] والحاكم (٤/٤١٧- ٤١٨) وهو حديث حسن بطرقه كما سبق.

عن عبد الله بن عُكيم مرفوعًا: «مَن تعلقَ شيئًا وكِلَ إليهِ» رواه أحمد والترمذي.

حديث: من تعلق شيئًا وكل إليه

قال المصنف: (وعن عبد الله بن عُكيم مرفوعًا «من تعلق شيئًا وكل إليه» رواه أحمد والترمذي)[1] ورواه ابو داود والحاكم.

وعبد الله بن عُكيم هو بضم المهملة مصغرًا، ويكنى أبا معبد، الجهني الكوفي. قال البخاري: أدرك زمن النبي ﷺ ولا يعرف له سماع صحيح وكذا قال أبو حاتم. قال الخطيب سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة وكان ثقة، وذكر ابن سعد عن غيره أنه مات في ولاية الحجاج.

قوله: (ومن تعلق شيئًا وكل إليه) التعلق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما «وُكِّل إليه» أي وَكَلَهُ الله إلى ذلك الشيء الذي تَعلَّقه فمن تعلق بالله وأنزل حوائجه إليه والتجأ إليه، وفَوَّض أمره إليه، وكفاه وقرب إليه كل بعيد ويسر له كل عسير، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى رأيه وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك، وكَّلَهُ

(١) حسن. أخرجه أحمد (٣١٠/٤) وابن أبي شيبة (١٣/٧) والترمذي [٢٠٧٢] وابن قانع في «معجم الصحابة» (١١٧/٢) والطبراني (٢٢/(٩٦٠) والحاكم (٢١٦/٤) والبيهقي (٣٥١/٩) من طرق عن ابن أبي ليلى عن عيسى بن عبد الرحمن قال: دخلنا على عبدالله بن عُكيم وهو مريض نعوده فقيل له: لو تعلقت شيئًا فقال: أتعلَّق شيئًا وقد قال رسول الله ﷺ فذكره.
قال ابن قانع: ولا أعلم أن عيسى بن عبد الرحمن لقى عبد الله بن عُكيم. قلت: وابن أبي ليلى سيئ الحفظ، وعبد الله بن عُكيم لم يسمع من النبي ﷺ.
وله شاهد من حديث أبي هريرة بنحوه.
أخرجه النسائي (١١٢/٧) وفيه الحسن لم يسمع من أبي هريرة.
وشاهد آخر من حديث عمران بنحوه.
وقد سبق تخريجه، وبه يتقوى الحديث وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي» [٢٠٧٢].

و«التمائم»: شيءٌ يعلق على الأولادِ مِنَ العينِ، لكن إذا كانَ المعلقُ مِنَ القرآن، فرَخَّصَ فيهِ بعضُ [السلفِ]، وبعضُهم لم يرخِّص فيهِ، ويجعلُهُ مِنَ المَنهيِّ عنهُ، منهُم ابنُ مسعود رضي الله عنه.

و«الرقى»: هيَ التي تَسَمَّى العزائِمَ، وخُصَّ منهُ الدليلُ ما خَلا مِنَ الشِّركِ، فقد رَخَّصَ فيهِ رسولُ اللهُ صلى الله عليه وسلم من العينِ والحُمَّةِ.

و«التولة»: شيءٌ يصنعونَهُ يزعمونَ أنهُ يُحَبِّبُ المرأةَ إلى زوجِهَا، والرجلَ إلى امرأتِهِ.

الله إلى ذلـك وخذله، وهذا معروف بالنصوص والتجارب. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

قال الإمام أحمد: حدثنا هشـام بن القاسـم حدثنا أبو سـعيد المُؤدب حدثنا من سـمع عَطاء الخُرسـاني قال: لقيت وهـب بن مُنبه وهو يطـوف بالبيت فقلت: حدثني حديثًا أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز. قال: نعم، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود: يا داود، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي أعرف ذلك من نيته، فتكيده السـموات السـبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له بينهـن مخرجًا وأما وعزتي وعصمتي لا يعتصـم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته، إلا قطعت أسـباب السماء من يده وأسخت الأرض من تحت قدميه ثم لا أبالي بأي أوديتها هلك[1].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/٢٤).

روى [الإمام] أحمد عن رُويفعٍ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا رُوَيفعَ؛ لعلَّ الحياةَ تطولُ بكَ،

حديث رويفع من تقلد وترًا فإن محمدًا منه بريء

قال المصنف: وروى الإمام أحمد عن رويفع قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا رويفع، لعل الحياة ستطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلّد وترًا أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمدًا بريء منه»**(1)

الحديث رواه الإمام أحمد عن يحيى بن إسحاق والحسن بن موسى الأشيب كلاهما عن ابن لهيعة. وفيه قصة اختصرها المصنف. وهذا لفظ حسن: حدثنا ابن لهيعة حدثنا عيَّاش بن عبَّاس عن شييم بن بيتان قال: حدثنا رويفع بن ثابت قال: كان رسول الله ﷺ يأخذ جمل أخيه على أن يعطيه النصف مما غنم وله النصف، حتى إن أحدنا ليصير له النصل والريش وللآخر القدح. ثم قال لي رسول الله ﷺ ... الحديث.

ثم رواه أحمد بن يحيى بن غيلان حدثني الفضل حدثني عياش بن عباس أن شييم بن بيتان أخبره أنه سمع شيبان القتباني - الحديث. ابن لهيعة فيه مقال. وفي الإسناد الثاني شيبان القتباني، قيل فيه مجهول. وبقية رجالهما ثقات.

---

(1) صحيح. أخرجه أحمد [١٦٩٦٥] [١٦٩٩٦] وأبو داود [٣٦] [٣٧] والنسائي (١٣٥/٨) وفي «الكبرى» [٩٣٣] والطحاوي (١٢٣/١) والطبراني [٤٤٩١] والبيهقي (١١٠/١) والبغوي [٢٦٨٠] وصححه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» [٧٩١٠] وصحيح أبي داود [٢٦] وفي «المشكاة» [٣٥١].

فأخبِرِ الناسَ؛ أنَّ مَن عَقدَ لحيتَه،

قوله: (فأخبر الناس) دليل على وجوب إخبار الناس، وليس هذا مختصًا برويفع، بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج إليه الناس وجب إعلامهم به، فإن إشترك هو وغيره في علم ذلك فالتبليغ فرض كفاية. قاله أبو زرعة في شرح سنن أبي داود.

قوله: (لعل الحياة ستطول بك) فيه علم من أعلام النبوة، فإن رويفعًا طالت حيا ته إلى سنة ست وخمسين فمات ببرقة من أعمال مصر أميرًا عليها، وهو من الأنصار. وقيل مات سنة ثلاث وخمسين[1].

قوله: (إن من عقد لِحيته) بكسر اللام لا غير، والجمع لحى بالكسر والضم قاله الجوهري.

قال الخطابي: أما نهيه عن عقد اللحية فيفسر على وجهين.

أحدهما: ما كانوا يفعلونه في الحرب، كانوا يعقدون لحاهم، وذلك من زى بعض الأعاجم يفتلونها ويعقدونها. قال أبو السعادات: تكبرًا وعجبًا.

ثانيهما: أن معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد، وذلك من فعل أهل التأنيث وقال أبو زرعة بن العراق: والأولى حمله على عقد اللحية في الصلاة، كما دلت عليه رواية محمد بن الربيع. وفيه «أن من عقد لحيته في الصلاة»[2].

---

(١) رويفع بن ثابت صحابي جليل شهد فتح مصر، وله آثار جيدة في فتح بلاد المغرب، راجع الاستيعاب (٢/٥٠٤) والأسد (٢/٢٣٩) والإصابة (٢/٥٠١) والبداية (١١/٢٦٠).

(٢) معالم السنن (١/٣٦- ٣٧).

أو تقلدَ وترًا، أو استنجَى برجيع دابةٍ أو عظمٍ؛ فإنَّ محمدًا بريءٌ مِنهُ».

قوله: «أو تقلد وترًا» أي جعله قلادة في عنقه أو عنق دابته. وفي رواية محمد بن ربيع أو تقلد وترًا يريد تميمة.

فإذا كان هذا فيمن تقلد وترًا فكيف بمن تعلق بالأموات وسألهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، الذي جاء النهي عنه وتغليظه في الآيات المحكمات؟

قوله: (أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدًا بريء منه) قال النووي: أي بريء من فعله، وهذا خلاف الظاهر. والنووي كثيرًا ما يتأول الأحاديث بصرفها عن ظاهرها فيغفر الله تعالى له.

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «لا تستنجوا بالروث ولا العظام فإنه زاد إخوانكم من الجن»(١) وعليه لا يجزى الاستنجاء بهما كما هو ظاهر مذهب أحمد، لما روى ابن خزيمة والدارقطني عن أبي هريرة: «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يستنجي بعظم أو روث، وقال: إنهما لا يطهران»(٢).

(١) أخرجه أحمد [٤١٤٩] ومسلم [٤٥٠] وأبو داود [٨٥] والترمذي [١٨] والنسائي في «الكبرى» [٣٩] وأبو يعلى [٥٢٣٧] والطيالسي [٢٨١] وابن حبان [٦٣٢٠] والطحاوي (١/١٢٤) والشاشي [٣١٦] والطبراني [٩٩٧١] وغيرهم.

(٢) أخرجه الدارقطني (١/٥٦/٩) وقال: إسناده صحيح، وابن عدي (٣/٣٣٢) وحسن الحافظ حديثه كما في «الدارية» (١/٩٧/٩١).

وعن سعيد بن جبيرٍ ﵀ قال: «مَنَ قطعَ تميمةً مِن إنسانٍ كانَ [ق/ 7/ ب] كعدْلِ رقبةٍ» [رواه وكيعٌ].

قوله: (وعن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة «رواه وكيع)[1] هذا عند أهل العلم له حكم الرفع[2]، لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي ويكون هذا مرسلًا لأن سعيدًا تابعي[3]. وفيه فضل قطع التمائم لأنها شرك.

ووكيع هو ابن الجراح ابن وكيع الكوفي، ثقة إمام، صاحب تصانيف منها الجامع وغيره. روى عنه الإمام أحمد وطبقته. مات سنة سبع وتسعين ومائة[4].

(١) أخرجه ابن ابي شيبة [٣٥٢٤] وإسناده ضعيف.

(٢) هذا إذا كان قائل ذلك صحابي، أما تابعي فمختلف فيه، والراجح عدمه، وبخاصة أن سعيد بن جبير ليس من كبار التابعين.

(٣) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم، أبو محمد الكوفي المكيّ من أكابر أصحاب ابن عباس، وكان من أئمة الإسلام في التفسير والفقه والورع وأنواع العلوم وكثرة العمل الصالح وقد رأى خلقًا من الصحابة، قتله الحجاج سنة خمس وتسعين، وله ترجمة تسر القلب، راجعها في «الطبقات» (٢٥٦/٦)، وطبقات خليفة (٧٠٢/٢) والبداية (٤٦٨/١٢- ٤٦٩).

(٤) انظر الطبقات (٣٩٤/٦) وتاريخ بغداد (٤٦٦/١٣) وتهذيب الكمال (٤٦٢/٣٠) والسير (١٤٠/٩) وتذكرة الحفاظ (٣٢٦/١) والبداية (٩٨/١٤).

وله عن إبراهيم قال: «كانوا يكرهونَ التمائمَ كلَّها، مِنَ القرآنِ وغيرِ القرآنِ».

قوله: وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن وإبراهيم هو الإمام بن يزيد النخعي الكوفي، يكنى أبا عمران ثقة من كبار الفقهاء. قال المزى: دخل على عائشة، ولم يثبت له سماع منها. مات سنة ست وتسعين، وله خمسون سنة أو نحوها(١).

قوله: كانوا يكرهون التمائم إلى آخره، مراده بذلك أصحاب عبد الله بن مسعود، كعلقمة والأسود وأبي وائل والحارث بن سويد، وعبيد السلماني ومسروق والربيع بن خثيم، وسويد بن غفلة وغيرهم، وهو من سادات التابعين وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم من حكاية أقوالهم كما بين ذلك الحفاظ العراقي وغيره.

---

(١) هو القائل: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يديك من فلاحه.

وبكى عند موته فقيل له: ما يبكيك؟ قال: انتظار ملك الموت ما أدري يبشرني بجنة أو بنار.

انظر: «الطبقات» (٢٧٠/٦) والحلية (٢١٩/٤) والوفيات (٢٥/١)، وتهذيب الكمال (٢٣٣/٢) والسير (٥٢٠/٤) والبداية (٥٥٤/١٢).

فيهِ مسائلُ:

الأولى- تفسيرُ الرُّقي و [تَفْسِيرُ] التَّمائم.

الثانية- تفسيرُ التولةَ.

الثالثة- أنَّ هذهِ الثلاثةَ كلُّها مِن الشركِ من غيرِ استثناءٍ.

الرابعة- أنَّ الرقيةَ بالكلامِ الحقِّ مِن العينَ والحمة ليسَ مِن ذلكَ.

الخامسة- أنَّ التميمةَ إذا كانتْ مِنَ القرآنِ فقد اختلفَ العلماءُ هلَ هيَ مِن ذلكَ أم لا؟.

السادسة- أنَّ تعليقَ الأوتارِ على الدوابِّ عن العينِ، مِن ذلكَ.

السابعة- الوعيدُ الشديدُ على مَن تعلقَ وترًا.

الثامنة- عِظَمُ فضل ثوابِ مَن قطعَ تميمةً مِن إنسانٍ.

التاسعةُ- أنَّ كلامَ إبراهيمَ لا يُخالِفُ ما تقدَّمِ مِنَ الاختلافِ، لأنَّ مرادَهُ أصحابُ عبدِ الله بن مسعودِ.

باب

مَن تبرك بشجرٍ أو حجرٍ ونحوهما

وقولُ الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم:١٩].

باب من تبرك بشجرة ونحوها

قوله: (باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما)

كبقعة وقبر ونحو ذلك، أي فهو مشرك.

قوله: وقوله الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم:١٩-٢٠] (الآيات) وكانت اللات لثقيف، والعزى لقريش وبني كنانة، ومناة لبني هلال. وقال ابن هشام: كانت لهذيل وخزاعة.

فأما (اللَّات) فقرأ الجمهور بتخفيف التاء، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح ورويس بتشديد التاء.

فعلى الأولى قال الأعمش: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. قال ابن جرير: وكانوا قد اشتقوا اسمها من الله تعالى، قالوا: اللات مؤنثة منه، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا قال: وكذا العزى من العزيز[1]

وقال ابن كثير: اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت الطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون به على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش[2]

(١) «تفسير ابن جرير» (٥٨/٢٧).

(٢) «تفسيره» (٢٥٣/٤).

قال ابن هشام: فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار.

وعلى الثانية قال ابن عباس: «كان رجلًا يلت السويق للحاج، فما مات عكفوا على قبره» ذكره البخاري[1].

قال ابن عباس: «كان يبيع السويق والسمن عند صخرة ويسلؤه عليها، فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة إعظامًا لصاحب السويق»[2] وعن مجاهد نحوه وقال: فلما مات عبدوه رواه سعيد بن منصور. وكذا روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنهم عبدوه وبنحو هذا قال جماعة من أهل العلم.

قلت: لا منافاة بين القولين. فإنهم عبدوا الصخرة والقبر تأليهًا وتظيمًا.

ولمثل هذا بنيت المشاهد والقباب على القبور واتخذت أوثانًا. وفيه بيان أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين والأصنام.

وأما «العزى» فقال ابن جرير[3]: كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها... كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولاعزى لكم فقال رسول الله ﷺ «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم»[4].

---

(١) البخاري [٤٨٥٩] وابن جرير (٣٥/٢٧).

(٢) وفي النهاية: السلاء السمن. وفي فتح الباري (جـ٨، ص٤٣٣): وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس - ولفظه فيه زيادة - «كان يلت السويق على الحجر، فلا يشرب منه أحد إلا سمن، فعبدوه» واختلف في اسم هذا الرجل: فعن مجاهد «كان رجلًا في الجاهلية على صخرة بالطائف وعليها له غنم فكان يسلؤ من رسلها. ويأخذ من زبيب الطائف والإقط فيجعل منه حيسًا ويطعم من يمر به من الناس. فلما مات عبدوه. وزعم بعض الناس أنه عامر بن الظرب. اهـ مختصرًا.

(٣) تفسير ابن جرير (٥٩/٢٧).

(٤) أخرجه البخاري [٣٠٣٩] [٣٩٨٦] [٤٠٤٣] و[٤٠٦١] [٤٠٦٧] وأبو داود [٢٦٦٢] والنسائي في «الكبرى»

وروى النسائي وابن مردوية عن أبي الطفيل قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى، وكانت على ثلاث سمرات فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها. ثم أتى النبي ﷺ فأخبره. فقال ارجع فإنك لم تصنع شيئًا، فرجع خالد، فلما أبصرته السدنة أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عزى يا عزى، فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها فعمها بالسيف فقتلها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره. فقال: «**تلك العزى**»(١).

قلت: وكل هذا وما هو أعظم منه يقع في هذه الأزمنة عند ضرائح الأموات وفي المشاهد.

وأما «مناة» فكانت بالمشلل عند قديد، بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها ويهلون منها للحج، وأصل اشتقاقها: من اسم الله المنان، وقيل: لكثرة ما يمنى أي يراق عندها من الدماء للتبرك بها.

قال البخاري رحمه الله، في حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها: «إنها صنم بين مكة والمدينة»(٢).

[٨٦٣٥] [١١٠٧٩] والطبري في «تاريخه» (٢/٥٠٧) وتفسيره [٨٠٠٥] [٨٠٠٦] وابن حبان [٤٧٣٨] وأحمد (٤/٢٩٣) والبيهقي في «الدلائل» (٣/٢٦٧).

(١) حسن. أخرجه النسائي في «تفسيره» [٥٦٧] وفي «الكبرى» [١١٥٤٧] وأبو يعلى [٩٠٢] وأبو نعيم «دلائل» (ص:٤٦٣) بإسناد ضعيف.

وأخرجه ابن هشام من طريق أبي صالح عن ابن عباس كما في «تلبيس إبليس» (ص:٦٤) بتحقيقي، والحديث حسن إن شاء الله وقد ذكره ابن سعد في «الطبقات» (٢/١١٠-١١١) والطبراني في «تاريخه» (٣/٦٥) وابن هشام في «٢/٢٨٦) وخرجته هناك».

(٢) البخاري [٤٤٩٥] [٤٨٦١].

قال ابن هشام: «فبعث رسول الله ﷺ عليًا فهدمها عام الفتح»[(١)].

فمعنى الآية كما قال القرطبي: أن فيها حذفًا تقديره: أفرأيتم هذه الآلهة، أنفعت أو ضرت، حتى تكون شركاء لله تعالى؟[(٢)].

وقوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ قال ابن كثير: تجعلون له ولدًا وتجعلون ولده أنثى وتختارون لكم الذكور؟ قوله: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي جور وباطلة. فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورًا وسفهًا فتنزهون أنفسكم عن الإناث وتجعلونهن لله تعالى. وقوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي من تلقاء أنفسكم ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي من حجة ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم[(٣)] ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ وإلا حظ أنفسهم في رياستهم وتعظيم آبائهم الأقدمين. قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ قال ابن كثير: ولقد

---

(١) انظر السير (٢/٢٨٦-٢٨٧) وحققته هناك، وتلبيس إبليس (ص:٦٤- ٦٥) بتحقيقي.

(٢) تفسير القرطبي (٩/٨٧-٨٨).

(٣) الظن هنا: ظن المشركين بأوليائهم أنها تسمع الدعاء وتجيب، فإنهم ليس لهم علم بذلك لا من طريق حواسهم، ولا من خبر صادق؛ وإنما هو مما يشيعه السدنة ترويجًا لتجارتهم الخاسرة. ويزيد الجاهلين تعلقًا بأوليائهم من دون الله: ما تهوى أنفسهم من قضاء حاجاتهم بغير الأسباب الكونية؛ فهم يعظمون أولئك الموتى لهوى أنفسهم وقضاء وطرهم لا حبًا في الإيمان والمؤمنين. ولذلك تراهم يتنقلون من ميت إلى آخر إذا لم يجدوا مسألتهم قضيت عند الأول. وهكذا ترى السدنة إذا انتقلوا من وظيفة عند هذا الولي الذي كان في نظرهم كبيرًا أصبح الولي الذي انتقلوا عند قبره أعظم بركة وأكثر كرامات. والله يقول: إن هؤلاء جميعًا لا يتبعون إلا هوى أنفسهم وهم كاذبون أعظم الكذب في دعواهم حب الأولياء والصالحين.

رسل الله تعالى إليهم الرسل بالحق المنير والحجة القاطعة، ومع هذا ما اتبعوا ما جاءوهم به ولا انقادوا له اهـ[(١)].

ومطابقة الآيات للترجمة من جهة أن عُبَّاد هذه الأوثان إنهم كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستعانة بها والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها ويؤملونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك، فالتبرك بقبور الصالحين كاللات، وبالأشجار كالعزى ومناة[(٢)] من ضمن فعل أولئك المشركين مع تلك الأوثان، فمن فعل مثل ذلك واعتقد في قبر أو حجر أو شجر فقد ضاهى عُبَّاد هذه الأوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك، على أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك. فالله المستعان.

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/٢٠٤).

(٢) ما كانوا يتبركون بالعزى ومناة على أنها أحجار مجردة، وإنما كانوا يعتقدون فيها البركة من العزى التي كانت امرأة يزعمون أنها ولية ودفنت عند هذه الشجيرات. وكذلك مناة. ولذلك سموا الأشجار العزى والحجر مناة؛ كما يسمي الناس اليوم النحاس الذي يقام على القبر حسينًا وزينب وغيرهما من الصالحين، فهم يتبركون بها على هذه العقيدة الجاهلية.

عن أبي واقدٍ الليثيِّ قال:

حديث أبي واقد الليثي في ذات أنواط

قوله: (عن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، ونحن حُدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم» رواه الترمذي وصححه[(١)].

أبو واقد إسمه الحارث بن عوف، وفي الباب عن أبي سعيد[(٢)] وأبي هريرة[(٣)] قاله الترمذي وقد رواه أحمد وأبو يعلى وابن أبي شيبة والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني بنحوه.

(١) صحيح. أخرجه عبد الرزاق [٢٠٧٦٣] والحميدي [٨٤٨] وابن أبي شيبة (١٠١/١٥) وأحمد (٢١٨/٥) والطيالسي [١٣٤٦] والترمذي [٢١٨٠] والطبراني(٤٥/٩) والنسائي في «الكبرى» [١١١٨٥]، وابن أبي عاسم في «السنة» [٧٦] وأبو يعلى [١٤٤١] وابن حبان [٦٧٠٢] وابن قانع في «معجم الصحابة» (١٧٢/١) والطبراني [٣٢٩٠] [٣٢٩٢] [٣٢٩٣] وابن نصر في «السنة» [٣٨] والبيهقي في «الدلائل» (١٢٤/٥- ١٢٥) والبغوي (١٩٤/٢) تفسير، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه أحمد (٨٤/٣) والبخاري [٣٤٥٦] [٧٣٢٠] ومسلم [٢٦٦٩] والطيالسي [٢١٧٨] وابنة أبي عاصم في «السنة» [٧٤] وابن حبان [٦٧٠٣] ولفظه كما عند أحمد «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع.... الحديث».

(٣) أخرجه البخاري [٧٣١٩] وأحمد [٨٣٠٨] [٨٣٤٠] [٨٤٣٣] [٨٨٠٥] [٨٨٠٦] ولفظه عنده: «والذي نفسي بيده لتتعين سنن الذين من قبلكم.... الحديث».

وفي الباب حديث شداد بن أوس، أخرجه أحمد (١٢٥/٤) وابن عدي [١٣٥٧/٤] بسند ضعيف.

وحديث سهل بن سعد.

أخرجه احمد (٣٤٠/٥) وغيره.

....

قوله: (عن أبي واقد) قد تقدم ذكر إسـمه في قول الترمذي وهو صحابي مشـهور مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة[١].

---

(١) مات بمكة بعدما جاور بها سنةً ودُفن في مقابر المهاجرين، انظر: الاستيعاب (١٧٧٤/٤) والأسد (٣٢٥/٦) وتهذيب الكمال (٣٨٧/٣٤) وتهذيب التهذيب (٢٧٠/١٢) والإصابة (٤٥٥/٧) والسير (٥٧٦/٢) والبداية (١١٢/١٢).

خرجنا مع رسولِ الله ﷺ إلى حُنينٍ ونحنُ حدثاءُ عهدٍ بكفرٍ، وللمشركينَ سِدْرَةٌ يعكُفونَ عندَها

قوله: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين) وفي حديث عمرو بن عوف وهو عند ابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني. قال غزونا مع رسول الله ﷺ يوم الفتح، ونحن ألف ونيف حتى إذا كنا بين حنين والطائف الحديث[1].

قوله: (ونحن حدثاء عهد بكفر) أي قريب عهدنا بالكفر، ففيه دليل على أن غيرهم ممن تقدم إسلامه من الصحابة لا يجهل هذا وأن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قبله لا يأمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة. ذكره المصنف رحمه الله.

قول: (وللمشركين سدرة يعكفون عندها) العكوف هو الإقامة على الشيء في المكان، ومنه قول الخليل عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] وكان عكوف المشركين عند تلك السدرة تبركًا بها وتعظيمًا لها وفي حديث عمرو كان يناط بها السلاح فسميت ذات أنواط وكانت تعبد من دون الله.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٧/٢١/١٧) وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٤/٧) فيه كثير بن عبد الله وقد ضعفه الجمهور، وحسن الترمذي حديثه.

وينُوطونَ بها أسلِحَتَهُم يقال لها: ذاتُ أنواطٍ، فمَرَرنا بسدرةٍ فقلنا: يا رسولَ الله اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لَهُمُ ذاتُ أنواطٍ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «اللهُ أكبرُ! [إنها السننُ]،

قوله: (وينوطون بها أسلحتهم) أي يعلقونها عليها للبركة.

قلت: ففي هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك، وبهذه الأمور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها.

قوله: (فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط) **قال أبو السعادات:** سألوه أن يجعل لهم مثلها فنهاهم عن ذلك. وأنواط جمع نوط وهو مصدر سمى بها المنوط. ظنوا أن هذا أمر محبوب عند الله وقصدوا التقرب به، وإلا فهم أجل قدرًا من أن يقصدوا مخالفة النبي ﷺ.

قوله: (فقال رسول الله ﷺ الله أكبر) وفي رواية (سبحان الله) والمراد تعظيم الله تعالى وتنزيهه عن هذا الشرك بأي نوع كان، مما لا يجوز أن يطلب أو يقصد به غير الله وكان النبي ﷺ يستعمل التكبير والتسبيح في حال التعجب تعظيمًا لله وتنزيهًا له إذا سمع من أحد ما لا يليق بالله مما فيه هضم للربوبية أو الإلهية.

قوله: (إنها السُنن) بضم السين أي الطُرق.

قلتم والذي نفسِي بيدِهِ كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

قوله: (قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ شبه مقالتهم هذه بقول بني إسرائيل، بجامع أن كلًا طلب أن يجعل له ما يألهه ويعبده من دون الله، وإن اختلف اللفظان. فالمعنى واحد، فتغيير الاسم لا يغير الحقيقة.

ففيه الخوف من الشرك، وأن الإنسان قد يستحسن شيئًا يظن أنه يقربه إلى الله، وهو أبعد ما يبعده من رحمته ويقرب به من سخطه، ولا يعرف هذا على الحقيقة إلى من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعُبَّاد مع أرباب القبور، من الغلو فيها وصرف جُلّ العبادة لها، ويحسبون أنهم على شيء وهو الذنب الذي لا يغفره الله.

قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بابن أبي شامة(١) في كتاب البدع والحوادث: ومن هذا القسم أيضًا ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحدًا ممن شُهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم لفرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون

---

(١) هو الشيخ شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس أبو محمد وأبو القاسم المقدسي، الشيخ الإمام العلامة الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة شيخ دار الحديث الأشرافية ومدرس الركنية، وصاحب المصنفات العديدة المفيدة، توفي سنة خمس وستين وستمائة.

العبر (٥/٢٨٠) الوافي (١٨/١١٣) «طبقات الشافعية» (٨/١٦٥) «بغية الوعاة» (٢/٧٧) «ذيل مرآة الزمان» (٢/٣٦٧) «البداية») (١٧/٤٧٢).

....

لشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي من عيون وشجر وحائط وحجر. وفي مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما والعمود المخلق داخل باب الصغير، والشجرة الملعونة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث. انتهى[(١)] [(٢)].

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ نحو ما ذكره أبو شامة، ثم قال: فما أسرع أهل الشرك إلى اتخاذ الأوثان من دون الله ولو كانت ما كانت، ويقولون: إن هذا الحجر وهذه الشجرة وهذه العين تقبل النذر، أي تقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة وقربة يتقرب بها الناذر إلى المنذور له، وسيأتي ما يتعلق بهذا الباب عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد»[(٣)].

وفي هذه الجملة من الفوائد: أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك بها العكوف عندها والذبح لها هو الشرك، ولا يغتر بالعوام والطغام، ولا يستبعد كون الشرك بالله تعالى يقع في هذه الأمة، فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حسنًا وطلبوه من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بُيِّن لهم أن ذلك كقول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨] فكيف لا يخفى على من دونهم

---

(١) وفي مصر كذلك من هذه القبور المنامية ونحوها كقبر الحسين وزينب ﭫ؛ وكثير مما يسمى بالأربعين؛ بناء على عقيدة أخبث من عقيدة أهل الجاهلية الأولى، وهي عقيدة أن الولي يتشكل في أربعين جسمًا. وزعم الدباغ مبالغة في الوقاحة والضلال أنه يكون للولي ثلاثمائة وستون جسمًا. وكم في غير مصر من هذه المواضع الشركية من قبور وأشجار وأحجار. عجل الله بتطهير البلاد منها كما طهر الحجاز بيد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود، رحمه الله، ووفق أبناءه للقيام بمثل عمله الصالح وأعلا بهم منار الإسلام.

(٢) انظر: «البدع والحوادث» (ص:١٦٥).

(٣) سيأتي لفظه وتخريجه.

....

في العلـم والفضل بأضعاف مضاعفة مع غلبـة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة؟! بل خفي عليهم عظائم الشرك في الإلهية والربوبية، فأكبروا فعله واتخذوه قربة.

وفيها أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبي ﷺ طلبتهم كطلبة بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سمُّوها ذات أنواط. فالمشرك مشرك وإن سَمَّى شركه ما سماه. كمن يسمى دعاء الأموات والذبح والنذر لهم ونحو ذلك تعظيمًا ومحبة، فإن ذلك هو الشرك، وإن سمَّاه ما سمَّاه. وقِسْ على ذلك.

لتركبُنَّ سُننَ مَن كانَ قبلكُم» رواه الترمذي وصححه.

لتركبن سنن من قبلكم

قوله: (لتركبن سـنن من كان قبلكـم)[1] بضم الموحدة وضم السـين أي طرقهم ومنهجهم وقد يجوز فتح السـين على الإفراد أي طريقهم. وهذا خبر صحيح. والواقع من كثير من هذه الأمة يشهد له.

وفيه علم من أعلام النبوة من حيث إنه وقع كما أخبر به ﷺ.

وفي الحديث: النهى عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه، إلا ما دل الدليل على أنه من شريعة محمد ﷺ.

قـال المصنف رحمه الله: (وفيه التنبيه على مسـائل القبر، أما: مَـنْ رَبُّك؟ فواضح. وأمـا: مَنْ نبيك؟ فمن إخباره أنبـاء الغيب. وأما: ما دينك؟ فمن قولهم اجعل لنا إلهًا إلـخ. وفيـه: أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمـة خلافًا لمن ادعى خلاف ذلك، وفيه الغضـب عنـد التعليم، وإن مـا ذم الله به اليهود والنصارى فإنه قـال لنا لنحذره قاله المصنف رحمه الله.

وأمـا ما ادعاه بعض المتأخرين من أنه يجـوز التبرك بآثار الصالحين فممنوع من وجوه:

منها: أن السـابقين الأولين من الصحابـة ومن بعدهم لم يكـونوا يفعلون ذلك مـع غير النـبي ﷺ، لا في حياته ولا بعد موته. ولو كان خيرًا لسـبقونا إليه،

(١) أي اليهود والنصارى، وقد وقع كما أخبر به ﷺ في هذه الأمة فركبوا طريق من كان قبلهم ممن ذكرنا كما هو في الأحاديث الصحيحة كحديث: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» وهو في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ وفي رواية: «ومن الناس إلا أولئك؟».

....

وأفضل الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. وقد شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن شهد له بالجنة، وما فعله أحد من الصحابة والتابعين مع أحد من هؤلاء السادة، ولا فعله التابعون مع ساداتهم في العلم والدين وأهل الأسوة. فلا يجوز أن يقاس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد من الأمة، وللنبي صلى الله عليه وسلم في حال الحياة خصائص كثيرة لا يصلح أن يشاركه فيها غيره.

ومنها: أن في المنع عن ذلك سدًا لذريعة الشرك كما لا يخفى.

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ آيةِ النَّجْمِ.

الثانية- معرفةُ صورةِ الأمْرِ الذي طَلَبُوا.

الثالثة- كَونُهُم لم يَفعلُوا.

الرابعة- كونُهُم قصَدُوا التقرُّبَ [ق/ ٨/ أ] إلى الله بذلكَ، لظَنِّهِم أنهُ يُحبُّه.

الخامسة- أنهُم إذا جَهِلوا هذا فغيرُهُم أولَى بالجَهل.

السادسة- أنَّ لَهُم مِنَ الحسناتِ والوعْدِ بالمَغفرةِ ما ليسَ لغيرِهِم.

السابعة- أنَّ النبيَّ ﷺ لم يعذرْهُم، بل رَدَّ عليهم بقولِهِ: «اللهُ أكبرُ [إنَّها السنَنُ]، [لتتبعن] سننَ مَن كانَ قبلَكُم» فغلظَّ الأمرَ بهذِهِ الثلاثِ.

الثامنة- [أَنَّ] الأمرُ الكبيرُ، وهُوَ المقصودُ: أنهُ أخبرَ أنَّ طَلَبَهُم كَطَلَبِ بني إسرائيلَ [لَمَّا قالوا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾].

التاسعة- أنَّ نفيَ هذا [مِنْ] معنَى «لا إله إلا الله»، معَ دقتِهِ وخفائِهِ على أولئكَ.

العاشرة- أنهُ حلفَ على الفتيَا، وهوَ لا يحلفُ إلا لمَصْلحةٍ.

الحادية عشرة- أنَّ الشركَ فيهِ أكبرٌ وأصغرٌ، لأنهُم لم يرتدُّوا بهذا.

الثانية عشرة- قولُهم: «ونحنُ حدثاءُ عهدٍ بكفرٍ» فيهِ أنَّ غيرَهُم لا يَجْهَلُ ذلكَ.

الثالثة عشرة- [ذِكْرُ] التكبيرِ عندَ التعجُّبِ، خلافًا لِمَن كرِهَهُ.

الرابعة عشرة- سَدُّ الذرائعِ.

الخامسة عشرة- النهيُ عنِ التشبُّهِ بأهلِ الجاهليةِ.

السادسة عشرة- الغضبُ عندَ التعليمِ.

السابعة عشرة- القاعدةُ الكليةُ، لقولِهِ [«إنَّها السننُ»].

الثامنة عشرة- [أن هذا] عَلَمٌ مِن أعلامِ النبوَّةِ، لكونِهِ وقعَ كما أخبرَ.

التاسعة عشرة- أنَّ كلَّ ما ذمَّ اللهُ بهِ اليهودَ والنصارَى في القرآنِ أنهُ لنَا.

العشرونَ- أنهُ مُتقرِّرٌ عندَهُم أنَّ العباداتِ مبناهَا على الأمْرِ، فصَارَ فيهِ التنبيهُ على مسائِلِ القبرِ. أما «مَن رَبُّك»؟ فواضِحٌ، وأمَّا «مَن نبيُّكَ»؟ فمِنْ إخبارِهِ بأنباءِ الغيبِ، وأمَّا «ما دينُكَ»؟ فمِن قولِهِم: «اجعل لنا إلهًا» إلخ.

الحادية والعشرون- أنْ سنةَ أهلِ الكتابِ مذمومَةٌ كَسُنةِ المشركينَ.

الثانية والعشرون- أنَّ [المنتقلَ] مِنَ الباطلِ الذي اعتادَهُ قلبُهُ [لا يُؤْمَن] أنْ [ق/ ٨/ ب] يكونَ في قلبِهِ بقيةٌ مِن تلكَ العادَةِ [الباطِلَةِ] لقولِهِم: ونحنُ حدثاءُ عهدٍ بكفرٍ.

باب

مَا جاءَ في الذبْحِ لغيرِ اللّهِ

وقولِ الله تعَالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]،

باب ما جاء في الذبح لغير الله

قوله: (باب ما جاء في الذبح لغير الله)

من الوعيد وأنه شرك بالله.

قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] الآية.

قال ابن كثير: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذي يعبدون غير الله ويذبحون نه: بأنه أخلص لله صلاته وذبيحته. لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى.

قال مجاهد: النُّسك الذَّبح في الحج والعمرة(١).

وقال الثورى عن السدى عن سعيد ابن جبير: ونُسكي ذبحي(٢).

وكذا قال الضحَّاك(٣). وقال غيره «ومحياي ومماتي «أي وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح «لله رب العالمين «خالصًا لوجهه «لا شريك له

(١) أخرجه ابن جرير[١٤٢١٣] [١٤٢١٤] بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن جرير [١٤٢١٦] [١٤٢١٧] [١٤٢١٨] بإسناد حسن.

(٣) أخرجه ابن جرير [١٤٢٢٢] بإسناد تالف.

وبذلك «الإخلاص «أمرت وأنا أول المسـلمين «أي من هذه الأمة لأن إسـلام كل نبي متقدم.

قال ابن كثير: وهو كما قال، فإن جميع الأنبياء قبله كانت دعوتهم إلى الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له. كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥] وذكر آيات في هذا المعنى.

ووجه مطابقة الآية للترجمة: أن الله تعالى تعبد عباده بأن يتقربوا إليه بالنسك كمـا تعبدهم بالصـلاة وغيرها من أنواع العبادات، فـإن الله تعالى أمرهم أن يخلصو جميـع أنـواع العبـادة له دون كل ما سـواه، فإذا تقربوا إلى غـير الله بالذبح أو غيره من أنواع العبادة فقد جعلوا لله شريكًا في عبادته، ظاهر في قوله: «لا شريك له «نفى أن يكون لله تعالى شريك في هذه العبادات، وهو بحمد الله واضح.

وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ [الكوثر: ٢].

قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾ **قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:** أمر الله أن يجمع بين هاتين العبادتين، وهما الصلاة والنُّسك، الدَّالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن، وقوة اليقين، وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته، عكس حال أهل الكبر والنفرة، وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم، والذين لا ينحرون له خوفًا من الفقر، ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ الآية والنسك الذبيحة لله تعالى إبتغاء وجهه. فإنهما أجل ما يتقرب به إلى الله. فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب، لأن فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله تعالى من الكوثر.

وأجل العبادات البدنية: الصلاة، وأجل العبادات المالية: النحر. وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها، كما عرفه أرباب القلوب الحية، وما يجتمع له في النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص، من قوة اليقين وحسن الظن: أمر عجيب، وكان النبي ﷺ كثير الصلاة، كثير النحر. اهـ[1].

قلت: وقد تضمنت الصلاة من أنواع العبادات كثيرًا، فمن ذلك الدُّعاء والتكبير، والتسبيح والقراءة، والتسميع والثناء، والقيام والركوع، والسجود والاعتدال، وإقامة الوجه لله تعالى، والإقبال عليه بالقلب، وغير ذلك مما هو مشروع في الصلاة، وكل هذه الأمور من أنواع العبادة التي لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله: وكذلك النسك يتضمن أمورًا من العبادة كما تقدم في كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/٥٣١- ٥٣٢).

عن عليٍّ رضي الله عنه قال: حدثني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأربعِ كلماتٍ:

حديث علي: لعن الله من ذبح لغير الله إلخ

قوله: وعن علي بن أبي طالب قال: «حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غير منار الأرض**» رواه مسلم من طرق وفيه قصة(١).

ورواه الإمام أحمد كذلك عن أبي طفيل قال قلنا لعلي: أخبرنا بشيء أَسَرَّهُ إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما أسر إلى شيئًا كتمه الناس، ولكن سمعته يقول: لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير تخوم الأرض، يعني المنار».

وعلي بن أبي طالب: هو الإمام أمير المؤمنين أبو الحسن الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء، كان من أسبق السابقين الأولين ومن أهل بدر وبيعة الرضوان، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، ومناقبه مشهورة رضي الله عنه، قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١٠٨/١) وابن أبي شيبة (٥٦٦/٦-٥٦٧) ومسلم [١٩٧٨] والبزار [٤٩١] وأبو يعلى [٦٠٢] والنسائي (٢٣٢/٧) والبيهقي [٩٩١٦].

(٢) استوفيت ترجمته ومناقبه في كتاب «الصواعق المحرقة» وهو تحت الطبع.

لعنَ اللهُ

قوله: (لعن الله) اللَّعن: البعد عن مظان الرحمة ومواطنها.

قيل: واللعين والملعون من حقت عليه اللعنة، أو دعي عليه بها.

قال أبو السعادات: أصل اللعن: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله ما معناه: إن الله تعالى يلعن من استحق اللعنة بالقول كما يصلي سبحانه على من استحق الصلاة من عباده قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب:٤٣-٤٤] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٤] وقال: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب:٦١] والقرآن كلامه تعالى أوحاه إلى جبريل عليه السلام وبلغه رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم، وجبريل سمعه منه كما سيأتي في الصلاة إن شاء الله تعالى، فالصلاة ثناء لله تعالى كما تقدم. فالله تعالى هو المصلي وهو المثيب، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «لم يزل الله متكلمًا إذا شاء»[٢]

---

١) ستوفيت معنى اللعن بأنواعه في كتابي «إرواء الظمأن بأخبار الشيطان» وهو تحت الطبع.

٢) قول الإمام أحمد سيأتي تخريجه آخر الكتاب.

مَن ذَبَحَ لغيرِ الله،

قوله: (من ذبح لغير الله) **قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى،** ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة:١٧٣] ظاهره: أنه ما ذبح لغير الله، مثل أن يقول: هذا ذبيحة لكذا. وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للصنم وقال فيه: باسم المسيح أو نحوه.

كما أن ماذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه: بسم الله. فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح أو الزهرة، فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولى، فإن العبادة لغير الله أعظم كفرًا من الإستعانة بغير الله.

وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربًا إليه يحرم، وإن قال فيه باسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك[1] وإن هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال. لكن يجتمع في الذبيحة مانعان:

الأول، أنه مما أهل به لغير الله.

والثاني، أنها ذبيحة مرتد.

ومن هذا الباب: ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن، ولهذا روى عن النبي ﷺ أنه نهى عن ذبائح الجن. اهـ[2].

(١) وهم الذين يكتبون الحجب والتمائم والتعاويذ ونحوها، فإنهم يتحرون بها يوم السبت في ساعة كذا أو غيره من الأيام والساعات. ويذبحون ويبخرون عند نزول الكوكب الفلاني في منزلة كذا ونحو كذا، وهم في البلاد الإسلامية كثير - لا كثَّرهم الله - ويعتقد العامة فيهم الصلاح والتقوى، مع أنهم مشركون مرتدون مفسدون للعقول بدجلهم بهذه التمائم والحجب ومتخذون آيات الله هزوًا، ومتقربون بهذه المناسك لغير الله. فيا الله ما أشد غربة الإسلام. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) موضوع - أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١٨/٢) وعنه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣٠٢/٢) وقال الألباني في «الضعيفة» [٢٤٠] وفي «ضعيف الجامع» [٦٠٧٨] «موضوع».

....

قال الزمخشري: كانوا إذا اشتروا دارًا أو بنوها أو استخرجوا عينًا ذبحوا ذبيحة خوفًا أن تصيبهم الجن، فأضيفت إليهم الذبائح لذلك.

وذكر إبراهيم المروزي: أن ما ذبح عند استقبال السلطان تقربًا إليه، أفتى أهل بخارى بتحريمه، لأنه مما أهل به لغير الله[1].

(١) لقد استوفيت هذه المسألة في كتابنا «أحكام الذبائح» وهو مطبوع بمعرفة دار البصيرة.

لعنَ اللهُ مَن لعَنَ والدَيْهِ، لعنَ اللهُ مَن آوَى مُحدِثًا،

قوله: (لعن الله من لعن والديه) يعني أباه وأمه وإن عليا. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه، قالوا: يا رسول الله! وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»[1].

قوله: (لعن الله من آوى محدثًا) أى منعه من أن يؤخذ منه الحق الذي وجب عليه آوى بفتح الهمزة ممدوده أي ضمه إليه وحماه.

قال أبو السعادات: أويت إلى المنزل، وأويت غيري، وآويته. وأنكر بعضهم المقصور المتعدى.

وأما «مُحْدِثًا» فقال أبو السعادات: يروى بكسر الدَّال وفتحها على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر: من نصر جانيًا وآواه وأجاره من خصمه، وحال بينه وبين أن يقتص منه. وبالفتح: هو الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الإيواء فيه الرضى به والصبر عليه، فإنه إذا رضى بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم.

---

(١) أخرجه البخاري [٥٩٧٣] ومسلم [٩٠] من حديث عبد الله بن عمرو.

لعنَ اللهُ مَن غيَّرَ مَنارَ الأرْضِ» رواه مسلم.

قوله: (ولعن الله من غير منار الأرض) بفتح الميم علامات حدودها.

قال أبو السعادات في النهاية في مادة «تخم» ملعون من غير تخوم الأرض أي معالمها وحدودها، وحدها تخم قيل: أراد حدود الحرم خاصة: وقيل هو عام في جميع الأرض، وأراد المعالم التي يهتدى بها في الطريق. وقيل هو أن يدخل الرجل في ملك غيره فيقتطعه ظلمًا. قال ويروى تخوم بفتح التاء على الإفراد وجمعه تخم بضم التاء والخاء. اهـ

وتغييرها: أن يقدمها أو يؤخرها، فيكون هذا من ظلم الأرض الذي قال فيه النبي ﷺ: **«من ظلم شبرًا من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين»**[(١)] ففيه جواز لعن أهل الظلم من غير تعيين.

وأما لعن الفاسق المعين ففيه قولان:

أحدهما: أنه جائز. اختاره ابن الجوزى وغيره.

ثانيهما: لا يجوز، اختاره، أبو بكر عبد العزيز وشيخ الإسلام.

---

(١) أخرجه أحمد [١٦٢٨] [١٦٤٠] [١٦٤١] والبخاري [٢٤٥٢] ومسلم [١٦١٠] والحميدي [٨٣] والنسائي (١١٥/٧) وابن ماجه [٢٥٨٠] وأبو يعلى [٩٤٩] [٩٥٣] وابن حبان [٣١٩٤] عن سعيد بن زيد.

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال:

حديث دخل رجل الجنة في ذباب إلخ

قوله: («وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «**دخل الجنة رجل في ذباب. ودخل النار رجل في ذباب**». قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «**مر رجلان على قوم لهم صنم، لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقرب. قالوا له: قرب ولو ذبابًا. فقرب ذبابًا. فخلوا سبيله، فدخل النار، وقالوا للآخر: قرب، فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عز وجل. فضربوا عنقه، فدخل الجنة**» رواه أحمد)[1].

قال ابن القيم رحمه الله: قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال: دخل الجنة في رجل في ذباب الحديث.

وطارق بن شهاب: هو البجلي الأحمس، أبو عبد الله. رأى النبي ﷺ وهو رجل.

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (صـ٢٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٢٠٣/١) من طريق الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن سليمان موقوفًا.
وإسناده قوي ورجاله ثقات، ومثله لا يقال من قبل الرأي.
ولم أعثر عليه مرفوعًا.
وقال أبو نعيم: رواه شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق، به.
ورواه جرير عن منصور عن المنهال بن عمرو عن حيان بن مرثد عن سليمان، به.
قلت: وأخرجه البيهقي في «الشعب» [٧٣٤٣] من طريق العباس بن محمد الدوري، نا محاضر بن الوزع، هكذا في «الشعب» ولعله لابن المورع ثنا الأعمش عن الحارث عن شبل، عن طارق، عن سلمان موقوفًا.
وإسناده ضعيف.

قال البغوي: نزل الكوفة. وقال أبو داود: رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئًا. قال الحافظ: إذا ثبت أنه لقي النبي فهو صحابي. وإذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي وهو مقبول على الراجح، وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان سنة ثلاث وثمانين[1].

(١) انظر: الاستيعاب (٧٥٥/٢) وأسد الغابة (٧٠/٣) والإصابة (٥١٠/٣) والبداية (٣٤٦/١٢) وإن كنت أرجح صحبته لما رواه أحمد (٣١٤/٤-٣١٥) والطبراني [٨٢٠٥] من طريق شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق أنه قال: رأيت النبي ﷺ: «وإسناده صحيح» وهذا كاف في صحبته والله أعلم، انظر: «السير» (٤٧٠/٤).

«دخَلَ الجنةَ رجلٌ في ذبابٍ، ودَخلَ النارَ رجلٌ في ذبابٍ» قالوا وكيفَ ذلكَ يا رسولَ اللهِ؟! قالَ: «مَرَّ رَجُلانِ على قومٍ لَهم صنمٌ لا يَجوزهُ أحدٌ حتى يُقرِّبَ لهُ شيئًا فقالُوا لأحدِهِما: قرِّب قال ليسَ عندِي شيءٌ أقرِّب قالوا له ولو ذبابًا فقرب [ذبابًا]، فخلَّوا سبيلَهُ، فدَخلِ النارَ وقالوا للآخَرِ: قرِّبْ فقالَ: ما كُنتُ لأقرِّبَ لأحدٍ شيئًا دونَ اللهِ عزَّ وجلَّ، فضَرَبوا عُنقَهُ فدَخلَ الجنةَ» رواه أحمد.

قوله: (دخل الجنة رجل في ذباب) أي من أجله.

قوله: (قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله) كأنهم تقالوا ذلك، وتعجبوا منه. فبين لهم النبي ﷺ ما صَيَّر هذا الأمر الحقير عندهم عظيمًا يستحق هذا عليه الجنة، ويستوجب الآخر عليه النار.

قوله: (فقال: مر رجلان على قوم لهم صنم) الصنم ما كان منحوتًا على صورة ويطلق عليه الوثن كما مر.

قوله: (لا يجاوزه) أي لا يمر به ولا يتعدَّاه أحدٌ حتى يقرب إليه شيئًا وإن قَلَّ.

قوله: (قالوا له قرب ولو ذبابًا فقرب ذبابًا فخلوا سبيله، فدخل النار) في هذا بيان عظمة الشرك، ولو في شيء قليل، وأنه يوجب النار(١). كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

---

(١) في قرة العيون: لأنه قصد غير الله بقلبه أو انقاد بعمله فوجبت له النار، ففيه معنى حديث مسلم الذي تقدم في باب الخوف من الشرك عن جابر مرفوعًا «من لقى الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار» فإذا كان هذا فيمن قرب للصنم ذبابًا فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم ليتقرب بنحرها وذبحها لمن كان يعبده من دون الله، من ميت أو غائب، أو طاغوت أو مشهد أو شجر، أو حجر أو غير ذلك؟ وكان هؤلاء المشركون في أواخر هذه الأمة يعدون ذلك أفضل من الأضحية في

....

وفي هذا الحديث: التحذير من الوقوع في الشرك، وأن الإنسان قد يقع فيه وهو لا يدرى أنه من الشرك الذي يوجب النار.

وفيه أنه دخل النار بسبب لم يقصده ابتداء، وإنما فعله تخلصًا من شر أهل الصنم.

وفيه أن ذلك الرجل كان مسلمًا قبل ذلك، وإلا فلو لم يكن مسلمًا لم يقل دخل النار في ذباب.

وفيه أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان، ذكره المصنف بمعناه.

قوله: وقالوا للآخر: قرب. قال: ما كنت لأقرب شيئًا دون الله عز وجل.

ففيه: بيان فضيلة التوحيد والإخلاص[1].

قال المصنف رحمه الله: وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا منه إلى العمل الظاهر.

وقتها الذي شرعت به، وربما اكتفى بعضهم بذلك عن أن يضحي لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون الله؛ وقد عمت البلوى بهذا وما هو أعظم منه.

(١) في قرة العيون: ففيه معرفة قدر الشرك في قلوب أهل الإيمان ونفرتهم عنه وصلابتهم في الإخلاص، كما في حديث أنس الذي في البخاري وغيره الآتي إن شاء الله تعالى: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان» وفيه: «وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

وفيه: تفاوت الناس في الإيمان لأن هذا الرجل الذي قرب الذباب لم يكن له عمل يستحق به دخول النار قبل ما فعله مع هذا الصنم، كما هو ظاهر الحديث والله أعلم.

فيه مسائل:

الأولى- تفسير: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

الثانية- تفسير: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾.

الثالثة- البُداءَةُ بلعنةِ مَن ذَبحَ لغيرِ الله.

الرابعة- لعنُ مَن لعن والديهِ، ومنهُ أنْ تلعنَ والدَي الرجلِ فيلعنُ والدَيك.

الخامسة- لعنُ مَن آوَى مُحدِثًا وهو الرجلُ يُحدِثُ شيئًا يجبُ فيهِ حَقٌّ لله فيلتجئُ إلى مَن يجيرُهُ مِن ذلكَ.

السادسة- لعنُ مَن غيَّرَ منارَ الأرضِ، وهيَ المَراسيمُ التي تُفرِّقُ بينَ حقكَ في الأرضِ وحقِّ جارِكَ، فتغيَّرَهَا بتقدِيمٍ أو تأخيرٍ.

السابعة- الفرقُ بينَ لعنَ المعيّن، ولعنِ أهلِ المَعاصِي على سبيلِ العمومِ.

الثامنة- هذِهِ القصَّة [ق/ 9/ أ] العظيمَةُ، وهي قصةُ الذبابِ.

التاسعة- كونهُ دخَلَ النارَ بسببِ ذلكَ الذبابِ الذي لم يقصِدْهُ، بل فعلَهُ تخلُّصًا مِن شرِّهِم.

العاشرة- معرفةُ قدْرِ الشرْكِ في قلوبِ المؤمنينَ، [وكَونِهِ] صَبَّرَ [ذلك] على القتلِ، ولم يوافقهُم على طَلَبِهِم، معَ كونِهِم لم يَطلبُوا [منهُ] إلا العَمَلَ الظاهِرَ.

الحادية عشر- أنَّ الذي دخلَ النارَ مسلمٌ، لأنهُ لو كانَ كافرًا لم يَقُل: «دخلَ النارَ في ذبابٍ».

الثانية عشر- فيهِ شاهدٌ للحديثِ الصحيحِ: «الجنةُ أقرَبُ إلى أحدِكُم مِن شرَاكِ نعلِهِ، والنارُ مثلُ ذلكَ».

الثالثة عشر- معرفةُ أنَّ عملَ القلبِ هوَ المقصودُ الأعظمُ حتَّى [عندَ] عبدهِ الأوثانِ.

باب

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾

باب لا يذبح مكان يذبح فيه لغير الله

قوله: (باب: لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله تعالى[1])

«لا» نافية ويحتمل أنها للنهي وهو أظهر، قوله: وقول الله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة:١٠٨] الآية قال المفسرون إن الله تعالى نهى رسوله عن الصلاة في مسجد الضِّرار، والأمة تبعٌ له في ذلك، ثم إنه تعالى حَثَّهُ على الصلاة في مسجد قباء الذي أُسِّس من أول يوم بُنى على التقوى، وهي طاعة الله ورسوله ﷺ، وجمعًا لكلمة المؤمنين ومعقلًا ومنزلًا للإسلام وأهله، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مسجد قباء كعمرة»[2] وفي الصحيح: أن رسول الله

---

(١) في قرة العيون: أشار رحمه الله تعالى إلى ما كان الناس يفعلونه في نجد وغيرها قبل دعوتهم إلى التوحيد من ذبحهم للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم ويتخذون للذبح لهم مكانًا مخصوصًا في دورهم. فنفى الله سبحانه الشرك بهذه الدعوة الإسلامية. فلله الحمد على زوال الشرك والبدع والفساد بطلعة الداعي إلى توحيد رب العالمين.

(٢) صحيح. أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٣٧٣) والترمذي [٣٢٤] وابن ماجه [١٤١١] والحاكم (١/٤٨٧) والطبراني [٥٧٠] والبيهقي (٥/٢٤٨) والبغوي [٤٥٩] من طريق عبد الحميد بن جعفر، حدثنا ابو الأبرد مولي بن خطمة، به.
وقال الترمذي: حسن غريب.
وقال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه إلا أن أبا الأبرد مجهول» ووافقه الذهبي.
قلت: فالإسناد ضعيف.
لكن له شواهد يصح بها منها:

....

ﷺ كان يزور قباء راكبًا وماشيًا[1] وقد صَرَّح أن المسجد المذكور في الآية هو مسجد قباء جماعة من السلف، منهم ابن عباس، وعروة، والشَّعبي، والحسن وغيرهم.

قلت، ويؤيده قوله في الآية ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ وقيل هو مسجد رسول الله ﷺ لحديث أبي سعيد قال: «تمارى رجلان في المسجد الذي أُسِّس على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء. وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**هو مسجدي هذا**»[2] رواه مسلم، وهو قول عمر وابنه وزيد ابن ثابت وغيرهم.

حديث ابن عمر بلفظ: «من صلى فيه كان كعدل عمرة».

أخرجه ابن حبان [١٦٢٧] وابن أبي شيبة (٣٧٣/٢) من طريق شبابة، حدثنا عاصم بن سويد حدثني داود بن إسماعيل عن ابن عمر.

وإسناده لا بأس به.

وله شاهدًا آخر من حديث سهل بن حنيف.

أخرجه البخاري في «الكبير» (٩٦/١) وأحمد [١٥٩٨١] والنسائي (٣٧/٢) وفي «الكبير» [٧٧٨] وابن ماجه [١٤١٢] والطبراني [٥٥٥٨] [٥٥٥٩] [٥٥٦١] [٥٥٦٢] والحاكم (١٢/٣) من طرق مجمع بن يعقوب عن محمد الكرماني سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه مرفوعًا بلفظ «من خرج حتى يأتي هذا المسجد يعني قباء فيصلي فيه كان كعدل عمرة».

وإسناده حسن في الشواهد.

وشاهد آخر من حديث أبي سعيد.

أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢٤٤/١) عنه بلفظ:

«من توضأ فأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له آجر عمرة».

والحديث بشواهد صحيح إن شاء الله.

وصححه الألباني : في «صحيح الجامع» [٦٢٢٥].

(١) أخرجه البخاري [١١٩٣] ومسلم [١٣٩٩] من حديث ابن عمر.

(٢) أخرجه أحمد [١١٠٤٦] [١١١٧٨] [١١١٨٧] [١١٨٤٦] [١١٨٦٤] ومسلم [١٣٩٨] والترمذي [٣٢٣] وأبو يعلى [٩٨٥] وابن حبان [١٦٠٦] [١٦٢٦] والحاكم (٤٨٧/١) والبيهقي (٢٤٦/٥) في «الدلائل» والبغوي [٤٥٥] عن أبي سعيد.

قال ابن كثير: وهذا صحيح. ولا منافاة بين الآية والحديث. لأنه إذا كان مسجد قباء قد أُسِّس على التَّقوى من أوّل يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى، وهذا بخلاف مسجد الضرار الذي أُسس على معصية الله كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧] فلهذه الأمور نهى الله نبيه عن القيام فيه للصلاة. وكان الذي بنوه جاءوا إلى النبي ﷺ قبل خروجه إلى غزوة تبوك فسألوه أن يصلي فيه، وأنهم إنما بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية، فقال: «إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله» فلما قفل عليه السلام راجعًا إلى المدينة، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعضه نزل الوحي بخبر المسجد، فبعث إليه فهدمه قبل قدومه إلى المدينة[١] [٢].

وجه مناسبة الآية للترجمة: أن المواضع المعدة للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح فيها لله، كما أن هذا المسجد لما أُعدَّ لمعصية الله صار محل غضب لأجل ذلك، فلا تجوز الصلاة فيه لله. وهذا قياس صحيح يؤيده حديث ثابت الضَّحَّاك الآتي.

---

(١) أخرجه ابن جرير [١٧٢٠٠] من طريقين مرسلًا.

(٢) كان أبو عامر الفاسق الخزرجي قد ذهب إلى هرقل بعد غزوة أحد، يستعديه على رسول الله ﷺ فوعده هرقل ومَنَّاهُ؛ فأرسل جماعة من قومه من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلًا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه ويكون مرصدًا له إذا قدم عليهم، فبنوا هذا المسجد؛ والذي هدمه بأمر النبي ﷺ وحرقه مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخوه عامر بن عدي.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾

قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ روى الإمام أحمد وابن خزيمة وغيرهما عن عويم بن ساعدة الأنصاري «أن النبي ﷺ آتاهم في مسجد قباء فقال: **«إن الله قد أحسن عليكم الثناء بالطهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟»** فقالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئًا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا»(١) وفي رواية عن جابر وأنس **«هو ذاك فعليكموه»** رواه ابن ماجه وابن أبي حاتم والدارقطني والحاكم(٢).

---

(١) حسن. أخرجه أحمد (٣/٤٢٢) والطبري [١٧٢٣١] وابن خزيمة [٨٣] والطبراني في «الكبير» (١٧/(٣٤٨) والحاكم (١/١٥٥) من طريق أبي أويس، حدثنا شرحبيل، عن عويم بن ساعدة، به.
وإسناده ضعيف لضعف أبو أويس، وشرحبيل بن سعد أبو السعد.
وله شاهد يتقوى به.
حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
أخرجه الطبراني في «الكبير» [١١٠٦٥] وإسناده ضعيف.
وشاهد من حديث أبي هريرة.
أخرجه أبو دواد [٤٤] والترمذي [٣١٠٠] وابن ماجه [٣٥٧] وإسناده ضعيف.
وحديث أبي أمامة.
أخرجه الطبراني [٧٥٥٥] وإسناده ضعيف.
وحديث محمد بن عبد الله بن سلام.
أخرجه أحمد (٦/٦) وابن أبي شيبة (١/١٥٣) والبخاري في «الكبير» (١/١٨) والطبراني (١١/٢٩) وابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/٢٢) وإسناده فيه ضعف.
والحديث بشواهده يصح إن شاء الله، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» [٢٤٧٦] وصحيح ابن ماجه [٢٨٦].

(٢) صحيح. أخرجه ابن ماجه [٣٥٥] والدارقطني (١/٦٢) والحاكم (١/١٥٥) وصححه الشيخ في «صحيح ابن ماجه» [٢٨٥] وفي «المشكاة» [٣٦٩].

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ قال أبو العالية: إن الطهور بالماء لحسن ولكنهم المتطهرون من الذنوب. وفيه إثبات صفة المحبة، خلافًا للأشاعرة ونحوهم.

عن ثابت بن الضحاك ﷺ قال: نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال: «هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا: لا. قال:

حديث فيمن نذر بأن ينحر ببوانة

قوله: (وعن ثابت بن الضحاك قال: «نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يُعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم. قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ: أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما[(١)].

قوله: عن (ثابت بن الضحاك) أي ابن خليفة الأشهلي، صحابي مشهور، روى عنه أبو قلابة وغيره. مات سنة أربع وستين[(٢)].

قوله: (ببوانة) بضم الباء وقيل بفتحها. قال البغوي: موضع في أسفل مكة دون يلملم. قال أبو السعادات: هضبة من وراء ينبع.

قوله: (فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟) فيه المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن، ولو بعد زواله. قاله المصنف رحمه الله.

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود [٣٣١٣] والطبراني [١٣٤١] والبيهقي (٨٣/١٠) وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» [٢٨٣٤].

(٢) انظر: «الاستيعاب» (٢٠٥/١) وأسد الغابة (٢٧١/١) والإصابة (٣٩١/١) والبداية (٢٢٥/١٢- ٢٢٦).

«فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ:

قوله: (فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ **قال شيخ الإسلام** رحمه الله[١]: العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد، إما بعود السنة أو الأسبوع أو الشهر أو نحـو ذلك[٢] والمراد به هنا الاجماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية. فالعيد يجمع أمورًا منها يوم عائد، كيوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها اجتماع فيه، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقًا، وكل من هذه الأمور قد يسمى عيدًا. فالزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة: **«إن هـذا يوم قـد جعله الله للمسـلمين عيـدًا»**[٣] والاجتمـاع والأعمال كقـول ابن عباس «شهدت العيد مع رسول الله ﷺ»[٤] والمكان كقول النبي ﷺ «لا

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم (١٦٣- ١٦٤).

(٢) وهي التي يسميها الناس اليوم الموالد والذكريات التي ملأت البلاد باسم الأولياء؛ وهي نوع من العبادة لهم وتعظيمهم. ولذلك لا يذكر الناس ويعرفون إلا من أقيمت له هذه الذكرانات ولو كان أجهل الله وأفسقهم. فكلما كسدت سوق طاغوت من هؤلاء قام السدنة بهذا العيد لتحيا في نفوس العامة عبادته وتكثر الهدايا والقرابين باسمه. وقد امتلأت البلاد الإسلامية بهذه الذكرانات، وعمت بها المصيبة وعادت بها الجاهلية إلى بلاد الإسلام ولا حول ولا قوة إلا بالله. ولم ينج منها إلا نجد والحجاز فيما نعلم بفضل الله ثم بفضل آل سعود الذين قاموا بحماية دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب. (الفقي).

(٣) حسن. أخرجه ابن ماجه (١٠٩٨)عن ابن عباس
وله شاهد من حديث أبي هريرة بنحوه
أخرجه أحمد (٨٠٢٥) (٨٧٧٢) وابن خزيمة (٢١٦١) والحاكم (٤٣٧/١) والبزار(١٠٦٩) وإسناده محتمل.
والحديث حسن حسنه الألباني في «صحيح ابن ماجه»(٩٠١)

(٤) أخرجه البخاري [٩٦٢] ومسلم [٨٨٤].

تتخذوا قبري عيدًا»(١) وقد يكون لفظ العيد اسمًا لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب، كقول النبي ﷺ: «دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدًا»(٢) انتهى(٣).

قال المصنف: (وفيه استفصال المفتي والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله).

قلت: وفيه سدّ الذَّريعة وترك مشابهة المشركين، والمنع مما هو وسيلة إلى ذلك.

---

(١) إسناده حسن.
أخرجه أحمد(٨٨٠٤) وأبو داود(٢٠٤٢)والطبراني في «الأوسط» [٨٠٢٦] عن أبي هريرة، بإسناد حسن.

(٢) أخرجه البخاري [٩٢٥] [٣٥٣٠] [٣٩٣١] ومسلم [٨٩٢] من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) في قرة العيون: وقد أحدث هؤلاء المشركون أعيادًا عند القبور التي تعبد من دون الله ويسمونها عيدًا كمولد البدوي بمصر وغيره بل هي أعظم لما يوجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة. قال المصنف رحمه الله تعالى: وفيه استفصال المفتي والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله.
قلت: وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلًا للعبادة لكونها صارت محلًا لما حرم الله من الشرك والمعاصي، والحديث وإن كان في النذر فيشمل كل ما كان عبادة الله فلا تفعل في هذه الأماكن الخبيثة التي اتخذت محلًا لما يسخط الله تعالى، فبهذا صار الحديث شاهدًا للترجمة والمصنف رحمه الله تعالى لم يرد التخصيص بالذبح وإنما ذكر الذبح كالمثال.
وقد استشكل جعل محل اللات بالطائف مسجدًا.
والجواب والله أعلم: أنه لو ترك هذا المحل في هذه البلدة لكان يخشى أن تفتتن به قلوب الجهال فيرجع إلى جعله وثنًا. كما كان يفعل فيه أولًا فجعله مسجدًا والحالة هذه ينسى فيها ما كان يفعل فيه ويذهب به أثر الشرك بالكلية فاختص هذا المحل لهذه العلة وهي قوة المعارض والله أعلم.

«أوف بنذرك؛ فإنه لا وفاء لنذرٍ في معصية الله»

قوله: (فأوفِ بنذرك) هذا يدل على أن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغير الله. أي في محل أعيادهم، معصية، لأن قوله فأوف بنذرك تعقيب للوصف بالحكم بالفاء، وذلك يدل على أن الوصف سبب الحكم. فيكون سبب الأمر بالوفاء خلوه من هذين الوصفين. فلما قالوا: لا قال: أوفِ بنذرك وهذا يقتضي أن كون البقعة مكانًا لعيدهم، أو بها وثن من أوثانهم: مانع من الذبح بها ولو نذره. قاله شيخ الإسلام.

وقوله: (فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله) دليل على أن هذا نذر معصية لو قد وجد في المكان بعض الموانع. وما كان من نذر المعصية فلا يجوز الوفاء به بإجماع العلماء. واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين؟ هما روايتان عن أحمد.

أحدهما: يجب وهو المذهب. وروى عن ابن مسعود وابن عباس. وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، لحديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: **«لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين»** رواه أحمد وأهل السنن[1] واحتج به أحمد وإسحق.

ثانيهما: لا كفارة عليه. وروى ذلك عن مسروق والشَّعبي والشَّافعي، لحديث الباب. ولم يذكر فيه كفارة. وجوابه: أنه ذكر الكفارة في الحديث المتقدم. والمطلق يحمل على المقيد.

(١) صحيح. أخرجه (٦/٢٤٧) وأبو داود [٤٢٩١] والنسائي (٧/٢٦-٢٧) وابن ماجه [٢١٢٥]. وأبو يعلى [٤٧٨٣] والطحاوي «مشكل» [٢١٥٨] والبيهقي (١٠/٦٩) وغيرهم، بإسناد ضعيف.
وله شواهد وطرق يتقوى بها راجع الإرواء [٢٥٨٧] [٢٥٩٠].

ولا فيما لا يملك ابن آدم»

قوله: (ولا فيما لا يملك ابن آدم) قال في شرح المصابيح: يعني إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه بأن قال: إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق عبد فلان ونحو ذلك. فأما إذا التزم في الذمة شيئًا، بأن قال إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق رقبة، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها، فإذا شفى مريضه ثبت ذلك في ذمته.

رواه أبو داود [بإسنادٍ جيِّدٍ]..

قوله: (رواه أبو داود وإسناده على شرطهما) أي البخاري ومسلم.

وأبو داود: اسمه سليمان ابن الأشعث بن إسحق بن بشير بن شداد الأزدى السجستانى صاحب الإمام أحمد، ومُصَنِّف السُّنن[1] والمراسيل وغيرها، ثقة إمام حافظ من كبار العلماء مات سنة خمس وسبعين ومائتين. رحمه الله تعالى.

---

(١) سنن أبي داود، وعدد أحاديث السنن [٥٢٧٤] حديث أكثرها ما بين صحيح وحسن، وبها الضعيف والضعيف جدًا، وليس فيه موضوع إلا حديثًا أو حديثين.
قال الإمام محمد بن مخلد العطار في «تهذيب الكمال» (٢٦٥/١١) ونقله الذهبي في «السير» (٢١٢/١٣):
«كان أبو داود يفي بمذاكرة مائة ألف حديث ولما صنف كتابة «السنن» وقرأه على الناس، صار كتابه لأصحاب الحديث كالمصحف يتبعونه ولا يخالفونه، وأقر له أهل زمانه بالحفظ والتقدم فيه، وقد انتقى كتابه من نحو خمسمائة ألف حديث.
ولقد ألف في مكانة السنن وبيان فضله النووي في «الإيجاز» والسخاوي في «بذل المجهود» وغيرهما.
ولأبي داود ترجمة في «تاريخ بغداد» (٥٥/٩-٥٩) وتاريخ دمشق (١٩١/٢٢- ٢٠١) و«تهذيب الكمال» (٣٥٥/١١- ٣٧٦) وتهذيب الأسماء للنووي (٢٢٤/١- ٢٢٧) والسير (٢٠٧/١٣-٢١٥).

فيه مسائل:

الأولى- تفسير قوله: ﴿ لَا نَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة:١٠٨].

الثانية- أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة- رد المسألة المشكلة إلى المسألة البيِّنة ليزول الإشكال.

الرابعة- استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة- أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة- المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله.

السابعة- المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

الثامنة- أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة، لأنه نذر معصية.

التاسعة- الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

العاشرة- لا نذر في معصية.

الحادية عشرة- لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

باب

من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

باب من الشرك النذر لغير الله

قوله: (باب من الشرك النذر لغير الله تعالى)

أي لكونه عبادة يجب الوفاء به إذا نذره لله. فيكون النذر لغير الله تعالى شركًا في العبادة.

وقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] فالآية دلت على وجوب الوفاء بالنذر ومدح من فعل ذلك طاعة لله ووفاء بما تقرب به إليه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾.

[البقرة: ٢٧٠]

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من الخيرات، من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين إبتغاء وجهه. اهـ[١].

إذا علمت ذلك: فهذه النذور الواقعة من عُبّاد القبور، تقربًا بها إليهم ليقضوا لهم حوائجهم وليشفعوا لهم، كل ذلك شرك في العبادة بلا ريب. كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا

---

(١) التفسير (١/٣٢٢).

....

لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٦].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وأما ما نُذِرَ لغير الله كالنَّذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك، فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات. والحالف بالمخلوقات لا وفاء عليه ولا كفارة، وكذلك الناذر للمخلوقات. فإن كلاهما شرك. والشرك ليس له حرمة، بل عليه أن يستغفر الله من هذا ويقول ما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ حَلَفَ وقال في حَلِفه: واللَّات والعُزَّى فليقل لا إله إلا الله**»(١).

وقال فيمن نذر شمعة أو نحوها دهنًا لتنور به ويقول: إنها تقبل النذر كما يقوله بعض الضالين: وهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به وكذلك إذا نذر مالًا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة. فإن فيهم شبهًا من السَّدَنَة التي كانت عند اللَّات والعُزَّى ومناة، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله.

والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام: ﴿ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ والذين اجتاز بهم موسى عليه السلام وقومه، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] فالنذر لأولئك السَّدنة والمجاورين في هذه البِقَاع نذر معصية. وفيه شَبه من النَّذر لسَدَنةِ الصُلبانِ والمجاورين عندها، أو لسدنة الأبداد في الهند والمجاورين عندها.

---

(١) أخرجه البخاري [٤٨٦٠] ومسلم [١٦٤٧] وأبو داود [٤٢٤٧] والترمذي [١٥٤٥] والنسائي (٧/٧) وفي «الكبرى» [١٠٧٢٨] [١٠٨٢٩] وابن ماجه [٢٠٩٦] وعبد الرزاق [١٥٩٣١] والطحاوي [٨٣٣] [٨٣٤] [٣٢٩٦] وابن خزيمة [٤٥] وابن حبان [٥٧٥] عن أبي هريرة.

....

وقال الرافعي في «شرح المنهاج»: وأما النذرِ لِلمَشَاهِد التي على قبر وليّ أو شيخ أو على اسم من حَلَّها من الأولياء، أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة تعظيم البقعة والمشهد، أو الزاوية، أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه، أو بنيت على اسمه فهذا النذر باطل غير منعقد، فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات، ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ويستجلب بها النعماء، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم: إنه استند إليها عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت، ويقولون إنها تقبل النذر كما يقوله البعض يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض، أو قدوم غائب أو سلامة مال، وغير ذلك من أنواع المجازاة، فهذا النذر على الوجه باطلٌ لا شكَّ فيه، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقًا. ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء، فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركًا وتعظيمًا، ظانًا أن ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرم، سواء انتفع به هناك منتفع أم لا[(١)].

قال الشيخ قاسم الحنفي في «شرح درر البحار»: النذر الذي ينذره أكثر العوام

---

(١) في قرة العيون: وذلك لأن الناذر لله وحده علق رغبته به وحده لعلمه بأنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع: فتوحيد القصد هو توحيد العبادة، ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله، والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركًا بالله لالتفاته إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب فقد جعله شريكًا لله في العبادة فيكون قد أثبت ما نفته (لا إله إلا الله) من إلهية غير الله ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص، وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب فقد خالف ما نفته «لا إله إلا الله» فعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفى ما أثبتته من التوحيد؛ وهذا معنى قول شيخنا. وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب. فكل شرك وقع أو قد يقع فهو ينافي كلمة الإخلاص وما تضمنته من التوحيد.

....

على ما هو مشاهد، كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة، فيأتي إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه ستره، ويقول: يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع والزيت. فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه، منها: أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز، لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق، ومنها أن المنذور له ميت، والميت لا يملك، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله، واعتقاد ذلك كفر إلى أن قال: إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقربًا إليها فحرام بإجماع المسلمين.

نقله عنه ابن نجيم في البحر الرائق، ونقله المرشدى في تذكرته وغيرهما عنه وزاد: قد ابتلى الناس بهذا لاسيما في مولد البدوي[1].

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في «الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء»: فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان فهو لغير الله، فيكون باطلًا. وفي التنزيل ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١]، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] والنذر لغير الله إشراك مع الله، كالذبح لغيره.

---

(١) أحمد البدوي: بطنطا لا يُعرف له تاريخ صحيح، واضطربت الأقوال فيه؛ والمشهور أنه كان جاسوسًا لدولة الملثمين. وكان داهيةً في المكر والخديعة. وقبره أكبر الأصنام في الديار المصرية؛ مثل هبل الأكبر أو اللات في الجاهلية. يؤتى عنده من أنواع الشرك الأكبر، وتقدم له النذور ويجعل له الفلاحون النصف والربع في أنعامهم وزروعهم، بل وأولادهم فيأتي الرجل بنصف مهر ابنته ويعضه في الصندوق قائلًا: هذا نصيبك يا بدوي ويقام له كل عام ثلاثة موالد يشد الرحال إليها الناس من أقصى القطر المصري؛ ويجتمع في المولد أكثر من ثلاثمائة ألف حاج إلى هذا الصنم الأكبر. عجل الله بهدمه وحرقه هو وغيره من كل صنم في مصر وغيرها.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

قوله: (وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعص الله فلا يعصه**»[(١)].

قوله: (في الصحيح) أي: صحيح البخاري.

قوله: (عن عائشة) هي أم المؤمنين، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وابنة الصديق رضي الله عنهما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي ابنة سبع سنين، ودخل بها ابنة تسع[(٢)] وهي أفقه النساء مطلقًا، وهي أفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلا خديجة ففيها خلاف[(٣)]. ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح رضي الله عنها.

---

(١) أخرجه مالك (٢/٤٧٦) والبخاري [٦٦٩٦] [٦٧٠٠] وأبو داود [٣٢٨٩] والترمذي [١٥٢٦] والنسائي (٧/١٧) والدارمي [٢٣٣٨] وابن خزيمة [٣٢٤١] والطحاوي [٤١٤٦] [٤١٦٥] وشرح المعاني (٣/١٣٣) وابن حبان [٤٣٨٧] [٤٣٨٩] وأحمد (٦/٣٦) والبيهقي في «الشعب» [٤٣٤٩] والسنن (٩/٢٣١) عن عائشة.

(٢) انظر الاستيعاب (٤/١٨٨١) والأسد (٧/١٨٨) والإصابة (٨/١٦) «تهذيب الكمال» (٣٥/٢٢٧) والطبقات (٨/٦٦) والبداية (١١/٣٣٦- ٣٤٣) وكانت رضي الله عنها من المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي تلي الرتبة الثالثة على الراجح بعد أبي هريرة، وأنس في عدد ما روته من الأحاديث.
وللسبكي كتابًا في ما استدركته عائشة على الصحابة في نحو سبعين مسألة.
ولها مناقب وافرة، وفضائل غزيرة، ومنقبة عالية، رضي الله عنها.

(٣) في قرة العيون: بل لا يقال خديجة أفضل ولا عائشة أفضل. والتحقيق أن لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة من سبقها إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وتأييده في تلك الحال التي بدئ بالوحي فيها كما في صحيح البخاري وغيره، فما زالت كذلك حتى توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة، ولعائشة من العلم والأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة لعلمها بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن وبيان الحلال والحرام، وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم يرجعون إليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وحديث صلوات الله وسلامه عليه ورضي الله عن أصحابه وأزواجه.

«مَنْ نذرَ أنْ يُطيعَ اللهَ؛ فليطِعْهُ، ومَنْ نذرَ أنْ يَعْصِيَ اللهَ؛ فلا يَعْصِهِ».

قوله: (من نذر أن يطيع الله فليطعه) أي فليفعل ما نذره من طاعة الله وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه، كإن شفى الله مريضى فعلى أن أتصدق بكذا ونحو ذلك وجب عليه، إن حصل له ما علق نذره على حصوله. وحُكى عن أبي حنيفة: أنه لا يلزم الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم وأما ما ليس كذلك كالاعتكاف فلا يجب عليه الوفاء به.

قوله: (ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه) زاد الطحاوى: «وليكفِّر عن يمينه»[١] وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية.

قال الحافظ: اتفقوا على تحريم النذر في المعصية، وتنازعوا: هل ينعقد موجبًا للكفارة أم لا[٢]؟ وتقدم.

وقد يستدل بالحديث على صحة النذر في المباح، كما هو مذهب أحمد وغيره، يؤيده ما رواه أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وأحمد والترمذي عن بريدة: أن امرأة قالت: «يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، فقال أوفي بنذرك»[٣].

---

(١) شرح المعاني (١٣٣/٣) وشرح المشكل [٤١٦٥].

(٢) فتح الباري (٥٩٥/١١).

(٣) صحيح. حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص، أخرجه أبو داود (٣٣١٢) والبيهقي (٧٧/١٠) وإسناده لا بأس به.
وأما حديث بريدة.
أخرجه أحمد (٣٥٣/٥) وفي «الفضائل» [٤٨٠] وابن أبي عاصم في «السنة» [١٢٥١] والترمذي [٣٦٩٠] وابن حبان [٦٨٩٢] والبيهقي (٧٧/١٠) وإسناده حسن.
والحديث صحيح بمجموع الطريقين.

....

وأمـا نذر اللَّجاج والغضب فهو يمين عند أحمد، فَيُخَيَّر بين فعله وكَفَّارة يمين، لحديث عمران بن حصين مرفوعًا «لا نذر في غضب، وكفارته كفارة يمين» رواه سعيد بـن منصور وأحمد(١) والنسـائي، فإن نذر مكروهًا كالطلاق استـحب أن يكفر ولا يفعله.

---

(١) إسناده ضعيف جدًا.
أخرجه أحمد (٤/٤٣٣) والنسائي (٧/٢٧) والطحاوي (٣/١٢٩-١٣٠) وفي «المشكل» [٢١٦٣] [٢١٦٤] والبزار [٣٥٦١] والطبراني (١٨/(٤٨٦) [٤٩٠] وابن عدي في «الكامل» (٦/٢٢٠٩) والحكم (٤/٢٠٥) والبيهقي (١٠/٧٠) من طريق محمد بن الزبير عن أبيه عن رجل عن عمران، به.
وإسناد ضعيف جدًا.
محمد بن الزبير وهو الحنظلي متروك.
وأبوه تفرد بالرواية عنه ابنه.
وفيه رجل مبهم.
والعلة الرابعة: اختلاف الحديث على محمد بن الزبير.
وقد أخرجه النسائي (٧/٢٧-٢٨) والطحاوي (٣/١٢٩) وفي «المشكل» [٢١٦٠] [٢١٦١] [٢١٦٢] والطبراني (١٨/٤٨٥) [٤٨٧] [٤٨٨] وابن عدي [٢٢٠٩] والبيهقي (١٠/٧٠) من طريق محمد بن الزبير عن أبيه عن عمران، به.
ولم يذكر المبهم.
قال البيهقي: لم يسمع الزبير من عمران.

فيه مسائل:

الأولى- وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية- إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك.

الثالثة- أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

باب

من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

قوله: (باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله)

الاستعاذة الالتجاء والاعتصام، ولهذا يُسمى المُسْتَعاذُ به: مُعَاذًا ومَلجأ فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه، إلى ربه ومالكه، واعتصم واستجار به والتجأ إليه، وهذا تمثيل، وإلا فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والانطراح بين يدي الرب، والافتقار، والتذليل له، أمر لا تحيط به العبارة. قاله ابن القيم رحمه الله[١].

وقال ابن كثير: الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شَرِّ كُلِّ ذي شر. والعياذ يكون لدفع الشر. واللِّياذ لطلب الخير[٢]. انتهى.

قلت: وهي من العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦] وأمثال ذلك في القرآن كثير كقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ فما كان عبادة لله فصرفه لغير الله شرك في العبادة، فمن صرف شيئًا من هذه العبادات

---

(١) بدائع الفوائد (٢/٤٢١- ٤٢٢).

(٢) تفسير ابن كثير (١/١٥).

....

لغير الله جعله شريكًا لله في عبادته ونازع الرب في إلهيته كما أن من صلى لله صلى لغيره يكون عابدًا لغير الله، ولا فرق، كما سيأتي تقريره قريبًا إن شاء الله تعالى.

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦].

قال ابن كثير: أي كنا نرى أن لنا فضلًا على الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا، أي إذا نزلوا واديًا أو مكانًا مُوحشًا من البراري وغيرها كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشيءٍ يسوءهم، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا، أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى يبقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم إلى أن قال قال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم رهقًا أي خوفًا. وقال العوفي عن ابن عباس فزادوهم رهقًا أي إثمًا، وكذا قال قتادة. اهـ[1].

وذاك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى بواد قفر وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد كبير الجن، **وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله.**

---

(١) تفسير ابن كثير (١٥٢/٨- ١٥٣) وبنحوه قال الطبري (١١٣/٢٩-١١٤).

وأما أثر ابن عباس فأخرجه ابن جرير [٣٥١٦٣] إسناده ضعيف جدًا.

وأثر مجاهد أخرجه ابن جرير [٣٥١٦٧] بسند صحيح، وبرقم [٣٥١٧٧] وأثر قتادة أخرجه برقم [٣٥١٦٨] بسند صحيح، وبرقم [٣٥١٧٤] وأثر الربيع بن أنس برقم [٣٥١٧٠] إسناده ضعيف جدًا وأثر بن زيد برقم [٣٥١٧١] بسند صحيح.

....

وقال ملا علي قارئ الحنفي: لا يجوز الاستعاذة بالجن. فقد ذَمَّ الله الكافرين على ذلك وذكر الآية وقال: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨] فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشئ من المغيبات، واستمتاع الجنى بالإنسى تعظيمه إياه، وإستعاذته به وخضوعه له. انتهى ملخصًا.

قال المصنف: (وفيه أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك).

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات

ما يقول من نزل بمكان يخافه

قوله: وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**مَنْ نَزَل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التَّامّات من شَرِّ ما خَلق، لم يضرُّه شيءٌ حتى يرتحل من منزله ذلك**» رواه مسلم(١).

هي خولة بنت حكيم بن أُمية السُّلمية، يقال لها أم شريك، ويقال إنها هي الواهبة وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون.

قال ابن عبد البر: وكانت صالحة فاضلة(٢).

قوله: (أعوذ بكلمات الله التامات) شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلًا عما يفعله أهل الجاهلية من الإستعاذة بالجن، فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته.

قال القرطبي(٣): قيل: معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب، كما يلحق كلام البشر. وقيل معناه: معناه الشافية الكافية. وقيل الكلمات هنا هي القرآن. فإن الله أخبر عنه بأنه: ﴿هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤٤] وهذا الأمر على جهة الإرشاد

---

(١) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص:٨٩-٩٠) ومسلم [٢٧٠٨] والترمذي [٣٤٣٧] والنسائي في «الكبرى» [١٠٣٩٤] وابن خزيمة [٢٥٦٦] والطحاوي «مشكل» (٣٥-٣٦) والطبراني. (٦٠٣/٢٤) [٦٠٤] وابن حبان [٢٧٠٠] وأحمد (٢٧٧/٦) وابن السني في «عمل اليوم» [٥٢٨].

(٢) انظر الاستيعاب (١٨٣٢/٤) وأسد الغابة (٩٣/٧) والإصابة (٦٢١/٧- ٦٢٢) وقيل اسمها «خويلة» انظر «البداية» (٧٦/٧).

(٣) في «المفهم» شرح صحيح مسلم.

....

إلى ما يدفع به الأذى. ولما كان ذلك استعاذة بصفات الله تعالى كان من باب المندوب إليه المرغب فيه، وعلى هذا فحق المستعيذ بالله أو بأسمائه وصفاته أن يصدق الله في إلتجائه إليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويحضر ذلك في قلبه، فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقد نَصَّ الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الإستعاذة بمخلوق. وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق.

قالوا: لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك[1].

وقال ابن القيم: ومن ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخدامًا، وصدق، هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عباده، فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به اهـ.

---

(١) مجموع الفتاوى (١/٣٣٦).

من شر ما خلق؛

قوله: «من شر ما خلق» **قال ابن القيم** رحمه الله: أي من كل شر في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره، إنسيًا أو جنيًا، أو هامة أو دابة، أو ريحًا أو صاعقة، أو أي نوع من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة[١].

وما ههنا موصولة وليس المراد بها العموم الإطلاقي، بل المراد التقييدي الوصفي، والمعنى: من كُلِّ شَرِّ كُل مخلوقٍ فيه شَرّ، لا من شرِّ كل ما خلقه الله، فإن الجنة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر، والشر يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يفضي إليه[٢].

(١) البدائع (٣/٤٤٦- ٤٤٧).

(٢) البدائع (٣/٤٤٧).

لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم.

قـوله: (لم يـضره شيء حـتى يرتحل من منزله ذلـك) **قال القرطبـي**: هذا خبر صحيح وقول صادق علمنا صدقه دليلًا وتجربة، فإني منذ سـمعت هذا الخبر عملت عليه فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية ليلًا، فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات[1].

(١) انظر «المفهم» على شرح مسلم.

فيه مسائل:

الأولى- تفسير آية الجن.

الثانية- كونه من الشرك.

الثالثة- الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة- فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة- أن كون الشيء يحصل به [منفعةٌ] دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك.

باب

من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

باب من الشرك الاستعانة بغير الله ودعاء غير الله

قوله: (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره)

قال شيخ الإسلام رحمه الله: الاستغاثة هي طلب الغوث، وهي إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون(١).

وقال غيره: الفرق بين الاستغاثة والدعاء أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب، والدعاء أعم من الاستغاثة، لأنه يكون من المكروب وغيره. فعطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص. فبينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة وينفرد الدعاء عنها في مادة، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة(٢).

وقوله: (أو يدعو غيره) اعلم أن الدُّعاء نوعان: **دعاء عبادة، ودعاء مسألة**، ويراد به في القرآن هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما فدعاء المسألة هو طلب ما ينفع الدَّاعي من جلب نفع أو كشف ضُرٍّ، ولهذا أنكر الله على من يدعو أحدًا من دونه ممن لا يملك ضرًا ولا نفعًا، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة:٧٦] وقوله: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٧١] وقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠٣/١).

(٢) انظر البدائع (٤٤٥/٣- ٤٤٦).

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥] وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٤٠-٤١] وقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد:١٤] وأمثال هذا في القرآن في دعاء المسألة أكثر من أن يحصر، وهو يتضمن دعاء العبادة، لأن السائل أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات، وكذلك الذاكر لله والتالي لكتابه ونحوه، طالب من الله في المعنى، فيكون داعيًا عابدًا[1].

فتبين بهذا من قول شيخ الإسلام أن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، وقد قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عن خليله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٨-٤٩] فصار الدعاء من أنواع العبادة، فإن قوله: ﴿وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ كقول زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:٤] وقد أمر الله تعالى به في مواضع من كتابه كقوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٥-٥٧] وهذا هو دعاء المسألة المتضمن للعبادة، فإن الداعي يرغب إلى المدعو ويخضع له ويتذلل.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١١).

....

وضابط هذا: أن كُلَّ أمرٍ شَرَّعه الله لعباده وأمرهم به ففعله لله عبادة، فإذا صَرَف من تلك العبادة شيئًا لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث به رسوله من قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر:١٤] وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى.

تعظيم رسول الله غير الغلو فيه

قال شيخ الإسلام رحمه الله في «الرسالة السنية»: فإذا كان على عهد النبي ﷺ ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام لأسباب منها: الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعًا من الإلهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرني أو أغثني، أو ارزقني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال. فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل. فإن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل، وأنزل الكتب، ليعبد وحده لا شريك له، ولا يدعى معه إله آخر. والذي يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام، لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم، يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] فبعث الله سبحانه رسله تنهى عن أن يدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة. اهـ

وقال أيضًا: من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعًا(١).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢٤/١).

نقله عنه صاحب الفروع وصاحب الإنصاف وصاحب الإقناع وغيرهم. وذكره شيخ الإسلام ونقلته عنه في الرد على ابن جرجيس في مسألة الوسائط[١].

وقال ابن القيم رحمه الله: ومن أنواعه يعني الشرك طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم والتوجه إليهم. وهذا أصل شرك العالم. فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عمن استغاث به أو سأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، وسيأتي تتمة كلامه في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى[٢].

وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي رحمه الله في رده على السبكي في قوله: «إن المبالغة في تعظيمه أي الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة»[٣].

إن أريد به المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيمًا، حتى الحج إلى قبره والسجود له، والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويمنع لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك، وانسلاخ من جملة الدين.

وفي «الفتاوى البزازية» من كتب الحنفية : قال علماؤنا: من قال أرواح المشائخ حاضرة تَعلم: يكفر.

---

(١) راجع كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح».

(٢) مدارج السالكين (٣٤٦/١).

(٣) انظر: الصارم المنكي في الرد على السبكي (صـ٤٦٤).

الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفًا

وقال الشيخ صنع الله الحنفي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة»: هذا وأنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين أن ذلك منهم كرامات وقالوا: منهم أبدان ونقباء، وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة، وأربعون وأربعة، والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا فيهما الأجور، قال: وهذا كلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادمة الكتاب العزيز المُصَدَّق، ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة. وفي التنزيل: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

ثم قال: فأما قولهم: إن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، فيرده قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٦١]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٤٩] ونحوها من الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير، ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفًا وملكًا، وإماتة وخلقًا. وتمدح الرب تبارك وتعالى بانفراده بملكه في آيات من كتابه كقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا

....

تَستَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٣-١٤] مِذكر آيات في هذا المعنى.

ثــم قوله: فقوله في الآيات كلها من دونه أي من غـيره. فإنه هام يدخل فيه من عتقدته، ومن ولى وشيطان تستمده، فإن من لم يقدر على نصر نفسه كيف يمد غيره؟ ى أن قـال: إن هـذا لقول وخيم، وشرك عظيـم، إلى أن قال: وأما القول بالتصرف بعد مات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة. قال جل ذكره: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠]، ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر:٤٢]، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء:٣٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨] وفي الحديـث: «إذا مـات ابـن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث»(١) الحديـث فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيـادة ونقصان، فدلَّ ذلـك على أنه ليس للميت تصرف في ذاتـه فضلًا عن غيره. فإذا عجز عن حركة نفسه. فكيف يتصرف في غيره؟ فلله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون: إن الأرواح مطلقة متصرفة ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠]

قــال: وأما اعتقادهم أن هـذه التصرفات لهم من الكرامـات، فهو من المغالطة، لأن الكرامـة شيء مـن عنـد الله يُكرِّم به أولياءه، لا قصد لهـم فيه ولا تحدى، ولا

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٣٨] ومسلم [١٦٣١] والترمذي [١٣٧٦] والنسائي (٦/٢٢١) والدارمي [٥٥٩] وأبو يعلى [٦٤٥٧] وابن خزيمة [٢٤٩٤]، والطحاوي «مشكل» [٢٤٦] وابن حبان [٣٠١٦] والطبراني في «الدعاء» [١٢٥١] وأحمد (٢/٣٧٢) والبيهقي في «الشعب» [٣٤٤٧] والسنن (٦/٢٧٨) عن أبي هريرة.

قدرة ولا علم، كما في قصة مريم بنت عمران[١]، وأسيد بن حضير[٢]، وأبي مسلم الخولاني[٣].

قال: وأما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد، فهذا أقبح مما قبله وأبدع لمصادمته قوله جل ذكره: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢]، ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٣-٦٤] وذكر آيات في هذا المعنى.

ثم قال: فإنه جَلَّ ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره، وأنه المنفرد بإجابة المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كله، وأنه القادر على دفع الضر، القادر على إيصال الخير. فهو المنفرد بذلك، فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبي وولي.

قال: والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال، أو إدراك عدو أو سبع أو نحوه، كقولهم: يا لزيد، يا للمسلمين، بحسب الأفعال الظاهرة.

---

(١) أنها حملت بغير زواج ووضعت في وقت قصير، وقيل بعد تسعة أشهر، انظر قصتها في «البداية» بتحقيقي.

(٢) له كرامات كثيرة، منها: نزول آية التيمم، ونزول الملائكة لسمع صوته بالقرآن وغير ذلك، وسيأتي في ترجمته إن شاء الله.

(٣) حينما ألقاه الأسود في النار وهو مقيد بالحبال، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، انظر: كرمات الأولياء. لابن أبي الدنيا.

وأما الإستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد، كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله لا يطلب فيها غيره.

قال: وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية والجُهَّال. وينادونهم ويستنجدون بهم. فهذا من المنكرات. فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة وغيره على وجه الإمداد منه: أشرك مع الله، إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره.

قال: وأما ما قالوا إن منهم أبدالًا ونقباء وأوتادًا ونجباء وسبعين وسبعة وأربعين وأربعة والقطب هو الغوث للناس. فهذا من موضوعات إفكهم. كما ذكره القاضي المُحَدِّث في سراج المريدين، وابن الجوزي وابن تيمية. انتهى باختصار.

والمقصود أن أهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الأمور الشركية التي عمت بها البلوى واعتقدها أهل الأهواء.

فلو تتبعنا كلام العلماء المنكرين لهذه الأمور الشركية لطال الكتاب. والبصير النبيل يدرك الحق من أول دليل، ومن قال قولًا بلا برهان فقوله ظاهر البطلان، مخالف ما عليه أهل الحق والإيمان المتمسكون بمحكم القرآن، المتسجيون لداعي الحق والإيمان. والله المُستعان وعليه التكلان.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ ﴾ إلخ

قال: وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦].

قال ابن عطية: معناه قيل لي «ولا تدع» فهو عطف على «أقم» وهذا الأمر والمخاطبة للنبي ﷺ. إذا كانت هكذا فأحرى أن يحذر من ذلك غيره. والخطاب خرج مخرج الخصوص وهو عام للأمة[(١)].

قال أبو جعفر ابن جرير في هذه الآية: يقول تعالى ذكره: ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئًا لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا، يعني بذلك الآلهة والأصنام، يقول لا تعبدها راجيًا نفعها أو خائفًا ضرها فإنها لا تنفع ولا تضر. فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله «فإنك إذًا من الظالمين» يكون من المشركين بالله الظالم لنفسه[(٢)] [(٣)].

قلت: وهذه الآية لها نظائر كقوله: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٣] وقوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [القصص:٨٨]

(١) المحرر الوجيز (٣/١٤٧).

(٢) تفسير ابن جرير (١١/١٧٧).

(٣) فالظلم في هذه الآية هو الشرك كما قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ بل هو أظلم الظلم كما في الحديث عن ابن مسعود «أظلم الظلم أن تجعل لله ندًا وهو خلقك» لأنه اغتصاب حق الربوبية من العبادة والدعاء والنذر ونحوه، وصرفه للعبد الذي لا يستحقه.

....

فـفي هـذه الآيات بيان أن كل مدعو يكون إلهًا، والإلهية حق لله لا يصلح منها شيء لغيره. ولهذا قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢] وهـذا هـو التوحيد الذي بعث الله به رسـله، وأنزل بـه كتبه، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] والدين: كل ما يُدَان الله به من العبادات الظاهرة والباطنـة. وفـسَّره ابن جرير في تفسـيره بالدعاء، وهو فرد من أفـراد العبادة، على عادة السـلف في التفسير، يفسرون الآية ببعض أفراد معناها، فمن صرف منها شيئًا لقبر أو صنـم أو وثـن أو غير ذلـك فقد اتخذه معبـودًا وجعله شريكـًا لله في الإلهية التي لا يسـتحقها إلا هـو، كمـا قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧] فتبـين بهذه الآية ونحوها أن دعوة غير الله كفر وشرك وضلال.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧]،

وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[1] [يونس: ١٠٧]، فإنه المنفرد بالملك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دون كل ما سواه. فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده، المعبود وحده، فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك الضر والنفع. ولا يملك ذلك ولا شيئًا منه غيره تعالى، فهو المستحق للعبادة وحده، دون من لا يضر ولا ينفع.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨] وقال: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢] فهذا ما أخبر به الله تعالى في كتابه من تفرده بالإلهية والربوبية، ونصب الأدلة على ذلك. فاعتقد عُبَّاد القبور والمشاهد نقيض ما أخبر به الله تعالى، واتخذوهم شركاء لله في استجلاب المنافع ودفع المكاره، بسؤالهم والالتجاء بالرغبة والرهبة والتضرع، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها إلا الله تعالى، واتخذوهم شركاء لله في ربوبيته وإلهيته. وهذا فوق شرك كفار العرب القائلين: ﴿مَا

---

(١) في قرة العيون: هذا في حق المستغيث أخبر الله تعالى أنه هو الذي يتفضل على من سأله ولا يقدر أحد أن يمنعه شيئًا من فضل الله عليه. فهو المعطي والمانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. وفي هذا المعنى ما في حديث ابن عباس.، وفيه: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك» فمن تدبر هذه الآية وما في معناها علم أن ما وقع فيه الأكثر من دعوة غير الله هو الظلم العظيم، والشرك الذي لا يغفر، وأنهم قد أثبتوا ما نفته «لا إله إلا الله» من الشرك في الإلهية؛ ونفوا ما أثبتته من الإخلاص كما قال الله تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ والدين هو طاعة الله فيما أمر به وشرعه، ونهى عنه وحرمه. وأعظم ما أمر به التوحيد والإخلاص؛ وأن لا يقصد العبد بشيء من عمله سوى الله تعالى الذي خلقه لعبادته، وأرسل بذلك رسله، وأنزل به كتبه ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ وأعظم ما نهى عنه: الشرك به في ربوبيته وإلهيته.

نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾، ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ فإن أولئك يدعونهم ليشفعوا لهم ويقربوهم إلى الله. وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك، لا شريك لك* إلا شريكًا هو لك* تملكه وما ملك*[1].

وأما هؤلاء المشركون فاعتقدوا في أهل القبور والمشاهد ما هو أعظم من ذلك. فجعلوا لهم نصيبًا من التصرف والتدبير، وجعلوهم معاذًا لهم وملاذًا في الرغبات والرهبات ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي لمن تاب إليه.

---

(١) انظر «تلبس إبليس» بتحقيقي (ص:٦٣) وفتح الباري (٦/٤٠٨).

وقوله: ﴿ فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾ [العنكبوت:١٧]،

قال: وقوله تعالى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت :١٧] يأمر تعالى عباده بابتغاء الرزق منه وحده دون ما سـواه ممن لا يملك لهم رزقًا من السماوات والأرض شيئًا. فتقديم الظرف يفيد الاختصاص. وقوله: واعبدوه من عطف العام على الخاص، فإن ابتغاء الرزق عنده من العبادة التي أمر الله بها.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿فَٱبۡتَغُواْ ﴾أي فاطلبوا عند الله الرزق أي لا عنـد غـيره. لأنـه المالـك له، وغيره لا يملك شـيئًا من ذلـك ﴿وَٱعۡبُدُوهُ ﴾ أي أخلصوا له العبادة وحده لا شريك له ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓ ﴾ أي على ما أنعم عليكم ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ أي يوم القيامة فيجازى كل عامل بعمله[١].

(١) تفسيره (٣/٤٠٨).

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأحقاف: ٥]،

قال: وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

نفى سبحانه أن يكون أحد أضل ممن يدعو غيره. وأخبر أنه لا يستجيب له ما طلب منه إلى يوم القيامة. والآية تعم على كل من يدعى من دون الله، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦] وفي هذه الآية أخبر أنه لا يستجيب وأنه غافل عن داعيه ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ فتناولت الآية كل داع وكل مدعو من دون الله.

قال أبو جعفر بن جرير في قوله: ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا جمع الناس ليوم القيامة في موقف الحساب كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء، لأنهم يتبرأون منهم ﴿ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره: وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا بعبادتهم جاحدين، لأنهم يقولون يوم القيامة: ما أمرناهم ولا شعرنا بعبادتها إيانا. تبرأنا منهم يا ربنا(١).

كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [الفرقان: ١٧-١٨].

قال ابن جرير: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الملائكة والإنس والجن وساق بسنده عن مجاهد قال: عيسى وعزير والملائكة(٢).

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٦/٤).

(٢) تفسير ابن جرير (١٨/١٨٩).

ثم قال: يقول تعالى ذكره قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيهًا لك يا ربنا وتبرئةً مما أضاف إليك هؤلاء المشركون ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ نواليهم ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ انتهى[1].

قلت، وأكثر ما يستعمل الدعاء في الكتاب والسنة واللغة ولسان الصحابة ومن بعدهم من العلماء: في السؤال والطلب، كما قال العلماء من أهل اللغة وغيرهم: الصلاة لغة الدعاء، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤] وقال: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣] وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [يونس: ١٢] وقال: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ وقال: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ [فصلت: ٤٩] الآية. وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] الآية.

وفي حديث أنس مرفوعًا: «الدعاء مخ العبادة»[2] وفي الحديث الصحيح: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة»[3].

---

(١) تفسير ابن جرير (١٨/١٩٠).

(٢) ضعيف بهذا اللفظ، وصح بلفظ «الدعاء هو العبادة» كما سبق.

(٣) حسن. أخرجه الترمذي [٣٤٧٩] والطبراني في «الدعاء» [٦٣] والحاكم (١/٤٩٣) وابن عدي (٤/١٣٨٠) وابن حبان في «المجروحين» (١/٣٧٢)، وفي إسناده: صالح المري.
قال الذهبي: متروك.
قال البخاري: منكر الحديث.
فالإسناد ضعيف أقل أحواله.
وله شاهد من حديث ابن عمرو بنحوه.
أخرجه أحمد [٦٦٥٥] وإسناده فيه ابن لهيعة وهو حسن في الشواهد.
وشاهد آخر، أخرجه الطبراني، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٤٨) فيه بشير بن ميمون وهو مجمع على ضعفه.
وقد حسن الشيخ الحديث في «الصحيحة» [٥٩٤] وصحيح الجامع [٢٤٥].

....

وفي آخر: **«من لا يسأل الله يغضب عليه»**(١) وحديث: **«ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»**(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه. وقوله: **«الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض»**(٣) رواه الحاكم وصححه. وقوله: **«سلوا الله كل شيء حتى الشسع إذا انقطع»**(٤) الحديث. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: **«أفضل العبادة الدعاء»** وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠] الآية(٥). رواه ابن المنذر والحاكم وصححه. وحديث: **«اللهم إني أسألك بأن لله الحمد لا إله إلا أنت المنان...»**(٦) الحديث وحديث: **«اللهم إني أسألك بأنك أنت الله**

---

(١) حسن. أخرجه أحمد [٩٧٠١] [٩٧١٩] وابن أبي شيبة (١٠/٢٠٠) والبخاري في «الأدب المفرد» [٦٥٨] والترمذي [٣٣٧٣] وابن ماجه [٣٨٢٧] وابن عدي (٧/٢٧٥٠) والطبراني في «الدعاء» [٢٣] وفي «الأوسط» [٢٤٥٢] وأبو يعلى [٦٦٥٥] والبغوي [١٣٨٩] وإسناده ضعيف.
لكن الشيخ حسنه في «الصحيحة» [٢٦٥٤] وصحيح ابن ماجه [٣٠٨٥].

(٢) حسن. أخرجه البخاري «الأدب المفرد» [٧١٢] والطيالسي [٢٥٨٥] والترمذي [٣٣٧٠] وابن ماجه [٣٨٢٩] وابن حبان [٨٧٠]، والطبراني في «الأوسط» [٢٥٤٤] [٣٧١٨] وفي «الدعاء» [٢٨] والقضاعي [١٢١٤] وابن عدي (٥/١٧٤٢) والحاكم (١/٤٩٠) وأحمد [٨٧٤٨] عن أبي هريرة، وحسنه الشيخ في «صحيح الجامع» [٥٣٩٢].

(٣) موضوع. أخرجه أبو يعلى [٤٣٩] والحاكم (١/٤٩٢) وابن عدي (٢/٢٩٦) والقضاعي في «مسند الشهاب» [١٤٢] عن أبي سعيد، وانظر: «الضعيفة» [١٧٩]، و«ضعيف الجامع» [٣٠٠١].

(٤) موقوف إسناد صحيح. أخرجه أحمد في الزهد [٢٠٣] وأبو يعلى [٤٥٤٢] وابن السني في «عمل اليوم» [٣٥٥] عن عائشة موقوفًا، وإسناده رجاله ثقات رجال مسلم.
وأخرجه البيهقي في «الشعب» [١٠٨١] موقوفًا، بسند فيه مجهول.

(٥) أخرجه الحاكم (١/٤٩١) وسنده ضعيف.
وقد صح مرفوعًا من حديث النعمان بن بشير، وقد سبق تخريجه.

(٦) صحيح. أخرجه أحمد [١٢٢٠٥] [١٢٦١١] [١٣٥٧٠] [١٣٧٩٨] وابن أبي شيبة (١٠/٢٧٢) والبخاري في «الأدب المفرد» [٧٠٥] وأبو داود [١٤٩٥]، والترمذي [٣٥٤٤] والنسائي (٣/٥٢) وابن ماجه [٣٨٥٨] والطحاوي

....

لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد»(١) وأمثال هذا في الكتاب والسنة أكثر من أن يحصر، في الدعاء الذي هو السؤال والطلب، فمن جحد كون السؤال والطلب عبادة فقد صادم النصوص وخالف اللغة واستعمال الأمة سلفًا وخلفًا.

وأما ما تقدم من كلام شيخ الإسلام، وتبعه العلامة ابن القيم رحمهما الله تعالى من أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة. وما ذكر بينهما من التلازم وتضمن أحدهما للآخر. فذلك باعتبار كون الذاكر والتالي والمصلي والمتقرب بالنسك وغيره طالبًا في المعنى. فيدخل في مسمَّى الدعاء بهذا الاعتبار، وقد شرح الله تعالى في الصلاة الشرعية من دعاء المسألة ما لا تصح الصلاة إلا به، كما في الفاتحة والسجدتين وفي التشهد، وذلك عبادة كالركوع والسجود. فتدبر هذا المقام يتبين لك جهل الجاهلين بالتوحيد.

ومما يتبين هذا المقام ويزيد إيضاحًا. قوله العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] وهذا الدعاء المشهور أنه دعاء المسألة. قالوا: كان النبي ﷺ يدعو ربه ويقول مرة يا الله ومرة يا رحمن فظن المشركون أنه يدعو إلهين فأنزل الله هذه الآية. ذكر هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما(٢).

«مشكل» [١٧٥] والطبراني [١٧٢٢] وفي «الدعاء» [١١٦] [١١٧] وابن حبان [٨٩٣] والحاكم (٥٠٣/١) والبيهقي في «الأسماء» (ص:٢٠) والبغوي [١٢٥٨] من حديث أنس، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(١) أخرجه أحمد [٢٢٩٥٢] [٢٢٩٦٥] وعبد الرزاق [٤١٧٨] والترمذي [٣٤٧٥] وأبو داود [١٤٩٣] [١٤٩٤] والنسائي في «الكبرى» [٧٦٦٦] [٨٠٥٨] والطحاوي «مشكل» [١٧٣] والطبراني في «الدعاء» [١٢٤] وابن حبان [٨٩١] [٨٩٢] وإسناده صحيح، وصححه الألباني رحمه الله.

(٢) أخرجه ابن جرير [٢٢٨٠١] وإسناده ضعيف.

....

وقيل: إن هذا الدعاء هنا بمعنى التسمية، والمعنى: أي سميتموه به من أسماء الله تعالى، إما الله وإما الرحمن فله الأسماء الحسنى. وهذا من لوازم المعنى في الآية. وليس هو عين المراد. بل المراد بالدعاء معناه المعهود المطرد في القرآن. وهو دعاء السؤال ودعاء الثناء.

ثم قال، إذا عرف هذا فقوله: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ يتناول نوعي الدعاء لكنه ظاهر في دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، ولهذا أمر بإخفائه.

قال الحسن: بين دعاء السر ودعاء العلانية سبعون ضعفًا. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولم يسمع لهم صوت إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم[1].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] يتناول نوعى الدعاء، وبكل منهما فسرت الآية قيل: أعطيه إذا سألني، وقيل أثيبه إذا عبدني، وليس هذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعمال في حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعًا. وهذا يأتي في مسألة الصلاة وإنها نقل عن مسماها في اللغة وصارت حقيقة شرعية، واستعملت في هذه العبادة مجازًا للعلاقة بينهما وبين المسمى اللغوي وهي باقية على الوضع اللغوي، وضم إليها أركان وشرائط. فعلى ما قررناه لا حاجة إلى شيء من ذلك، فإن المصلي من أول صلاته إلى آخرها لا ينفك عن دعاء: إما عبادة وثناء، أو دعاء طلب ومسألة، وهو في الحالتين داع. اهـ ملخصًا من البدائع.

---

(١) أخرجه ابن جرير [١٤٦٩٦] بسند فيه ضعيف.

وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢].

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾

قال: (وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢] بين تعالى أن المشركين من العرب ونحوهم قد علموا أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله وحده فذكر ذلك سبحانه محتجًا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه، ولهذا قال: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ؟﴾ يعني يفعل ذلك.

فإذا كانت آلهتهم لا تجيبهم في حال الاضطرار فلا يصلح أن يجعلوها شركاء لله الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وحده. وهذا أصح ما فُسِّرت به الآية كسابقتها من قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ولا حقتها إلى قوله: ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾.

فتأمل هذه الآيات يتبين لك أن الله تعالى احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه: من قصر العبادة جميعها عليه، كما في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

قال أبو جعفر بن جرير: قوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ إلى قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء النازل به عنه؟ وقوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ يقول: يستخلف بعد أمواتكم في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم، وقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ؟﴾ أإله سواه يفعل هذه الأشياء بكم وينعم عليكم هذه النعم؟ وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ يقول تذكرًا قليلًا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون، وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرًا. فلذلك أشركوا بالله وغيره في عبادته. اهـ[1].

---

(١) انظر البدائع (٣/٤٤٧- ٤٤٩).

وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم:

قوله ﷺ أنه لا يستغاث بي

قوله: (وروى الطبراني «أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين. فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**»)[1].

الطبراني: هو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللَّخمي الطَّبراني، صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها. روى عن النسائي وإسحاق بن إبراهيم الديري وخلق كثير. مات سنة ستين وثلثمائة[2]. روى هذا الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

قوله: (أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين) لم أقف على اسم هذا المنافق.

قلت: هو عبد الله بن أبي كما صَرَّح به ابن أبي حاتم في روايته.

قوله: (فقال بعضهم) أي الصحابة رضي الله عنهم، هو أبو بكر رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه أحمد (٣١٧/٥) [٢٢٧٠٦] عن عبادة بن الصامت وإسناده ضعيف.

(٢) المعجم الكبير، والأوسط، والصغير، وكتاب السنة، وكتاب مسند الشاميين، والدعاء وغيرها من المصنفات النافعة عُمِّر مائة سنة سمع من أكثر من ألف شيخ.

انظر: «تاريخ دمشق» (١٦٣/٢٢) والمنتظم (٢٠٦/١٤) ووفيات الأعيان (٤٠٧/٢) والسير (١١٩/١٦) وتاريخ الإسلام حوادث ووفيات (٣٥١-٣٨٠) (ص:٢٠٢) والبداية (٣٣١/١٥).

قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل».

قوله: (قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق) لأنه ﷺ يقدر على كف أذاه(١).

قوله (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله) فيه النص على أنه لا يستغاث بالنبي ﷺ ولا بمن دونه. كره ﷺ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه، وإن كان مما يقدر عليه في حياته، حماية لجناب التوحيد، وسدًا لذرائع الشرك وأدبًا وتواضعًا لربه، وتحذيرًا للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال.

فإذا كان فيما يقدر عليه ﷺ في حياته، فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته ويطلب منه أمورًا لا يقدر عليها إلا الله عز وجل؟ كما جرى على ألسنة كثير من الشعراء كالبوصيري(٢) والبرعي وغيرهم، من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه

---

(١) في قرة العيون: فلعله أراد أن النبي ﷺ كان يترك المنافقين أن يفعل بهم ما يستحقونه مخافة أن يفتتن بعض المؤمنين من قبيلة المنافقين، وفي السنة ما يدل على ذلك، كما فعل مع ابن أبي وغيره. وقيل: أن النبي ﷺ كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق فيكون نهيه ﷺ عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد، وسدًا لذرائع الشرك، كنظائره مما للمستغاث به قدرة عليه مما كان يستعمل لغةً وشرعًا مخافة أن يقع من أمته استغاثة بمن لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يستجيب من الأموات والغائبين، والطواغيت والشياطين والأصنام وغير ذلك. وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمت به البلوى كما تقدم ذكره حتى أنهم أشركوا مع الله في ربوبيته وتدبير أمر خلقه؛ كما أشركوهم معه في ألوهيته وعبوديته؛ والوسائل لها حكم الغايات في النهي عنها والله أعلم.

(٢) مثل قوله في البردة:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حدوث الحادث العمم

ويزعمون أن البوصيري أعظم من مدح النبي ﷺ ويذكرونه أكثر مما يذكرون حسان بن ثابت وغيره من الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم في زعمهم لم يبلغوا من الغلو والإطراء ما بلغ البوصيري. وهذا

ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ويعرضون عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر على كل شيء الذي له الخلق والأمر وحده، وله الملك وحده، لا إله غيره ولا رب سواه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:١٨٨] في مواضع من القرآن ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن:٢١] فأعرض هؤلاء عن القرآن واعتقدوا نقيض ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات، وتبعهم على ذلك الضلال الخلق الكثير والجم الغفير. فاعتقدوا الشرك بالله دينًا، والهدى ضلالًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون. فما أعظمها من مصيبة عمت بها البلوى، فعاندوا أهل التوحيد وبدعوا أهل التجريد، فالله المستعان.

هو الغلو الذي جر إلى الشرك والكفر برسول الله ﷺ كما كفرت النصارى بعيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ من طريق هذا الغلو. وقد حذرنا الله منه في كتابه الكريم بقوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وحذرنا النبي ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فأنا عبد الله ورسوله» ﷺ. وإنما تعظيمه ﷺ وحبه باتباع سنته وإقامة ملته ودفع كل ما يلصقه الجاهلون بها من الخرافات. فقد ترك أكثر الناس هذا وشغلوا بهذا الغلو والإطراء الذي أوقعهم في هذا الشرك العظيم.

ونحمد الله أن عافانا بفضله وجعلنا مؤمنين برسول الله ﷺ معظمين له ومحبين بما يحبه الله ورسوله لنا على مثل ما كان عليه الصحابة والتابعون لها بإحسان. وقد عظمت المصيبة بهذا الشرك حتى اتخذ أعداء الرسول - الزاعمون جهلًا وكذبًا حبه - هذه البردة وردًا كالقرآن وأعظم من القرآن؛ وكتبوها مجودة بماء الذهب كما كتبوا القرآن، وربما اشتدت عنايتهم بها أكثر من القرآن. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فيه مسائل:

الأولى- أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية- تفسير قوله: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾

[يونس:١٠٦]

الثالثة- أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة- أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين.

الخامسة- تفسير الآية التي بعدها.

السادسة- كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرًا.

السابعة- تفسير الآية الثالثة.

الثامنة- أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

التاسعة- تفسير الآية الرابعة.

العاشرة- أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة- أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الثانية عشرة- أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الثالثة عشرة- تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة- كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة- أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة- تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة- الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة- حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله عَزَّ وَجَلَّ.

باب

قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ [الأعراف: ١٩١]،

باب ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾

قوله: باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢][1].

قوله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾ أي في العبادة. قال المفسرون: في هذه الآية توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئًا وهو مخلوق، والمخلوق لا يكون شريكًا للخالق في العبادة التي خلقهم لها، وبين أنهم لا يستطيعون لهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون، فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه؟ وهذا برهان ظاهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله، وهذا وصف كل مخلوق، حتى الملائكة والأنبياء والصالحين.

---

(١) في قرة العيون: وهذا مما احتج به تعالى على المشركين لما وقع منهم من اتخاذ الشفعاء والشركاء في العبادة لأنهم مخلوقون فلا يصلح أن يكونوا شركاء لمن هم خلقه وعبيده. وأخبر أنهم مع ذلك لا يستطيعون لهم نصرًا، أي لمن سألهم النصرة ﴿وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فإذا كان المدعو لا يقدر على أن ينصر نفسه فلأن لا ينصر غيره من باب الأولى.

فبطل تعلق المشرك بغير الله بهذين الدليلين العظيمين، وهو كونهم عبيدًا لمن خلقهم لعبادته والعبد لا يكون معبودًا.

الدليل الثاني: أنه لا قدرة لهم على نفع أنفسهم فكيف يرجى منهم أن ينفعوا غيرهم.

فتدبر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم.

وأشرف الخلق محمد ﷺ قد كان يستنصر ربه على المشركين ويقول «اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول وبك أصول، وبك أقاتل»[(١)] وهذا كقوله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] وقوله: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨] وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ [الجن: ٢١-٢٣].

فكفى بهذه الآيات برهانًا على بطلان دعوة غير الله كائنًا من كان. فإن كان نبيًا أو صالحًا فقد شرفه الله تعالى بإخلاص العبادة له، والرضاء به ربًا ومعبودًا، فكيف يجوز أن يجعل العابد معبودًا مع توجيه الخطاب إليه بالنهي عن هذا الشرك كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] وقال: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠] فقد أمر عباده من الأنبياء والصالحين وغيرهم بإخلاص العبادة له وحده، ونهاهم أن يعبدوا معه غيره، وهذا هو دينه الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ورضيه لعباده، وهو دين الإسلام، كما روى البخاري عن أبي هريرة في سؤال جبريل عليه السلام قال «يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: «**الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» الحديث[(٢)].

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد [١٢٩٠٩] وأبو داود [٢٦٣٢] والترمذي [٣٥٨٤] والنسائي في «عمل اليوم» [٦٠٤] وابن حبان [٤٧٦١] والبيهقي في «الأسماء» (ص: ٧٠) عن أنس، وإسناده صحيح، وله شاهد من حديث صهيب.

(٢) أخرجه البخاري [٥٠] ومسلم [٩] عن أبي هريرة وهو حديث جبريل المعروف، وأخرجه مسلم عن عمر.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فَاطِر:١٣].

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1] [فَاطِر:١٣-١٤] يخبر تعالى عن حال المدعوين من دونه من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها بما يدل على عجزهم وضعفهم وأنهم قد انتفت عنهم الأسباب التي تكون في المدعو، وهي الملك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته، فمتى لم توجد هذه الشروط تامة بطلت دعوته فكيف إذا عدمت بالكلية؟ فنفى عنهم الملك بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وعطاء والحسن وقتادة: القطمير: اللفافة التي تكون على نواة التمر[2].

---

(١) في قرة العيون: يخبر الخبير أن الملك له وحده والملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره، ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ فإن من كانت هذه صفته فلا يجوز أن يرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلى أحد سواه تعالى وتقدر بل يجب إخلاص الدعاء له الذي هو من أعظم أنواع العبادة؛ وأخبر تعالى أن ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئًا وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم. ولو فرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم، أي ينكرونه ويبترأون ممن فعله معهم؛ ذلك الدعاء شرك به، وأنه لا يغفره لمن لقيه به، فأهل الشرك ما صدقوا الخبير ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع، بل قالوا إن الميت يسمع؛ ومع سماعه ينفع؛ فتركوا الإسلام والإيمان رأسًا كما ترى عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة.

(٢) أخرجه ابن جرير [٢٨٩٩٤] [٢٨٩٩٥] [٢٨٩٩٦] بثلاثة أسانيد عن ابن عباس وأسانيدها ضعيفة، وأخرجه ابن جرير [٢٨٩٩٧] عن مجاهد بسند صحيح، وأخرجه ابن جرير [٢٨٩٩٨] عن قتادة، بسند صحيح، وقد نقل ابن كثير في «تفسيره» (٦/٢٦٨) ذلك عنهم، وانظر المحرر الوجيز (٤/٤٣٤) والوسيط (٣/٥٠٣) وزاد المسير (٦/٤٨١). وأقول: نظرت في جل التفاسير المتاحة الآن فوجدتها أجمعت على هذا التفسير، والله أعلم.

كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣] وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣] ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟﴾ لأنه ما بين ميت وغائب عنهم، مشتغل بما خلق له، مسخر بما أمر به كالملائكة، ثم قال: ﴿وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ لأن ذلك ليس لهم، فإن الله تعالى لم يأذن لأحد من عباده في دعاء أحد منهم، لا استقلالًا ولا واسطة، كما تقدم بعض أدلة ذلك.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ فتبين بهذا أن دعوة غير الله شرك. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١-٨٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

قال ابن كثير: يتبرأون منكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

قال: (وقوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها. قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى. فإنه أخبر بالواقع لا محالة.

قلت: والمشركون لم يسلموا للعليم الخبير ما أخبر به عن معبوداتهم فقالوا: تملك وتسمع وتستجيب وتشفع لمن دعاها[1]، ولم يلتفتوا إلى ما أخبر به الخبير من أن كل معبود يعادى عابده يوم القيامة ويتبرأ منه، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:٢٨-٣٠] أخرج ابن جرير عن ابن جُريج قال: قال مجاهد: ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ قال يقول ذلك كل شيء كان يعبد من دون الله[2].

فالكيس يستقبل هذه الآيات التي هي الحجة والنور والبرهان بالإيمان والقبول والعمل، فيجرد أعماله لله وحده دون كل ماسواه ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا دفعًا، فضلًا عن غيره.

---

(١) يعني قالوا ذلك بلسان حالهم، لأنهم أصروا على دعائهم والاستغاثة بهم بعد أن وبخهم الله بأن الذي يستغاث به ويدعى لابد أن يكون سميعًا بصيرًا بيده الخير. والذي يدل على أنهم لم يكونوا يقولون ذلك بصريح القول: ما حكى الله من جواب قوم إبراهيم وأبيه لما سألهم ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ فإنهم أعرضوا عن الجواب الصريح عن السؤال. وقالوا: ﴿ بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فجوابهم هذا حيدة عن الجواب المطابق للسؤال.

(٢) أخرجه ابن جرير [١٧٥٨٣] بإسناد ضعيف.

وفي الصحيح عن أنس قال: شُجَّ النبيُّ ﷺ

قوله: (في الصحيح عن أنس ؓ قال «شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعيته. فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت الآية ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]»[١].

قوله: (في الصحيح) أي الصحيحين. علّقهُ البخاري. قال وقال حُميد وثابت عن أنس. ووصله أحمد والترمذي والنسائي عن حميد عن أنس. ووصله مسلم عن ثابت عن أنس. وقال ابن إسحاق في المغازي. حدثنا حميد الطويل عن أنس قال كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أحد وشج وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله الآية[٢].

قوله: (شج النبي ﷺ) **قال أبو السعادات:** الشج في الرأس خاصة في الأصل، وهو أن يضربه بشئ فيجرحه فيه ويشقه، ثم استعمل في غيره من الأعضاء[٣]، وذكر ابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر

(١) صحيح، علقة البخاري بإثر الحديث رقم [٤٠٦٨] من طريق حميد وثابت عن أنس. ووصله من طريق حميد عن أنس.
ابن سعد (٤٤/٢) والترمذي [٣٠٠٢] [٣٠٠٣] والنسائي في «الكبرى» [١١٠٧٧] وابن ماجه [٤٠٢٧] والطبري (٨٧/٤) وأبو يعلى [٣٧٢٨] وابن حبان [٦٥٧٤] وأحمد [١١٩٥٦] [١٢٨٣١] [١٣٠٨٣] [١٣١٣٨] والبغوي [٣٧٤٨].
وأخرجه أحمد [١٣٦٥٧] [١٤٠٧٢] ومسلم [١٧٩١] وعبد بن الحميد [١٢٠٤] وأبو عوانة (٣٠٩/٤- ٣١٠) وأبو يعلى [٣٣٠١] والطحاوي (٥٥٢/١) وابن حبان [٦٥٧٥] والبيهقي في «الدلائل» (٢٦٢/٣) من طريق ثابت عن أنس.

(٢) قد خرجته في «السيرة» وهو كتاب مطبوع بمعرفة دار العقيدة.

(٣) انظر: «النهاية» (٣٩٩/٢).

رباعية النبي ﷺ السفلى وجرح شفته العليا وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذي شَجَّه في وجهه، وأن عبد الله بن قُمئة جَرَحه في وجنته، فدخلت حلقتان من حِلق المِغْفر في وجنته وأن مالك ابن سنان مَصَّ الدَّم من وجه رسول الله ﷺ وازدرده. فقال له: «لن تمسك النار»[١].

قال القرطبي: والرباعية بفتح الراء وتخفيف الياء وهي كل سن بعد ثنية[٢].

قال النووي رحمه الله: وللإنسان أربع رباعيات[٣].

قال الحافظ: والمراد أنها كسرت، فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها[٤].

قال النووي: وفي هذا وقوع الأسقام والإبتلاء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لينالوا بذلك جزيل الأجر والثواب. ولتعرف الأمم ما أصابهم ويأتسوا بهم[٥].

قال القاضي: وليعلم أنهم من البشر تصيبهم محن الدنيا، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقن أنهم مخلوقون مربوبون. ولا يفتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم انتهى.

قلت: يعني من الغلو والعبادة.

---

(١) أخرجته في «السيرة» بما يغني.

(٢) في «المفهم».

(٣) شرح مسلم (٦/٣٩٠).

(٤) فتح الباري (٧/٤٢٣).

(٥) شرح مسلم (٦/٣٩٠).

يومَ أحدٍ وكُسِرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ فقالَ: «كيفَ يُفلِحُ قومٌ شَجُّوا نبيَّهُم؟» فنزلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]،

قوله: (يوم أحد) هو شرقي المدينة. قال ﷺ: **«أحد جبل يحبنا ونحبه»**[1] وهو جبل معروف كانت عنده الواقعة المشهورة. فأضيفت إليه.

قوله: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم) زاد مسلم كسروا رباعيته وأدموا وجهه.

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾

قوله: فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾[2] قال ابن عطية: كأن النبي ﷺ لحقه في تلك الحال يأس من فلاح كفار قريش، فقيل له بسبب ذلك: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ أي عواقب الأمور بيد الله، فامض أنت لشأنك، ودُمْ على الدُّعاء لربك[3].

وقال ابن إسحاق: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم.

---

(١) أخرجه البخاري [٢٨٨٩] ومسلم [١٣٩٣] عن أنس.

(٢) في قرة العيون: وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة، والمقصود أن الذي له الأمر كله والملك كله لا يستحق غيره شيئًا من العبادة، ولهذا المعنى قال لنبيه ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ فالذي ليس له من الأمر شيء وهو خيرة الله من خلقه ما زال يدعو الناس أن يخلصوا العبادة للذي له الأمر كله وهو الله تعالى، فهذا دينه ﷺ الذي بعث به وأمر أن يبلغه أمته ويدعوهم إليه كما تقدم في باب الدعاء إلى شهادة أ لا إله إلا الله، فإياك أن تتبع سبيلًا غير سبيل المؤمنين الذي شرعه الله ورسوله لهم وخصهم به.

(٣) «المحرر الوجيز» (١/٥٠٥).

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما

قوله: (وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلانًا وفلانًا» بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد. فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾(١).

وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾(٢).

قوله: (وفيه) أي في صحيح البخاري. رواه النسائي.

قوله: (عن ابن عمر) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، صحابي جليل، شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاح، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو في أول التي تليها(٣).

---

(١) أخرجه البخاري [٤٠٦٩] [٤٥٥٩] [٧٣٤٦] والنسائي في «الكبرى» [١١٠٧٦] وفي «التفسير» [٩٦] وأحمد [٦٣٥٠] والبيهقي (٢/١٩٨).

(٢) أخرجه البخاري [٤٠٧٠] عن سالم مرسلًا.

ووصله أحمد [٥٦٧٤] [٥٨١٢] [٥٨١٣] [٥٩٩٧] [٦٣٤٩] والترمذي [٣٠٠٤] والنسائي (٢/٢٠٣) والكبرى [١١٠٧٥] وفي «التفسير» [٩٥] وابن خزيمة [٦٢٢] والطحاوي (١/٢٤٢) وفي «المشكل» [٥٦٧] وأبو يعلى [٥٥٤٧] وهو صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) هو الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن القرشيُّ العدويُّ المكي، المدني.

أسلم وهو صغير، ثم هاجر مع أبيه لم يحتلم، واستصغر يوم أحد وأول غزوة غزاها الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وأمه وأم المؤمنين حفصة هي زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون.

أسلم قبل أبيه وكان عمره سبع سنين.

كان ابن عمر من الفقهاء المعروفين المعدودين في الصحابة وكان من المكثرين في الرواية فله في مسند بقي مخلد ألفان وست مئة وثلاثون حديثًا بالمكرر، اتفقا البخاري ومسلم على مئة وثمانية وستين حديثًا، وانفرد له البخاري بأحد وثمانين حديثًا، ومسلم بأحد وثلاثين، مجموع ماله في البخاري ومسلم [٢٨٠].

وله في مسند أحمد [٢٠٢٨] حديث تبدأ برقم [٤٤٤٨] وتنتهي برقم [٦٤٧٦] وله فضائل كثيرة ومناقب جمة فرحمه الله ورضى عنه.

أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم العن فلانًا وفلانًا» بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده،

قوله: (أنه سمع رسول الله) هذا القنوت على هؤلاء بعد ما شج وكسرت رباعيته يوم أحد.

قوله: (اللَّهُمَّ العن فلانًا وفلانًا) **قال أبو السعادات:** أصل اللعن والطرد والإبعاد من الله. ومن الخلق السب والدعاء وتقدم كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

قوله: فلانًا وفلانًا يعني صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، كما بينه في الرواية الآتية.

وفيه: جواز الدُّعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة، وأن ذلك لا يضر في الصلاة.

قوله: (بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده) **قال أبو السعادات:** أي أجاب حمده وتقبيله.

وقال السهيلي[1]: مفعول سمع محذوف، لأن السمع متعلق بالأقوال والأصوات دون غيرها فاللام تؤذن بمعنى زائد وهو الاستجابة للسمع، فاجتمع في الكلمة الإيجاز والدلالة على الزائد، وهو الاستجابة لمن حمده.

وقال ابن القيم رحمه الله ما معناه: سمع الله لمن حمده باللام المتضمنة معنى استجاب له. ولا حذف وإنما هو مضمن.

---

(١) هو أبو القاسم وأبو زيد بن عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح هو الداخل إلى الأندلس الخثعمي السُّهيلي، ولد سنة ثمان وخمسمائة قرأ القراءات واشتغل، وحصَّل حتى يبرع وساد أهل زمانه بقوة القريحة وجودة الذهن وحسن التصانيف، وكان ضريرًا مع ذلك له كتاب «الروض الأنف» وكتب أخرى، وكان عفيفًا فقيرًا توفي يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وثمانين وخمسمائة انظر: «إنباه الرواة» (١٦٢/٢) و«وفيات الأعيان» (١٤٣/٣) وتذكرة الحافظ (١٣٤٨/٤) وتاريخ الإسلام (حوادث ٥٨١- ٥٩٠هـ) (ص:١١٣) والبداية (٥٧٤/١٦).

ربنا ولك الحمد» فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]،

قوله: (ربنا لك الحمد) في بعض روايات البخاري بإسقاط الواو. قال ابن دقيق العيد: كأن إثباتها دال على معنى زائد، لأنه يكون التقدير: ربنا استجب ولك الحمد. فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخبر.

قال شيخ الإسلام: والحمد ضد الذم، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له. كما أن الذم يكون على مساويه مع البغض له.

وكذا قال ابن القيم: وفرق بينه وبين المدح بأن الأخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخبار مجردًا عن حب وإرادة، أو يكون مقرونًا بحبه وإرادته. فإن كان الأول فهو المدح، وإن كان الثاني فهو الحمد. فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه. ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء بخلاف المدح، فإنه خبر مجرد. فالقائل إذا قال: الحمد لله أو قال ربنا ولك الحمد تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من أفراد الجملة المحققة والمقدرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى، ولهذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه، وهو الحميد المجيد.

وفيه: التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد، وهو قول الشافعي وأحمد وخالف في ذلك مالك وأبو حنيفة، وقالا: يقتصر على سمع الله لمن حمده.

وفي رواية: يدعو على صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام؛ فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

قوله: (وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام).

وذلك لأنهم رؤوس المشركين يوم أحد، هم وأبو سفيان بن حرب، فما استجيب له ﷺ فيهم بل أنزل الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾ فتاب عليهم فأسلموا وحسن إسلامهم. وفي كله معنى شهادة أن لا إله إلا الله الذي له الأمر كله، يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته.

وفي هذا من الحجج والبراهين ما يبين بطلان ما يعتقده عباد القبور في الأولياء والصالحين. بل في الواغيت من أنهم ينتفعون من دعاهم، ويمنعون من لاذ بحماهم. فسبحان من حال بينهم وبين فهم الكتاب. وذلك عدله سبحانه، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه، وبه الحول والقوة.

قوله وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل الله عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] قال: **«يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا. يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا. يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا. يا فاطمة بنت محمد، سلني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئًا»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري [٢٧٥٣] [٤٧٧١] ومسلم [٢٠٦] والترمذي [٣١٨٥] والنسائي (٦/٢٤٨) وابن حبان [٦٤٦] والدارمي [٢٧٣٢] وأحمد [٨٤٠٢] [٨٧٢٦] [٨٧٢٧].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله: (وفيه) أي وفي صحيح البخاري.

قوله: (عن أبي هريرة) اختلف في اسمه. وصحح النووي أن اسمه عبد الرحمن بن صخر، كما رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة قال: «كان اسمي في الجاهلية عبد الرحمن»[١] وروى الدولابي بإسناده عن أبي هريرة «أن النبي صلى الله عليه وسلم سماه عبد الله»[٢] وهو دوسي من فضلاء الصحابة وحُفَّاظهم، حفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما حفظه غيره مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة[٣].

قوله: (قام رسول الله صلى الله عليه وسلم) في الصحيح من رواية ابن عباس صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/٥٠٧) وسنده ضعيف.

(٢) وقال الحافظ في «الإصابة» (٧/١٩٩) وأخرج الدولابي بسند حسن عن أسامه بن زيد الليثي عن عبيد الله بن أبي رافع والمقبري قالا: فذكره.

(٣) أسلم يوم خيبر كما روى ابن سعد ويعقوب بن سفيان والبخاري في تاريخه «الصغير»، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم أربع سنين وقيل: ثلاثة: ورجَّح الذَّهبي الأول، وكان إذا حدَّث عن النبي صلى الله عليه وسلم بكى، وكانت له صيحتان في كل يوم أول النهار وآخره، ومنع ابنته من لبس الذهب، عدد ماله في مسند بقي بن مخلد [٥٣٧٤] المتفق عليه [٣١٦] وقيل [٣٢٦] انفرد البخاري [٩٣] ومسلم [٩٨] وقيل: [١٩٠].

(٤) أخرجه البخاري [٤٧٧٠] [٤٩٧٣] ومسلم [٢٠٨] وابن حبان [٦٥٥٠] والنسائي في «الكبرى» [١١٤٢٦]، والطبراني [١٢٣٥٢] وابن منده في «الإيمان» [٩٤٩] [٩٥٠] وأحمد [٢٨٠] والبيهقي في «الدلائل» (٢/١٨١-١٨٢) والبغوي [٣٧٤١].

حين أنزل الله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، قال «يا معشر قريش -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾

قوله: (حين أنزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ عشيرة الرجل: هم بنو أبيه الأدنون أو قبيلته. لأنهم أحق الناس ببرك وإحسانك الديني والدنيوي، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦] وقد أمره الله تعالى أيضًا بالنذارة العامة، كما قال: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [يس:٦]، ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ [إبراهيم:٤٤].

قوله: (يا معشر قريش) المعشر الجماعة.

قوله: (أو كلمة نحوها) هو بنصب كلمة عطف على ما قبله.

قوله: (اشتروا أنفسكم) أي بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له وطاعته فيما أمر به والإنتهاء عما نهى عنه. فإن ذلك هو الذي يُنَجِّي من عذاب الله لا الاعتماد على الأنساب والأحساب، فإن ذلك غير نافع عند رب الأرباب.

قوله: (ما أغني عنكم من الله من شيء)[١] فيه حجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه، أو يدفعوا عنه، فإن ذلك هو الشرك

---

(١) في قرة العيون: هذا هو معنى ما تقدم من أنه تعالى هو المتصرف في خلقه بما شاء مما اقتضته حكمته في خلقه وعلمه بهم، والعباد لا يعلم إلا ما علمه الله، ولا ينجو أحد من عذابه وعقابه إلا بإخلاص العبادة له وحده والبراءة من عبادة ما سواه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ والنبي ﷺ في هذا الحديث أنذر الأقربين نذارة خاصة وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئًا، وبلغهم وأعذر إليهم. فأنذر قريشًا ببطونها وقبائل العرب

الذي حرمه الله تعالى، وأقام نبيه ﷺ بالإنذار عنه، كما أخبر تعالى عن المشركين في قوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] فأبطل الله ذلك ونزه نفسه عن هذا الشرك، وسيأتي تقرير هذا المقام إن شاء الله تعالى.

وفي صحيح البخاري «يا بني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئًا»[1].

في مواسمها؛ وأنذر عمه وعمته وابنته وهم أقرب الناس إليه، وأخبر أنه لا يغني من الله شيئًا إذا لم يؤمنوا به ويقبلوا ما جاء به من التوحيد وترك الشرك به. وسائر شرائع الإسلام وعباداته.

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا».

قوله: (يا عباس بن عبد المطلب) بنصب بن ويجوز في «عباس» الرفع النصب. وكذا في قوله يا صفية عمة رسول الله، ويا فاطمة بنت محمد.

قوله: (سليني من مالي ما شئت)[1] بين رسول الله ﷺ أنه لا ينجي من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح.

وفيه: أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا ما يقدر عليه من أمور الدنيا.

وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا منه تعالى، فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد، والإخلاص له بما شرعه ورضيه لعباده أن يتقربوا إليه به، فإذا كان لا ينفع بنته ولا عمه ولا عمته ولا قرابته إلا ذلك، فغيرهم أولى وأحرى. وفي قصة عمه أبي طالب معتبر.

---

(١) في قرة العيون: لأن هذا هو الذي يقدر عليه ﷺ وما كان أمره إلى الله سبحانه فلا قدرة لأحد عليه كما في هذا الحديث، ولما مات أبو طالب وكان يحوط رسول الله ﷺ ويحميه ولم ينكر ملة عبد المطلب من الشرك بالله وقال ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ فأخبر أن أبا طالب من أصحاب النار لما مات على غير شهادة أن لا إله إلا الله، فلم ينفعه حمايته النبي ﷺ من أن يكون من المشركين ولا الاعتراف بأن النبي ﷺ على الحق بدون البراءة من الشرك، لأنه لم يبرأ من ملة أبيه فكل تعلق على غير الله من طلب شفاعة أو غيرها شرك بالله يكون عليه وبالًا في الدنيا والآخرة، والشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص خاصة، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة وكذلك الأحاديث والله أعلم. وسيأتي في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

فانظر إلى الواقع الآن من كثير من الناس الالتجاء إلى الأموات والتوجه إليهم بالرغبات والرهبات، وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، فضلًا عن غيرهم ـ يتبين لك أنهم ليسو على شيء ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين، وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

ولا ريب أن محبة الصالحين إنما تحصل بموافقتهم في الدين، ومتابعتهم في طاعة رب العالمين، لا باتخاذهم أندادًا من دون الله يحبونهم كحب الله إشراكًا بالله، وعبادة لغير الله، وعداوة لله ورسوله والصالحين من عباده، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في هذه الآية بعد كلام سبق: ثم نفى أن يكون قال لهم غير ما أمر به وهو محض التوحيد فقال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ ثم أخبر أن شهادته عليهم مدة مقامه فيهم، وأنه بعد الوفاة لا إطلاع له عليهم، وأن الله عز وجل المنفرد بعد الوفاة بالاطلاع عليهم فقال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ وصف الله سبحانه بأن شهادته فوق كل شهادة وأعم اهـ

....

قلت: ففي هذا بيان أن المشركين خالفوا ما أمر الله به رسله من توحيده الذي هو دينهم الذي اتفقوا عليه، ودعوا الناس إليه، وفارقوا فيه إلا من آمن، فكيف يقال لمن دان بدينهم، وأطاعهم فيما أمروا به من إخلاص العبادة لله وحده: إنه قد تنقصهم بهذا التوحيد الذي أطاع به ربه، واتبع فيه رسله عليهم السلام، ونزه به ربه عن الشرك الذي هو هضم للربوبية. وتنقص للإلهية وسوء ظن برب العالمين؟.

والمشركون هم أعداء الرسل وخصماؤهم في الدنيا والآخرة، وقد شرعوا لأتباعهم أن يتبرأوا من كل مشرك ويكفروا به، ويبغضوه ويعادوه في ربهم ومعبودهم ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

فيه مسائل:

الأولى- تفسير الآيتين.

الثانية- قصة أحد.

الثالثة- قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات [الأولياءِ] يؤمنون في الصلاة.

الرابعة- أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة- أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار. منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة- أنزل الله عليه في ذلك: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

[آل عمران: ١٢٨]

السابعة- قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة- القنوت في النوازل.

التاسعة- تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة- لعنه المعين في القنوت.

الحادية عشرة- قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

الثانية عشرة- جدّه ﷺ في هذا الأمر، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة- قوله للأبعد والأقرب: «لا أغني عنك من الله شيئًا» حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا» فإذا صرح ﷺ وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن تبين له التوحيد وغربة الدين.

باب
قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾

باب قول الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾

قوله: (باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣])(١).

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي زال الفزع عنها. قاله ابن عباس وابن عمر وأبو عبد الرحمن السلمي والشعبي والحسن وغيرهم(٢).

---

(١) في قرة العيون: وهذه الآيات تقطع عروق الشرك بأمور أربعة:

(الأول): أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله والذي لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض لا ينفع ولا يضر، فالله تعالى هو الذي يملكهم ويدبرهم ويتصرف فيهم وحده.

(الثاني): قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ أي في السموات والأرض، أي وما لهم شرك مثقال ذرة من السموات والأرض.

(الثالث): قوله: ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ والظهير المعين؛ فليس لله معين من خلقه، بل هو الذي يعينهم على ما ينفعهم لكمال غناه عنهم، وضرورتهم إلى ربهم فيما قل وكثر من أمور دنياهم وأخراهم.

(الرابع): قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه. وأخبر تعالى أن من اتخذ شفيعًا من دونه حرم شفاعة الشفعاء، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ لأن اتخاذ الشفعاء شرك لقوله تعالى في حقهم: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والمشرك منفية الشفاعة في حقه كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ وذلك أن متخذ الشفيع لابد أن يرغب إليه ويدعوه ويرجوه ويخافه ويحبه لما يؤمله منه وهذه من أنواع العبادة التي لا يصرف منها شيء لغير الله وذلك هو الشرك الذي ينافي الإخلاص.

(٢) ذكره عن ابن مسعود من عدة طرق، وساق بسنده حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري الآتي بعد صفحة.

وقال ابن جرير: قال بعضهم: الذين فزع عن قلوبهم: الملائكة قالوا: وإنما فزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم كلام الله بالوحي[١].

وقال ابن عطية: في الكلام حذف ما يدل عليه الظاهر. كأنه قال: ولا هم شفعاء كما تزعمون أنتم، بل هم عبدة مسلمون لله أبدًا، يعني منقادون، حتى إذا فزع عن قلوبهم. والمراد الملائكة على ما اختاره ابن جرير وغيره[٢].

قال ابن كثير: وهو الحق الذي لا مرية فيه، لصحة الأحاديث فيه والآثار[٣].

وقال أبو حيان: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل يأمره الله به سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان، فتفزع عند ذلك تعظيمًا وهيبة. قال: وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآية تتسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أن الملائكة مشار إليهم من أول قوله: ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها[٤].

وقد قال البخاري في تفسير سورة الحجر عن علي بن عبد الله. قلت لسفيان: إن إنسانًا روى عنك عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة أنه قرأ «فرغ» بضم الفاء والراء المثقلة المهملة وبالغين المعجمة فقال سفيان: هكذا قرأ عمرو يعني ابن دينار. فلا أدري سمعه هكذا أم لا؟ قال الحافظ: وهذه القراءة رويت عن الحسن وقتادة ومجاهد. والقراءة المشهورة بالزين والعين المهملة. وقرأها ابن عامر مبنيًا للفاعل. ومعناه بالزاء والعين المهملة: أدهش الفزع عنهم. ومعنى التي بالراء والغين المعجمة: ذهب عن قلوبهم ما حل فيها.

(١) تفسير ابن جرير (٢٢/٩٠).

(٢) المحرر الوجيز (٤/٤١٨).

(٣) تفسيره (٣/٥٣٧).

(٤) المحرر الوجيز (٤/٤١٨).

قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سبأ: ٢٣].

قوله: ﴿قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟﴾ ولم يقولوا ماذا خلق ربنا؟ ولو كان كلام الله مخلوقًا لقالوا: ماذا خلق؟؟ انتهى من شرح سنن ابن ماجه.

ومثله الحديث «ماذا قال ربنا يا جبريل؟»[1] وأمثال هذا في الكتاب والسنة كثير.

قوله: (﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ أي: قال الله الحق. وذلك لأنهم إذا سمعوا كلام الله صعقوا ثم إذا أفاقوا أخذوا يسألون، فيقولون: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ علو القدر وعلو القهر وعلو الذات، فله العلو الكامل من جميع الوجوه، كما قال عبدالله بن المبارك لما قيل له: بما نعرف ربنا؟ قال بأنه على عرشه بائن من خلقه تمسكًا منه بالقرآن لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] في سبعة مواضع من القرآن (٧: ٥٣ و١٤: ٢ و٣٢: ٤ و٥٧: ٤).

قوله: (الكبير) أي الذي لا أكبر منه ولا أعظم منه تبارك وتعالى.

قوله: في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض. وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى أن تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل من يلقيها،**

---

(١) سيأتي الحديث والتخريج.

....

وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا اليوم كذا وكذا: وكذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»[1].

قوله: (في الصحيح) أي صحيح البخاري.

---

(١) أخرجه الحميدي [١١٥١]. والبخاري [٤٧٠١] [٧٤٨١] وفي «خلق افعال العباد» (ص:٩٣) وأبو داود [٣٩٨٩] والترمذي [٣٢٢٣] وابن ماجه [١٩٤] وابن حبان [٣٦] وابن خزيمة في «التوحيد» (ص:١٤٧) وابن منده في «الإيمان» [٧٠٠].

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله

حديث أبي هريرة: إذا قضى الله الأمر في السماء إلخ

قوله: (إذا قضي الله الأمر في السماء) أي إذا تكلم الله بالأمر الذي يوحيه إلى جبريل بما أراد، كما صرح به في الحديث الآتي، وكما روى سعيد بن منصور وأبو داود وابن جرير عن ابن مسعود «**إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصة كجر السلسلة على الصفوان**»(١).

وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: «لما أوحي الجبار إلى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحي، فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي. فما كشف عن قلوبهم سألوا عما قال الله. فقالوا: الحق. وعلموا أن الله لا يقول إلا حقًّا»(٢).

قوله: (ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله) أي لقول الله تعالى.

قال الحافظ: خضعانًا بفتحتين من الخضوع. وفي رواية بضم أوله وسكون ثانيه. وهو مصدر بمعنى خاضعين.

---

(١) صحيح. أخرجه أبو داود [٤٧٣٨] وابن خزيمة في «التوحيد» (ص:١٤٥) وابن حبان [٣٧] والبيهقي في «الأسماء» (ص:٢٠١) والخطيب في «تاريخه» (٣٩٢/١١) وإسناده صحيح.
وصححه الشيخ في «الصحيحة» [١٢٩٣].

(٢) أخرجه ابن جرير [٢٨٨٥١] وإسناده ضعيف جدًا.

كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك، حتى ﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾

قوله: (كأنه سلسلة على صفوان) أي كأن الصوت المسموع سلسلة على صفوان وهو الحجر الأملس.

قوله: (ينفذهم ذلك) هو بفتح التحتية وسكون النون وضم الفاء والذال المعجمة ذلك أي القول، والضمير في ينفذهم للملائكة، أي ينفذ ذلك القول الملائكة أي يخلص ذلك القول ويمضي فيهم حتى يفزعوا منه.

وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس: «فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا»[1] وعند أبي داود وغيره مرفوعًا «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء الدنيا صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل» الحديث.

قوله: (حتى إذا فزع عن قلوبهم) تقدم معناه.

قوله: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ أي قالوا: قال الله الحق، علموا أن الله لا يقول إلا الحق.

---

(١) حسن. أخرجه ابن أبي شيبة (٨/٤٣٦/٣) وعنه أبو نعيم في «الدلائل» (ص:١٨٠) من طريق محمد بن فضيل، حدثنا عطاء بن السائب، حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس، به.

وإسناده حسن.

وتابع محمد بن فضيل عليه حماد بن سلمة، وحماد ممن سمع من عطاء قبل وبعد اختلاطه، فتوقف الناس في حديثه، وقال جماعة: صحيح السماع.

فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن

قوله: (فيسمعها مسترق السمع) أي يسمع الكلمة التي قضاها الله، وهم الشياطين يركب بعضهم بعضًا. وفي صحيح البخاري عن عائشة مرفوعًا: **«إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتوجه إلى الكهان»**(١).

قوله: (ومسترق السمع) هكذا وصفه سفيان بكفه أي وصف ركوب بعضهم فوق بعض.

وسفيان هو ابن عيينة أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ، فقيه، إمام حجة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة وله إحدى وتسعون سنة(٢).

قوله: (فحرَّفها) بحاء مهملة وراء مشددة وفاء. قوله: (وبَدَّدَ) أي فرق بين أصابعه.

قوله: (فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته) أي يسمع الفوقاني الكلمة فيلقيها إلى آخر تحته، ثم يلقيها إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٢١٠] ومسلم [٢٢٢٨].

(٢) انظر: «الطبقات» (٥/٤٩٧) و«التاريخ الكبير» (٤/ترجمة ٢٠٨٢) و«المعرفة» ليعقوب (١/١٨٥) و«الجرح» (٤/٩٧٣) و«الحلية» (٧/٣٩٠) «تاريخ بغداد» (٩/١٧٤) «الوفيات» (٢/٢٦٧) «تذكرة الحفاظ» (١/٢٤٩) و«السير» (٧/٤١٤).

فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه

قوله: (فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها) الشِّهابُ هو النجم الذي يرمي به، أي ربما أدرك الشهاب المسترق، وهذا يدل على أن الرمي بالشهب قبل المبعث. لما روى أحمد وغيره والسياق له في المسند من طريق معمر ـ أنبأنا الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ جالسًا في نفر من أصحابه قال عبد الرزَّاق: من الأنصار قال: فرمى بنجم عظيم، فاستنار، قال: **«ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية؟»** قال: كنا نقول: لعله يولد عظيم أو يموت، قلت للزهري: أكان يرمى بها في الجاهلية؟ قال نعم، ولكن غلظت حين بعث النبي ﷺ قال: **«فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك اسمه إذا قضى أمرًا سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا. ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء، وتخطف الجن السمع فيرمون، فما جاءوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون»**. قال عبد الله: قال أبي: قال عبد الرزَّاق «ويخطف الجن ويرمون»[١] وفي رواية له «لكنهم يزيدون فيه ويقرفون وينقصون»[٢].

---

(١) إسناده صحيح. أخرجه أحمد [١٨٨٢] وعبد بن حميد [٦٨٣] والترمذي [٣٢٢٤] والبيهقي في «الدلائل» (٢٣٨/٢) من طريق معمر، به.
وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد [١٨٨٣] ومسلم [٢٢٢٩] والطحاوي (١١٣/٣) والبخاري في «خلق أفعال العباد» [٤٦٩] والنسائي في «الكبرى» [١١٢٧٢] وأبو نعيم في «الحلية» (١٤٣/٣).

فيكذب معها مائة كذبة فقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».

قوله: (فيكذب معها مائة كذبة) أي الكاهن أو الساحر.

و(كَذْبة) بفتح الكاف وسكون الذال المعجمة.

قوله: (أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: وكذا وكذا؟) هكذا في نسخة بخط المصنف، وكالذي في صحيح البخاري سواء.

قال المصنف: وفيه قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة كذبة؟.

وفيه: أن الشيء إذا كان فيه شيء من الحق فلا يدل على أنه حق كله، فكثيرًا ما يلبس أهل الضلال الحق بالباطل ليكون أقبل لباطلهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٤٢].

وفي هذه الأحاديث وما بعدها وما في معناها: إثبات علو الله تعالى على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء بكلام يسمعه الملائكة، وهذا قول أهل السنة قاطبة سلفًا وخلفًا. خلافًا للأشاعرة[1]

(١) الأشاعرة.

هي فرقة تنسب إلى علي بن إسماعيل المعروف بأبي الحسن الأشعري في طوره الذي سلك فيه طريقة ابن كلاب بعد أن رجع عن الاعتزال وقبل أن يستقر أمره على مذهب السلف حيث صرح في كتابه «الإبانة» وهو ثابت النسبة إليه.

واثبت الأشاعرة بعض صفات الله بالعقل مع تأويلهم بعضها ونفوا بعض الصفات وهم: «في الإيمان مرجئه وفي القدر جبرية، وينكرون السببة في أفعال المخلوقات وينكرون المعرفة الفطرية لله سبحانه ويشترطونها. بالنظر وميزون أنفسهم بأنهم أهل السنة والجماعة، ومازال هذا الأمر قائم في الأزهر».

انظر الإبانة (ص:٢٠) والملل (٩٤/١) وتبين كذب المفتري لابن عساكر (ص:١٥٢-١٧٧) والفرق بين الفرق (ص:٣٢٣).

....

والجهميـة[١]، ونفـاة المعتزلـة[٢]. فإيـاك أن تلتفـت إلى مازخرفـه أهـل التعطيل، وحسـبنا الله ونعم الوكيل.

(١) سبق تعريفها.

(٢) سبق تعريفها.

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حديث إذا أراد الله أن يوحي بالأمر إلخ

قوله: (وعن النَّواس بن سَمْعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفًا من الله عز وجل. فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدًا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل»**[(١)].

هذا الحديث رواه ابن أبي حاتم بسنده كما ذكره العماد ابن كثير في «تفسيره».

النواس بن سمعان، بكسر السين، بن خالد الكلابي، ويقال: الأنصاري صحابي. ويقال: إن أباه صحابي أيضًا[(٢)].

---

(١) ضعيف. أخرجه ابن جرير [٢٨٨٤٩] وابن خزيمة في «التوحيد» [٢٠٦] والطبراني في «الشاميين» [٥٩١] وابن أبي حاتم (٥٣٧/٣) والبيهقي في «الأسماء» (ص:٢٦٣) من طريق نعيم بن حماد ثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابن أبي زكريا، عن رجاء بن حيوة عن النواس، به.
وإسناده ضعيف.
نعيم بن حماد، لا يخلو منه كلام، والوليد بن مسلم مدلس.
وحماد قد توبع عليه.
فرواه أبو الشيخ في «العظمة» [١٦٤] من طريق عمرو بن مالك الراسبي عن الوليد، وعمرو ضعيف.
قال ابن كثير في «تفسيره» (٥٣٧/٣): «وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد».

(٢) انظر: الإصابة (٣٩٨/٦).

«إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم الوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفًا من الله عز وجل فإذا سمع ذلك أهل السموات

قوله: (إذا أراد الله أن يوحي بالأمر) إلى آخره. فيه النص على أن الله تعالى يتكلم بالوحي. وهذا من حجة أهل السنة على النفاة: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء.

قوله: (أخذت السموات منه رجفة) السموات مفعول مقدم، والفاعل رجفة أي أصاب السموات من كلامه تعالى رجفة، أي ارتجفت. وهو صريح في أنها تسمع كلامه تعالى.

كما روى ابن أبي حاتم عن عكرمة. قال إذا قضى الله أمرًا تكلم تبارك وتعالى رجفت السموات والأرض والجبال، وخرت الملائكة كلهم سجدًا[١].

قوله: (أو قال رعدة شديدة) شك من الراوي. هل قال النبي ﷺ رجفة، أو قال رعدة. والراء مفتوحة فيهما.

قوله: (خوفًا من الله عز وجل) وهذا ظاهر في أن السموات تخاف الله، بما يجعل تعالى فيها من الإحساس ومعرفة من خلقها. وقد أخبر تعالى أن هذه المخلوقات العظيمة تسبحه كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] وقد قرر العلامة ابن القيم رحمه الله أن هذه المخلوقات تسبح الله وتخشاه حقيقة، مستدلًا بهذه الآيات وما في معناها.

---

(١) أخرجه البخاري: «خلق أفعال العباد» (٩٩/١) مرسلًا.

وفي البخاري عن ابن مسعود قال: «كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[1].

وفي حديث أبي ذر «أن النبي ﷺ أخذ في يده حصيات، فسمع لهن تسبيح...» الحديث[2].

وفي الصحيح قصة حنين الجذع الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ قبل اتخاذ المنبر[3]. ومثل هذا كثير.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٥٧٩].

(٢) حديث ضعيف وفيه اضطراب.

أخرجه البزار [٤٠٤٠] واللالكائي في «شرح الأصول» (٢/٨٠٦- ٨٠٧)، [١٤٨٤] [١٤٨٥] والبيهقي في «الدلائل» (٦/٦٤-٦٥). وابن الجوزي في «العلل» (١/٢٠١-٢٠٢) [٣٢٥] وراجع كلام الدارقطني في «العلل» (٦/٢٤٢-٢٤٣) [١١٠٤].

(٣) أخرجه البخاري [٣٥٨٣] وأبو داود [١٠٨١] والترمذي [٥٠٥] والدارمي (١/١٥) وأحمد [٤٧٥٥] [٥٨٨٦] والبيهقي في «الدلائل» (٢/٥٥٦-٥٥٧) عن ابن عمر.

وفي الباب عن جابر أخرجه البخاري [٩١٨] [٣٥٨٤] [٣٥٨٥] والدارمي [٣٣] [٣٤] [٣٥] والطبراني في «الأوسط» [٥٩٤٧] وأبو نعيم في «الدلائل» [٣٠٢] وأحمد [١٤١١٩] [١٤٢٠٦]

وعن ابن عباس، وأنس، وأبي بن كعب، وسهل بن سعد وأبو سعيد وعائشة، وبريدة الأسلمي وأم سلمة وهو حديث متواتر.

صعقوا وخروا سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم

قوله: (صعقوا وخروا لله سجدًا) الصعوق هو الغشي، ومعه السجود.

قوله: (فيكون أول من يرفع رأسه جبريل) بنصب أول خبر يكون مقدم على اسمها. ويجوز العكس. ومعنى جبريل: عبد الله، كما روى ابن جرير وغيره عن علي ابن الحسين قال: كان اسم جبريل: عبد الله، واسم ميكائيل عبيد الله، وإسرافيل عبد الرحمن[1]. وكل شيء رجع إلى ايل فهو معبد لله عز وجل. وفيه فضيلة جبريل عليه السلام. كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى، إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم. وقال أبو صالح في الآية جبريل يدخل في سبعين حجابًا من نور بغير إذن[2].

ولأحمد بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم»[3] فإذا كان هذا عظم هذه المخلوقات

(١) أخرجه ابن جرير (٤٣٧/١) بإسناد لا يصح.

(٢) تفسير ابن كثير (٣٧٩/٤).

(٣) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد [٣٧٤٨] وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٣٣٩/٢) من طريق شريك بن عبدالله النخعي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله، به.

وإسناده ضعيف، شريك سيء الحفظ.

وقد تفرد بزيادة «يسقط من جناحه من التهاويل...إلخ».

فخالفها أعظم وأجل وأكبر. فكيف يسوى به غيره في العبادة: دعاء وخوفًا ورجاء وتوكلًا وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها غيره؟ فانظر إلى حال الملائكة وشدة خوفهم من الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

وهذه زيادة شاذة، وأصل الحديث في «الصحيحين».

فرواه البخاي [٣٢٣٢] [٤٨٥٦] [٤٨٥٧] ومسلم [١٧٤] [٢٨١] [٢٨٢] والترمذي [٣٢٧٧] وابن منده [٧٤٤] وأبو عوانة (١٥٣/١) والطبراني [٩٠٥٥] وأحمد [٣٧٨٠].

مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل».

قوله: (ثم ينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل من السماء والأرض) وهذا تمام الحديث.

والآيات المذكورة في هذا الباب والأحاديث تقرر التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله، فإن الملك العظيم الذي تصعق الأملاك من كلامه خوفًا منه ومهابة وترجف منه المخلوقات، الكامل في ذاته وصفاته، وعلمه وقدرته وملكه وعزه، وغناه عن جميع خلقه، وافتقارهم جميعًا إليه، ونفوذ تصرفه وقدره فيهم لعلمه وحكمته، لا يجوز شرعًا ولا عقلًا أن يجعل له شريك من خلقه في عبادته التي هي حقه عليهم، فكيف يجعل المربوب ربًا، والعبد معبودًا؟ أين ذهبت عقول المشركين؟ سبحان الله عما يشركون.

وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣] من أولهم إلى آخرهم تزجرهم عن ذلك الشرك وتنهاهم عن عبادة ما سوى الله. انتهى من شرح سنن ابن ماجه.

فيه مسائل:

الأولى- تفسير الآية.

الثانية- ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصًا من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة- تفسير قوله: ﴿رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سَبَإ :٢٣].

الرابعة- سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة- أن جبريل هو الذي يجيبهم بعد ذلك بقوله: «قال كذا وكذا».

السادسة- ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة- أن يقول لأهل السماوات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة- أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم.

التاسعة- ارتجاف السماوات لكلام الله.

العاشرة- أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة- ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة- صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة- إرسال الشهب.

الرابعة عشرة- أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة- كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

السادسة عشرة- كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة- أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

الثامنة عشرة- قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟!.

التاسعة عشرة- كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون- إثبات الصفات خلافًا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون- التصريح بأن تلك الرجفة والغشي كانا خوفًا من الله عَزَّ وَجَلَّ.

الثانية والعشرون- أنهم يخرون لله سجدًا.

باب الشفاعة

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾

باب الشفاعة

قوله: (باب الشفاعة)

أي بيان ما أثبته القرآن منها وما نفاه. وحقيقة ما دل القرآن على إثباته.

قوله: وقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ ﴾ [الأنعام:٥١] المخافة والتحذير منها[١].

---

(١) في قرة العيون: الشفاعة نوعان:

(النوع الأول) شفاعة منفية في القرآن؛ وهي الشفاعة للكافر والمشرك قال تعالى: ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾ وقال: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ وقال: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ونحو هذه الآيات كقوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يخبر تعالى أن من اتخذ هؤلاء شفعاء عند الله أنه لا يعلم أنهم يشفعون له بذلك وما لا يعلمه لا وجود له فنفى وقوع الشفاعة وأخبر أنها شرك بقوله: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعًا بزعم أنه يقربه إلى الله وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته. لأنه جعل الله شريكًا يرغب إليه ويرجوه ويتوكل عليه ويحبه كما يحب الله تعالى أو أعظم.

(النوع الثاني) الشفاعة التي أثبتها القرآن وهي خالصة لأهل الإخلاص؛ وقيدها تعالى بأمرين:

الأمر الأول: إذنه للشافع أن يشفع. كما قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رحم عبده الموحد المذنب؛ فإذا رحمه الله تعالى أذن للشافع أن يشفع له.

الأمر الثاني: رضاه عمن أذن لشافع أن يشفع فيه. كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ فالإذن بالشفاعة له بعد الرضاء؛ كما في هذه الآية، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد.

قوله: (به) قال ابن عباس[1] بالقرآن ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ وهم المؤمنون وعن الفضيل بن عياض[2] ليس كل خلقه عاتب، إنما عاتب الذين يعقلون، فقال: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ وهم المؤمنون أصحاب العقول الواعية.

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو العباس الهاشميّ، ابن عم رسول الله ﷺ حبر الأمة، ومفسّرها كتاب الله وترجمانه روى عن رسول الله ﷺ شيئًا كثيرًا وعن جماعة من الصحابة وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج النبي ﷺ، توفى رسول الله ﷺ وهو مختون في صحيح البخاري [٦٢٩٩] وكانوا لا يختنون الغلام إلا بعد البلوغ، أي كان عمره ثلاثة عشرة عامًا له فضائل كثيرة ومناصب وفيرة،ودعا له النبي لتفقه في الدين، وروى أنه رأى جبريل كما في «المسند» (٣١٢/١) بسند صحيح، والطبراني [١٠٥٨٦] يُعد ابن عباس من المكثرين في الرواية، وإن اختلف في عدد ما سمعه هو من النبي ﷺ.
وما أسنده نحو ألف وستمائة حديث، توفى سنة ثمان وستين من الهجرة، رضي الله عنه.
ترجم له ابن كثير في البداية (٧٨/١٢-١١٢) والاستيعاب (٩٣٣/٣) والأسد (٢٩٠/٣) والإصابة (١٤١/٤).

(٢) الفضيل بن عياض أبو علي التميمي أحد أئمة العُبّاد، وعلم الزّهاد وواحد من العلماء الأولياء، ولد بخرسان وقدم الكوفة وهو كبير وسمع من علمائها، وكان حسن تلاوة القرآن، كثير الصيام والصلاة، وكان سيدًا كبير الشأن ثقة من أئمة الرواية رحمه الله وله كلام في الزهد والعلم والإخلاص يحتاج إلى مجلدات توفي سنة سبع وثمانين ومائة.
انظر «الحلية» (٨٤/٨) وتاريخ دمشق (٢٥٦/١٤) والمنتظم (١٤٨/٩)، و«تهذيب الكمال» (٢١٨/٢٣) والسير (٣٧٢/٨) و«البداية» (٦٦٠/١٣).

لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام: ٥١]،

قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ قال الزَّجَّاج(١): موضع ليس نصب على الحال، كأنه قال: متخلين من كل ولي وشفيع. والعامل فيه يخافون.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي فيعملون في هذه الدار عملًا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة.

(١) الزَّجَّاج: هو إبراهيم بن السَّرِي بن سهل، أبو إسحاق الزَّجَّاج كان فاضلًا دينًا حسن الاعتقاد وله مصنفات حسنة منها: «معاني القرآن»، وكان أول أمره يخرط الزجاج فأحبَّ النحو فذهب إلى المبرِّد، فكان يعطيه كل يوم درهمًا.
ثم استغنى الزجاج وكثر ماله ولم يقطع عن المبرِّد ذلك الدرهم حتى مات المبرِّد.
توفي الزَّجَّاج في جمادي الأولى سنة ٣١١هـ.

وقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]،

وقـوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] وقبلها ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ وهذه كقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] فبـين تعـالى في هـذه الآيات وأمثالها أن وقوع الشـفاعة على هذا الوجـه منتف وممتنع، وأن اتخاذهم شفعاء شرك، يتنزه الرب تعالى عنه. وقد قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٨] فبين تعالى أن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتأليههم. إن ذلك منهم إفك وافتراء.

وقـوله تعـالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي هو مالكها، فليـس لمن تطلب منه شيء منهـا، وإنمـا تطلـب ممـن يملـكها دون كل من سـواه، لأن ذلك عبـادة وتأليه لا يصلح إلى لله.

قال البيضاوي(١): لعله رد لما عسى أن يجيبوا به، وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون.

وقـوله تعـالى: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقريـر لبطلان اتخاذ الشـفعاء من دونه، لأنه مالك الملك، فاندرج في ذلك ملك الشـفاعة، فإذا كان هو مالكها بطل أن تطلـب ممن لا يملكهـا(٢) ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

---

(١) لعله البيضاوي صاحب التفسير والتصانيف النافعة وهو القاضي الإمام العلامة ناصر الدين، عبدالله بن عمر الشيرازي قاضيها وعالمها وعالم أذربيجان وتلك النواحي، مات سنة خمس وثمانين وستمائة. «طبقات الشافعية» (١٥٧/٨) الوافي (٣٧٩/١٧) والبداية (٦٠٦/١٧).

(٢) في قرة العيون: فليس لأحد في ملكه مثقال ذرة دونه سبحانه وبحمده، والإسلام هو أن تسلم قلبك

قال ابن جرير: نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثاننا هذه إلى ليقربونا إلى الله زلفى قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وجوارحك لله بالإخلاص كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال لرسول الله ﷺ: (فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به؟ قال: الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك وأن توجه وجهك إلى الله؛ وأن تصلي الصلاة المكتوبة؛ وأن تؤدي الزكاة المفروضة) والآيات في بيان الإخلاص كثيرة، وهو أن لا يلتفت القلب ولا الوجه في جميع الأعمال كلها إلا لله وحده. كما قال تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ فأمر تعالى بإخلاص الدعاء له وحده وأخبر أنه الدين الذي تصح معه الأعمال وتقبل. قال شيخ الإسلام: الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه.

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

قال: وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] قد تبين مما تقدم من الآيات أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله.

وفي هذه الآية بيان أن الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾ [طه:١٠٩] فبين أنه لا تقع لأحد إلا بشرطين: إذن الرب تعالى للشافع أن يشفع، ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه، وهو تعالى لا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إلا ما أريد به وجهه، ولقي العبد به ربه مخلصًا غير شاك في ذلك، كما دل على ذلك الحديث الصحيح. وسيأتي ذلك مقررًا أيضًا في كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

وقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦]،

وقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦] قال ابن كثير رحمه الله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، و﴿لَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟

وقوله: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

قال: (وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣][١].

قول ابن القيم رحمه الله في الشفاعة

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على هذه الآيات: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها. فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريد عابده منه، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك، فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده. فنفى الله سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا، متنقلًا من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه. فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها. والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول

(١) في قرة العيون: فإذا كان هذا في حق الملائكة الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ الآيات. فظهر من هذه الآيات المحكمات ما يبين حقيقة الشفاعة المثبتة في القرآن التي هي ملك لله لا يملكها غيره. وقيد حصولها بقيدين كما في هذه الآية وغيرها كما تقدم تقريبًا: إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ والثاني: رضاه عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحدين. فاختصت الشفاعة بأهل الإخلاص خاصة، وإن اتخاذ الشفعاء بلا إذن من دين المشركين قد أنكره الله عليهم فيما تقدم من الآيات.

....

الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونها في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا، فهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن. ولعمر الله، إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك.

ثم قال: ومن أنواعه أي الشرك طلب الحوائج من الموتى والإستغاثة بهم، وهذا أصل شرك العالم. فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فضلًا عمن استغاث به وسأله أن يشفع له إلى الله. وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده. فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها. وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذا ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، وما نجى من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده. فجرد حبه لله وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وقصده لله، متبعًا لأمره متطلبًا لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله. فهو لله وبالله ومع الله. انتهى كلامه رحمه الله تعالى[1].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٣٤٣-٣٤٦).

وهذا الذي ذكره هذا الإمام في معنى الآية هو حقيقة دين الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥].

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبيَّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]،

قوله: (قال أبو العباس) هذه كنية شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني إمام المسلمين رحمه الله.

(نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله. فلم يبق إلا الشفاعة. فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولًا. ثم يقال له: «ارفع رأسك وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع»[(١)].

وقال له أبو هريرة «من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»[(٢)] فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقتها: أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر

---

(١) أخرجه البخاري [٣٣٤٠] [٣٣٦١] [٤٧١٢] ومسلم [١٩٤] [٣٢٧] [٣٢٨] والترمذي [٢٤٣٤] وابن أبي عاصم في «السنة» [٨١١] وابن خزيمة في «التوحيد» (٥٩٣/٢) وابن حبان [٦٤٦٥] [٧٣٨٩] وابن منده [٨٧٩] [٨٨٠] [٨٨١] وفي «التوحيد» [٤٨٠] والبيهقي في «الدلائل» (٤٧٦/٥) وفي «الأسماء» (ص:٣١٥) والبغوي [٤٣٣٢].

وفي الباب حديث أنس عند البخاري [٤٤٧٦] ومسلم [١٩٣] وأحمد [٢٦٩٣].

وابن عباس، وابن عمر، وخرجتها كلها في «الفتن والملاحم» لابن كثير.

(٢) أخرجه البخاري [٩٩] [٦٥٧٠] والنسائي «كبرى» [٥٨٤٢] وابن خزيمة (٦٩٩/٢) والآجري في «الشريعة» (ص:٣٤٠) وابن منده [٩٠٤] [٩٠٥] [٩٠٦].

فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، و أخبر النبي ﷺ؛ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد أولًا، ثم يقال له: «ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع».

لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص انتهى[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٧٧-٧٩).

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «من أسعد الناس بشفاعتك؟» قال: «من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله.

من أسعد الناس بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله: (وقال أبو هريرة) إلى آخره. هذا الحديث رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة ورواه أحمد وصححه ابن حبان وفيه **«وشفاعتي لمن قال لا إله إلى الله مخلصًا، يصدق قلبه لسانه، ولسانه قلبه»**[1] وشاهده في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة. فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا»**[2].

وقد ساق المصنف رحمه الله كلام شيخ الإسلام هنا، فقام مقام الشرح والتفسير لما في هذا الباب من الآيات، وهو كاف واف بتحقيق مع الإيجاز. والله أعلم.

وقد عرف الإخلاص بتعريف حسن فقال: الإخلاص محبة الله وحده وإرادة وجهه. اهـ

وقال ابن القيم رحمه الله في معنى حديث أبي هريرة: تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم، فقلب النبي صلى الله عليه وسلم ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه وليًا أو شفيعًا أنه يشفع له وينفعه

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد [٨٠٧٠] وابن خزيمة (٢/٦٩٦) وابن حبان [٦٤٦٦] والحاكم (١/٦٩) وفيه زيادة لا تصح، وهذا القدر الذي ذكر المؤلف فقط هو «الصحيح».

(٢) أخرجه البخاري [٦٣٠٤] ومسلم [١٩٩].

وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع،

عند الله، كما يكون خواص الولاة والملوك تنفع من والاهم ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه في الشفاعة، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال في الفصل الأول ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] وفي الفصل الثاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨] وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله ﷺ. فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من عقلها ووعاها. اهـ[1].

وذكر أيضًا رحمه الله تعالى أن الشفاعة ستة أنواع:

الأول: الشفاعة الكبرى التي يتأخر عنها أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: «أنا لها»[2] وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم حتى يريحهم من مقامهم في الموقف. وهذه شفاعة يختص بها لا يشركه فيها أحد.

الثاني: شفاعته لأهل الجنة في دخولها. وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.

الثالث: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم، فيشفع لهم أن لا يدخلوها.

---

(١) مدارج السالكين (٣٤١/١).

(٢) سبق تخريجه.

وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

الرابع: شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذي يدخلون النار بذنوبهم. والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ. وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة وبدعوا من أنكرها، وصاحوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، وهذه مما لم ينازع فيها أحد. وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليًا ولا شفيعًا، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام:٥١].

السادس: شفاعته في بعض أهل الكفار من أهل النار حتى يخفف عذابه وهذه خاصة بأبي طالب وحده[١].

---

(١) وقد فسَّر الشفاعات وذكرها بالأدلة أيضًا ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في «الفتن والملاحم» جزء «الشفاعة» وهو محقق ومطبوع بمعرفة دار البصيرة حفظها الله.

فيه مسائل:

الأولى- تفسير الآيات.

الثانية- صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة- صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة- ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود.

الخامسة- صفة ما يفعله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولًا، بل يسجد، فإذا أذن الله له شفع.

السادسة- من أسعد الناس بها؟.

السابعة- أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة- بيان حقيقتها.

باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص:٥٦].

باب إنك لا تهدي من أحببت

قوله: باب

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦].

سبب نزول هذه الآية، موت أبي طالب على مِلَّةِ عبد المطلب، كما سيأتي بيان ذلك في حديث الباب.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى لرسوله: إنك يا محمد لا تهدي من أحببت، أي ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء. وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[البقرة:٢٧٢] وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣](١).

قلت: والمنفى هنا هداية التوفيق والقبول، فإن أمر ذلك إلى الله، وهو القادر عليه. وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] فإنها هداية الدلالة والبيان، فهو المبين عن الله والدال على دينه وشرعه.

---

(١) التفسير (٣٩٤/٣).

وفي الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال:

حديث ابن المسيب في وفاة أبي طالب

وقوله: (في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل، فقال له: «يا عم قل لا إله إلى الله، كلمة أحاج بها عند الله». فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعاد. فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول لا إله إلى الله. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك مالم أنه عنك». فأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣] وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[١].

قوله: (في الصحيح) أي في الصحيحين. وابن المسيَّب هو سعيد بن المسيَّب بن حزن بن أبي وهب بن عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي، أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين. اتفق أهل الحديث على أن مراسيله أصح المراسيل. وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه. مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين[٢].

---

(١) أخرجه البخاري [١٣٦٠] ومسلم [٢٤] وقد ذكرت تخريجه في «الفتن» مطولًا.

(٢) سعيد بن المسيَّب بن حزن بن أبي وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي أبو محمد المدني المخزومي سيِّد التابعين على الإطلاق، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب قال الحاكم: أدرك العشرة وهذا وهم منه، ولكنه أرسل عنهم وأرسل عن عمر كثيرًا، قال عنه ابن عمر: هو أحد المفتين، وقال الزهري: جالسته سبع حجج وأنا لا أظن عند أحدٍ علمًا غيره، وقال مكحول: طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيتُ أعلم من سعيد بن المسيب، توفي سنة أربع وتسعين عن سن وسبعين سنة.
انظر: «الطبقات» (١١٩/٥) و«طبقات خليفة» (٦١١/٢) و«الحلية» (١٦١/٢) و«تهذيب الكمال» (٦٦/١١) والسير (٢١٧/٤) و«البداية» (٤٧١/١٢).

لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له: «يا عَمِّ قل لا إلهَ إلا الله

وأبو المسيَّب صحابي، بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه، وكذلك جده حزن، صحابي استشهد باليمامة[١].

قوله: (لما حضرت أبا طالب الوفاة) أي علاماتها ومقدماتها.

قوله: (جاء رسول الله ﷺ) يحتمل أن يكون المسيب حضر مع الإثنين فإنهما من بني مخزوم، وهو أيضًا مخزومي، وكان الثلاثة إذ ذاك كفارًا، فقتل أبو جهل على كفره وأسلم الآخران.

قوله: (يا عم) منادي مضاف يجوز فيه إثبات الياء وحذفها، حذفت الياء هنا، وبقيت الكسرة دليلًا عليها.

قوله: (قل لا إله إلا الله) أمره أن يقولها لعلم أبي طالب بما دلت عليه من نفي الشرك بالله وإخلاص العبادة له وحده، فإن من قالها عن عِلمٍ ويقينٍ فقد بريء من الشرك والمشركين ودخل في الإسلام. لأنهم يعلمون ما دلَّت عليه، وفي ذلك الوقت لم يكن بمكة إلا مسلم أو كافر. فلا يقولها إلا من ترك الشرك وبريء منه. ولما هاجر النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة كان فيها المسلمون الموحدون والمنافقون الذين يقولونها بألسنتهم وهم يعرفون معناها، لكن لا يعتقدونها، لما في قلوبهم من العداوة والشك والريب، فهم مع المسلمين بظاهر الأعمال دون الباطن، وفيها اليهود، وقد أقرهم رسول الله ﷺ لما هاجر، ووادعهم بأن لا يظاهروا عليه عدوًا كما هو مذكور في كتب الحديث والسير.

قوله: (كلمة) **قال القرطبي:** بالنصب على أنه بدل من لا إله إلى الله ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف.

---

(١) المُسَيَّبُ بن حزنٍ بن أبي وهب المخزومي شهد بيعة الرضوان، وانظر الاستيعاب (١٤٠٠/٣) وأسد الغابة (١٧٧/٤) والإصابة (١٢١/٦).

كلمَة أحَاجُّ لكَ بها عِندَ الله» فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا فكان آخر ما قال:

قوله: (أحاج لك بها عند الله) هو بتشديد الجيم من المحاجة، والمراد بها بيان الحجة بها لو قالها في تلك الحال. وفيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها في تلك الحال معتقدًا ما دلت عليه مطابقة من النفي والإثبات لنفعته.

قوله: (فقالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب) ذكَّراه الحُجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين، كقول فرعون لموسى: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١] وكقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

قوله: (فأعاد النبي ﷺ فأعادا) فيه معرفتهما لمعنى لا إله إلا الله لأنهما عرفا أن أبا طالب لو قالها لبريء من ملة عبد المطلب. فإن ملة عبد المطلب هي الشرك بالله في إلهيته. وأما الربوبية فقد أقروا بها كما تقدم.

وقد قال عبد المطلب لأبرهة: «أنا رب الإبل، والبيت له رب يمنعه منك»(١) وهذه المقالة منهما عند قول النبي ﷺ لعمه: قل لا إله إلى الله استكبارًا عن العمل بمدلولها. كما قال الله تعالى عنهما وعن أمثالهما من أولئك المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦] فرد عليهم بقوله: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧] فبين تعالى أن استكبارهم عن قوله لا إله إلا الله لدلالتها على نفي عبادتهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله. فإن دلالة هذه الكلمة على نفي ذلك دلالة تضمن، ودلالتها عليه وعلى الإخلاص دلالة مطابقة.

---

(١) قصة صحيحة، وخرجتها مطولًا في «السيرة» لابن هشام.

....

ومن حِكْمة الرَّب تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك إليه، وهو القادر عليه دون من سواه، فلو كان عند النبي ﷺ الذي هو أفضل خلقه من هداية القلوب وتفريج الكروب، ومغفرة الذنوب، والنجاة من العذاب، ونحو ذلك شيء، لكان أحقَّ الناس بذلك وأولاهم به عمه الذي كان يحوطه ويحميه وينصره ويؤويه، فسبحان من بهرت حكمته العقول، وأرشد العباد إلى ما يدلهم على معرفته وتوحيده، وإخلاص العمل له وتجريده.

قوله: (فكان آخر ما قال) الأحسن فيه الرفع على أنه اسم كان وجملة هو وما بعدها الخبر.

هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلى الله، فقال النبي ﷺ : «لاستغفرَنَّ لكَ ما لم أنهَ عنكَ» فأنزل الله عز وجل:

قوله: (هو على ملة عبد المطلب) الظاهر أن أبا طالب قال: أنا فغيره الراوى استقباحًا للفظ المذكور، وهو من التصرفات الحسنة، قاله الحافظ[(١)].

قوله: (وأبى أن يقول لا إله إلا الله) قال الحافظ: هذا تأكيد من الراوى في نفي وقوع ذلك من أبي طالب[(٢)].

قال المصنف رحمه الله: وفيه الرد على من زعم إسلام عبد الطلب وأسلافه[(٣)] ومضرة أصحاب السوء على الإنسان، ومضرة تعظيم الأسلاف.

أي إذا زاد على المشروع، بحيث تجعل أقوالهم حجة يرجع إليها عند التنازع.

قوله: (فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) **قال النووي،** وفيه جواز الحلف من غير استحلاف. وكان الحلف هنا لتأكيد العزم على الاستغفار تطييبًا لنفس أبي طالب[(٤)].

وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل.

---

(١) فتح الباري (٨/٣٦٧).

(٢) فتح الباري (٨/٣٦٧).

(٣) الشيعة تزعم أن أبا طالب أسلم، ولقد ذكرت في رسالة الفطرة القطع بعدم إيمانه وأنه مات كافرًا، بدليل حديث في السنن والمسانيد عن علي بن أبي طالب أنه قال، يوم مات النبي ﷺ : «إن عمك الضال مات».

فقال له النبي ﷺ : « إذهب فواره» وهو صحيح.

وما في الصحيح عن العباس أنه قال للنبي ﷺ أن : «عمك كان يدافع عنك وينافح عنك هل نفعته بشيء» قال: «هو في ضحضاح من النار» وغيرها من الأحاديث الصحيحة الدالة على أنه مات كافرًا.

(٤) شرح مسلم للنووي (١/٢٤٧- ٢٤٨).

قال ابن فارس: مات أبو طالب ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا.

وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها بعد موت أبي طالب بثمانية أيام.

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى ﴾ [التوبة:١١٣]، وأنزلَ اللهُ في أبي طالِب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦].

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى ﴾ الآية أي ما ينبغي لهم ذلك. وهو خبر بمعنى النهي، والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب. فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله: فأنزل الله بعد قوله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك يفيد ذلك.

وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآية أسبابًا أخرى. فلا منافاة لأن أسباب النزول قد تتعدد... قال الحافظ: أما نزول الآية الثانية فواضح في قصة أبي طالب. وأما نزول الآية التي قبلها ففيه نظر، ويظهر أن المراد أن الآية المتعلقة بالإستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة، وهي عامة في حقه وحق غيره، ويوضح ذلك ما يأتي في التفسير، فأنزل الله بعد ذلك: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية. ونزل في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ كله ظاهر في أنه مات على غير الإسلام. ويضعف ما ذكره السهيلي أنه روى في بعض كتب «المسعودي» أنه أسلم، لأن مثل ذلك لا يعارض ما في الصحيح. انتهى[1].

وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم، لأنه إذا حرم الاستغفار لهم فموالتهم ومحبتهم أولى.

---

(١) فتح الباري (٧/٢٣٥).

فيه مسائل:

الأولى- تفسير قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص:٥٦].

الثانية- تفسير قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة:١١٣].

الثالثة- وهي المسألة الكبرى تفسير قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قل: لا إله إلا الله» بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعة- أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قال للرجل: «قل لا إله إلا الله» فَقَبَّح الله مَنْ أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

الخامسة- جِدُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومبالغتهُ في إسلام عمه.

السادسة- الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة- كونه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استغفر له فلم يغفر له، بل نهي عن ذلك.

الثامنة- مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة- مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة- الشبهة [للمبطلينَ] في ذلك، لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة- الشاهد [أنْ تكونَ] الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة- التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب [الضالين]، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم، اقتصروا عليها.

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين وقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١].

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم إلخ

قوله: باب

(ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينم هو الغلو في الصالحين)

قوله: (تركهم) بالجر عطفًا على المضاف إليه. وأراد المصنف رحمه الله تعالى بيان ما يؤول إليه الغلو في الصالحين من الشرك بالله في الإلهية الذي هو أعظم ذنب عُصي الله به، وهو ينافي التوحيد الذي دلَّت عليه كلمة الإخلاص: شهادة أن لا إله إلى الله.

قوله: (وقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء: ١٧١] الغلو هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله فتنزلوه المنزلة التي لا تنبغي إلا لله. والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة، تحذيرًا لهم أن يفعلوا بنبيهم ﷺ فعل النصارى في عيسى، واليهود في العزير[1] كما قال تعالى: ﴿۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ

---

(١) في قرة العيون: وقد وقع ذلك الشرك في العبادة في هذه الأمة نظمًا ونثرًا كما في كلام البوصيري والبرعي وغيرهما؛ وفيما فعلوه من الغلو والشرك محادة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ؛ فأين ما وقع فيه هؤلاء الجهلة من قول من قال للنبي ﷺ: (أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا) فكره ذلك ﷺ أشد الكراهة؟ كما سيأتي في الكلام على هذا الحديث إن شاء الله تعالى، وقول القائل: «ما شاء الله وشئت»: فقال: «أجعلتني لله ندًا؟ بل ما شاء الله وحده».

عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦] ولهذا قال النبي ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم»[1] ويأتي.

فكل من دعا نبيًا أو وليًا من دون الله فقد اتخذ إلهًا، وضاهأ النصارى في شركهم، وضاهأ اليهود في تفريطهم. فإن النصارى غلوا في عيسى عليه السلام، واليهود عادوه وسبوه وتنقصوه. فالنصارى أفرطوا، واليهود فرطوا. وقال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾ [المائدة: ٧٥] ففي هذه الآية وأمثالها الرد على اليهود والنصارى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى، وغلا في الدين فإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم.

قال: وعلي رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة، فأمر بأخاديد خُدَّت لهم عند باب كندة[2] فقذفهم فيها[3]. واتفق الصحابة على قتلهم. لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق. وهو قول أكثر العلماء.

---

(١) أخرجه البخاري [٢٤٦٢] [٣٤٤٥] [٣٩٢٨] [٦٨٢٩] [٦٨٣٠] [٧٣٢٣] ومسلم [١٦٩١] وأبو داود [٤٤١٨] والنسائي في «الكبرى» [٧١٥٧] [٧١٥٨] وابن ماجه [٢٥٥٣] وابن حبان [٤١٣] [٤١٤] والدارمي [٢٣٢٢] [٢٧٨٤] وأبو يعلى [١٥٣]، وأحمد [١٥٤] [٣٣١] [٣٩١] عن عمر بن الخطاب.

(٢) باب من أبواب الكوفة. الغلاة المحرقون: هم عبد الله بن سبأ اليهودي وأتباعه. قالوا أن عليًا إلههم، فنهاهم فلم ينتهوا فحرقهم. وإنما أراد ابن سبأ بذلك إحداث فتنة، وخلق شيع: وفتح ثغرة في صفوف المسلمين. وقد حدث ما أراد هذا اليهودي الملعون. ووجد في الناس كثير ممن أطاعه وألَّه عليًا وأبناءه، وكفر بالله ورسوله وعادى عليًا والمؤمنين. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) انظر صحيح البخاري [٣٠١٧] [٦٩٢٢].

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمّا هَلَكُوا أوحَى الشيطان إلى قومِهم:

معنى «وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا» إلخ

قـوله: (في الصحيح عن ابـن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت»[1].

قوله (وفي الصحيح) أي صحيح البخاري.

وهـذا الأثر اختصره المصنف. ولفظ ما في البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال صـارت الأوثـان التي في قوم نوح في العرب بعد. أمـا ود فكانت لكلب بدومة الجندل. وأما سـواع فكانت لهذيل. وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سـبأ. وأمـا يعوق فكانت لهمـدان. وأما نسر فكانت لحمـير لآل ذي الكلاع: أسـماء رجال صالحين في قوم نوح... إلى آخره.

وروى عكرمة والضحاك وابن إسحاق نحو هذا.

قال ابن جرير: حدَّثنا ابن حميد قال حدثنا مهران عن سـفيان عن موسى عن محمد ابن قيس أن يغوث ويعوق ونسرًا كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتـدون بهـم. فلما ماتـوا قـال أصحابهم: لـو صورناهم كان أشـوق لنـا إلى العبادة،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره [٣٣٤٢] والبخاري [٤٩٢٠] والبغوي في تفسيره (١٥٥/٧).

أنْ انصُبوا إلى مجالسِهم التي كانوا يجلسونَ فيها أنصابا وسَمُّوها بأسمائِهم ففعلوا لم تُعبَد

فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر. فعبدوهم(١).

قوله: (أن انصبوا) هو بكسر الصاد المهملة.

قوله: (أنصابًا) جمع نصب، والمراد به هنا الأصنام المصورة على صور أولئك الصالحين التي نصبوها في مجالسهم، وسموها بأسمائهم. وفي سياق حديث ابن عباس ما يدل على أن الأصنام تسمى أوثانًا. فاسم الوثن يتناول كل معبود من دون الله، سواء كان ذلك المعبود قبرًا أو مشهدًا، أو صورة أو غير ذلك(٢).

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٩/٩٨-٩٩) وإسناده ضعيف جدًا.

(٢) في قرة العيون: فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير على صور الصالحين سُلَّمًا إلى عبادتها. وكل ما عبد من دون الله، من قبر أو مشهد، أو صنم، أو طاغوت فالأصل في عبادته هو الغلو. كما لا يخفى على ذوي البصائر. كما جرى لأهل مصر وغيرهم، فإن أعظم آلهتهم أحمد البدوي وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة. ومع هذا فصار أعظم آلهتهم مع أنه لا يعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل. ذكره السخاوي عن أبي حيان. فزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون؛ ويطفئ الحريق وينجي الغريق، وصرفوا له الإلهية والربوبية وعلم الغيب، وكانوا يعتقدون أنه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة. وفيهم من يسجد على عتبة حضرته. وكان أهل العراق ومن حولهم كأهل عمان يعتقدون في عبد القادر الجيلاني؛ كما يعتقد أهل مصر في البدوي. وعبد القادر من متأخري الحنابلة وله كتاب الغنية، وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة أفضل منه في العلم والزهد، لكن فيه زهد وعبادة، وفتنوا به أعظم فتنة. كما جرى من الرافضة مع أهل البيت.

وسبب ذلك الغلو دعوى أن له كرامات وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل كبعض الصحابة والتابعين، وهكذا حال أهل الشرك مع من فتنوا به.

وأعظم من هذا عبادة أهل الشام لابن عربي وهو إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر أهل الأرض وأكثر من يعتد فيه هؤلاء لا فضل له ولا دين كأناس بمصر وغيره، وجرى في نجد قبل هذه الدعوة مثل هذا؛

حتى إذا هلكَ أولئكَ ونُسِيَ [العلمُ؛ عُبدت»]».

قوله: (حتى إذا هلك أولئك) أي الذين صوروا تلك الأصنام.

قوله: (ونسى العلم) ورواية البخاري «وينسخ» وللكشميهني «ونسخ العلم» أي درست آثاره بذهاب العلماء، وعمَّ الجهل حتى صاروا لا يميزون بين التوحيد والشرك فوقعوا في الشرك ظنًا منهم أنه ينفعهم عند الله.

قوله: (عبدت) لما قال لهم إبليس: إن من كان قبلكم كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر، هو الذي زين لهم عبادة الأصنام وأمرهم بها، فصار هو معبودهم في الحقيقة. كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٠-٦٢] وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك، وإن كان القصد بها حسنًا. فإن الشيطان أدخل أولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين والإفراط في محبتهم، كما قد وقع مثل ذلك في هذه الأمة: أظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم، ليوقعهم فيما هو أعظم من ذلك، من عبادتهم لهم من دون الله[1] وفي رواية «أنهم قالوا: ما عظم أولنا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند

وفي الحجاز واليمن وغيرهما من عبادة الطواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمت به البلوى، كعبادتهم للجن وطلبهم الشفاعة منهم. والأصل في ذلك الغلو تزيين الشيطان.

وذكل أهل السير أن التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام «لبيك اللَّهُمَّ لبيك لا شريك لك لبيك» حتى كان عمرو بن لحي الخزاعي فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال: «لبيك لا شريك لك» فقال الشيخ: «إلا شريكًا هو لك» فأنكر ذلك عمرو وقال: ما هذا؟ فقال الشيخ: «تملكه وما ملك». فإنه لا بأس بهذا. فقالها عمرو. فدانت بها العرب.

(١) وما جر إلى هذا الغلو الذي أدى إلى عبادتهم من دون الله إلا تعظيم قبورهم؛ وبناء القباب عليها، وسترها بالأستار، وإيقاد السرج، وقيام السدنة وشياطين الإنس عندها لدعوة الناس إلى عبادتها بأنواع النذور فيعود عليهم من تلك الأموال. وإلا فكم من عباد صالحين من الصحابة وأفاضل العلماء

الله» أي يرجون شفاعة أولئك الصالحين الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم وسموها بأسمائهم. ومن هنا يعلم أن اتخاذ الشفعاء ورجاء شفائهم بطلبها منهم: شرك بالله، كما تقدم بيانه في الآيات المحكمات.

الذين كان لهم قدم صدق في الإسلام مدفونون في مقابر مصر والشام وغيرها؛ هم أفضل آلاف المرات من أمثال البدوي والدسوقي؛ بل نعالهم أشرف وأكرم من هذا البدوي وأضرابه - لا يعرفون أولئك المشركون. لأنهم لم ينصب على قبورهم تلك الأنصاب ولم تتخذ عليها تلك الأوثان. ولذلك كان الذي يزعم أنه يزور للموعظة وتذكر الدار الآخرة؛ تلك القبور التي نصبت عليها هذه الأنصاب والمقاصير من أجهل الناس وأبعدهم عن هدى الإسلام الذي لا يعرف تلك القباب وإنما يعرف القبور التي لا يبنى عليها ولا يكتب عليها ولا تستر بالأستار الحرير وغيرها فإنه من أمحل المحال الاتعاظ بهذه الأوثان والأنصاب، ومن أعظم الجهل أن تسمى هذه قبورًا تسن زيارتها كما تسن زيارة القبور التي وصفها رسول الله ﷺ وأمر بها. فنسألك اللَّهُمَّ أن تعجل بهدم هذه الأوثان وتطهير الأرض منها كلها تحقيقًا لما أمر به نبيك ﷺ وبعث به علي بن أبي طالب إلى اليمن صيانة للتوحيد من قذر الشرك الذي أعظم أسبابه هذه القبور.

وقالَ ابنُ القيم: قالَ غيرُ واحدٍ من السلفِ: لَّما مَاتوا عَكَفوا على قبورِهِم ثمَّ صَوَّروا تماثيلَهُم، ثم طالَ عليهِم الأمدُ فعَبَدُوهُم.

قوله: (وقال ابن القيم رحمه الله: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوا).

قوله: (وقال ابن القيم رحمه الله) هو الإمام العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية.

قال الحافظ السخاوي: العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان، المجمع عليه بين الموافق والمخالف، صاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمة. مات سنة إحدى وخمسين وسبعمائة.

قوله: (وقال غير واحد من السلف) هو بمعنى ما ذكره البخاري وابن جرير إلا أنه ذكر عكوفهم على قبورهم قبل تصويرهم تماثيلهم. وذلك من وسائل الشرك بل هو الشرك، لأن العكوف لله في المساجد عبادة. فإذا عكفوا على القبور صار عكوفهم تعظيمًا ومحبة: عبادة لها.

قوله: (ثم طال عليهم الأمد) فعبدوهم أي طال عليهم الزمان. وسبب تلك العبادة والموصل إليها هو ما جرى من الأولين من التعظيم بالعكوف على قبورهم، ونصب صورهم في مجالسهم، فصارت بذلك أوثانًا تعبد من دون الله، كما ترجم به المصنف رحمه الله تعالى. فإنهم تركوا بذلك دين الإسلام الذي كان أولئك عليه قبل حدوث وسائل هذا الشرك، وكفروا بعبادة تلك الصور واتخذوهم شفعاء. وهذا أول شرك حدث في الأرض.

قال القرطبي: وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بهم ويتذكروا أفعالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم. ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم، فوسوس لهم الشيطان أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها اهـ

قال ابن القيم رحمه الله: وما زال الشيطان يوحي إلى عباد القبور ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلها من هذه المرتبة إلى الدعاء بها، والإقسام على الله بها، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته، وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثنًا تعلق عليه القناديل والستور، ويطاف به ويستلم ويقبل، ويحج إليه ويذبح عنده، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته، واتخاذه عيدًا ومنسكًا، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم. وكل هذا مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجديد التوحيد، وأن لا يعبد إلا الله.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل هذه الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، فغضب المشركون واشمأزت قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥] وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفّروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك

وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبي الله ذلك ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]. اهـ كلام ابن القيم رحمه الله.

وفي القصة فوائد ذكرها المصنف رحمه الله.

ومنها: رد الشبه التي يسميها أهل الكلام عقليات، ويدفعون بها ما جاء به الكتاب والسنة من توحيد الصفات، وإثباتها على ما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه.

ومنها: مضرة التقليد.

ومنها: ضرورة الأمة إلى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم علمًا وعملًا بما يدل عليه الكتاب والسنة فإن ضرورة العبد إلى ذلك فوق كل ضرورة.

وعَن عُمرَ أنَّ رسول الله ﷺ قالَ «لا تطْروني كما أطرَتِ النصَارَى ابنَ مريمَ، فإنما أنا عبدٌ فقولوا عبدُ الله ورسولُهُ» أخرجاه.

قوله: (وعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم. إنما أعبد عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»** أخرجاه[1].

قوله عن (عمر) هو ابن الخطاب بن نفيل بنون وفاء مصغرًا العدوى أمير المؤمنين وأفضل الصحابة بعد الصديق رضي الله عنه. ولي الخلافة عشر سنين ونصفا. فامتلأت الدنيا عدلًا، وفتحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر. واستهشد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين رضي الله عنه[2].

لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى

قوله: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) الإطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب عليه. قاله أبو السعادات. وقال غيره: أي لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحد في مدحي.

قوله: (إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام فادعوا فيه الإلهية. وإنما أنا عبد الله ورسوله، فصفوني بذلك كما وصفني ربي، فقولوا عبد الله ورسوله، فأبى المشركون إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيه، وعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شعرًا ونثرًا ما يطول عده، وصنفوا فيه مصنفات.

---

(١) سبق قبل قليل تخريجه.

(٢) راجع مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي بتحقيقي.

....

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله عن بعض أهل زمانه[١] أنه جوز الاستغاثة بالرسول ﷺ في كل ما يستغاث فيه بالله، وصنف في ذلك مصنفًا رده شيخ الإسلام، وردُّه موجود بحمد الله. ويقول: إنه يعلم مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله. وذكر لهم أشياء من هذا النمط. نعوذ بالله من عمى البصيرة وقد اشتهر في نظم البوصيري قوله:

يا أكرمَ الخلقِ ما لي مَنْ ألوذُ به سواكَ عندَ حدوثِ الحادثِ العممِ

وما بعده من الأبيات التي مضمونها إخلاص الدعاء واللياذ والرجاء والاعتماد في أضيق الحالات، وأعظم الاضطرار لغير الله، فناقضوا الرسول ﷺ بارتكاب ما نهى عنه أعظم مناقضة، وشاقوا الله ورسوله أعظم مشاقة، وذلك أن الشيطان أظهر لهم هذا الشرك العظيم في قالب محبة النبي ﷺ وتعظيمه، وأظهر لهم التوحيد والإخلاص الذي بعثه الله به في قالب تنقيصه، وهؤلاء المشركون هم المتنقصون الناقصون، أفرطوا في تعظيمه بما نهاهم عنه أشد النهي، وفرطوا في متابعته، فلم يعبأوا بأقواله وأفعاله، ولا رضوا بحكمه ولا سلموا له. وإنما يحصل تعظيم الرسول ﷺ بتعظيم أمره ونهيه، والاهتداء بهديه، واتباع سنته، والدعوة إلى دينه الذي دعا إليه ونصرته، وموالاة من عمل به، ومعاداة من خالفه. فعكس أولئك المشركون ما أراد الله ورسوله علمًا وعملًا، وارتكبوا ما نهى عنه ورسوله. فالله المستعان.

---

(١) هو علي بن يعقوب بن جبريل البكري المتوفي يوم الاثنين سابع ربيع الآخر سنة ٧٢٤هـ والرد عليه اسمه تلخيص كتاب الاستغاثة طبع بالمطبعة السلفية سنة ١٣٤٦ على نفقة جلالة إمام الموحدين ناصر السنة وقامع البدعة، الملك الصالح الموفق عبد العزيز آل سعود، أيده الله بنصره وأطال حياته المباركة في خدمة الإسلام؛ ووفق ولي عهده المعظم صاحب السمو الملكي الأمير الأجل سعود إلى مثل ما يقوم به والده العظيم من نشر راية الإسلام وإعلاء كلمته، بطبع الكتب النافعة، وإقامة حدود الله.

[وفي الصحيح عن ابن عباس قال:] قال رسول الله ﷺ : «إيَّاكُم والغلوَّ؛ فإنما أهلكَ مَن كانَ قبلكم الغلوُّ».

إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو

قوله: (وقال رسول الله ﷺ **«إياكم والغلو. فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو»**).

هذا الحديث ذكره المصنف بدون ذكر راويه. وقد رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس.

وهذا لفظ رواية أحمد: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ غداة جمع: **«هَلُمَّ الْقُطْ لي. فلقطت له حصيات هن حصى الحذف. فلما وضعهن في يده قال: نعم بأمثال هؤلاء فارموا. وإياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»**[1].

قال شيخ الإسلام: هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار، وهو داخل فيه، مثل الرمي بالحجارة الكبار، بناء على أنه أبلغ من الصغار. ثم علَّله بما يقتضي مجانبة هدى من كان قبلنا إبعادًا عن الوقوع فيما هلكوا به، فإن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك.

(١) صحيح. أخرجه ابن سعد (٢/١٨٠) وأحمد [١٨٥١] والنسائي (٥/٢١٨) وابن ماجه [٣٠٢٩] وابن خزيمة [٢٨٦٧] وأبو يعلى [٢٤٢٧] وابن الجارود [٤٧٣] وابن حبان [٣٨٧١] والطبراني في «الكبير» [١٣٧٤٧] [١٣٧٤٨] والحاكم (١/٤٦٦) من حديث ابن عباس، وصححه الشيخ في الصحيحة [١٢٨٣] وصحيح ابن ماجه [٢٤٥٥].

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» قالها ثلاثًا.

قوله: (ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: **«هلك المتنطعون»** قالها ثلاثًا[1]).

قال الخطابي: المتنطع المتعمق في الشيء، المتكلف البحث عن علي مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم.

ومن التنطع: الامتناع من المباح مطلقًا، كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحب. قال الشيخ تقي الدين: فهذا جاهل ضال، انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله: قال الغزالي: والمتنطعون في البحث والاستقصاء.

وقال أبو السعادات: هم المتعمقون الغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم. مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل متعمق قولًا وفعلًا.

وقال النووي: فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة، واستعمال وحشى اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم.

قوله: (قالها ثلاثًا) أي قال هذه الكلمة ثلاث مرات، مبالغة في التعليم والإبلاغ، فقد بلغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه مسلم [٢٦٧٠].

فيه مسائل:

الأولى- أنَّ من فهِم هذا البابَ [وبابينِ] بعدَه، تبيَّن لهُ غربةُ الإسلامِ، ورَأى [مِن] قدرةِ الله وتقليبِهِ للقلوبِ العجبَ.

الثانية- معرفة [ق/ 13/ ب] أولُ شركٍ حدَثَ على وجهِ الأرضِ أنهُ بشبهةِ الصالحينَ.

الثالثة- أولُ شيءٍ غُيِّرَ [به] دينُ الأنبياءِ، وما سببُ ذلكَ مع معرفةِ أنَّ اللهَ أرسلَهم.

الرابعة- [سببُ] قبولِ البدعِ معَ كونِ الشرائعِ والفِطَرِ تردُّها.

الخامسة- أنَّ سببَ ذلكَ كلِهِ مَزجُ الحقِّ بالباطلِ، فالأول: محبةُ الصالحينَ، والثاني: فعلُ أناسٍ مِن أهلِ العلمِ والدينِ شيئًا أرادُوا بِهِ خيرًا، فظنَّ مَن بعدَهم أنهُم أرادُوا [بِهِ] غيرَهُ.

السادسة- تفسيرُ الآيةِ [التي] في سورةِ نوحٍ.

السابعة- جبلةُ الآدميِّ في كونِ الحقِّ ينقصُ في قلبِهِ، والباطلُ يزيدُ.

الثامنة- فيهِ شاهدٌ لِمَا نُقلَ عن السلفِ أنَّ البدعةَ سببُ الكفرِ.

التاسعة- معرفةُ الشيطانِ بما تؤولُ إليهِ البدعةُ ولو حَسُنَ قصدُ الفاعلِ.

العاشرة- [معرفةُ] القاعدةِ الكليةِ، وهيَ النهيُ عن الغلوِّ، ومعرفةُ ما يؤولُ إليهِ.

الحادية عشر- مضرةُ العكوفِ على القبرِ لأجلِ عملٍ صالحٍ.

الثانية عشر- معرفةُ: النهيِ عن التماثيلِ، والحكمةُ في إزالتِها.

الثالثة عشر- معرفةُ عظمِ شأنِ هذهِ القصةِ، وشدةِ الحاجةِ إليها معَ الغفلةِ عنها.

الرابعة عشر- وهيَ أعْجَبُ وأعْجَب: قراءتُهم إيَّاها في كتبِ التفسيرِ والحديثِ، ومعرفتُهم بمعنَى الكلامِ، وكونِ الله حالَ بينَهُم وبينَ قلوبِهم حتى اعتقدُوا أنَّ فعلَ قومِ نوحٍ [هو] أفضلُ العباداتِ، [بل] اعتقدوا أن ما نهى اللهُ ورسولهُ عنهُ، فهوَ الكفرُ المبيحُ للدمِ والمالِ.

الخامسة عشر- التصريحُ أنهُم لم يُريدوا إلا الشفاعةَ.

السادسة عشر- ظنُّهم أن العلماءَ الذينَ صُوَّروا الصورَ أرادُوا ذلكَ.

السابعة عشر- البيانُ العظيمُ في قوله ﷺ: «لا تطروني كما أطرتِ النصارَى ابنَ مريم» فصلواتُ الله وسلامُه [ق/ 14/ أ] على مَن بلغَ البلاغَ المبينَ.

الثامنة عشر- نصيحتهُ إيَّانا بهلاكِ المتنطعينَ.

التاسعة عشر- التصريحُ بأنَّها لم تُعبد حتى نُسيَ العلمُ، ففيها [بيانُ] معرفةِ قدرِ وجودِهِ ومضرةِ فقدِهِ.

العشرون- أنَّ سببَ فقدِ العلمِ؛ موتُ العلماءِ.

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا [عبَدَهُ]؟!

التغليظ على من عبد الله عند قبر صلاح

قوله: باب

(ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟)

أي الرجـل الصالح، فإن عبادته هي الشرك الأكبر، وعبادة الله عنده وسـيلة إلى عبادته، ووسائل الشرك محرمة. لأنها تؤدي إلى الشرك الأكبر وهو أعظم الذنوب.

في الصحيح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرضِ الحبشةِ وما فيها مِنَ الصوَرِ فقال:

حديث أم سلمة في كنسية الحبشة

قوله: (في الصحيح: «عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور. فقال: «**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله**»[(١)] فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل.

قوله: (في الصحيح) أي الصحيحين.

قوله: (أن أم سلمة) هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية. تزوجها رسول الله ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع، وقيل: ثلاث، وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة ماتت سنة اثنتين وستين[(٢)].

قوله: (ذكرت لرسول الله) وفي الصحيحين أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا ذلك لرسول الله ﷺ والكنسية بفتح الكاف وكسر النون: معبد النصارى.

---

(١) أخرجه البخاري [٤٢٧] [٤٣٤] [١٣٤١] [٣٨٧٨] ومسلم [٥٢٨] وأبو عوانة (١/٤٠٠) والنسائي (٢/٤١) وابن حبان [٣١٨١] وأحمد (٦/٥١) والبيهقي (٤/٨٠) والبغوي [٥٠٩].

(٢) أم سلمة هي: هند بنت أبي أمية حذيفة وقيل: سهيل بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية كانت أولًا تحت ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد فمات عنها فتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها في شوال سنة ثنتين من الهجرة بعد وقعة بدر، توفيت سنة تسع وخمسين وصلى عليها أبو هريرة.

انظر: الاستيعاب (٤/١٩٣٩) والأسد (٧/٣٤٠) والإصابة (٨/٢٢١) «تهذيب الكمال» (٣٥/٣١٧) والبداية (١١/٦٠٥- ٦٠٦).

«أولئِكَ ماتَ فيهِم الرجلُ الصالِحُ أو العبدُ الصالحُ بَنوا على قبرِهِ مَسجدًا، وصَوَّرُوا فيهِ تِلكَ الصُّوَر؛ أولئكَ شِرارُ الخلقِ عندَ الله»،

قوله: (أولئِك) بكسر الكاف خطاب للمرأة.

قوله: (إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح) هذا والله أعلم شك من بعض رواة الحديث: هل قال النبي ﷺ هذا أو هذا؟ ففيه التحري في الرواية. وجواز الرواية بالمعنى.

قوله: (وصوروا فيه تلك الصور) الإشارة إلى ما ذكرت أم سلمة وأم حبيبة[1] من التصاوير التي في الكنسية.

قوله: (أولئك شرار الخلق عند الله) وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد على القبور، وقد لعن ﷺ من فعل ذلك كما سيأتي.

قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لشأنهم، ويجعلنها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثانًا لعنهم النبي ﷺ.

قال القرطبي: وإنما صور أوائلهم الصور ليتأسوا بها ويتذكروا أعمالهم الصالحة، فيجتهدوا كاجتهادهم، ويعبدوا الله عند قبورهم، ثم خلفهم قوم جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها. فحذر النبي ﷺ عن مثل ذلك، سدًا للذريعة المؤدية إلى ذلك.

---

(١) أم حبيبة بنت أبي سفيان أم المؤمنين واسمها رملة أخت معاوية أسلمت قديمًا وهاجرت هي وزوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة فتنصَّر هناك زوجها وثبتت هي على دينها وحبيبة هي أكبر أولادها منه. ولدتها بالحبشة، ومات زوجها بالحبشة ثم تزوجها رسول الله ﷺ، وقد كانت من سيدات أمهات المؤمنين ومن العابدات الورعات رضي الله عنها.

توفيت عام أربع وأربعين من الهجرة.

انظر: «البداية» (١١/١٦٦) و«الطبقات» (٨/١٠٠).

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل.

قوله: (فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل) هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ذكره المصنف رحمه الله تنبيهًا على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل فإن فتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام أو أشد.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ المساجد على القبور لأنها هي التي أوقعت كثيرًا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك. فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين، وتماثيل يزعمون أنها طلاسم الكواكب ونحو ذلك. فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر. ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها، ويخشعون ويخضعون، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد، فلأجل هذه المفسدة حسم النبي صلى الله عليه وسلم مادتها. حتى نهي عن الصلاة في المقبرة مطلقًا، وإن لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته، كما يقصد بصلاته بركة المساجد، كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها، لأنها أوقات يقصد فيها المشركون الصلاة للشمس، فنهى أمته عن الصلاة حينئذ وإن لم يقصد ما قصده المشركون، سدًا للذريعة. وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركًا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادة لله ولرسوله، والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين قد أجمعوا على ما علموه بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم : أن الصلاة عند القبور منهي عنها، وأنه صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذها مساجد، فمن أعظم المحدثات وأسباب الشرك: الصلاة عندها واتخاذها مساجد، وبناء المساجد عليها. وقد تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن ذلك والتغليظ فيه. وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها متابعة منهم

....

للسنة الصحيحة الصريحة. وصرح أصحاب أحمد وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريم ذلك. وطائفة أطلقت الكراهة والذي ينبغي أن تحمل على كراهة التحريم، إحسانًا للظن بالعلماء، وأن لا يظن بهم أن يجوزوا فعل ما تواتر عن رسول الله ﷺ لعن فاعله والنهي عنه. اهـ كلامه رحمه الله تعالى[1].

(١) انظر «إغاثة اللهفان» (١/١٩١).

ولهما عنها قالت: «لما نُزِلَ برسولِ الله ﷺ [ذلك] طفقَ يطرحُ خميصة له على وجهِهِ، فإذا اغتمَّ بها كشفها، فقال: [وهو كذلك]: لعنة الله على اليهودِ والنصارَى اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ»

حديث عائشة: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد

قوله: (ولهما عنها أي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: **لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما صنعوا. ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا»** أخرجاه[1].

قوله: (ولهما) أي البخاري ومسلم. وهو يغني عن قوله في آخره أخرجاه.

قوله: (لما نُزِل) هو بضم النون وكسر الزاي. أي نزل به ملك الموت والملائكة الكرام عليهم السلام.

قوله: (طَفِقَ) بكسر الفاء وفتحها، والكسر أفصح. وبه جاء القرآن، ومعناه جعل.

قوله: (خَمِيصَة) بفتح المعجمة والصاد المهملة. كساء له أعلام.

قوله: (فإذا اغتم بها كشفها) أي عن وجهه.

قوله: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)[2] يبين أن من فعل مثل ذلك حل عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى.

---

(١) أخرجه البخاري [٤٣٥] [١٣٩٠] ومسلم [٥٢٩].

(٢) هذا هو الشاهد للترجمة. لأن النبي ﷺ لعنهم على تحري الصلاة عندها وإن كان المصلي إنما يصلي لله. فمن كان يصلي عند القبور ويتخذها مساجر فهو ملعون، لأنه ذريعة إلى عبادتها؛ فكيف

يُحذِّرُ ما صَنعُوا، ولولا ذلكَ أبرز قبره

قوله: (يحذر ما صنعوا) الظاهر أن هذا كلام عائشة رضي الله عنها لأنها فهمت من قول النبي ﷺ ذلك تحذير أمته من هذا الصنيع الذي كانت تفعله اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم، فإنه من الغلو في الأنبياء، ومن أعظم الوسائل إلى الشرك. ومن غربة الإسلام أن هذا الذي لعن رسول الله ﷺ فاعليه تحذيرًا لأمته أن يفعلوه معه ﷺ ومع الصالحين من أمته قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة، واعتقدوه قربة من القربات، وهو من أعظم السيئات والمنكرات، وما شعروا أن ذلك محادة لله ورسوله.

قال القرطبي في معنى الحديث، وكل ذلك لقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام. انتهى.

إذ لا فرق بين عبادة القبر ومن فيه وعبادة الصنم، وتأمل قول الله تعالى عن نبيه يوسف ابن يعقوب حيث قال: ﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [يوسف:٣٨] نكرة في سياق النفي تعم كل شرك.

قوله: (ولولا ذلك) أي ما كان يحذر من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجدًا لأبرز قبره وجعل مع قبور الصحابة الذين كانت قبورهم في البقيع.

إذا عبد المقبور فيها بأنواع العبادة؛ وسأله ما لا قدرة له عليه. وهذا هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة إليها. وليست اللعنة خاصة باليهود والنصارى لأشخاصهم أو أزمانهم أو أسمائهم، وإنما هي لأعمالهم، وكذلك من فعل فعلهم فمن فعل ما هو أعظم من فعلهم أولى باللعن، وإنما أراد ﷺ تحذير أمته أن يتعرضوا لما تعرض له اليهود والنصارى من اللعنة، ولذلك قالت عائشة «يحذر ما صنعوا ولولا ذلك لأبرز قبره».

غير أنه خُشِيَ أن يُتخذ مَسجدًا. أخرجاه.

قوله: (غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا) روى بفتح الخاء وضمها، فعلى الفتح يكون هو الذي خشي ذلك ﷺ، وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه. وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة، فلم يبرزوا قبره، خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة غلوًا وتعظيمًا بما أبدى وأعاد من النهي والتحذير منه ولعن فاعله.

قال القرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سدِّ الذَّريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته وسدوا المداخل إليها، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين، فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يمكنوا أحد من استقبال قبره[1] انتهى.

---

(١) وكان هذا الوضع قبل جعل القبر لاصقًا بالجدار الذي فيه باب جبريل ولكن قد أزيل هذا الوضع وأخلي حول القبر من جهاته الأربع، وأصبح كثير من المصلين يستقبلونه ممن يكون في الموضع الخاص بالأغوات، وفي المكان الخاص بالنساء، وأصبح عرضة لأن يطاف به وقد رأيت كثيرًا من العامة يطوفون به؛ ويحاولون التمسح به لولا منع اللجنة الذين خصصتهم الحكومة السعودية لذلك المنع. ومهما حرص الجند على أداء وظيفتهم؛ فلن يمكنهم ولا أي قوة أن تمنع هذا منعًا باتًا، اللَّهُمَّ إلا العلم الذي ينير قلوب الجمهور الإسلامي ويعرفهم حقيقة محبة النبي ﷺ وأنها إنما تكون باتباع دينه كما كان أصحابه رضي الله عنهم يفعلون، وهم أشد الناس حبًا لله ولرسوله. وأن يعود الناس إلى الأمر الأول الذي كان عليه السلف الصالح في كل شئونهم، فعند ذلك لا حاجة لجند ولا قوة. والله يهدي الناس إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

ولمسلم عن جندبِ بن عبدِ الله قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ قبلَ أنْ يموتَ بخمسٍ وهو يقولُ: «إني أبرأ إلى الله أنْ يكونَ لي مِنكم خليلٌ، فإنَّ اللهَ قد اتخذنِي خليلًا كما اتخذ إبراهيمَ خليلًا».

حديث في النهي عن اتخاذ القبور مساجد

قوله: (ولمسلم عن جُندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: **«إنِّي أبرأُ إلى الله أن يكون لي منكم خليل. فإن الله قد اتخذني خليلًا، كما اتخذ إبراهيم خليلًا ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»**[(١)].

قوله: (عن جُندب بن عبد الله) أي ابن سفيان البَجَلي، وينسب إلى جده، صحابي مشهور. مات بعد الستين[(٢)].

قوله: (أني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل) أي أمتنع عما لا يجوز لي أن أفعله. والخلة فوق المحبة والخليل هو المحبوب غاية الحب، مشتق من الخلة بفتح الخاء وهي تخلل المودة في القلب، كما قال الشاعر:

قد تَخَلَّلْتَ مَسلكَ الروحِ مِني وبِذا سمِّي الخليلُ خليلًا

هذا هو الصحيح في معناها كما ذكره شيخ الإسلام وابن القيم وابن كثير وغيرهم رحمهم الله تعالى.

---

(١) أخرجه الحميدي [١١٣] ومسلم [٢٣٨٣]، والنسائي «الكبرى» [٨١٠٥] وابن أبي عاصم في «السنة» [١٢٢٦] وأبو يعلى [٥١٨٠] وابن حبان [٦٨٥٥] والطحاوي (٤٤٢/١) وأحمد [٣٥٨٠] [٣٦٨٩] [٣٧٤٩] [٣٧٥٠] [٣٧٥١] [٣٧٥٢] [٣٧٥٣] [٣٨٧٨] [٣٨٨٠] [٣٨٩٢] [٤١٣٦] [٤١٦١] [٤١٨٢] عن ابن مسعود.

(٢) جندب بن عبد الله البجلي العلقي الصحابي نزل الكوفة والبصرة وله عدة أحاديث، عاش حتى سنة سبعين. انظر ابن سعد (٣٥/٦) الاستيعاب (٢٥٦/١) وتاريخ بغداد (٢٨٦/٧) والأسد (٣٠٤/١) «تهذيب التهذيب» (١٨٨/٢) والسير (٢٨٦/٤) والإصابة (١٢٢٣/١).

قال القرطبي: وإنما كان ذلك لأن قلبه ﷺ قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه ومعرفته فلا يسع خلة غيره.

قوله: (فإن الله قد اتخذني خليلًا) فيه بيان أن الخلة فوق المحبة.

قال ابن القيم رحمه الله: وأما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلة، وأن إبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله فمن جهلهم، فإن المحبة عامة، والخلة خاصة وهي نهاية المحبة. وقد أخبر النبي ﷺ أن الله قد اتخذه خليلًا ونفى أن يكون له خليل غير ربه، مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها، ولعمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل وغيرهم رضي الله عنهم. وأيضًا فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين، وخلته خاصة بالخليلين[1].

(١) انظر: «الداء والدواء» (ص: ١٩٥- ١٩٦).

ولو كنتُ متخذًا مِن أمتي خليلًا لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلًا،

قوله: (ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا) فيه بيان أن الصديق أفضل الصحابة. وفيه الرد على الرافضة[(١)] وعلى الجهمية وهما شر أهل البدع، وأخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة.

وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد. قاله المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو كما قال بلا ريب[(٢)].

وفيه إشارة إلى خلافة أبي بكر، لأن من كانت محبته لشخص أشد كان أولى به من غيره. وقد استخلفه على الصلاة بالناس، وغضب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قيل يصلي بهم عمر[(٣)] وذلك في مرضه الذي توفي فيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) الرافضة: اسمٌ لكل من رفض زيد بن علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ حين جاءوا فسألوه وقالوا: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيرًا، وقال: هما وزيرا جدي يعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فرفضوه وخالفوه وانفضوا عنه، وسمُّوا من ذلك الحين رافضة ثم بدءوا يتشددون في أمرهم حتى بلغ بهم الحد إلى أن ألهوا أئمتهم، أي أنهم هم الذين يدبرون أمر الكون وإن الله تعالى متخلٍّ عن الكون نسأل الله العافية ولهم أصول وأركان، كل ركن وأصل يخرج من الملة لمن اعتقد به.

فهم أشر الفرق على الإطلاق، كما أنهم يجوزون الكذب على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وراجع الكتاب القيم الذي ألَّفه شيخ الإسلام في الرد عليهم وهو «منهاج السنة النبوية».

(٢) فإن أول من فعل ذلك العبيديون الذين زعموا كذبًا أنهم فاطميون. شيدوا للحسين رضي الله عنه وبرأه الله منهم ومن شيعتهم ومحبيهم - قبرًا بالقاهرة؛ ورفعوا عليه قبة عظيمة وبنوا له المسجد المشهور الذي بالقاهرة؛ يقام فيه من الأعمال الشركية ما يغضب الله ورسوله وآل بيته وكل من في قلبه حب لله ورسوله والإيمان الصحيح. وقد صنف كثير من العلماء السالفين في بيان كذب أولئك العبيدين وبيان نحلتهم الكافرة الفاجرة، وأنهم كانوا يظهرون الرفض ويبطنون الكفر. وممن كتب في ذلك الإمام أبو بكر الباقلاني في كتاب نفيس سماه «كشف الأسرار وهتك الأستار»؛ والإمام ابن الجوزي وغيرهم. انظر في ذلك «البداية والنهاية» للعماد ابن كثير في حوادث سنة ٤٠٢ (ج١١ص٣٤٩).

(٣) أخرجه البخاري [٧١٣] ومسلم [٤١٨] عن عائشة.

واسـم أبي بكر: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سـعد بن تيم بن مرة الصديق الأكبر، خليفة رسول الله ﷺ وأفضل الصحابة بإجماع مـن يعتـد بقوله من أهل العلم. مات في جمادى الأولى سـنة ثـلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة رضي الله عنه [1].

---

(١) لقد أطلت في التعليق على ترجمته في «البداية» وفي «الصواعق المحرقة» وهو تحت الطبع.

ألا وإنَّ مَن كانَ قبلَكُم كانُوا يَتخذونَ قبورَ أنبيائِهم مَساجدَ؛ ألا فلا تتخِذوا القبورَ مساجدَ، فإني أنهَاكُم عَن ذلكَ».

فقد نهَى عنهُ في آخرِ حياتِه، ثم إنه لعنَ وهو في السياقِ من فعلِهِ،

قوله: (ألا) حرف استفتاح (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد...) الحديث. **قال الخلخالي:** وإنكار النبي ﷺ صنيعهم هذا مخرج على وجهين:

أحدهما: أنهم يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا.

الثاني: أنهم يجوزون الصلاة في مدافن الأنبياء والتوجه إليها حالة الصلاة، نظرًا منهم بذلك إلى عبادة الله والمبالغة في تعظيم الأنبياء. والأول: هو الشرك الجلي. والثاني: الخفي، فلذلك استحقوا اللعن.

قوله: (فقد نهى عنه في آخر حياته) أي كما في حديث جندب. وهذا من كلام شيخ الإسلام. وكذا ما بعده.

قوله: (ثم إنه لعن، وهو في السياق من فعله) كما في حديث عائشة.

قلت: فكيف يسوغ بعد هذا التغليظ من سيد المرسلين أن تُعظَّم القبور ويُبنى عليها ويُصلى عندها وإليها؟ هذا أعظم مشاقة ومحادة لله تعالى ولرسوله لو كانوا يعقلون.

والصلاةُ [مِن ذلكَ] عندها، وإن لم يُبْنَ مسجدٌ، وهو [ق/ 14/ ب] معنىَ قولِها: خشيَ أنْ يتخذَ مسجدًا،

قوله: (الصلاة عندها من ذلك، وإن لم يبن مسجد) أي من اتخاذها مساجد الملعون فاعله.

وهذا يقتضي تحريم الصلاة عند القبور وإليها.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام» رواه أحمد وأهل السنن وصححه ابن حبان والحاكم(١).

قال ابن القيم رحمه الله: وبالجملة فمن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاصده، جزم جزمًا لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغته صيغة لا تفعلوا وصيغة أني أنهاكم عن ذلك ليس لأجل النجاسة، بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة لمن عصاه، وارتكب ما عنه نهاه، واتبع هواه، ولم يخش ربه ومولاه، وقل نصيبه أو عدم من لا إله إلا الله فإن هذا وأمثاله من النبي صلى الله عليه وسلم صيانة لحمى التوحيد أن يلحقه الشرك ويغشاه، وتجريد له وغضب لربه أن يعدل به سواه، فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكابًا لنهيه، وغرهم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم لها أشد تعظيمًا وأشد فيهم غلوا كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد، ولعمر الله، من هذا الباب دخل الشيطان على عباد يعوق ويغوث ونسرا، ودخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة، فجمع المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقتهم، فهدى الله أهل التوحيد

---

(١) صحيح أخرجه أحمد [١١٧٨٤] [١١٧٨٨] [١١٧٨٩] وأبو داود [٤٩٢] والترمذي [٣١٧] والدارمي (١/٣٢٣) وابن خزيمة [٧٩١] وابن حبان [١٦٩٩] [٢٣١٦] [٢٣٢١] والحاكم (١/٢١٥) والبيهقي (٢/٤٣٥) والبغوي [٥٠٦] وهو صحيح انظر: «الإرواء» [٢٨٧].

لسلوك طريقتهم وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها من العبودية وسلب خصائص الإلهية عنهم[١].

قال الشارح رحمه الله تعالى، وممن علل بخوف الفتنة بالشرك: الإمام الشافعي[٢]، وأبو بكر الأثرم[٣]، وأبو محمد المقدسي[٤]. وشيخ الإسلام وغيرهم رحمهم الله. وهو الحق الذي لا ريب فيه.

---

(١) إغاثة اللهفان (ص: ١٣٢- ١٣٦).

(٢) هو الإمام العالم أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عُبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قُصي القرشي المطلب ولد بغزة وقيل: بعسقلان سنه خمسين ومائة، مات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى مكة،وهو ابن سنتين لئلا يضيع نسبه، فنشأ بها وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة. وعُنى بالشعر واللغة، وكان أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة وأشد الناس انتزعًا للدلائل منهما، وكان من أحسن الناس قصدًا وإخلاصًا، وكانت وفاته بمصر يوم الخميس وقيل الجمعة في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة، رحمه الله ورضى عنه.
انظر: «تاريخ بغداد» (٥٦/٢) تاريخ دمشق (٧٨٧/١٤) ووفيات الأعيان (١٦٣/٤) والسير (٥/١٠) وتذكرة الحفاظ (٣٦١/١) والبداية (١٣٢/١٤- ١٤٠).

(٣) أبو بكر الأثرم، أحمد بن محمد بن هانئ أبو بكر الطائيُّ الأثرم تلميذ الإمام أحمد، وكان حاذقًا صادقًا قوي الذاكرة وكان ابن معين يقول عنه: كان أحدُ أبويه جنيًا لسرعة فهمه وحفظه وحذقه، وله كتب ومصنفات في العلل، والناسخ والمنسوخ وكان من بحور العلم.
انظر الجرح (٧٢/٢) «تهذيب الكمال» (٤٧٦/١) و«السير» (٦٢٣/١٢) و«العبر» (٢٢/٢) وتذكرة الحفاظ (٥٧٠/٢) و«البداية» (٧٥١/١٤).

(٤) أبو محمد المقدسي كنية لستة من العلماء، ولعل الشارح يقصد: شيخ الحبلى الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامه الحنبلي أول من ولى القضاء للحنابلة بدمشق وكان من علماء الناس وأكثرهم ديانة في عصره وأمانةً مع هدى وسمت حسن وخشوع ووقار توفى ليلة الثلاثاء سالخ ربيع الآخر سنة ثنتين وثمانين وستمائه

فإن الصحابة لم يكونوا ليَبنُوا حولَ قبرِهِ مسجدًا، وكلّ موضعٍ قصِدَت الصلاةَ فيهِ فقد اتُخِذَ مسجدًا، بل كلُّ موضعٍ يُصلى فيهِ يُسمَّى مسجدًا، كما قَال ﷺ: «جُعِلت لِيَ الأرضُ مَسجدًا وطهُورًا».

قوله: (فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدًا) أي لما علموا من تشديده في ذلك وتغليظه النهي عنه، ولعن من فعله.

قوله: (وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجدًا) أي وإن لم يبن مسجد، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، يعني وإن لم يقصد بذلك، كما إذا عرض لمن أراد أن يصلي فأوقع الصلاة في ذلك الموضع الذي حانت الصلاة عنده من غير أن يقصد ذلك الموضع بخصوصه، فصار بفعل الصلاة فيه مسجدًا.

قوله: (كما قال ﷺ «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»[1]) أي فسمي الأرض مسجدًا، تجوز الصلاة في كل بقعة منها إلا ما استثنى من المواضع التي لا تجوز الصلاة فيها، كالمقبرة ونحوها.

عن خمس وثمانين سنة.

انظر «نهاية الإرب» (١١٦/٣١) الوافي (٢٤١/١٨) وذيل طبقات الحنابلة (٣٠٤/٢) و«عقد الجمان» (٣١١/٢) و«النجوم الزاهرة» (٣٥٨/٧) «البداية» (٥٩١/١٧).

(١) أخرجه البخاري [٣٣٥] [٤٣٨] [٣١٢٢] ومسلم [٥٢١] والنسائي (٢٠٩/١-٢١١) وعبد بن حميد [١١٥٤] وابن حبان [٦٣٩٨] وأحمد (٣٠٤/٣) عن جابر.

قال البغوي[1] **في «شرح السنة»،** أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، فأباح الله لهذه الأمة الصلاة حيث كانوا، تخفيفًا عليهم وتيسيرًا، ثم خص من جميع المواضع: الحمام والمقبرة والمكان النجس. انتهى[2].

---

(١) الإمام الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود الفَرَّاء البغوي أحد العلماء الذين خدموا الكتاب العزيز، والسنة النبوية بالعكوف على دراستها والتأليف فيها وإحياء ما درس من معالمها وكشف كنوزها وذمائنها، ولد في بغشور من بلاد خرسان توفي سنة ٥١٦ وبلغ الثمانين له مؤلفات عظيمة مثل: معالم التنزيل (تفسير) ومصابيح السنة، وشرح السنة وغيرها من الكتب النافعة.

انظر الاستدراك لابن نقطة (٥٧/١) «وفيات الأعيان» (١٧٧/١) والسير وتذكره الحفاظ (٥٢/٤- ٥٣) والبداية (١٩٣/١٢).

(٢) انظر: «شرح السنة» (٤١٢/٢).

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «إنَّ مِن شِرارِ الناسِ:

حديث ابن مسعود: إن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد

قوله: (ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعًا «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد» ورواه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه[1])[2].

قوله: (إن من شِرار الناس) بكسر الشين جمع شرير.

---

(١) حسن. علقه البخاري في «صحيحه» [٧٠٦٧] وجزم به، عن أبي عوانة عن عاصم بن أبي النجود.
ووصله ابن أبي شيبة (٣/٣٤٥) وأحمد [٣٨٤٤] [٤١٤٣] [٤٣٤٢] والبزار [٣٤٢٠] وأبو يعلى [٥٣١٦] وابن خزيمة [٧٨٩] والشاشي [٥٢٨] وابن حبان [٦٨٤٧] من طرق عن زائدة عن عاصم عن شقيق عن ابن مسعود، به.
وإسناده حسن لأجل عاصم حديثه حسن.

(٢) في قرة العيون: (قلت) وقد وقع هذا في الأمة كثيرًا كما وقع في أهل الجاهلية قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على ذوي البصائر. وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الأمة على ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشرك بأمور (منها) أنهم يخلصون عند الاضطرار لغير الله وينسون الله (ومنها) أنهم يعتقدون أن آلهتهم من الأموات يتصرفون في الكون دون الله. وجمعوا بين نوعي الشرك في الإلهية والربوبية، وقد سمعنا ذلك منهم مشافهة، ومن ذلك قول ابن كمال من أهل عمان وأمثاله: إن عبد القادر الجيلاني يسمع من دعاه ومع سماعه ينفع، فزعم أنه يعلم الغيب وهو ميت فلقد ذهب عقل هذا وضل فكفر بما أنزله الله في كتابه كقوله: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ فما صدقوا الخبير فيما أخبر به عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، ولا آمنوا بما أنزل الله في كتابه بل بالغوا وعاندوا في رده وكذبوا وألحدوا وكابروا المعقول والمنقول فالله المستعان.

مَن تدرِكُهُم الساعةُ وَهُم أحياءٌ، والذينَ يتخذونَ القبورَ مساجدَ».
ورواه أبو حاتم في صحيحة.

قوله: (مَن تدركهم الساعة وهم أحياء) أي مقدمتها، كخروج الدابة، وطلوع الشمس في مغربها. وبعد ذلك ينفخ في الصور نفخة الفزع.

قوله: (والذين يتخذون القبور مساجد) معطوف على خبر إن في محل نصب على نية تكرار العامل، أي وإن من شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد أي بالصلاة عندها وإليها، وبناء المساجد عليها، وتقدم في الأحاديث الصحيحة أن هذا من عمل اليهود والنصارى وأن النبي ﷺ لعنهم على ذلك، تحذيرًا للأمة أن يفعلوا مع نبيهم وصالحيهم مثل اليهود والنصارى. فما رفع أكثرهم بذلك رأسًا، بل اعتقدوا أن هذا الأمر قربة لله تعالى، وهو مما يبعدهم عن الله ويطردهم عن رحمته ومغفرته.

والعجب أن أكثر من يدعي العلم ممن هو من هذه الأمة لا ينكرون ذلك، بل ربما استحسنوه ورغبوا في فعله، فلقد اشتدت غربة الإسلام وعاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، تنشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير.

قال شيخ الإسلام: أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عام الطوائف بالنهي عنه، متابعة للأحاديث الصحيحة.

وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك[1] والشافعي بتحريمه، ثم ذكر الأحاديث في ذلك إلى أن قال وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين، أو

(١) مالك هو ابن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان ابن خُثيل بن عمرو بن الحارث أبو عبد الله المدني إمام دار الهجرة، مناقبه كثيرة جدًا وفضائله وفيرة، وثناء الأئمة عليه أكثر

....

الملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره. هذا مما لا أعلم فيه خلافًا بين العلماء المعرفين.

وقال ابن القيم رحمه الله: يجب هدم القباب التي بنيت على القبور، لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أفتى جماعة من الشافعية بهدم ما في القرافة من الأبنية، منهم ابن الجميزي والظهير الترميني وغيرهما.

وقال القاضي ابن كج[1]: ولا يجوز أن تجصص القبور، ولا أن يبنى عليها قباب، ولا غير قباب، والوصية بها باطلة.

وقال الأذرعي[2]: وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الأبنية وانفاق الأموال الكثيرة، فلا ريب في تحريمه.

لا يُحصر في هذا المكان، بلغ تسعين سنة توفي سنة تسع وسبعين ومائه ودفن بالبقيع رحمه الله.

انظر: «تاريخ الطبري» والطبقات (١٩٢/٧) والحلية (٣١٦/٦) و«المنتظم» (٤٢/٩) و«تهذيب الكمال» (٩١/٢٧) والسير (٤٣/٨) وتذكرة الحفاظ (٢٠٧/١) والبداية (٦٠٠/١٣).

(١) ابن كج: هو القاضي العلامة شيخ الشافعية أبو القاسم يوسف بن أحمد بن كج الدِّينوري تلميذ أبي الحسين بن القطان كان يُضرب به المثل في حفظ المذهب، وله تصانيف كثيرة وأموال وحشمة وارتحل إليه الناس من الأفاق.

قتلته الحرامية بالدينور ليلة سبع وعشرين من رمضان سنة خمس وأربع مائه.

انظر: الأنساب (٣٦٥/١٠) واللباب لابن الأثير (٨٥/٣) والوفيات (٦٥/٧) والعبر (٩٢/٣) والسير(٨/١٣).

(٢) الأذرعيُّ: الإمام المحدث الرَّباني القدوة أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن هاشم النهدي الأذرعي شيخ دمشق، وكان مجاب الدعوة، انظر العبر (٢٦٣/٢) والشذرات لابن العماد (٣٦٦/٢) والسير (٦٩/١٢).

وقـال القرطبي[١] في حديث جابر رضي الله عنه «نهى أن يجصص القبر أو يبنى عليه» وبظاهر هذا الحديث قال مالك، وكره البناء والجص على القبور. وقد أجازه غيره، وهذا الحديث حجة عليه.

وقال ابن رشـد[٢]: كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة، وهو من بدع أهل الطول، أحدثوه إرادة الفخر والمباهاة والسمعة، وهو مما لا اختلاف عليه.

وقال الزيلعي[٣] **في «شرح الكنز»** ويكره أن يبنى على القبر.

وذكـر قـاضي خـان: أنه لا يجصـص القـبر ولا يبني عليـه. لمـا روى عن النبي ﷺ أنـه نـهى عـن التجصيص وللبنـاء فوق القـبر. والمـراد بالكراهة عند الحنفية رحمهم الله كراهة التحريم. وقد ذكر ذلك ابن نجيم في «شرح الكنز».

(١) القرطبي: هو الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسر، ولد بقرطبة من بلاد الأندلس، إمام متقن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة إطلاعه وفور عقله وفضله.
كانت وفاته ليلة الاثنين التاسع من شهر شوال سنة ٦٧١ هـ وكانت وفاته في مصر ببلاد المنيا.
انظر طبقات المفسرين (ص:٨٨) والشذرات (٥/٢٣٥) والأعلام (٢/٢١٧) ونفح الطيب (٢/٤٢٨).

(٢) ابن رشد هو: الإمام العلامة، شيخ المالكية قاضي الجماعة بقرطبة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي كان فقيهًا عالمًا حافظًا للفقه، مقدمًا فيه على جميع عصره عارفًا بالفتوى عاش سبعين سنة، ومات في ذي القعدة سنة عشرين وخمس مائة.
انظر الصلة لابن بشكوال (٢/٥٧٦) والعبر(٤/٤٧) وتذكرة الحفاظ (٤/١٢٧) والشذرات (٤/٦٢) والسير (١٤/٣٥٨).

(٣) هو الإمام جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي الحنفي فقيه محدث أصولي، تفقه وبرع وآدم النظر والاشتغال وطلب الحديث واعتني به، فانتقى وألَّف وجمع، وكانت وفاته في المحرم سنة اثنين وستين وسبعمائة هجرية ودفن بالقاهرة، ومن مؤلفاته القيمة «نصب الراية» انظر الدرر الكامنة (٢/٣١٠) وحسن المحاضرة (١/٢٠٣) وهداية العرافين لإسماعيل باشا بغدادي (٢/٥٥٧).

....

وقال الشافعي رحمه الله: أكره أن يعظم مخلوق، حتى يجعل قبره مسجدًا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس. وكلام الشافعي رحمه الله يبين أن مرده بالكراهة كراهة التحريم.

قال الشارح رحمه الله تعالى: وجزم النووي رحمه الله في «شرح المهذب» بتحريم البناء مطلقًا، وذكر في «شرح مسلم» نحوه أيضًا.

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة إمام الحنابلة صاحب المصنفات الكبار كالمغني، والكافي وغيرهما رحمه الله تعالى: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور. لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لعن الله اليهود والنصارى...**» الحديث وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام: تعظيم الأموات واتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها، انتهى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأما المقبرة فلا فرق فيها بين الجديدة والعتيقة، انقلبت تربتها أو لم تنقلب. ولا فرق بين أن يكون بينه وبين الأرض حائل أو لا، لعموم الاسم وعموم العلة، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ومعلوم أن قبور الأنبياء لا تنجس.

وبالجملة فمن علل النهي عن الصلاة في المقبرة بنجاسة التربة خاصة فهو بعيد عن مقصود النبي صلى الله عليه وسلم، ثم لا يخلو أن يكون القبر قد بني عليه مسجد، فلا يصلي في هذا المكان سواء صلى خلف القبر أو أمامه بغير خلاف في المذهب: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**»[1] وخص قبور الأنبياء

(١) سبق تخريجه.

....

لأن عكوف الناس على قبورهم أعظم، واتخاذها مساجد أشد، وكذلك إن لم يكن عليه بنى مسجد، فهذا قد ارتكب حقيقة المفسدة التي كان النهي عن الصلاة عند القبور من أجلها، فإن كل مكان صلى فيه يسمى مسجدًا، كما قال ﷺ «جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»[(١)] وإن كان موضع قبر أو قبرين.

وقال بعض أصحابنا: لا يمنع الصلاة فيها لأنه لا يتناولها اسم المقبرة، وليس في كلام أحمد ولا بعض أصحابه هذا الفرق، بل عموم كلامهم يقتضي منع الصلاة عند كل قبر.

وقد تقدم عن علي ﷺ أنه قال: لا أصلي في حمام ولا عند قبر.

فعلى هذا ينبغي أن يكون النهي متناولًا لحريم القبر وفنائه، ولا تجوز الصلاة في مسجد بني في مقبرة، سواء كان له حيطان تحجز بينه وبين القبور أو كان مكشوفًا.

قال في رواية الأثرم: إذا كان المسجد بين القبور لا يصلى فيه الفريضة، وإن كان بينها وبين المسجد حاجز فرخص أن يصلي فيه على الجنائز ولا يصلى فيه على غير الجنائز. وذكر حديث أبي مرثد عن النبي ﷺ: **«لا تصلوا على القبور»**[(٢)] وقال: إسناده جيد، انتهى.

ولو تتبعنا كلام العلماء في ذلك لا حتمل عدة أوراق.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم [٩٧٢] والترمذي [١٠٥١] وأبو داود [٣٢٢٩] والنسائي (٦٧/٢) وابن خزيمة [٧٩٣] والطبراني (٤٣٣/١٩) عن أبي مرثد الغنوي.

وأخرجه بنحوه مسلم [٩٧١] وأبو داود [٣٢٢٨] عن أبي هريرة.

فتبين بهذا أن العلماء رحمهم الله بينوا أن علة النهي ما يؤدي إليه ذلك: من الغلو فيها وعبادتها من دون الله كما هو الواقع والله المستعان.

وقد حَدَّث بعد الأئمة الذين يعتد بقولهم أناس كثر في أبواب العلم بالله اضطرابهم، وغلظ عن معرفة ما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم حجابهم فقيدوا نصوص الكتاب والسنة بقيود أوهنت الانقياد وغيروا بها ما قصده الرسول ﷺ بالنهي وأراد. فقال لتنجسها بصديد الموتى، وهذا كله باطل من وجوه: منها: أنه من القول على الله بلا علم. وهو حرام بنص الكتاب.

ومنها، أن ما قالوه لا يقتضي لعن فاعله والتغليظ عليه، وما المانع له أن يقول: صلى في بقعة نجسة فعليه لعنة الله. ويلزم على ما قاله هؤلاء أن النبي ﷺ لم يبين العلة، وأحال الأمة في بيانها على من يجيء بعده ﷺ وبعد القرون المفضلة والأئمة، وهذا باطل قطعًا وعقلًا وشرعًا، لا يلزم عليه من أن الرسول ﷺ عجز عن البيان أو قصر في البلاغ، وهذا من أبطل الباطل. فإن النبي ﷺ بلغ البلاغ المبين، وقدرته في البيان فوق قدرة كل أحد، فإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

ويقال أيضًا، هذا اللَّعن والتغليظ الشديد إنما هو فيمن اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وجاء في بعض النصوص ما يعم الأنبياء وغيرهم، فلو كانت هذه هي العلة لكانت منتفية في قبور الأنبياء، لكون أجسادهم طرية لا يكون لها صديد يمنع من الصلاة عند قبورهم، فإذا كان النهي عن اتخاذ المساجد عند القبور يتناول قبور الأنبياء بالنص، علم أن العلة ما ذكره هؤلاء العلماء الذين قد نقلت أقوالهم، والحمد لله على ظهور الحجة وبيان المحجة. والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

فيهِ مسائلُ:

الأولى- ما ذكرَ الرسولُ ﷺ فيمَن بنَي مسجدًا يعبدُ اللهَ فيهِ عندَ قبرِ رجلٍ صالحٍ، ولو صَحّت نيةُ الفاعلِ.

الثانية- النهيُ عن التماثيلِ، [فإذَا اجْتمَعَ الأمْرَانِ، تغلظَ الأمرُ].

الثالثة- العبرةُ في مبالغتِهِ ﷺ في ذلكَ، كيفَ بيَّنَ لُهم هذا أولًا، ثم قبلَ موتِهِ بخمسٍ قالَ ما قالَ، ثم لَمَّا كانَ في [السياقِ] لم يكْتَفِ بما تقدَّمَ.

الرابعةُ- نهيُه عن فعلِهِ عندَ قبرِهِ قبلَ أن يوجدَ القبرُ.

الخامسَةُ- أنهُ مِن سُنن اليهودِ والنصارَى في قبورِ أنبيائِهم.

السادسَةُ- لعنُه إياهُم على ذلكَ.

السابعةُ- أنَّ مرادَهُ ﷺ تحذيرُهُ إيانا عَن قبرِهِ.

الثامنة- العِلةُ في عدمِ إبرازِ قبرِهِ.

التاسعة- في مَعنَى [اتخاذِهاَ] مسجدًا.

العاشرةُ- أنه قَرَنَ بينَ من اتخذَها مسجدًا وبينَ مَن تَقُوْمُ عليهِمُ الساعةُ، فذكرَ الذريعةَ إلى الشركَ قبلَ وقوعِهِ [معَ] خاتمتِهِ.

الحادية عشر- ذكرُه في خطبتِه قبلَ موتِه بخمسٍ: الردُّ على الطائفتينِ اللتينِ هُما أَشَرُّ أهلِ البدعِ، بل أخرجَهُم بعضُ أهل العلم مِن الثنتينِ والسبعينَ

فرقةٍ، وهُمُ الرافضةُ والجهميةُ، وبسببِ الرافضةِ [حدث] الشركُ وعبادةُ القبورِ، وهُم أولُ مَن بنَى عليها المساجدَ.

الثانية عشر- ما يُلِيَ بهِ ﷺ مِن شدةِ النزْعِ [ق/ 15/ أ].

الثالثة عشر- [ما أُكرِمَ بهِ من الخِلّة.

الرابعة عشر- التصريحُ بأنها أعلى مِن المَحبة.

الخامسة عشر- التصريحُ بأن الصديقَ أفضلُ الصحابةِ.

السادسة عشر-] الإشارةُ إلى خلافتِهِ.

بابُ

ما جاءَ أنّ الغلوّ في قبورِ الصالحينَ يُصَيِّرُها أوثانًا تُعْبدُ مِن دونِ اللهِ

روىَ مالكٌ في الموطأِ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللهُمَّ لا تجعَل قبرِي وثنًا يُعبَد»

الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا إلخ

قوله: باب

(ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانًا تعبد من دون الله)

اللَّهُمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد

روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتدَّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**[1]»[2].

---

(١) حسن. أخرجه مالك (١٧٢/١) ومن طريقة ابن سعد (٢٤٠/٢) مرسلًا، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار مرسلًا.
ووصلة البزار [٤٤٠] وعنه ابن عبد البر في «التمهيد» (٤٢/٥-٤٣) بسند فيه عمر بن صهبان وهو ضعيف.
وله شاهد من حديث أبي هريرة وسيأتي بعده.
أخرجه أحمد [٧٣٥٨] والحميدي [١٠٢٥] وابن سعد (٢٤١/٢) وابن عبد البر (٤٣/٥-٤٤) من طريق سفيان بن عيينة عن حمزة بن المغيرة عن سهيل، به.
وإسناده حسن.

(٢) في قرة العيون: وذلك أنه ﷺ خاف أن يقع في أُمته في حقه كما وقع من اليهود والنصارى في حقِّ أنبيائهم من عبادتهم من دون الله وسبب ذلك الغلو فيهم كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وكذلك رغب ﷺ إلى ربه أن لا يجعل قبره وثنًا يُعبد، وقد عُبدت القبور

....

هذا الحديث رواه مالك مرسلًا[1] عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار: أن رسول الله ﷺ قال... الحديث.

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم به، ولم يذكر عطاء، ورواه البزار عن زيد عن عطاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

وله شاهد عند الإمام أحمد بسنده عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رفعه: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[2].

قوله: (روى مالك في الموطأ) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبدالله المدني. إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة وأحد المتقنين للحديث، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر، مات سنة تسع وسبعين ومائة. وكان مولده سنة ثلاث وتسعين. وقيل أربع وتسعين. وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة.

قوله: (اللَّهُمَّ لا تجعل قبرى وثنًا يُعبد) قد استجاب الله دعاءه كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

بأنواع العبادة كما لا يخفى، وتقدم في حديث عائشة ل: «ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا» وقد استجاب الله دعوة نبيه ﷺ وصان قبره وأحاطه بثلاثة جدران.

(١) المرسل له تعريفات كثيرة ما بين علماء الحديث وعلماء الأصول وعلماء الفقه، والراجح عندي أن المرسل ما قال فيه التابعي الكبير قال رسول الله ﷺ، ولي بحث في المرسل مطبوع.

(٢) حسن. كما سبق.

فَأجابَ ربُ العالمين دعاءه   واحاطَهُ بثلاثةِ الجدرانِ
حتى غَدتْ ارجاؤه بدعائه   في عِزةٍ وحمايةٍ وصيانِ

ودل الحديث على أن قبر النبي ﷺ لو عُبد لكان وثنًا، لكن حماه الله تعالى بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه. ودل الحديث على أن الوثن هو ما يباشره العابد من القبور والتوابيت التي عليها. وقد عظمت الفتنة بالقبور لتعظيمها وعبادتها، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «كيف أنتم إذا مَسَّتكم فتنة يَهْرم فيها الكبير، وينشأ فيها الصغير. تجرى على الناس يتخذونها سنة، إذا غيرت قيل: غيرت السنة»[1] انتهى.

ولخوف الفتنة نهى عن عمر تتبع آثار النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه الداري [١٨٦] من طريق خالد بن عبدالله، ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (ص:٢١) من طريق جرير بن عبد الحميد، وأخرجه الحاكم (٥٤١/٤) من طريق يعلى بن عبيد، والبيهقي في «الشعب» [٦٩٥١] من طريق ابن نمير، أربعتهم عن الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود موقوفًا، وإسناده صحيح.

وخالفهم يزيد بن أبي زياد فرفعه.

فأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٣٦/١) من طريق محمد بن نبهان حدثني يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله مرفوعًا.

ومحمد بن نبهان لم أعثر له على ترجمة غير أنه خالف الثقات في رفعه.

قال ابن وضاح(١)**:** سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة(٢).

وقال المعرور بن سويد: صليت مع عمر بن الخطاب بطريق مكة صلاة الصبح. ثم رأى الناس يذهبون مذاهب، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه، فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا، كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعًا، فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل. ومن لا فليمض ولا يتعمدها»(٣).

وجد المسلمين دانيال في تستر لما فتحوها

---

(١) ابن وضَّاح هو: الإمام الحافظ، مُحدث الأندلس مع بقيّ بن مخلد، أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع المرواني، ولد سنة تسع وتسعين ومائة، كان عالمًا بالحديث بصيرًا بطرقه وعلله كثير الحكاية عن العباد ورعًا زاهدًا صبورًا على نشر العلم متعففًا، توفي في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين.
انظر «تذكرة الحفاظ» (٢/٦٧٠) و«الميزان» (٤/٥٩) و«اللسان» (٥/٤١٦) والسير (١٠/٤٦٩).

(٢) إسناده ضعيف لإعضاله أخرجه ابن وضاح في «البدع» [١٠٨] وفيه انقطاع لكن أخرجه ابن أبي شيبة (٢/٣٧٥) بسند صحيح.
وقال الحافظ في «الفتح» (٧/٤٤٨): وجدتُ عن ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أن عمر بلغه، فذكره.

(٣) إسناده صحيح. أخرجه عبد الرزاق [٢٧٣٤] وابن أبي شيبة (١/٣٦٦) ابن وضاح في «البدع» [١٠٧] في «الشعب» [٢٢٨٣] وفي «السنن» (٢/٣٩٠) وإسناده صحيح.

وفي «مغازي ابن إسحاق» من زيادات يُونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار. حدَّثنا أبو العالية قال: لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريرًا عليه رجل ميت، عند رأسه مصحف. فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر، فدعا له كعبًا فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل قرأه من العرب، قرأته مثل ما أقرأُ القرآن. فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟. قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد. قلت: فماذا صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا له بالنهار ثلاثة عشرة قبرًا متفرقة. فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه عن الناس لا ينبشونه. قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: رجل يقال له دانيال. فقلت: منذ كم وجدتموه مات؟ قال: منذ ثلاثمائة سنة.

قلت: ما كان تغير منه شيء؟ قال: لا، إلا شعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض(١) (٢).

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في «القصص النبوي» (ص:٤٤١- ٤٤٢) بعد ذكره لهذا السند: وهذا إسناده صحيح.
قلت: فيه محمد بن إسحاق وقد عنعنه، فالإسناد غير صحيح ولو صرح ابن إسحاق فلا يزيد رتبته عن الحسن، وقال ابن كثير: قال أبو بكر بن أبي الدنيا في «كتاب القبور».
حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري، حدثنا أبو محمد القاسم بن عبدالله عن أبي الأشعث الأحمري قال: قال رسول الله ﷺ فذكر حديثًا ثم قال: فكان الذي دل عليه رجل يقال له حرقوص فكتب أبو موسى إلى عمر يخبره فكتب إليه عمر: أن ادفنه وابعث إليّ حرقوص فإن النبي ﷺ قال: «بشره بالجنة» ثم قال ابن كثير: وهذا مرسل من هذا الوجه وفي كونه محفوظًا نظر.
قلت: فيه مجاهيل، ولا يصح.
وانظر «تاريخ الطبري» (٤/٩٢-٩٣) و«البداية» (٧/٩٠-٩١).

(٢) ذكرها الطبري (ج٤ص٢٢٠) في حوادث سنة ١٧ قال: قيل لأبي سبرة: هذا جسد دانيال في هذه المدينة. قال: وما لنا بذلك؟ فأقره بأيديهم - ثم ذكر خبر دانيال وسبي بختنصر له من بيت المقدس وموته بالسوس؛ فكان هناك يستسقى بجسده، فلما فتحها المسلمون أتوا به فأقروه في أيديهم؛ حتى إذا ولى أبو سبرة عنهم إلى جندي سابور أقام أبو موسى الأشعري وجدوا دانيال في أبرن، وإذا إلى جانبه مال موضوع وكتاب فيه: من شاء أتى فاستقرض منه إلى أجل، فإن أتى به إلى ذلك الأجل وإلا برص. فكتب إليه عمر: كفنه وحنطه وصل عليه ثم ادفنه كما دفنت الأنبياء صلوات الله عليهم. وانظر ماله فاجعله في بيت مال المسلمين. قال فكفنه في قباطي بيض وصلى عليه ودفنه» وقال البلاذري ص٣٧١: «ورأى أبو موسى في قبلتهم بيتًا وعليه ستر فسأل عنه فقيل: إن فيه جثة دانيال النبي، فإنهم كانوا أقحطوا، فسألوا أهل بابل دفعه إليهم ليستسقوا به ففعلوا. وكان بختنصر سبى دانيال وأتى به إلى بابل فقبض بها. فكتب أبو موسى بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر أن كفنه وادفنه. فسكر أبو موسى نهرًا حتى إذا انقطع دفنه ثم أجرى الماء عليه».

قال ابن القيم رحمه الله: ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم من تعمية قبره لئلا يفتتن به، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيف ولعبدوه من دون الله[1].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهو إنكار منهم لذلك، فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم يستحب الشارع قصدها فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء قصدها ليصلي عندها أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله عندها، أو لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيصها به لا نوعًا ولا عينًا، إلا أن ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها، كمن يزورها ويسلم عليها، ويسأل الله العافية له وللموتى، كما جاءت به السنة. وأما تحري الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه في غيره، فهذا هو المنهي عنه[2]. انتهى ملخصًا.

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان (ص:٢٠٩- ٢١٠).

(٢) انظر «اقتضاء المستقيم» (٢/٦٤٩).

اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مَسَاجدَ».

قوله: (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) فيه تحريم البناء على القبور، وتحريم الصلاة عندها، وأن ذلك من الكبائر.

وفي القِرَى للطبري[1] من أصحاب مالك عن مالك أنه كره أن يقول: زرت قبر النبي ﷺ، وعلل ذلك بقوله ﷺ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**» الحديث. كره إضافة هذا اللفظ إلى القبر، لئلا يقع التشبه بفعل أولئك، سدًا للذريعة[2].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ومالك قد أدرك التابعين، وهم أعلم الناس بهذه المسألة، فدل ذلك على أنه لم يكن معروفًا عندهم ألفاظ زيارة قبر النبي ﷺ إلى أن قال وقد ذكروا أسباب كراهته لأن يقول: زرت قبر النبي ﷺ لأن هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريد به الزيارة البدعية، وهو قصد الميت لسؤاله ودعائه، والرغبة إليه في قضاء الحوائج، ونحو ذلك مما يفعله كثير من الناس، فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا. وهذا ليس بمشروع باتفاق الأئمة. وكره مالك أن يتكلم بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد، بخلاف الصلاة والسلام عليه، فإن ذلك مما أمر الله به. أما لفظ الزيارة في عموم القبور فلا يفهم منها مثل هذا المعنى. ألا ترى إلى قوله: «فزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»[3] مع زيارته لقبر

---

(١) هو الحافظ القدوة أحمد بن عبد الله محبّ الدين الطبري أبو العباس، وأحمد جعفر ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي، ولد سنة خمس عشرة وستمائة، وهو محدث فقيه شافعي له تواليف مباركة نافعه توفي سنة ٦٩٤هـ.

(٢) انظر القرى لقاصد أم القرى (ص:٦٧٨- ٦٧٩).

(٣) سبق تخريجه.

أمـه[١]. فـإن هذا يتناول قبـور الكفار. فلا يفهم من ذلك زيارة الميت لدعائه وسـؤاله والاسـتغاثة بـه، ونحو ذلـك مما يفعله أهل الـشرك والبدع، بخلاف مـا إذا كان المزور معظمًـا في الديـن كالأنبياء والصالحين، فإنه كثيرًا ما يعـني بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية الشركية، فلهذا كره مالك ذلك في مثل هذا، وإن لم يكـره ذلك في موضع آخر ليس فيه هذه المفسدة. اهـ[٢].

وفيه: أن النبي ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه. ذكره المصنف رحمه الله تعالى.

---

(١) أخرج مسـلم [٩٧٧] (ص:١٥٦٣) والنسـائي (٨٩/٤) (٣١٠/٨) وأبو داود [٣٦٩٨] وأحمد [٢٢٩٥٨] وابن حبان [٥٣٩١] [٥٤٠٠] عن بريدة بلفظ «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها».

وفي رواية: «نهيتكم عن ثلاث عن زيارة القبور وإن محمدًا قد أذن له في زيارة قبر أمه».

أخرجه أحمد [٢٣٠١٦] (٣٥٦/٥) والطيالسي [٨٠٧] والترمذي [١٠٥٤] [١٥١٠] [١٨٦٩] والطحاوي (٥٤٤/٢).

وفي الباب حديث أبي هريرة.

أخرجه مسـلم [٩٧٦] وأبو داود [٣٢٣٤] والنسـائي (٩٠/٤) وابن ماجه [١٥٦٩] [١٥٧٢] وأحمد [٩٦٨٨] وأبو يعلى [٦١٩٣].

وحديث أنس.

أخرجه أحمد [١٣٤٨٧] وأبو يعلى [٣٧٠٥] [٣٧٠٦] بسند ضعيف.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥٨/٢٤-٣٥٩).

ولابن جرير بسندِهِ عن سفيانَ

اللات والعزى

قوله: (ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ قال: كان يَلُت لهم السويق، فمات فعكفوا على قبره[(١)].

كذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس قال: «كان يلت السويق للحاج»[(٢)].

قوله: (ولابن جرير) هو الإمام الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبري، صاحب التفسير والتاريخ والأحكام وغيرها. قال ابن خزيمة: لا أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير وكان من المجتهدين لا يقلد أحدًا. وله أصحاب يتفقهون على مذهبه ويأخذون بأقواله. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة[(٣)].

قوله: (عن سفيان) الظاهر: أنه سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه إمام عابد كان مجتهدًا، وله أتباع يتفقهون على مذهبه. مات سنة إحدى وستين ومائة، وله أربع وستون سنة[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن جرير [٣٢٦١٥] [٣٢٦١٦] عن مجاهد وهو صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير [٣٢٦٢٠] بسند لا بأس به.
(٣) سبق ترجمته.
(٤) قال عنه شعبة وابن عيينة وأبو عاصم وابن معين، هو أمير المؤمنين في الحديث، وقال ابن المبارك: كتبت عن ألف شيخ هو أفضلهم.
راجع الطبقات (٦/٣٧٨) و«تهذيب الكمال» (٩/٢٧٣) والسير (٧/٣٧٥) و«تاريخ بغداد» (٩/١٦٤-١٦٥) و«البداية» (١٣/٤٨٩-٤٩٠).

عن منصورٍ عن مجاهِدٍ: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم: ١٩]، قال: كانَ يَلِتُّ لهمُ السويقَ فماتَ فعكفُوا على قبرِهِ،

قوله: (عن منصور) هو ابن المعتمر بن عبد الله السلمي ثقة ثبت فقيه. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة[١].

قوله: (عن مجاهد) هو ابن جبر بالجيم الواحدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، ثقة إمام في التفسير، أخذ عن ابن عباس وغيره رضي الله عنهم. مات سنة أربع ومائة، قاله يحي القطان، وقال ابن حبان: مات سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد، ولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضي الله عنه[٢].

قوله: (كان يلت السويق لهم فمات فعكفوا على قبره) في رواية: فيطعم من يمر من الناس. فلما مات عبدوه، وقالوا: هو اللات رواه سعيد بن منصور[٣].

ومناسبته للترجمة: أنهم غلوا فيه لصلاحه حتى عبدوه وصار قبره وثنًا من أوثان المشركين.

---

(١) هو الحافظ الثبت القدوة أبو عتاب السلمي الكوفي أحد الإعلام، كان من أوعية العلم صاحب إتقان وتأله وخير، لم يكن بالكوفة مثله.

انظر: «الطبقات» (٦/٣٣٧) و«التاريخ الكبير» (٧/١٤٩١) الكنى (٢/٧٦) الجرح (٨/٨٨٧) «الحلية» (٥/٤٠) والسير (٦/١٢٨).

(٢) مجاهد بن جبر الإمام شيخ القراء والمفسرين أبو الحجاج المكي الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات.

انظر ترجمة في «الطبقات» (٥/٤٦٦)، و«تذكرة الحفاظ» (١/٨٣) والجرح (٨/١٩٠) و«التهذيب» (١٠/٤٢) والسير (٥/٢٦٦).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر» (٦/١٥٨).

وكذلكَ قالَ أبو الجوزاء عن ابن عباس: كانَ يلت السويق للحَاجِّ.

قوله: (وكذا قال أبو الجوزاء) هو أوس بن عبد الله الربعي، بفتح الراء والباء، مات سنة ثلاث وثمانين[(١)].

قال البخاري: حدَّثنا مسلم وهو ابن إبراهيم. حدَّثنا أبو الأشهب حدَّثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس قال: كان اللَّات رجلًا يلتُّ سويق الحُجّاج[(٢)].

قال ابن خُزيمة[(٣)]: وكذا العزى، وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة، بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها، كما قال أبو سفيان يوم أُحد: «لنا العزى ولا عزى لكم»[(٤)].

(١) كان من كبار العلماء، حدث عن عائشة وابن عباس، وكان أحد العُباد الذين قاموا على الحجاج قُتل يوم الجماجم.

انظر الطبقات (٢٦٣/٧) و«التاريخ الكبير» (١٥٤٠/٢) و«الجرح» (١١٣٣/٢) و«الحلية» (٧٨/٣) و«التهذيب» (٣٨٣/١) والسير(٢١٧/٥).

(٢) أخرجه البخاري [٤٨٥٩].

(٣) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السُّلمي الملقب بإمام الأئمة، كان من أوعية العلم وبحوره وممن طاف البلدان ورحل إلى الأفاق في طلب العلم وسماع الحديث، وكان من المجتهدين في دين الإسلام توفي سنة إحدى عشرى وثلاثمائه.

انظر المنتظم (٢٣٣/١٣) والسير (٣٦٥/١٤) وتاريخ دمشق (٣٤٩/١٣) والأنساب (٢٨٦/١) و«البداية» (٩/١٥).

(٤) صحيح البخاري [٤٠٤٣].

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم زائراتِ القبورِ،

لعن الله زوارات القبور إلخ

قوله: وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» رواه أهل السنن[١].

قلت: وفي الباب حديث عن أبي هريرة وحديث حسان بن ثابت. فأما حديث أبي هريرة فرواه أحمد والترمذي وصححه[٢].

وحديث حسان أخرجه ابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه قال: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور»[٣].

وحديث ابن عباس هذا في إسناده أبو صالح مولى أم هانيء، وقد ضَعَّفَهُ بعضهم ووثَّقه بعضهم. قال عليّ بن المديني، عن يحيى القطّان: لم أر أحدًا من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هاني. وما سمعت أحدًا من الناس يقول فيه شيئًا، ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبد الله بن عثمان. قال ابن معين: ليس به بأس ولهذا أخرجه ابن السكن في «صحيحه». انتهى من «الذهب الإبريز» عن الحافظ المزي[٤].

---

(١) ضعيف.
أخرجه أحمد (٢٢٩/١) وأبو داود [٣٢٣٦] والترمذي [٣٢٠] والنسائي (٧٧/٤) وابن ماجه [١٥٧٥] عن ابن عباس وضعفه الشيخ رحمه الله في «الإرواء» [٧٦١] و«الأحكام» (ص:٢٣٥).

(٢) صحيح. أخرجه أحمد [٨٤٤٩] والطيالسي [٢٣٥٨] والترمذي [١٠٥٦] وابن ماجه [١٥٧٦] وأبو يعلى [٥٩٠٨] وابن حبان [٣١٧٨] والبيهقي (٧٨/٤) وإسناده حسن.
وله شاهد من حديث حسان الآتي تخريجه.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد (٤٤٢/٣-٤٤٣) وابن ماجه [١٥٧٤] والطبراني [٣٥٩١] والحاكم (٣٧٤/١) والبيهقي (٧٨/٤)، وصححه الشيخ في «الإرواء» [٧٦١] و«الأحكام» (ص:٢٣٥).

(٤) الحافظ المزي صاحب كتاب «تهذيب الكمال» و«تحفة الأشراف» وستأتي ترجمته وانظر ترجمة أبو صالح في «الميزان» (٣٨٢/٧) والمغني في «الضعفاء» (٧٩١/٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، وقد جاء عن النبي ﷺ من طريقين: فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور» وذكر حديث ابن عباس. ثم قال: ورجال هذا ليس رجال هذا. فلم يأخذه أحدهما عن الآخر. وليس في الإسنادين من يتهم بالكذب. ومثل هذا حجة بلا ريب. وهذا من أجود الحسن الذي شرطه الترمذي، فإنه جعل الحسن ما تعددت طرقه ولم يكن فيه متهم، ولم يكن شاذًا، أي مخالفًا لما ثبت بنقل الثقات وهذا الحديث تعددت طرقه وليس فيها متهم ولا خالفه أحد من الثقات، هذا لو كان عن صاحب واحد، فكيف إذا كان رواه عن صاحب وذاك عن آخر؟ فهذا كله يبين أن الحديث في الأصل معروف[١].

والذين رخصوا في الزيارة اعتمدوا على ما روى عن عائشة رضي الله عنها أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن وقالت: «لو شهدتك ما زرتك»[٢] وهذا يدل على أن الزيارة ليست مستحبة للنساء كما تستحب الرجال. إذ لو كان كذلك لا ستحبت زيارته سواء شهدته أم لا[٣].

قلت: فعلى هذا لا حجة فيه لمن قال بالرخصة[٤].

وهذا السياق لحديث عائشة رواه الترمذي من رواية عبد الله بن أبي مليكة عنها، وهو يخالف سياق الأثرم له عن عبد الله بن أبي مليكة أيضًا: أن عائشة رضي الله عنها

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٤/٣٥١-٣٥٢).
(٢) أخرجه الترمذي [١٠٥٥] وإسناده ضعيف.
(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٤/٣٤٥).
(٤) هذا قول الشارح وهو مردود من وجوه، وزيارة المقابر للنساء جائزة ومشروعة للأدلة الصحيحة في ذلك، وراجع أحكام الألباني.

أقبلت ذات يوم من المقابر. فقلت لها: يا أم المؤمنين، أليس نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور؟ قالت: نعم نهى عن زيارة القبور، ثم أمر بزيارتها[١].

فأجاب شيخ الإسلام رحمه الله عن هذا وقال: ولا حجة في حديث عائشة فإن المحتج عليها احتج بالنهي العام، فدفعت ذلك بأن النهي منسوخ، ولم يذكر لها المحتج النهي الخاص بالنساء الذي فيه لعنهن على الزيارة. يبين ذلك قولها قد أمر بزيارتها فهذا يبين أنه أمر بها أمرًا يقتضي الاستحباب، والاستحباب إنما هو ثابت للرجال خاصة. ولو كانت تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال ولم تقل لأخيها لما زرتك واللعن صريح في التحريم، والخطاب بالإذن في قوله فزوروها لم يتناول النساء فلا يدخلن في الحكم الناسخ، والعام إذا عرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخًا له عند جمهور العلماء، وهو مذهب الشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروف عند أصحابه، فكيف إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص؟ إذ قد يكون قوله: «لعن الله زوارات القبور»[٢] بعد إذنه للرجال في الزيارة. يدل على ذلك أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج. ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرج المنهي عنها محكم، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة وكذلك الآخر[٣].

والصحيح: أن النساء لم يدخلن في الإذن في زيارة القبور لعدة أوجه:

أحدها: أن قوله ﷺ «فزوروها» صيغة تذكير. وإنما يتناول النساء أيضًا على سبيل التغليب. لكن هذا فيه قولان، قيل: إنه يحتاج إلى دليل منفصل، وحينئذ فيحتاج تناول ذلك للنساء إلى دليل منفصل، وقيل أنه يحتمل على ذلك عند

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٧٦/١) والبيهقي (٧٨/٤) وإسناده صحيح.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) «الفتاوى» (٣٥٤/٢٤- ٣٥٥).

الإطلاق. وعلى هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة ولا ينسخها عند جمهور العلماء، ولو كان النساء داخلات في هذا الخطاب لا ستحب لهن زيارة القبور. وما علمنا أحدًا من الأئمة استحب لهن زيارة القبور، ولا كان النساء على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور[١].

ومنها، أن النبي ﷺ علّل الإذن للرجال بأن ذلك «يذكر الموت، ويرقق القلب، وتدمع العين»[٢] هكذا في مسند أحمد. ومعلوم أن المرأة إذا فتح لها هذا الباب أخرجها إلى الجزع والندب والنياحة، لما فيها من الضعف وقلة الصبر. وإذا كانت زيارة النساء مظنة وسببًا للأمور المحرمة فإنه لا يمكن أن يحد المقدار الذي لا يفضي إلى ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع، ومن أصول الشريعة: أن الحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة علّق الحكم بمظنتها. فيحرم هذا الباب سدًا للذريعة، كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة، وكما حرم الخلوة بالأجنبية وغير ذلك. وليس في ذلك من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة. فإنه ليس في ذلك إلى دعاؤها للميت وذلك ممكن في بيتها.

ومن العلماء من يقول: التشييع كذلك، ويحتج بقوله ﷺ «ارجعن مأزورات غير مأجورات، فإنكن تفتن الحي وتؤذين الميت»[٣]، وقوله لفاطمة: «أما إنك لو بلغت معهم الكدى لم تدخلي الجنة»[٤] ويؤيده ما ثبت في الصحيحين من «أنه نهى

(١) «الفتاوى» (٢٤/٣٤٤-٣٤٥).
(٢) حسن، وقد سبق.
(٣) ضعيف. أخرجه ابن ماجه [١٥٧٨] والبيهقي (٤/٧٧) وضعفه الألباني في «ضعيف الألباني» [٣٤٤].
(٤) ضعيف. أخرجه أحمد (٢/١٦٨) وأبو داود [٣١٢٣] والنسائي (٤/٢٣) وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» [٦٨٤].

النساء عن اتباع الجنائز»[1] ومعلوم أن قوله ﷺ: **«من صلى على جنازة فله قيراط ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان»**[2] وهو أدل على العموم من صيغة التذكير. فإن لفظ من يتناول الرجال والنساء باتفاق الناس، وقد علم بالأحاديث الصحيحة أن هذا العموم لم يتناول النساء لنهي النبي ﷺ لهن عن اتباع الجنائز، فإذا لم يدخلن في هذا العموم فكذلك في ذلك بطريق الأولى. انتهى ملخصًا.

قلت: ويكون الإذن في زيارة القبور مخصوصًا للرجال، خص بقوله: لعن الله زوارات القبور.... الحديث فيكون من العام المخصوص.

وعندما استدل به القائلون بالنسخ أجوبة أيضًا.

منها: أن ما ذكروه عن عائشة وفاطمة رضي الله عنهما معارض مما ورد عنهما في هذا الباب فلا يثبت به نسخ.

ومنها: أن قول الصحابي وفعله ليس حجة على الحديث بلا نزاع، وأما تعليمه عائشة كيف تقول إذا زارت القبور ونحو ذلك، فلا يدل على نسخ ما دلت عليه الأحاديث الثلاثة من لعن زائرات القبور، لاحتمال أن يكون ذلك قبل هذا النهي الأكيد والوعيد الشديد والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري [١٢٧٨] ومسلم [٩٣٨] عن حديث أم عطية، وراجع هذه المسألة في «أحكام الجنائز» للألباني (ص:٢٣٤).

(٢) أخرجه أحمد [٧١٨٨] [٩٢٠٨] والبخاري [١٣٢٣] [١٣٢٤] [١٣٢٥] ومسلم [٩٤٥] وأبو داود [٣١٦٩] والنسائي (٧٧/٤) وابن حبان [٣٠٧٨] [٣٠٧٩] عن أبي هريرة.

وفي الباب حديث ثوبان، أخرجه مسلم [٩٤٦].

وفي الباب حديث ابن عمر، أخرجه أحمد [٤٦٥٠] والبزار [٨٢٦].

وفي الباب حديث أبي سعيد، والبراء، وأُبي بن كعب وغيرهم.

قال محمد بن اسماعيل الصنعاني[1] رحمه الله في كتابه «تطهير الاعتقاد»: فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه: غالب بل كل من يُعَمِّرها هم الملوك والسَّلاطين والرؤساء والولاة، إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم أو صوفي أو فقير أو شيخ أو كبير، ويزوره الناس الذي يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ولا هتف بإسمه، بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم، فيأتي من بعدهم فيجد قبرًا قد شُيِّد عليه البناء، وسُرِجَتْ عليه الشُّموع، وفُرِش بالفراش الفاخر، وأرخيب عليه الستور، وألقيت عليه الأوراد والزهور، فيعتقد أن ذلك لنفع أو دفع ضُرٍّ، وتأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلان الضر النفع. حتى يغرسوا في جبلته كل باطل، والأمر ما ثبت في الأحاديث النبوية من لعن من أسرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها. وأحاديث ذلك واسعة معروفة فإن ذلك في نفسه منهى عنه. ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة. انتهى[2].

ومنه تعلم مطابقة الحديث للترجمة والله أعلم.

---

(١) هو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي الأمير الصنعاني، ولد بمدينة كحلان من بلاد اليمن سنة تسع وتسعين وألف من الهجرة في ١٥ جمادي الآخرة ودفن غربي منارة جامع المدرسة بأعلى صنعاء عن ثلاث وثمانين سنة.

(٢) انظر: «تطهير الاعتقاد عن درن الشرك والإلحاد» (ص:٥٣-٥٤).

والمُتخِذينَ عليها المَسَاجدَ والسُّرُجَ» رواه أهل السنن.

قوله: (والمتخذين عليها المساجد) تقدم شرحه في الباب قبله.

قوله: (السُّرُج) قال أبو محمد المقدسي: لو أُبيح اتخاذ السُّرج عليها لم يلعن من فعله، لأن فيه تضييعًا للمال في غير فائدة، وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام.

وقال ابن القيم رحمه الله: اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر(١).

قوله: (رواه أهل السنن) يعني أن أبا داود والترمذي وابن ماجه فقط ولم يروه النسائي.

---

(١) راجع كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/٢٧٨-٢٨٢).

فيه مسائل:

الأولَى- تفسيرُ الأوثانِ.

الثانية- تفسيرُ العبادةِ.

الثالثة- أنهُ ﷺ لم يَستعِذ إلا مِمَّا يخافُ وقوعَهُ.

الرابعة- قرنُه [بهذا] اتخاذَ قبورِ الأنبياءِ مساجدَ.

الخامسة- ذِكْرُ شدةَ الغضَبِ مِن الله.

السادسة- وهيَ مِن أهمِّها: معرفةُ [صفةِ عبادةِ] اللاتِ التي هيَ [مِن] أكبرِ الأوثانِ.

السابعة- معرفةُ أنهُ قبرُ رجلٍ صالحٍ.

الثامنة- أنهُ اسمُ صاحب القبرِ، وذكر معنَى التسميةِ.

التاسعة- لعنُه [زَوَّارَات] القبورِ.

العاشرة- [لعنُه] مَن أسْرَجَها.

بابُ

ما جاءَ في حمايةِ المصطفَى ﷺ جنابَ التوحيدِ، وسَدِّهِ كلَّ طريقٍ يوصلُ إلى الشركِ

وقولِ الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة:١٢٨].

باب ما جاء في حماية المصطفى إلخ

قوله: باب (ما جاء في حماية المصطفى ﷺ وسده كل طريق يوصل إلى الشرك)

الجناب: هو الجانب. والمراد حمايته عما يقرب منه أو يخالطه من الشرك وأسبابه.

قوله: : وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩].

قال ابن كثير رحمه الله: يقول الله تعالى ممتنًا على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولًا من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٤] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي منكم، كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي[1]، والمغيرة بن شعبة

---

(١) إسناده حسن.

أخرجه أحمد [١٧٤٠] والبيهقي في «الدلائل» (٢/٣٠١-٣٠٤) وأبو نعيم في «الدلائل» [١٩٤] والطبراني

لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولًا منا نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته وذكر الحديث(١).

قال سفيان بن عُيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: لم يصبه شيء في ولادة الجاهلية(٢).

وقوله: (﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه ﷺ أنه قال: «بُعثتُ بالحنيفية السمحة»(٣) وفي الصحيح: «إن هذا الدين يسر»(٤) وشريعته كلها سمحة سهلة كاملة، ميسرة على من يسّرها الله عليه.

قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علمًا» أخرجه الطبراني(٥).

[١٤٧٩] مطولًا، بإسناد حسن.

(١) أخرجه الطبراني (٢٠/٣٦٩/٨٦١) والحاكم (٣/٤٥١-٤٥٢) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/٢١٥):
رجاله رجال الصحيح.
وأخرجه الطبراني (٢٠/٤٠٦/٩٧٠) من طريق أخرى.

(٢) حسن بطرقه وشواهده انظر «غاية المرام» [٨] وقد خرجته في «السيرة».

(٣) حسن. أخرجه أحمد [٦/١١٦] والحميدي [٢٥٤] من حديث عائشة وهو سنده حسن.
وله شاهد من حديث أبي أمامه أخرجه أحمد (٥/٢٦٦) وسنده ضعيف.
وشاهد آخر من حديث ابن عباس أخرجه أحمد [٢١٠٧] وسنده حسن، كما قال الحافظ في «الفتح».

(٤) أخرجه البخاري [٣٩] [٥٦٧٣] [٦٤٦٣] [٧٢٣٥] وغيره عن أبي هريرة.

(٥) صحيح. أخرجه أحمد (٥/١٥٣) والطيالسي [٤٧٩] والبزار [١٤٧] والطبراني [١٦٤٧] وابن حبان [٦٥] وهو صحيح.

قال: وقال رسـول الله ﷺ: «ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم»[١].

وقـوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢١٦ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء:٢١٥-٢١٧] وهكـذا أمره تعالى في هذه الآية الكريمة وهي قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي عما جئتم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

قلت: فاقتضت هذه الأوصاف التي وصف بها رسول الله ﷺ في حق أُمَّتـهُ أن أنذرهـم وحذَّرهم الـشرك الذي هو أعظم الذنوب، وبين لهـم ذرائعه الموصلة إليه، وأبلغ في نهيهم عنها ومن ذلك تعظيم القبور والغلو فيها، والصلاة عندها وإليها، ونحو ذلك مما يوصل إلى عبادتها، كما تقدم، وكما سيأتي في أحاديث الباب.

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٢) بنحوه، وله شاهد من حديث أبي الدرداء كما في «المجمع» (٨/٢٦٤).



عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا،

لا تجعلوا قبري عيدًا وصلوا عليّ حيث كنتم

قوله: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»** رواه أبو داود بإسناد حسن. رواته ثقات(١).

قوله: (لا تجعلوا بيوتكم قبورًا) **قال شيخ الإسلام:** أي لا تُعَطِّلوها من الصلاة فيها والدُّعاء والقراءة، فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة في البيوت ونهى عن تحريهما عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة.

وفي «الصحيحين» عن ابن عمر مرفوعًا: **«اجعلوا من صلاتكم نصيبًا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا»**(٢) وفي صحيح مسلم عن ابن عمر مرفوعًا: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان يفر من البيت الذي يسمع سورة البقرة تقرأ فيه»**(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري [٤٣٢] [١١٨٧] ومسلم [٧٧٧] وأبو داود [١٤٤٨] والترمذي [٤٥١] وابن ماجه [١٣٧٧] وأحمد [٤٦٥٣] وابن خزيمة [١٢٠٥] والبيهقي (١٨٩/٢).

(٣) أخرجه مسلم [٧٨٠] وأحمد (٢٨٤/٢- ٣٣٧) عن أبي هريرة.

وفي الباب: حديث زيد بن خالد الجهني، أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٥/٢) وأحمد (١١٤/٤) وراجع الصحيحة [٢٤١٨].

وحديث أبي سعيد أخرجه أحمد (١٥/٣-٥٩).

ولا تجعَلوا قبرِي عيدًا، وصَلُّوا عليَّ؛ فإنَّ صلاتَكُم تبلغني حَيثُ كنتُم» رواه أبو داود بإسناد حسن رواته ثقات.

قوله: (ولا تجعلوا قبرى عيدًا) **قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:** العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائدًا إما بعود السَّنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك[1].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتياد. فإذا كان اسمًا للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة وغيرها، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيدًا للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام العيد فيها عيدًا. وكان للمشركين أعياد زمنية ومكانية. فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوضهم من أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر[2].

قوله: (وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيدًا.

قوله: (لا تجعلوا بيوتكم قبورًا) تقدم كلام شيخ الإسلام في معنى الحديث قبله اهـ

(١) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٤٤٢/١).
(٢) إغاثة اللهفان (ص:١٩٦- ١٩٧).

وعن عليِّ بن الحُسين رضي الله عنهما

قوله: (وعن علي بن الحسين رضي الله عنه: «أنه رأى رجلًا يجيء إلى فُرْجَةٍ كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا عليَّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في المختارة[(١)].

هذا الحديث والذي قبله جيدان حسنا الإسنادين.

أما الأول: فرواه أبو داود وغيره من حديث عبد الله بن نافع الصائغ قال: أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة فذكره، ورواته ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع قال فيه أبو حاتم: ليس بالحافظ، تعرف وتنكر. وقال ابن معين: هو ثقة وقال أبو زرعة: لا بأس به.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومثل هذا إذا كان لحديثه شواهد علم أنه محفوظ، وهذا له شواهد متعددة[(٢)].

وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي: هو حديث حسن جيد الإسناد، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة[(٣)].

وأما الحديث الثاني: فرواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي في «المختارة».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣/٣٧٥) والبخاري في «الكبير» (١/٢/١٨٦) وأبو يعلى [٤٦٥] والضياء في «المختارة» [٤٢٨] وإسناده فيه مجهول، لكنه يتقوى بما سبق من الأحاديث التي في معناه.

(٢) اقتضاء الصراط (٢/٦٥٩).

(٣) الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص:٣٩٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدنية وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار، لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم، فكانوا له أضبط. اهـ

وقال سعيد بن منصور في سننه، حدَّثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهل قال: رآني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند القبر، فناداني، وهو في بيت فاطمة رضي الله عنها يتعشى، فقال: هلم إلى العشاء. فقلت: لا أريده. فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ. فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ما أنتم وبني بالأندلس إلا سواء»[(1)][(2)].

---

(١) مرسل إسناده حسن.

أخرجه عبد الرزاق [٦٧٢٦] وابن أبي شيبة (٣/٣٤٥) من طريق سهيل بن أبي سهيل، به.

وسهيل هو سهل بن أبي سهل كما قال ابن أبي حاتم في الجرح (١٩٩/٤) روى عن أمه عن عائشة، وروى عنه جمع من الثقات فمثله حديثه حسن.

(٢) قال في قرة العيون: وهذا أيضًا له قرب النسب وقرب الدار؛ فنهى عن المجيء إلى القبر للدعاء عنده. فالمجيء إلى القبر للسلام عليه وتحري إجابة الدعاء ليس مما شرعه الله ورسوله لهذه الأمة. ولو كان مشروعًا لما تركه الخلفاء والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من سادات أهل البيت وأئمة التابعين، ولما أنكروا على ما فعله، وقولهم هو الحجة، وهو الذي دلت عليه الأحاديث، كحديث عائشة وحديث الباب وغيرهما، لعلم السلف بما أراده النبي ﷺ بنهيه عن الغلو؛ وخوفه مما وقع ممن غلا في الدين، واتبع غير سبيل المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾.

ولما حدث الشرك بأرباب القبور في هذه الأمة وتعظيمها وعبادتها صارت تشد الرحال إليها لقصد دعائها، والاستغاثة بها، وبذل نفيس المال تقربًا إليها وتعظيم سدنتها. فيا لها من مصيبة ما أعظمها.

وقال سعيد أيضًا: حدثنا حِبّان بن عليّ، حدَّثنا محمد عِجْلان عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني**»(١).

قال شيخ الإسلام: فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث لا سيما وقد احتج به من أرسله. وذلك يقتضي ثبوته عنده هذا لو لم يرو من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدم مسندًا(٢).

قوله: (عليّ بن الحسين) أي ابن علي بن أبي طالب، المعروف بزين العابدين رضي الله عنه، أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم. قال الزهري: ما رأيت قرشيًا أفضل منه. مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح. وأبوه الحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته، حفظ عن النبي ﷺ واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة رضي الله عنه.

نسأل الله السلامة من هذا الشرك وما يقرب منه أو يوصل إليه.

(١) أخرجه عبد الرزاق [١٥٩١٦] وإسناده معضل.

(٢) اقتضاء الصراط (٢/٦٦٥-٦٦٦).

أنهُ رَأى رجلًا يَجيءُ إلى فرجَةٍ كانَت عِندَ قبرِ النبيِّ ﷺ فيدخلُ [فيها] فيَدعُو فنهَاهُ، وقال: أحدِّثكُم حديثًا سمِعتهُ مِن أبي عَن جدِّي عَن رَسُولِ الله ﷺ قالَ: «لا تتخِذوا قبرِي عيدًا، ولا [تتخذوا] بيوتكم قبورًا،

قـوله: (أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة) بضم الفاء وسـكون الراء، وهي الكوة في الجدار والخوخة ونحوهما.

قوله: (فيدخل فيها فيدعو فنهاه) هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ما علمت أحدًا رخَّص فيه، لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدًا ويدل أيضًا على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهى عنه، لأن ذلك لم يشرع، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ لأن السـلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال: **«ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»** وكان الصحابة والتابعون ﷺ يأتون إلى مسـجد النبي ﷺ فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسـلام عليه هناك، أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم، بل نهاهم عنه في قـوله **«لا تتخـذوا قبري عيدًا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني»** فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد وكذلك السـلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد. وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليهـا من الباب، إذا كانت عائشـة رضي الله عنها فيها، وبعـد ذلك إلى أن بنى الحائـط الآخـر، وهم مـع ذلك التمكن مـن الوصـول إلى قبره لا يدخلـون عليه، لا للسلام ولا للصلاة، ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولما كان الشـيطان يطمع فيهم حتى يسـمعهم كلامًا أو سـلامًا فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم، وبيَّن لهم الأحاديث، أو أنه قد رد عليهم السـلام بصوت يسـمع من خارج،

[وصَلُّوا عليَّ]؛ فإنَّ تسليمكم يَبلغني أينَ كنتُم»

كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره[(١)] وقبر غيره، حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجًا من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج[(٢)].

والمقصود، أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلوف، وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر. كما كان ابن عمر يفعله. قال عبيد الله بن عمر عن نافع كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله. السلام عليك يا أبا بكر. السَّلام عليك يا أبتاه ثم ينصرف قال عبيد الله: «ما نعلم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر»[(٣)] وهذا يدل على أنه لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: لأن ذلك لم ينقل عن أحدٍ من الصَّحابة، فكان بدعة محضة[(٤)]. وفي «المبسوط»: قال مالك: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن يسلم ويمضي. ونص أحمد أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره[(٥)].

---

(١) ومن ذلك الحكاية المفتراة المنسوبة إلى الشيخ أحمد الرفاعي؛ وأنه طلب من النبي ﷺ مد يده ليقبلها ففعل، وخرجت اليد فقبلها. فانظر بالله كيف استطاعت شياطين الجن والإنس أن تلعب بعقول أولئك المخبولين، المحرومين من كل علم وعقل ودين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧/٣٨٦- ٣٧٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق [٦٧٢٤] بإسناد صحيح.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/٣٩٦).

(٥) كتاب المبسوط في الفقه الحنفي لمؤلفه الإمام الكبير الفقيه الأصولي النظار شمس الأئمة أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخس توفي سنة ٤٩٠هـ.

انظر «الأنساب» (٣/٢٤٤) و«الإعلام» للزركلي (٥/٣١٥) والجواهر (٢/٢٨) وكشف الظنون (٢/١٥٨٠).

وبالجملة فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر، وتنازعوا: هل يستقبله عند السلام عليه أم لا؟ وفي الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره وإلى غيره من القبور والمشاهد، لأن ذلك من اتخاذها أعيادًا. بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها. وهذه هي المسألة التي أفتى بها شيخ الإسلام رحمه الله أعني من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين ونقل فيها اختلاف العلماء، فمن مبيح لذلك. كالغزالي[1] وأبي محمد المقدسي. ومن مانع لذلك، كابن بطة[2] وابن عقيل[3]، وأبي محمد الجويني[4]، والقاضي عياض[5]. وهو قول الجمهور، نص عليه مالك ولم يخالفه

(١) الغَزَّالِي هو: محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغَزَّالِيّ، ولد سنة خمسين وأربعمائة وتفقه على إمام الحرمين وبرع في علوم كثيرة وله مصنفات في فنون متعددة، وكان من أذكياء العالم في كل ما يتكلم فيه، وله كتابه المشهور «إحياء علوم الدين» وكانوا يسمونه «إماتة علوم الدين» وألف ابن الجوزي كتابًا عليه بعنوان «إعلام الأحياء بأغاليط الإحياء» واختصر كثيرًا لكنه في نهاية حياته مات على السنة ومات سنة خمس وخمسمائة انظر: «المنتظم» (١٢٤/١٧) و«وفيات الأعيان» (٢١٦/٤) والسير (٣٢٢/١٩) والبداية (٢١٣/١٦- ٢١٥) وطبقات الشافعية (١٩١/٦).

(٢) ابن بطَّة هو: عُبيد الله بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العُكبريُّ المعروف بابن بطة أحد علماء الحنابلة وله الكتب والتصانيف الحنابِلة في فنون العلم له ترجمة حافلة بالفوائد توفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائه.
انظر: تاريخ بغداد (٣٧١/١٠) والمنتظم (٣٩٠/١٤) والسير (٥٢٩/١٦) و«طبقات الفقهاء» (ص:١٧٣) و«طبقات الحنابلة» (١٤٤/٢) و«البداية» (٤٧٣/١٥).

(٣) ابن عقيل هو: عقيل بن الإمام أبي الوفاعلي بن عقيل الحنبلي له ترجمة طيبة ومؤلفاته مباركة توفى سنة عشر وخمسمائه انظر: «المنتظم» (١٤٨/١٧) والبداية (٢٢٩/١٦).

(٤) أبو محمد الجويني هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيَّويه الشيخ أبو محمد الجويني إمام الشافعية في زمانه وهو والد إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن أبي محمد له مؤلفاته كثير نافعة توفى سنة ثمان وثلاثين وأربعمائه.
انظر: «تاريخ بغداد» (١٩٨/١٠) والمنتظم (٣٠٦/١٥) وإنباه الرواة (١٥٢/٢) و«وفيات الأعيان» (٤٧/٣) والسير (٦١٧/١٧).

(٥) القاضي عياض: هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي وهو أندلسي الأصل كان مولده في شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة ورحل في طلب العلم والحديث ودرس وألف، وتوفى بمراكش في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائه.

أحد من الأئمة، وهو الصواب. لما في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»(١). فدخل في النهي شدها لزيارة القبور والمشاهد، فإما أن يكون نهيًا، وإما أن يكون نفيًا.

وجاء في رواية بصيغة النهي، فتعين أن يكون للنهي، ولهذا فهم منه الصحابة رضي الله عنهم المنع كما في الموطأ والمسند والسنن عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري أنه قال لأبي هريرة وقد أقبل من الطور: لو أدركت قبل أن تخرج إليه لما خرجت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»(٢).

وروى الإمام أحمد وعمر بن شَبَّة في «أخبار المدينة» بإسناد جيد عن قَزَعة قال: أتيت ابن عمر فقلت: إني أريد الطور. فقال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى. فدع عنك الطور ولا تأته»(٣) فابن عمر وبصرة بن أبي بصرة جعلا الطور مما نهي عن شد الرحال إليه. لأن اللفظ الذي ذكراه فيه النهي عن شدها إلى غير الثلاثة مما يقصد به القربة، فعلم أن المستثنى

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٣٤)، والبخاري [١١٨٩] ومسلم [١٣٩٧] عن أبي هريرة.
وأخرجه البخاري [١١٩٧] ومسلم [٨٢٨] عن أبي سعيد.

(٢) صحيح الإسناد. أخرجه مالك (١/١٠٨-١٠٩) وعنه يعقوب في «المعرفة» (٢/٢٩٤) والطحاوي [٥٨١] [٥٩٠] وابن حبان [٢٧٧٢] وأحمد [٧١٦].
وإسناده صحيح.

(٣) صحيح. أخرجه مسلم (٢/٩٧٦) والنسائي في «الكبرى» [٢٧٩١] والطحاوي [٥٧٨] وأحمد [١١٤٠٩] عن قزعة عن أبي سعيد. وأخرجه ابن أبي شيبة (٤/٦٥) عن ابن عمر بسند صحيح موقوف ولم أعثر عليه في «تاريخ المدينة» لعمر بن شبة.

....

منه عام في المساجد وغيرها، وأن النهي ليس خاصًا بالمساجد، ولهذا نهيا عن شدها إلى الطور مستدلين بهذا الحديث.

والطور إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البقعة. فإن الله سَمَّاه الوادي المقدس، والبقعة المباركة وكلَّم كليمه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هناك، وهذا هو الذي عليه الأئمة الأربعة وجمهور العلماء، ومن أراد بسط القول في ذلك والجواب عما يعارضه فعليه بما كتبه شيخ الإسلام مجيبًا لابن الأخنائي[1] فيما أعترض به على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة وأخذ به العلماء وقياس الأولى. لأن المفسدة في ذلك ظاهرة.

وأما النهي عن زيارة غير المساجد الثلاثة فغاية ما فيها: أنها لا مصلحة في ذلك توجب شد الرحال، ولا مزية تدعو إليه. وقد بسط القول في ذلك الحافظ محمد بن عبد الهادي في كتاب «الصارم المنكي في رده السُّبكي»، وذكر فيه علل الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذكر هو وشيخ الإسلام رحمهما الله تعالى أنه لا يصح منها حديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن أحد من أصحابه، مع أنها لا تدل على محل النزاع. إذ ليس فيها إلا مطلق الزيارة، وذلك لا ينكره أحد بدون شد الرحال، فيحمل على الزيارة الشرعية التي ليس فيها شرك ولا بدعة.

---

(١) قاضي المالكية في عصره إلا أنه متصوفًا.

رواه في المختارة.

قوله: (رواه في المختارة) المختارة: كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة عن الصحيحين.

ومؤلفه: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي أحد الأعلام. قال الذهبي: أفنى عمره في هذا الشأن مع الدين المتين، والورع والفضيلة التامة والإتقان. فالله يرحمه ويرضى عنه[١].

وقال شيخ الإسلام: تصحيحه في مختاراته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب. مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة[٢].

---

(١) هو الحافظ ضياء الدين المقدسي صاحب، «الأحكام» محمد بن عبد الواحد بن أحمد عبد الرحمن المقدسي، وكتابه «المختارة» أفضل من المستدرك للحاكم، وكان في غاية الورع والزهادة والخير توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

انظر: السير (١٢٦/٢٣) وتذكرة الحفاظ (١٤٠٥/٤) والوافي (٦٥/٤) والبداية (٢٨٤/١٧).

(٢) انظر اقتضاء الصراط (٦٦١/٢).

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ آيةِ براءة.

الثانية- إبعادُه أمتِهِ عن هذا [الحِمَى غايةَ البُعدِ].

الثالثة- ذكرُ حرصِهِ علينا ورأفتُه ورحمتُه.

الرابعة- نهيُه عن زيارةِ قبرِهِ على وجهٍ مخصوصٍ، معَ أنَّ زيارَتَه مِن أفضلِ الأعمالِ.

الخامسةُ- نهيُه عن الإكثارِ مِن الزيارةِ.

السادسة- حَثُّهُ على النافلةِ في البيتِ.

السابعة- أنهُ متقررٌ عندَهُم أنهُ لا يُصلَّى في المقبرةِ.

الثامنة- تعليلُه ذلكَ بأنَّ صلاةَ الرجلِ وسلامَهُ عليهِ يبلُغُه وإنْ بَعُدَ، فلا حاجَةَ إلى ما يتوَهَّمُه مَن أرادَ القربَ.

التاسعة- كونُه ﷺ في البرْزَخِ تُعرَضُ [علَيْهِ] أعمالُ أمتِهِ فيه كالصَّلاةِ والسلامِ عليهِ[1].

---

(١) قلت: ليس مطلق الأعمال، وإنما الذي يُعرض عليه فقط الصلاة والسلام علي، ليس إلَّا، حتى لا يظن أحد أن جميع الأعمال تعرض عليه حتى الصلاة والسلام عليه وهذا مذهب المبتدعة، والله أعلم.

باب

ما جاءَ أنَّ بعضَ هذهِ الأمّةِ يعبدُ الأوثانَ

وقولِ الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء:٥١]،

ما جاء في أن بعض هذه الأمة يعبدون الأوثان

قوله: باب (ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان)

وقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [النساء:٥١].

«الوثن» يطلق على ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله من القبور والمشاهد وغيرها لقول الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [العنكبوت:١٧] ومع قوله: ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ [الشعراء:٧١] وقوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات:٩٥] فبذلك يعلم أن الوثن يطلق على الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله، كما تقدم في الحديث.

قول اليهود: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلًا

قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: جاء حُيّي بن أخطَب وكعبُ بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم، فأخبرونا عنا وعن محمد. فقالوا: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صُنبور، قطع أرحامنا، واتبعه سُرَّاق الحجيج من غِفار. فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خيرًا

وأهدى سبيلًا فأنزل الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾[(١)] وفي مسند أحمد عن ابن عباس نحوه[(٢)].

معنى (عبد الطاغوت) وقال الذين غلبوا على أمرهم إلخ

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الجبت السحر، والطاغوت الشيطان[(٣)] وكذلك قول ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم. وعن ابن عباس وعكرمة وأبي مالك الجبت الشيطان زاد ابن عباس: بالحبشية وعن ابن عباس أيضًا: الجبت الشرك وعنه الجبت الأصنام وعنه الجبت: حُيي بن أخطب وعن الشَّعبي الجبت الكاهن وعن مجاهد: الجبت كعب بن الأشرف قال الجوهري الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك[(٤)].

قال المصنف رحمه الله تعالى، وفيه معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها، مع بغضها ومعرفة بطلانها؟.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١، ٥٤) مرسلًا.

(٢) إسناد صحيح.

أخرجه النسائي في «تفسيره» [٧٢٧] وفي «الكبرى» [١١٧٠٧] والطبراني [٩٦٩٥] والبزار [٢٢٩٣] كشف وابن حبان [١٧٣١] موارد، والطبراني [١١٦٤٥] وإسناده صحيح.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

وقولِهِ تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة: ٦٠]،

قوله: وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة: ٦٠].

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: من لعنه الله أي أبعده من رحمته وغضب عليه أي غضبًا لا يرضى بعده أبدًا ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ وقد قال الثوري عن علقمة بن مرثد عن المغيرة بن عبد الله اليشكري عن المعرور بن سويد أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «سُئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير، أهي مما مسخ الله؟ فقال: **«إن الله لم يهلك قومًا -أو قال- لم يمسخ قومًا فجعل لهم نسلًا ولا عقبًا، وإنما القردة والخنازير كانت قبل ذلك»** رواه مسلم(١).

قال البغوي في تفسيره قل يا محمد هل أنبئكم أخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم، يعني قولهم: لم نر أهل دين أقل حظًا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينًا شرًا من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء وإن لم يكن الابتداء شرًا، لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢](٢).

---

(١) أخرجه أحمد [٣٧٠٠] [٣٩٢٥] [٤٢٥٤] والحميدي [١٢٥] وابن أبي شيبة (١٠/١٩٠-١٩١) ومسلم [٢٦٦٣] وابن أبي عاصم في «السنة» [٢٦٢] [٢٦٣] والنسائي في «الكبرى» [١٠٠٩٤] وفي «عمل اليوم» [٢٦٤] وأبو يعلى [٥٣١٣] والطحاوي في «شرح المشكل» (٤/٢٧٥).

(٢) تفسير البغوي (٢/٤٩).

وقوله: ﴿مَثُوبَةً﴾ ثوابًا وجزاء، نصب على التفسير عند الله، من لعنه الله أي هو من لعنه الله وغضب عليه يعني اليهود ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ فالقردة أصحاب السبت، والخنازير كفار مائدة عيسى.

وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت، فشبابهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير»[١].

(وعبد الطاغوت) أي وجعل منهم من عبد الطاغوت، أي أطاع الشيطان فيما سول له، وقرأ ابن مسعود (عبدوا الطاغوت) وقرأ حمزة و«عُبُد» بضم الباء، و«الطاغوت» بجر التاء أراد العبد. وهما لغتان: عَبْد بسكون الباء، وعُبُد بضمها، مثل سبْع وسبُع وقرأ الحسن و«عبد الطاغوت» على الواحد[٢].

وفي تفسير الطبري، قرأ حمزة وحده و«عبُدِ الطاغوت» بضم الباء وجر التاء، والباقون و«عبَد الطاغوت» بنصب الباء وفتح التاء. وقرأ ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب «وعُبُدَ الطاغوت» بضمن العين والباء وفتح الدال وخفض التاء، قال: وحجة حمزة في قراءته «وعُبد الطاغوت» أنه يحمله على ما عمل فيه (جعل) كأنه: وجعل منهم عبد الطاغوت. ومعنى «جعل» خلق. كقوله (وجعل الظلمات والنور) وليس عبد لفظ جمع لأنه ليس من أبنية الجموع شيء على هذا البناء، ولكنه واحد يراد به الكثرة، ألا ترى أن في الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه الأفراد ومعناه الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ ولأن بناء فعل يراد به المبالغة والكثرة نحو يَقُظ ودَنُس، وكأن تقديره: أنه ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب.

(١) تفسير البغوي (٤٩/٢) وإسناد علي عن ابن عباس فيه انقطاع.
(٢) تفسير البغوي (٤٩/٢-٥٠).

وأمـا من فتح فقال وعبـد الطاغوت فإنه عطفه على بنـاء المضي الذي في الصلة وهـو قـوله (لعنه الله) وأفرد الضمـير في عبد وإن كان المعنى فيـه الكثرة، لأن الكلام محمـول على لفظـه دون معنـاه، وفاعله ضمير «مـن» كما أن فاعـل الأمثلة المعطوف عليهـا ضمير من فأفرد لحمل ذلـك جميعًا على اللفظ. وأما قوله: (عبد الطاغوت) فهو جمع عبد.

وقـال أحمد بن يحيى: (عَبد) جمع عابد، كبازل وبزل، وشـارف وشرف، وكذلك عبد جمع عابد. ومثله عباد وعباد. اهـ[(١)].

وقال شـيخ الإسلام في قوله (وعبد الطاغوت) الصواب أنه معطوف على ماقبله من الأفعال، أي من لعنه وغضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير ومن (عبد الطاغـوت). قال: والأفعـال المتقدمة الفاعل فيها اسـم الله، مظهـرًا أو مضمرًا. وهنا الفاعل اسـم من عبد الطاغوت. وهو الضمير في (عبد) ولم يعد سـبحانه (من) لأنه جعل هذه الأفعال صفة لصنف واحد وهم اليهود[(٢)].

قوله: (أولئك شر مكانًا) مما تظنون بنا (وأضل عن سـواء السـبيل) وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر له مشارك كقوله تعالى: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٤] قاله العماد ابن كثير في تفسيره، وهو ظاهر[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (٦/٣١٦- ٣١٧).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/٤٤٥).
(٣) تفسير ابن كثير (١/٧٤).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف:٢١].

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف:٢١] والمراد أنهم فعلوا مع الفتية بعد موتهم ما يذم فاعله. لأن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**»[1] أراد تحذير أمته أن يفعلوا كفعلهم.

عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ: «لتتبعُنَّ سَنَنَ مَن كانَ قبلَكُم حَذوَ القُذةِ بالقُذةِ، حَتى لو دَخَلُوا ضَبٍّ لدَخلتُمُوهُ»

لتتبعن سنن من كان قبلكم

قوله: عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» أخرجاه وهذا سياق مسلم(١).

قوله: (سَنَنَ) بفتح المهملة أي طريق من كان قبلكم. قال المهلب: فتح أولى.

قوله: (حذو القذة بالقذة) بنصب (حذو) على المصدر. والقذة بضم القاف واحدة القذذ ومورينش السهم. أي لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه، وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الآخرى. وبهذا تظهر مناسبة الآيات للترجمة. وقد وقع كما أخبر، وهو علم من أعلام النبوة.

قوله: (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وفي حديث آخر «**حتى لو كان فيهم من يأتي أمة علانية لكان في أمتي من يفعل ذلك**»(٢) أراد صلى الله عليه وسلم أن أمته لا تدع شيئًا مما كان يفعله اليهود والنصارى إلى فعلته كله لا تترك منه شيئًا ولهذا **قال سفيان بن عيينة**: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبه من النصارى. اهـ

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي [٢٦٤١] والحاكم (١/١٢٨) بسند ضعيف.

وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الدولابي في «الكنى» (٢/٣٠) والحاكم (٤/٤٥٥).

وشواهد أخرى صحح بها الشيخ الألباني رحمه الله الحديث في الصحيحة [١٣٤٨] وصحيح الجامع [٥٠٦٧].

قالوا: يا رسولَ الله اليهودُ والنصارَى؟ قال: «فمن؟» أخرجاه.

قلت: فما أكثر الفريقين، لكن من رحمة الله تعالى ونعمته أن جعل هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة كما في حديث ثوبان الآتي قريبًا.

قوله: (قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال فمن؟) هو برفع (اليهود) خبر مبتدأ محذوف، أي أهم اليهود والنصارى الذين نتبع سننهم؟ ويجوز النصب بفعل محذوف تقديره: تعني.

قوله: (قال فمن؟) استفهام إنكاري. أي فمن هم غير أولئك؟

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

حديث ثوبان: إن الله زوى لي الأرض إلخ

قوله: (ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الله زَوَى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنَّ أُمتي سيبلغ مُلكها ما زُوي لي منها. وأُعطيت الكنزين: الأحمر، والأبيض. وإني سألت ربي لأُمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يُسلط عليهم عدوًا مِنْ سِوى أنْفُسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة بعامة. وأن لا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بإقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويُسبي بعضهم بعضًا»[1] ورواه البرقاني في صحيحه وزاد «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي، بالمشركين وحتى تعبد فِئامٌ من أُمتي الأوثان. وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»[2]. هذا الحديث رواه أبو داود في سننه وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف.

قوله: (عن ثوبان) هو مولى النبي صلى الله عليه وسلم صحبه. ولازمه. ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة أربع وخمسين[3].

(١) أخرجه مسلم [١٩٢٠].

(٢) أخرجه مطولًا ومختصرًا أحمد (٥/٢٧٨) والطيالسي [٩٩١] وابن أبي شيبة (١١/٤٥٨) ومسلم [١٩٢٠] [٢٨٨٩] وأبو داود [٤٢٥٢] والترمذي [٢١٧٦] [٢٢٠٢] [٢٢١٩] [٢٢٢٩] وابن أبي عاصم [٢٨٧] وابن حبان [٧٢٣٨] وأبو نعيم في «الدلائل» [٤٦٤] وأبو عمرو الداني في «السنن» [٣٦٠] والقضاعي في «المسند الشهاب» [١١٦٦] والبيهقي في «الدلائل» (٦/٥٢٦) والبغوي [٤٠١٥].

(٣) هو ثوبان بن بُجْدُدٍ، ويقال : ابن جَحْدر أبو عبد الله،ويقال: أبو عبد الرحمن أصله من أهل السَّراة،

«إنَّ اللهَ زوَى لِيَ الأرضَ فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها وإنَّ أمتي سيبلغُ ملكُها ما

قـوله: (زوى لي الأرض) **قال التوربشـتي:** زُويت الـشيء جمعته وقبضته، يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه إطلاعه على القريب. وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره.

قـال الطيبـي[1]: أي جمعها، حتى بصرت مـا تملكه أمتي من أقصى المشـارق والمغارب منها.

قوله: (وإن أمتي سـيبلغ ملكها ما زوى لي منها) **قال القرطبي:** هذا الخبر وجد مخبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجـة بالنـون والجيم الذي هو منتهى عمـارة المغرب، إلى أقصى المـشرق مما هو وراء خراسـان والنهر، وكثير من بلاد السـند والهند والصغد، ولم يتسـع ذلك الاتساع من جهـة الجنوب والشـمال. وذلـك لم يذكر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنـه أريه ولا أخـبر أن ملك أمته يبلغه.

مكان بين مكة واليمن ، وقيل من حمير من أهل اليمن، أصابة سِبَاءٌ في الجاهلية، فأشتراه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعتقه وخيّره إن شاء أن يرجع إلى قومه، فاختار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأقام على ولاء الرسول، ولم يفارقه حضرًا ولا سفرًا، وشهد فتح مصر ونزل حمص، قيل مات بمصر، والصحيح بحمص، سنة أربع وخمسين.

انظر: الاستيعاب (٦١٨/١) والأسد (٢٩٦/١) تاريخ دمشق (١٦٦/٢) «البداية» (٢٥٧/٨).

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حمدان الطّيبي توفى سنة أربع وعشرين وستمائه.

انظر: «الوافي» (٢٣٩/١٨) وتاريخ الإسلام «حوادث ٦٢١- ٦٣٠» (ص:١٩٨) و«طبقات السبكي» (١٧٥/٨) و«البداية» (١٦٩/١٧).

زُوِيَ لي مِنها وأعطيتُ الكَنزينِ: الأحمرَ والأبيضَ وإني سألتُ ربِّي لأمتي أن لا يُهلكها بسنةٍ بعامَّةٍ، وأن لا يُسلطَ عليهم عدوًّا مِن سِوَى أنفسِهم

قوله: (زوى لي منها) يحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل، وأن يكون مبنيًا للمفعول.

قوله: (وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض) **قال القرطبي**: عني به كنز كسرى، وهو ملك الفرس، وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما. وقد قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» وعبَّر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كالذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة. ووجد ذلك في خلافة عمر. فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر «والأبيض والأحمر» منصوبان على البدل.

قوله: (وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة) هكذا ثبت في أصل المصنف رحمه الله (بعامة) بالباء وهي رواية صحيحة في صحيح مسلم وفي بعضها بحذفها. **قال القرطبي**، وكأنها زائدة لأن (عامة): صفة السنة، والسنة الجدب الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجدب والقحط: سنة. يجمع على سنين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠] أي الجدب المتوالي.

قوله: (من سوى أنفسهم) أي من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضًا، وسبي بعضهم بعضًا، كما هو مبسوط في التاريخ فيما قيل. وفي زماننا هذا، نسأل الله العفو والعافية.

فَيَستبيحَ بيضتَهُم وإنَّ ربِّي قالَ: يا محمدُ إذا قضيتُ قضاء فإنهُ لا يُرَدّ، وإني أعطيتك لأمتك: أن لا أهلكها بسنةٍ عامةٍ وأن لا أسلطَ عليهم عدوًا مِن سوَى أنفسِهم فيستبيحَ بيضتَهُم ولو اجتمعَ عليهم من بأقطارها

قوله: (فيستبيح بيضتهم) **قال الجوهري**: بيضة كل شيء حوزته. وبيضة القوم ساحتهم، وعلى هذا فيكون معنى الحديث: إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهي جوانبها. وقيل: بيضتهم معظمهم وجماعتهم، وإن قلّوا.

قوله: (حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا) والظاهر أن حتى عاطفة، أو تكون لانتهاء الغاية، أي إن أمر الأمة ينتهي إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضًا. وقد سلط بعهضم على بعض كما هو الواقع، وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم.

قوله: (وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد) قال بعضهم: أي إذا حكمت حكمًا مبرمًا نافذًا فإنه لا يرد بشيء، ولا يقدر أحد على رده، كما قال النبي ﷺ: «ولا راد لما قضيت»[1].

---

١) جزء من حديث المغيرة بن شعبة.

أصله في البخاري [٨٤٤] [٦٣٣٠] [٦٤٧٣] [٦٦١٥] ومسلم [٥٩٣] وأبو داود [١٤٩١] [١٥٠٥] والنسائي (٣/٧٠-٧١) وابن الجارود [٢٠٦] والداري [٣٥٦] وأحمد (٤/٢٤٧و٢٥٠و٢٥١) وعبد بن حميد [٣٩٠] والطبراني (٢٠/٩٨٦) [٩٠٩] [٩١٩] وغيرهم.

وهذه الزيادة التي ذكرها المؤلف أخرجها أحمد (٤/٢٤٧) والطبراني ، دعاء [٦٨٦] وغيرهما إسناده صحيح على شرطهما.

حتى يكونَ بعضُهُم يهلكُ بعضًا ويَسبي بعضُهم بعضًا». ورواه البرقاني في «صحيحه».

قوله: (رواه البرقاني في صحيحه) هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي. ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة. قال الخطيب: كان ثبتًا ورعًا، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفًا بالفقه كثير التصانيف. صنَّف مُسندًا ضمنه ما أشتمل عليه الصحيحان. وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة.

وهذا الحديث رواه أبو داود بتمامه بسنده إلى أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله -أو قال- إن ربي زوى لي الأرض فأريت مشارق الأرض ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها. وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض. وإني سألت لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدوًا سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. وأن ربي قال لي: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم. ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها أو قال: بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضًا. وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق قال ابن عيسى: ظاهرين ثم اتفقا لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله تعالى».

وروى أبو داود أيضًا عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين عامًا قلت: أمما بقي أو مما مضى؟ قال: مما مضى»[1].

وروى في سننه أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتقارب الزمان وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشح، ويكثر الهرج»، قيل: يا رسول الله أيه هو؟ قال: «القتل القتل»[2].

(١) حسن. أخرجه أحمد [٣٧٣٠] وأبو داود [٤٢٥٤] وأبو يعلى [٥٢٨١] والطحاوي «مشكل» (٢/٢٣٦) والطيالسي [٣٨٣] والفسوى «المعرفة» (٣/٣٥٥) والحاكم (٤/٥٢١) والبيهقي «دلائل» (٦/٣٩٣) وإسناده حسن.

وانظر «الصحيحة» [٩٧٦].

(٢) أخرجه البخاري [٧٠٦١] ومسلم [١٥٧].

وزاد: «وإنما أخافُ على أمتي الأئمَّةَ المضلِّينَ، وإذا وقعَ عليهم السيفُ لم يُرفَع إلى يومِ القيامةِ ولا تقومُ الساعةُ حتى يلحقَ حيٌّ مِن أمتي بالمشركين، وحتى تعبدَ فئامٌ مِن أمتي الأوثانَ»

قوله: (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) أي الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم[1]، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب:٦٧] وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه: من كان له حاجة فليأت إلى قبري فإني أقضيها له ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب، ونحو هذا. وهذا هو الضلال البعيد، يدعو أصحابه إلى أن يعبدوه من دون الله ويسألوه ما لا يقدر عليه من قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتها، وقد قال تعالى: ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ [الحج:١٢-١٣] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٣] وقال تعالى: ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت:١٧] وأمثال هذا في القرآن كثير، يبين الله تعالى به الهدى من الضلال.

ومن هذا الضرب: من يدعي أنه يصل مع الله إلى حال تسقط فيها عنه التكاليف، ويدعي أن الأولياء يدعون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة، وأنه يطلع على اللوح المحفوظ، يعلم أسرار

(١) في قرة العيون: كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ وأمثال هذه الآيات كثير، وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: «هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب؛ وحكم الأئمة المضلين» رواه الدارمي.

الناس وما في ضمائرهم، ويجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وإيقادها بالسرج ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله. فما أكثر هذا الهذيان والكفر والمحادة لله ولكتابه ولرسوله.

إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين

وقوله ﷺ: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» أتى بإنما التي قد تأتي للحصر بيانًا لشدة خوفه على أمته من أئمة الضلال، وما وقع في خلد النبي ﷺ من ذلك إلا لما أطلعه الله عليه من غيبه أنه سيقع نظير ما في الحديث قبله من قوله: «لتتبعن سنن من كان قبلكم...» الحديث.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون» رواه أبو داود الطيالسي(١).

وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» رواه الدارمي(٢).

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد (٤٤١/٦) والطيالسي [٩٧٥] والدارمي [٢١١] وإسناده ضعيف.
وله شواهد.
منها حديث أبي ذر. أخرجه أحمد (١٤٥/٥) وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص:٢٨٥) وإسناده ضعيف.
ومنها حديث شداد بن أوس. أخرجه أحمد (١٢٣/٤) والبزار [٣٢٩١] والطبراني [١٣٣٦٩] وفيه كلام.
ومنها حديث عمر. أخرجه أحمد [٢٩٣] وإسناده ضعيف وله طريق آخر، أخرجه أحمد [١٤٣] وعبد بن حميد [١١] والبزار [٣٠٥] والبيهقي في «الشعب» [١٧٧٧] عن عمر بلفظ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليهم اللسان» وإسناده حسن.
ومنها حديث ثوبان، وقد سبق تخريجه، والحديث بشواهده يصح إن شاء الله.
(٢) سبق تخريجه.

وقد بين الله تعالى في كتابه صراطه المستقيم الذي هو سبيل المؤمنين. فكل من أحدث حدثًا ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فهو ملعون وحدثه مردود، كما قال ﷺ: **«من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا»**(١).

وقال: **«من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»**(٢).

وقال: **«كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**(٣) وهذه أحاديث صحيحة.

ومدار أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها(٤).

---

(١) أخرجه البخاري [١٨٧٠] ومسلم [١٣٧٠] عن علي بن أبي طالب.

(٢) أخرجه البخاري [٢٦٩٧] ومسلم [١٧١٨] عن عائشة.

(٣) صحيح أخرجه أحمد (١٢٦/٤) وأبو داود [٤٦٠٧] والترمذي [٢٦٧٦] وابن ماجه [٤٢] [٤٣] [٤٤] والدارمي [٩٦] وابن أبي عاصم [٢٦] [٢٨] [٢٩] [٣٣] [٤٨] [٥٥] [٥٦] [٥٩] والطبراني في «الكبير» (١٨/(٦١٧) [٦٢١] [٦٢٢] [٦٢٣] والآجري في «الشريعة» [٨٦] [٨٧] [٨٨] وابن حبان [٥] واللالكائي في «شرح الاعتقاد» [٧٩] والطحاوي في «شرح المشكل» [١١٨٥] [١١٨٦] ويعقوب في «المعرفة» (٣٤٤/٢) وابن عبد البر في «جامع العلم» (ص:٤٨٢) والحاكم (٦٧/١) والبيهقي في «الدلائل» (٥٤١/٦) والبغوي [١٠٢] من حديث العرباض بن سارية.

وقد أفاض الحافظ ابن رجب رحمه الله في الكلام على طرقه ومعانيه، ونقل كلام الحافظ أبي نعيم قال: هذا حديث جيد من صحيح الشاميين، جامع العلوم (ص:٢٤٣).

(٤) ما ذكره أبو داود في بداية السنن وما نقل عنه، وما نقله عن عبد الرحمن بن مهدي والشافعي وأحمد وجماعة من أهل العلم أن الأحاديث التي اشتملت على الدين كله أربعة، وقيل أزيد من ذلك أهمها حديث إنما الأعمال بالنيات، وحديث النعمان في «الصحيحين» الحلال بين والحرام بين، وحديث عائشة السابق «من أحدث في أمرنا» وحديث عمر المعروف بحديث جبريل، وقيل حديث «دع ما يريبك» وراجع كلام الحافظ في «الفتح» (١٨/١-٢٠).

وقد بين الله تعالى هذا الأصل في مواضع من كتابه العزيز كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣] وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الجاثية:١٨] ونظائرها في القرآن كثير.

وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر رضي الله عنه: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين رواه الدارمي[(١)].

وقال يزيد بن عمير: كان معاذ بن جبل رضي الله عنه لا يجلس مجلسًا للذكر إلا ويقول: الله حكم قسط: هلك المرتابون وفيه: فاحذروا زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قلت لمعاذ: وما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، والمنافق قد يقول كلمة الحق؟ فقال: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التي يقول: ما هذه: ولا يثنيك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع الحق، وتلق الحق إذا سمعته، فإن على الحق نورًا رواه أبو داود وغيره[(٢)].

قوله: وإذا وقع السيف لم يرفع إلى يوم القيامة وكذلك وقع. فإن السيف لما وقع بقتل عثمان رضي الله عنه لم يرفع، وكذلك يكون إلى يوم القيامة، ولكن قد يكثر تارة ويقل أخرى، ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى[(٣)].

---

(١) أخرجه الدارمي [٢٢٠] وفيه عنعنة أبي إسحاق.

(٢) أخرجه أبو داود [٤٦١١] والحاكم (٤/٤٦٠) والبيهقي (١٠/٢١٠) وإسناده صحيح.

(٣) قال في قرة العيون: وفيه ما هو حق، كقتال أهل التوحيد لأهل الشرك بالله، وجهادهم على تركهم الشرك، وقد من الله بذلك على من أقامهم في آخر هذا الزمان بالدعوة إلى توحيده، لكن أهل الشرك

قوله: (ولا تقوم بالساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين) الحي واحد الأحياء وهي القبائل: وفي رواية أبي داود: «حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين» والمعنى: أنهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام ويلحقون بأهل الشرك.

وقوله: حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان الفئام بكسر الفاء مهموز الجماعات الكبيرة، قاله أبو السعادات.

وفي رواية أبي داود: «حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان»[١].

وهذا هو شاهد الترجمة، ففيه الرد على من قال بخلافه من عُبَّاد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان. وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك والتنديد[٢]، فالتوحيد هو أعظم مطلوب والشرك هو أعظم الذنوب.

بدأوهم بالقتال، وأظهرهم الله عليهم كما لا يخفى على من تدبر آيات هذا الدين في هذه الأزمنة. اهـ

(١) سبق تخريجه.

(٢) في قرة العيون: وقد استحكمت الفتنة بعبادة الأوثان حتى إنه لا يعرف أحد في هذه القرون المتأخرة أنكر ما وقع من ذلك حتى أقام الله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الذي أنكره ونهى عنه. ودعا الناس إلى تركه وإلى أن يعبدوا الله وحده لا شريك له في ألوهيته وأسمائه وصفاته. فرماه الملوك وأتباعهم عن قوس العداوة. فأظهره الله بالحجة، وأعز أنصاره على من ناوأهم. وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها؛ ولكن من الناس منهم من عرف ومنهم من أنكر. وانتفع بدعوته الكثير من أهل نجد والحجاز وعمان وغيرها. فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة جعلنا الله لها شاكرين.

قال أبو طاهر - غفر الله لهما -: وإنما أظهره الله بتوفيق آل سعود للانضواء تحت راية التوحيد الذي دعا إليه الشيخ ابن عبد الوهاب. فكان لحديدهم مع بينات الشيخ هذا الأثر في ظهور كلمة التوحيد وقيام دولة مرهوبة الجانب لأهل التوحيد تصديقًا لقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ والله نسأل أن يديم توفيقهم ويوفق سلوك المسلمين لمثل ما وفقهم له.

وفي معنى هذا الحديث: ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: **«لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة قال: وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية»**[(١)] وروى ابن حبان عن معمر قال: إن عليه الآن بيتًا مبنيًا مغلقًا.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله في قصة هدم اللات، لما أسلمت ثقيف: فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا. وكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور، والتي اتخذت أوثانًا تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة، أو أعظم شركًا عندها وبها. فاتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القُذَّة بالقُذَّة، وغلب الشرك على أكثر النفوس، لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، وطُمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغَلَب السُّفهاء، وتفاقم الأمر، واشتدَّ البأس، وظهر الفساد، في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين[(٢)] اهـ ملخصًا.

قلت: فإذا كان هذا في القرن السابع وقبله، فما بعده أعظم فسادًا كما هو الواقع[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري [٧١١٦] ومسلم [٢٩٠٦] وقد خرجته في «النهاية في الفتن» مطولًا.

(٢) زاد المعاد (٦/٥٠٦ - ٥٠٧).

(٣) قلت: قال ذلك الشارح من نحو من خمسين عامًا، فاليوم أشد فسادًا وأكثر شركًا، وبخاصة بعد ما

وإنه سيكونُ في أمتي كذابونَ ثلاثونَ كلُّهم يزعمُ أنه نبيٌّ

سيكون في أمتي كذابون ثلاثة

وقوله: (وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي) **قال القرطبي،** وقد جاء عددهم معينًا في حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ : **«يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون، منهم أربع نسوة»** أخرجه أبو نعيم[1]. وقال: هذا حديث غريب. انتهى.

وحديث ثوبان أصح من هذا.

قال القاضي عياض، عُدَّ من تَنَبَّأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعُرف وأتَّبعه جماعة على ضلالة. فوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا[2].

وقال الحافظ، وقد ظهر مصداق ذلك في زمن رسول الله ﷺ ، فخرج مسيلمة الكذَّاب باليمامة، والأسود العنسي باليمن، وفي خلافة أبي بكر: طليحة بن خُويلد في بني أسد بن خزيمة، وسجاح في بني تميم، وقُتل الأسود قبل أن يموت النبي

أصبح الرؤوس في البلد قادة التصوف والمدافعين عن المقابر. والمشاهد ويدافعون عن باطلهم وينادون بالموالد، والله المستعان.

١) صحيح، أخرجه أحمد (٥/٣٩٦) والطبراني في «الكبير» [٣٠٢٦] وفي «الأوسط» [٥٤٤٦] والطحاوي «مشكل» [٢٩٥٣] والبزار [٢٨٨٨] وإسناده صحيح.

وله شاهد من حديث أبي هريرة دون قوله «منهم أربعة نسوة» أخرجه البخاري [٧١٢١] (ص:٢٢٣٩) [٨٤] وأحمد [٧٢٢٨].

٢) للسيد صديق حسن خان كتاب: «الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة». عد فيه أولئك الدجالين إلى زمنه؛ وعد منهم الدجال الإفرنجي الخبيث غلام أحمد القادياني الهندي قبحه الله وأخزاه، ومن اتبعه على كفره، فإنه ما قام بفتنة وادعى المهدوية ثم النبوة إلا بإيعاز ومساعدة دولة نصرانية، سياستها التفريق لجماعات المسلمين.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقُتل مُسيلمة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، قتله وحشي[1] قاتل حمزة يوم أحد، وشاركه في قتل مسيلمة يوم اليمامة رجل من الأنصار، وتاب طليحة ومات على الإسلام في زمن عمر رضي الله عنه. ونقل أن سجاح تابت أيضًا. ثم خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي وغلب على الكوفة في أول خلافة الزبير. وأظهر محبة أهل البيت ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين، فتتبعهم فقتل كثيرًا ممن باشر ذلك، وأعان عليه. فأحبه الناس، ثم ادَّعى النبوة وزعم أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتيه. ومنهم الحرث الكذَّاب خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل. وخرج في خلافة بني العباس جماعة[2].

وليس المراد بالحديث من ادَّعى النبوة مُطلقًا. فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم تنشأ دعوته عن جنون أو سوداء. وإنما المراد من قامت له شوكة وبدأ له شبهة كمن وصفنا. وقد أهلك الله تعالى من وقع له منهم ذلك وبقي منهم من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر.

---

(١) وحشي بن حرب الذي قتل خير الناس وشر الناس له صحبة وله عدة أحاديث.

(٢) انظر: «الفتح» (٦/٧١٤).

وأنا خاتمُ النبيينَ لا نبيَّ بعدِي ولا تزالُ طائفةٌ مِن أمتي على الحقِّ منصورةً لا يضرُّهُم مَن خذلهُم [ولا من خالفهم]؛

قوله: (وأنا خاتم النبيين) قال الحسن. الخاتم الذي ختم به يعني أنه آخر النبيين، كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠] وإنما ينزل عيسى ابن مريم في آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد ﷺ مصليًا إلى قبلته. فهو كأحد من أمته، بل هو أفضل هذه الأمة. قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا. فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية»[1].

الطائفة المنصورة أهل الحق

قوله: (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم قال يزيد بن هرون، وأحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟[2].

قال ابن المبارك وعلى بن المديني، وأحمد بن سنان والبخاري وغيرهم إنهم أهل الحديث»[3] وعن ابن المديني رواية هم العرب واستدل برواية من روى، هم أهل الغرب. وفسر الغرب بالدلو العظيمة، لأن العرب هم الذين يستقون بها.

قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) أخرجه البخاري [٢٢٢٢] ومسلم [١٥٥] عن أبي هريرة وقد خرجته مطولًا في «الفتن».

(٢) أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» بإسناد صحيح كما قال الحافظ في «الفتح» (٣٣٦/١٣) وقد خرجت هذه الآثار في رسالة «الباعث الحثيث في فضل أصحاب الحديث» وهو مطبوعة.

(٣) راجع «الفتح» (٣٣٦/١٣) والرسالة سابقة الذكر.

المنكر. وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولًا بأول إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله. اهـ ملخصًا مع زيادة فيه. قاله الحافظ[(١)].

قال القرطبي: وفيه دليل على أن الإجماع حجة لأن الأمة اجتمعت فقد دخل فيهم الطائفة المنصورة[(٢)].

قال المصنف رحمه الله: (وفي الآية العظيمة: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. وفيه البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية).

قلت: واحتج به الإمام أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة.

---

(١) شرح مسلم (٧/٧٧) وراجع «الفتح» (١٣/٣٣٦-٣٣٧).

(٢) المراد من الإجماع: إجماع كل من يعتد به من هذه الأمة في جميع أقطار الأرض ومعرفة ذلك غير متيسرة إلا فيما هو معلوم بالضرورة كالصلوات والصيام ونحوه، ولذلك يروى عن الشافعي وأحمد: أن من ادعى الإجماع بعد الصحابة فقد أخطأ.

حتى يأتيَ أمرُ الله تبارك وتعالى».

قوله: (حتى يأتي أمر الله) الظاهر أن المراد به ما روى من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا شرار الناس، كما روى الحاكم أن عبد الله بن عمر قال: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شر أهل الجاهلية فقال عقبة بن عامر لعبد الله: اعلم ما تقول، وأما أنا فسمعت النبي ﷺ يقول: **«لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك»** قال عبد الله: **ويبعث الله ريحًا ريحها المسك، ومَسُّها مس الحرير فلا تترك أحدًا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس فعليهم تقوم الساعة»**[(١)] وفي صحيح مسلم: **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»**[(٢)].

وعلى هذا فالمراد بقوله في حديث عقبة وما أشبهه حتى تأتيهم الساعة ساعتهم وهي وقت موتهم بهبوب الريح. ذكره الحافظ.

وقد اختلف في محل هذه الطائفة، فقال ابن بطّال: إنها تكون في بيت المقدس، كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة قيل: يا رسول الله، أين هم؟ قال: **«بيت المقدس»**[(٣)] وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: **«هم بالشام»**[(٤)] وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائمًا، بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة.

---

(١) صحيح مسلم [١٩٢٤].

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (٥/٢٦٩) والطبراني في «الكبير» [٧٦٤٣] وفي «الشاميين» [٨٦٠] وإسناده ضعيف.

(٤) أخرجه البخاري [٣٦٤١] من طريق عمير بن هانئ أنه سمع معاوية يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: **«لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله...»** الحديث، قال عمير: فقال مالك بن يخامر: قال معاذ: «وهم بالشام» فقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذًا يقول: «وهم بالشام».

....

قلت: ويشهد له الواقع وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس، فإنهم من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأصحابه في القرن السابع وأول الثامن، فإنهم كانوا في زمانهم على الحق يدعون إليه، ويناظرون عليه، ويجاهدون فيه. وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق والتمسك بالسنة. والله على كل شيء قدير.

ومما يؤيد هذا أن أهل الحق والسنة في زمن الأئمة الأربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا في محل واحد، بل هم في غالب الأمصار في الشام منهم الأئمة، وفي الحجار وفي مصر، وفي العراق واليمن، وكلهم على الحق يناضلون، ويجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفات التي صارت أعلامًا لأهل السنة، وحجة على كل مبتدع.

فعلى هذا، فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تتفرق، وقد تكون في الشام، وقد تكون في غيره، فإن حديث أبي أمامة، وقول معاذ، لا يفيد حصرها بالشام وإنما يفيد أنها تكون في الشام في مصر بعض الأزمنة لا في كلها.

وكل جملة من هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فإن كل ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث وقع كما أخبر ﷺ.

وقوله: تبارك وتعالى **قال ابن القيم:** البركة نوعان:

أحدهما: بركة هي فعلة والفعل منها بارك، ويتعدى بنفسه تارة وبأداة «على» تارة، وبأداة «في» تارة، والمفعول منها مبارك. وهو ما جعل منها كذلك، فكان مباركًا بجعله تعالى.

والنوع الثاني: بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك، ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له عز وجل، فهو سبحانه المتبارك، وعبده ورسوله المبارك، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١] فمن يبارك الله فيه وعليه فهو المبارك[1].

وأما صفة تبارك فمختصة به، كما أطلقه على نفسه في قوله: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به، لا تطلق على غيره؟ وجاءت على بناء السعة والمبالغة، كتعالى وتعاظم ونحوه، فجاء بناء (تبارك) على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذل (تبارك) دال على كمال بركته وعظمته وسعتها. وهذا معنى قول من قال من السلف تبارك تعاظم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء بكل بركة.

(١) «بدائع الفوائد» (٢/٢٠٦- ٢٠٧).

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ آيةِ النساءِ.

الثانية- تفسيرُ آيةِ المائدةِ.

[الثالثة- تفسيرُ آيةِ الكهفِ.]

الرابعة- وهيَ [مِن] أهمِّها: ما معنَى الإيمانَ بالجبتِ والطاغوتِ في هذا الموضعِ؟ هل هوَ اعتقادُ قلبٍ، أو هوَ موافقةُ أصحابِها معَ بغضِهَا ومعرفةِ بطلانِها؟.

الخامسة- قولُهم: إنَّ الكفارَ الذينَ يعرفونَ كفرَهُم أهدَى سبيلًا مِن المؤمنينَ.

السادسة- وهيَ المقصودُ بالترجمةِ؛ أنَّ هذا لا بُدَّ أنْ يوجدَ في هذهِ الأمةِ، كما تقرَّرَ في حديثِ أبي سعيدٍ.

السابعة- التصريحُ بوقوعِها، أعني [ق/ ١٦/ ب] عبادةَ الأوثانِ في هذهِ الأمةِ في جموعٍ كثيرةٍ.

الثامنة- [العَجَبُ العُجَابُ] خروجُ من يدّعِي النبوةَ، مثلَ "المختار"، معَ تكلمهِ بالشهادتينِ وتصريحِهِ بأنَّهُ مِن هذهِ الأمةِ، وأنَّ الرسولَ حَقٌّ، وأنَّ القرآنَ حَقٌّ وفيهِ أنَّ محمدًا خاتمُ النبيينَ، ومع هذا يُصَدَّقُ في هذا كلهِ مع التضادُ الواضحِ وقد خرجَ "المختارُ" في آخر عصرِ الصحابةِ، وتبعُه فئامٌ كثيرةٌ.

التاسعة- البشارةُ بأنَّ الحقَّ لا يزولُ بالكليةِ كما زالَ فيما مضَى، بل [لا] تزالُ عليهِ طائفةٌ.

العاشرة- الآيةُ العظمَى أنهم مع قلتِهم لا يضرُّهُم مَن خذلَهم ولا مَن خالَفَهم.

الحادية عشر- أنَّ ذلكَ [الشرطَ إلى قيامِ الساعةِ].

الثانية عشر- [ما] فيهِ مِن الآياتِ العظيمةِ، منها: إخبارُهُ بأنَّ اللهَ زوَي لهُ [الأرضَ فرآى] المشارقَ والمغاربَ، وأخبرَ بمعنَى ذلكَ فوقعَ كما أخبرَ، بخلافِ الجنوبِ والشمالِ، وإخبارُه بأنهُ أعطِيَ الكنزينِ.

وإخبارُه بإجابةِ دعوتِهِ لأمتهِ في الاثنتين.

وإخبارُه بأنهُ مُنعَ الثالثةَ، وإخبارُه بوقوعِ السيفِ، وأنهُ لا يرفعُ إذا وقعَ.

وإخبارُه بإهلاكِ بْعضِهم بعْضًا [وسَبي بعضِهم بعضًا]، وخوفُه على أمتهِ مِن الأئمةِ المضلينَ.

وإخبارُه بظهورِ المتنبئينِ في هذهِ الأمةِ.

وإخبارُه ببقاءِ الطائفةِ المنصورةِ. وهَذا كُلُّه وقعَ كما أخبرَ، مع أن كلَّ واحدةٍ منها أبعدَ ما يكونُ مِن العقولِ.

الثالثة عشر- حصرَ الخوفَ على أمتهِ مِن الأئمةِ المضلينَ.

الرابعة عشر- التنبيهُ على معنَى عبادةِ الأوثانِ.

بابُ

ما جاءَ في السحْر

قوله: (باب ما جاء في السحر) أي والكهانة

السحر في اللغة: عبارة عما خفي ولطُف سببه، ولهذا جاء الحديث: «إن من البيان لسحرًا»[1] وسمى السحر سحرًا لأنه يقع خفيًا آخر الليل.

قال أبو محمد المقدسي في «الكافي»: السحر عزائم ورُقً وعقد يؤثر في القلوب والأبدان؛ فيمرض ويقتل؛ ويفرق بين المرء وزوجه. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة:١٠٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن. ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه[2].

---

(١) جاء هذا الحديث عن جماعة من الصحابة:

منهم (ابن عمر) أخرجه البخاري [٥١٤٦] [٥٧٦٧] وأبو داود [٥٠٠٧] والترمذي [٢٠٢٨] وأبو يعلى [٥٦٣٩] [٥٦٤٠] وابن حبان [٥٧٩٥] وأحمد [٤٦٥١] [٥٣٣٢] [٥٢٩١] [٥٦٨٧] وأبو نعيم (٢٢٤/٣) والبغوي [٣٣٩٣].

ومنهم (ابن عباس) أخرجه أحمد [٢٤٢٤] [٢٧٦١] [٢٨١٥] [٢٨٦١] [٣٠٢٦] [٣٠٦٨] وابن ماجه [٣٧٥٦] وابن حبان [٥٧٧٨] والطبراني [١١٧٥٩] [١١٧٦٠] [١١٧٦٢] والحاكم (٦٣/٣) والبيهقي (٢٣٧/١٠) وفي «الدلائل» (٣١٧/٥).

ومنهم (عمار) أخرجه أحمد (٢٦٣/٤) ومسلم [٨٦٩].

ومنهم (ابن مسعود) أخرجه أحمد [٣٨٤٤] [٤٣٤٢] والترمذي [٢٨٤٤] وابن خزيمة [٧٨٩] وأبو يعلى [٥٣١٦] وابن حبان [٦٨٤٧] والطبراني [١٠٤١٣].

ومنهم (معن) و(عائشة) و(كعب بن مالك) و(بريدة) وهو حديث أشبه بالمتواتر.

(٢) ولقد أكثرت من النقول في معنى السحر في كتابي «إرواء الظمآن بأخبار الشيطان» وهو ما زال تحت القيد.

وعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى إنه لَيُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأنه قال لها ذات يوم: «أتاني ملكان؛ فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومَنْ طَبه؟ قال: لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة وفي جفَ طلعة ذكر في بئر ذَرْوان» رواه البخاري[1].

---

١) أخرجه الحميدي [٢٥٩] والبخاري [٥٧٦٥] [٥٧٦٦] [٦٠٦٣] [٦٣٩١] ومسلم [٢١٨٩] والنسائي في «الكبرى» [٧٦١٥] والطحاوي في «المشكل» [٥٩٣٤] وابن حبان [٦٥٨٣] [٦٥٨٤] وأبو يعلى [٤٨٨٢] والطبراني في «الأوسط» [٥٩٢٢] والطبراني [١٦٩٣] والبيهقي (١٣٥/٥) وفي «الدلائل» (٢٤٧/٦).

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة:١٠٢]،

قال: وقول الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة:١٠٢] قال ابن عباس: (من نصيب)[١].

قال قتادة: وعد علم أهل الكتاب فيما عهد إليهم: أن الساحر لا خلاق له في الآخرة[٢]. وقال الحسن: ليس له دين[٣].

فدلت الآية على تحريم السحر، وكذلك هو محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩] وقد نص أصحاب أحمد أنه يكفر بتعلمه وتعليمه. وروى عبد الرزاق عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم شيئًا من السحر قليلًا كان أو كثيرًا كان آخر عهده من الله». وهذا مرسل[٤].

واختلفوا: هل يكفر الساحر أو لا؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهم الله. قال لأصحابه: إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم [١٠٢٦] بسند ضعيف.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» [٩٩] وابن جرير [١٧٠٨] [١٧١٥] وابن أبي حاتم [١٠٢٧] [١٠٢٩] وعن جرير [١٧١٦] وابن أبي حاتم [١٠٢٨].

(٣) أخرجه عبد الرزاق [١٠٠] وابن جرير [١٧١٦] وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» [١٨٧٥٣] وهو معضل بسند ضعيف.

وقال الشافعي: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر؛ مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته كفر. اهـ[1].

وقد سمَّاه الله كفرًا بقوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان؛ فعرفا أن السحر من الكفر.

(١) لقد أكثرت من النقول في هذه المسألة في الكتاب المذكور سابقًا، وقول الشافعي في «الأم» (٢٧٠/٩).

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قال عمرُ: ﴿بِٱلْجِبْتِ﴾: السحرُ، ﴿وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾: الشيطانُ.

قال: وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ تقدم الكلام عليهما في الباب قبله. وفيه أن السحر من الجبت. قاله المصنف رحمه الله.

ما هو الجبت والطاغوت؟

قوله: قال عمر رضي الله عنه: الجبت: السحر. والطاغوت: الشيطان هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم وغيره[1].

قوله: (وقال جابر: الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد هذ الأثر رواه ابن أبي حاتم بنحوه مطولًا عن وهب بن منبه قال: سألت جابر بن عبد الله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها، فقال: إن في جهينة واحدًا، وفي أسلم واحدًا، وفي هلال واحدًا، وفي كل حي واحدًا، وهم كهان كانت تنزل عليهم الشياطين[2][3].

---

(١) علقمة البخاري (٨/٢٥١) ووصله ابن أبي حاتم في «تفسيره» [٢٦١٨] [٥٤٤٣] [٥٤٤٩] وابن جرير [٥٨٣٥] [٥٨٣٦] وإسناده ضعيف.
لكن يشهد له ما جاء عن مجاهد عند ابن جرير [٥٨٣٧] بسند صحيح، وقتادة عنده [٥٨٤٠] والسُّدي [٥٨٤١] والشعبي [٥٨٣٨] والضحاك [٥٨٣٩] وكلها مثل قول عمر.
فالأثر حسن إن شاء الله.

(٢) إسناده صحيح أخرجه ابن جرير [٥٨٤٦] عنه بسند صحيح.

(٣) الذي يستخلص من كلام السلف رضي الله عنهم: أن الطاغوت كل ما صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة لله ولرسوله. سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس، والأشجار والأحجار وغيرها. ويدخل في ذلك بلا شك: الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله، من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها. والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت. وأمثالها من كل كتاب وضعه

وقال جابرٌ: الطواغيتُ: كهَّانٌ كانَ يَنزلُ عليهم الشيطانُ في كلِّ حيٍّ واحدٍ.

قوله: (قال جابر) هو عبد الله بن حرام الأنصاري[1].

قوله: (الطواغيت كهان) أراد أن الكهان من الطواغيت: فهو من إفراد المعنى.

قوله: (كان ينزل عليهم الشيطان) أراد الجنس لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة، بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقون من السمع، فيصدقون مرة ويكذبون مائة.

قوله: (في كل حي واحد) الحي واحد الأحياء، وهم القبائل، أي في كل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه ويسألونه عن الغيب، وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبي ﷺ فأبطل الله ذلك بالإسلام وحرست السماء بكثرة الشهب.

العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ إما قصدًا أو عن غير قصد من واضعه، فهو طاغوت.

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الإمام الكبير المجتهد الحافظ من أهل بيعة الرضوان وكان آخر من شهد ليلة العقبة الثانية موتًا.

روى علمًا كثيرًا، وكان من أشد الناس حُبًا للنبي ﷺ مات سنة أربعًا وتسعين أو سبعة وتسعين وأضر بأخره، بلغ ما رواه من الأحاديث ألفًا وخمسمائة وأربعين حديثًا، اتفق الشيخان على ثمانية وخمسين حديثًا، وانفرد له البخاري بستة وعشرين حديثًا.

ومسلم بمائه وستة وعشرين حديثًا.

انظر: «الطبقات» (٥٧٤/٣) والأسد (٢٥٦/١) والأصابة (١٠٢٦/١) والسير (٢٩٥/٤) وتهذيب التهذيب (٦٧/٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبعَ الموبقاتِ» قالوا: يا رسول الله وما هنَّ؟

السبع الموبقات

قوله: وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«اجتنبوا السبع الموبقات»،** قالوا: يا رسول الله! وما هن؟ قال: **«الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»**[1].

كذا أورده المصنف غير معزو. وقد رواه البخاري ومسلم.

قوله: (اجتنبوا) أي ابعدوا، وهو أبلغ من قوله: دعوا واتركوا، لأن النهي عن القربان أبلغ، كقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

قوله: (الموبقات) بموحدة وقاف. أي المهلكات. وسميت هذه موبقات لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة من العذاب.

وفي حديث ابن عمر عند البخاري في «الأدب المفرد» والطبري في «التفسير» وعبد الرزاق مرفوعًا وموقوفًا قال: الكبائر تسع وذكر السبع المذكورة وزاد: **«والإلحاد في الحرم، وعقوق الوالدين»**[2].

(١) أخرجه البخاري [٢٧٦٦] [٥٧٦٤] [٦٨٥٧] ومسلم [٨٩] وأبو عوانة (٥٥/١) وأبو داود [٢٨٧٤] والنسائي (٢٥٧/٦) والطحاوي «مشكل» (٣٨٢/١) وابن حبان [٥٥٦١] والبيهقي (٢٤٩/٨) والبغوي [٤٥].

(٢) جاء مرفوعًا وموقوفًا.

المرفوع: أخرجه البيهقي (٤٠٩/٣) والطبري في «تفسيره» (٣٩/٥) وإسناده ضعيف.

والموقوف: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٨] والطبري في «تفسيره» (٣٩/٥) بسند صحيح، انظر «الصحيحة» [٢٨٩٨].

ولابن أبي حاتم عن علي قال: الكبائر فذكر السبع إلا مال اليتيم، وزاد العقوق، والتعرب بعد الهجرة، وفراق: الجماعة ونكث الصفقة[١].

قال الحافظ: ويحتاج عندي هذا الجواب عن الحكمة في الاقتصار على سبع.

ويجاب: بأن مفهوم العدد ليس بحجة وهو ضعيف، أو بأنه أعلم أولا بالمذكورات. ثم أعلم بما زاد، فيجب الأخذ بالزائد، أو أن الاقتصار وقع بحسب المقام بالنسبة إلى السائل.

وقد أخرج الطبراني وإسماعيل القاضي عن ابن عباس أنه قيل له: «**الكبائر سبع**» قال: «**هن أكثر من سبع وسبع**» وفي رواية «**هي إلى سبعين أقرب**»[٢] وفي رواية: «**إلى السبعمائة**»[٣].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم [٥٢١٢] بسند ضعيف.

(٢) صحيح. أخرجه عبد الرزاق [١٩٧٠٢] وابن جرير [٩٢٠٩] وابن أبي حاتم [٥٢١٦] والبيهقي في «الشعب» [٢٩٠] ورجاله ثقات وإسناده متصل.

(٣) أخرجه ابن جرير [٩٢٠٨] وابن أبي حاتم [٥٢١٧] وإسناده حسن.

قال: «الشركُ بالله، والسحرُ»

قوله: (قال الشرك بالله) هو أن يجعل لله ندًا يدعوه ويرجوه، ويخافه كما يخاف الله، بدأ به لأنه أعظم ذنب عصى الله به، كما في الصحيحين عن ابن مسعود «سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك...» الحديث[1]، وأخرج الترمذي بسنده عن صفوان بن عسال قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبي، فقال له صاحبه: لا تقل نبي، إنه لو سمعك لكان له أربع أعين. فأتيا رسول الله ﷺ فسألاه عن تسع آيات بينات، فقال النبي ﷺ: «لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تولوا للفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت». فقبلا يديه ورجليه. وقالا: نشهد أنك نبي...» الحديث[2]. وقال: حسن صحيح.

قوله: (السحر) تقدم معناه. وهذا وجه مناسبة الحديث للترجمة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (٤/٢٣٩- ٢٤٠) والطيالسي [١١٦٤] والترمذي [٢٧٣٣] والنسائي في «الكبرى» [٣٥٤١، ٨٦٥٦] وابن ماجه [٣٧٠٥] والطحاوي «مشكل» [٦٤] [٦٥] وفي «المعاني» (٣/٢١٥) والطبراني [٧٣٩٦] والطبري (١٥/١٧٣). والحاكم (١/٩) والبيهقي (٨/١٦٦) وأبو نعيم (٥/٩٧) والبغوي في «تفسيره» (٤/١٨٧) من طرق عن عبد الله بن سلمه المرادي عن صفوان، به.

وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن سلمة، وضعفه الشيخ في «ضعيف ابن ماجه» [٨٠٨].

ولبعضه شواهد.

وقتلُ النفسِ التي حرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ،

وقوله: (وقتل النفس التي حرم الله) أي حرم قتلها. وهي نفس المسلم المعصوم.

قوله: (إلا بالحق) أي بأن تفعل ما يوجب قتلها. كالشرك والنفس بالنفس، والزاني بعد الإحصان، وكذا قتل المعاهد، كما في الحديث **«من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة»**(١).

واختلف العلماء فيمن قتل مؤمنًا متعمدًا، وهل له توبة أم لا؟ فذهب ابن عباس وأبو هريرة وغيرهما إلى أنه لا توبة له، استدلالًا بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ [النساء: ٩٣] وقال ابن عباس نزلت هذه الآية وهي آخر ما نزل وما نسخها شيء وفي رواية: لقد نزلت في آخر ما نزل وما نسخها شيء حتى قبض رسول الله ﷺ وما نزل وحي(٢).

وروى في ذلك آثار تدل لما ذهب إليه هؤلاء، كما عند الإمام أحمد والنسائي وابن المنذر عن معاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا»**(٣).

---

(١) جاء من حديث ابن عمرو، وأبي بكرة، وأبي هريرة وغيرهم.

- حديث ابن عمرو: أخرجه البخاري [٣١٦٦] [٦٩١٤] والنسائي (٨/٢٥) وابن ماجه [٢٦٨٦] وأحمد [٦٧٤٥] والحاكم (٢/١٢٦).

- حديث أبي بكرة: أخرجه الطيالسي [٨٧٩] وأحمد (٥/٣٦-٣٩) وأبو داود [٢٧٦٠] والنسائي (٨/٢٤) والدارمي [٢٥٠٤] وابن الجارود [٨٣٥] [١٠٧٠] وابن حبان [٤٨٨٢] والبيهقي (٩/٢٣١) وهو صحيح.

- حديث أبي هريرة: أخرجه ابن ماجه [٢٦٨٧] والحاكم (٢/١٢٧) وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري [٤٥٠٩] ومسلم [٣٠٢٣].

(٣) صحيح أخرجه أحمد (٧/٩٩) والنسائي (٧/٨١) والطبراني (١٩/(٨٥٦) [٨٥٧] [٨٥٨] والحاكم

....

وذهب جمهور الأمة سلفًا وخلفًا إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله، فإن تاب وأناب عمل صالحًا بدل الله سيئاته حسنات، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧١] الآيات.

قوله: (ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا) قال أبو هريرة وغيره: هذا جزاؤه إن جازاه.

وقد روى عن ابن عباس ما يوافق قول الجمهور، فروى عبد بن حميد والنحاس عن سعيد بن عبادة أن ابن عباس رضي الله عنه كان يقول: «لمن قتل مؤمنًا توبة»[1] وكذلك ابن عمر رضي الله عنهما. وروى مرفوعًا «أن جزاءه جهنم إن جازاه»[2].

(٣٥١/٤) وإسناده حسن.

وله شاهد من حديث عبادة بن الصامت، وأبي الدرداء، عند أبي داود [٤٢٧٠] وابن حبان [٥٩٨٠] والحاكم (٣٥١/٤) وانظر «صحيح الجامع» [٤٥٢٤].

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» أثرًا إسناده صحيح أن رجلًا قتل ابنة عمه ثم سأل ابن عباس هل له توبة، فأشار إليه ببر أمه، فإن ذلك توبة، وهذا يعني ان ابن عباس رجع عن القول الأول، والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف.

أخرجه ابن أبي حاتم [٥٨١٩] والطبراني [٥٨١٩] والعقيلي في «الضعفاء» (٣٤٦/٣) من طريق محمد بن جامع عن العلاء بن ميمون عن الحجاج بن الأسود عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا.

وإسناده ضعيف.

محمد بن جامع ضعيف، والعلاء لا يتابع عليه، له ترجمة في «الميزان» (١٠٥/٣) وأورده الذهبي في «الميزان» وضعفه الحافظ ابن كثير (٥٣٨/١).

وأكلُ الربا، وأكلُ مالِ اليتيمِ، والتولِّي يومَ الزحفِ، وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ».

قوله: (وأكل الربا) أي تناوله بأي وجه كان، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ...﴾ [البقرة:٢٧٥-٢٨٠] الآيات. قال ابن دقيق العيد[1]: وهو مجرب لسوء الخاتمة. نعوذ بالله من ذلك.

قوله: وأكل مال اليتيم يعني التعدي فيه. وعبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠].

قوله: (والتولي يوم الزحف) أي الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال، وإنما يكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة أو غير متحرف لقتال. كما قيد به في الآية.

قوله: (وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) وهو بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسرها الحافظات فروجهن منه، والمراد بالحرائر العفيفات، والمراد رميهن بزنا أو لواط. والغافلات، أي عن الفواحش وما رمين به. فهو كناية عن البريئات. لأن الغافل بريء عما بهت به. والمؤمنات، أي بالله تعالى احترازًا من قذف الكافرات.

---

(١) هو الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ قاضي القُضاة تقي الدين دقيق العيد القُشيري المصري ولد يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة بساحل مدينة ينبع من أرض الحجاز، له مصنفات عديدة فريدة مفيدة، وانتهت إليه رياسة العلم في زمانه توفي يوم الجمعة حادي عشر شهر صفر وصُلي عليه يوم الجمعة، سنة اثنين وسبعمائة.
تذكرة الحفاظ (٤/١٤٨١) الوافي (٤/١٩٣) والطبقات للسبكي (٩/٢٠٧) والبداية (١٨/٣٠).

وعن جُندَب مرفوعًا:

حد الساحر ضربه بالسيف

قوله: (وعن جندب) مرفوعًا «حد الساحر ضربه بالسيف» رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف(١).

قوله: (عن جندب) ظاهر صنيع الطبراني في الكبير أنه جندب بن عبد الله البجلي. لا جندب الخير الأزدي قاتل الساحر فإنه رواه في ترجمة جندب البجلي من طريق خالد العبد عن الحسن عن جندب عن النبي ﷺ. وخالد العبد ضعيف(٢).

قال الحافظ: والصواب أنه غيره. وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير: «أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات». وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره وجندب الخير هو جندب بن كعب، وقيل: جندب بن زهير(٣)، وقيل: هما واحد، كما قال ابن حبان: أبو عبد الله

---

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه الترمذي [١٤٦٠] وفي «العلل» [٢٣٧] والدارقطني(٣١٧٩/٢) وابن عدي في «الكامل» (٢٨٥/١) والبيهقي (١٣٦/٨) من طريق إسماعيل بن مسلم المكي عن الحسن عن جندب.

وإسناده ضعيف لأجل إسماعيل هذا.

وضعفه الحافظ في «الفتح» (٢٤٧/١٠) والألباني في «الضعيفة» [١٤٤٦] وقال الذهبي في «الكبائر» الصحيح أنه موقوف.

وكذلك ابن القيم في «الزاد» (٦٢/٥).

(٢) له ترجمة في «الميزان» (٦٤٩/١) واللسان (٣٩٣/٢) وقال الذهبي كذَّبه الفلاس، وتركه غير واحد، وقال ابن حبان كان يسرق الحديث.

(٣) جندب بن عبد الله بن سفيان الإمام أبو عبد الله البجلي له ترجمة في «السير» (٢٨٦/٤) وفرق بينه وبين الآتي الذهبي فأفرد لكل واحد منهما ترجمة.

وانظر «الطبقات» [٣٥/٦] و«التاريخ الكبير» (٢٢٦٦/٢) والجرح (٢١٥٢/٢) والاستيعاب (٣٥٦/١) وتاريخ بغداد (٢٤٩/٧) والأسد (٣٠٤/١) والإصابة (١٢٢٣/١) والتهذيب (١٨٨/٢).

«حَدُّ الساحرِ؛ ضربةٌ بالسيفِ» رواهُ الترمذيُّ، وقال: الصحيح أنه موقوفٌ.

الأزدي الغامدي صحابي روى ابن السكن من حديث بريدة أن النبي ﷺ قال: «يضرب ضربة واحدة فيكون أمة واحدة».

قوله: (حد الساحر ضربه بالسيف) وروى بالهاء وبالتاء، وكلاهما صحيح.

وبهذا الحديث أخذ مالك وأحمد وأبو حنيفة فقالوا: يقتل الساحر. وروى ذلك عن عمر، وعثمان، وابن عمر، وحفصة، وجندب بن عبد الله، وجندب بن كعب، وقيس ابن سعد، وعمر بن عبد العزيز، ولم ير الشافعي القتل عليه بمجرد السحر إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر. وبه قال ابن المنذر وهو رواية عن أحمد. والأول أولى للحديث ولأثر عمر، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير.

قال: (وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال فقتلنا ثلاث سواحر)(١).

هذا الأثر رواه البخاري كما قال المصنف رحمه الله، لكن لم يذكر قتل السواحر.

أما جندب الأزدي قال الذهبي: فذاك جندب بن عبد الله السابق ويقال: جندب بن كعب أبو عبد الله الأزدي ويقال جندب الخير وهو الذي قتل المشعوذ (الساحر) وذكر الأثر الذهبي في ترجمته (٢٨٧/٤).
وانظر: «الأسد» (٣٠٥/١) والإصابة (١٢٢٧/١) والتهذيب (١٩٠/٢).

(١) أصله في «صحيح البخاري» (٣١٥٦/٦) بدون قتل السواحر.
وأخرجه أبو داود [٣٠٤٣] وأحمد (١٩٠/١) والشافعي في «المسند» (٢٩٠/٢) وعبد الرزاق [٩٩٧٢] [١٨٧٤٥] [١٨٧٤٦] [١٨٧٥٦] وابن أبي شيبة (٥٨٤/٧) وأبو يعلى (٨٦٠- ٨٦١) والدارقطني (٢١٢٢/١) وابن عبد البر في «الاستذكار» (٣٧٩٤٢/٢٥) وأبو يوسف في «الأموال» [٧٧] والبيهقي (١٣٦/٨) وهو صحيح.

وفي صحيح البخاري عن بجالةَ بنِ عبدةٍ قال: «كتبَ عمرُ بن الخطابِ أنِ اقتلُوا كلَّ ساحرٍ وساحرةٍ»، قال: «فقتلنا ثلاثَ سواحِرَ».

وصَحَّ عن حفصةَ رضي الله عنها: أنها أمرت بقتل جاريةٍ لها سحرَتْها، فقُتِلَت، وكذلكَ صحَّ عن جندبٍ.

قوله: (عن بجالة) بفتح الموحدة بعدها جيم، ابن عبدة بفتحتين، التميمي العنبري بصرى ثقة.

قوله: (كتب إلينا عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة) وظاهره أنه يقتل من غير استتابة. وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك، لأن علم السحر لا يزول بالتوبة. وعن أحمد يستتاب، فإن تاب قبلت توبته، وبه قال الشافعي لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك، والمشرك يستتاب وتقبل توبته ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم.

قوله: (وصح عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت)[1].

هذا الأثر وراه مالك في الموطأ.

وحفصة هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد خينس بن حذافة وماتت سنة خمس وأربعين.

قوله: (وكذلك صح عن جندب) أشار المصنف بهذا إلى قتلة الساحر كما رواه البخاري في «تاريخه» عن أبي عثمان النهدي قال: كان عند الوليد رجل يلعب فذبح

---

(١) رواه مالك [٦٦٣].

وأخرجه ابن أبي شيبة (٥٨٣/٦) وعبد الرزاق [١٨٧٤٧] والطبراني في «الكبيرة» (١٨٧/٢٣) وهو صحيح.

[قاله] أحمدُ: عن ثلاثةٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ.

إنسانًا وأبان رأسه فعجبنا، فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدى فقتله ورواه البيهقي في الدلائل مطولًا. وفيه فأمر به الوليد فسجن فذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة[(١)].

قوله: (قال أحمد عن ثلاث من أصحاب النبي ﷺ) أحمد هو الإمام ابن محمد بن حنبل.

قوله: (عن ثلاثة) أي صح قتل الساحر عن ثلاثة، أو جاء قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ، يعني عمر، وحفصة، وجندبًا. والله أعلم.

(١) صحيح.
أخرجه البخاري في «الكبير» (٢٢٦٨/٢) والدارقطني (٣١٨٠/٢) والحكم (٣٦١/٤) والبيهقي (١٣٦/٨) وابن عساكر في «تاريخه» (٣٠٩/١١- ٣٠٣) وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢٢٥٩/١- ٢٢٦).

فيهِ مسائلُ:

الأولى- تفسيرُ آيةِ البقرةِ.

الثانية- تفسيرُ آيةِ النساءِ.

الثالثة- تفسيرُ الجبْتِ والطاغوتِ، والفرْقُ بينَهُما.

الرابعة- أنَّ الطاغوتَ قد يكونُ مِن الجنِّ، وقد يكونُ مِن الإنسِ.

الخامسة- معرفةُ السبعِ الموبقاتِ المخصوصاتِ بالنهيِ.

السادسة- أنَّ الساحرَ يَكفُرُ.

السابعة- أنهُ يقتلُ ولا يُستتاب.

الثامنة- وجودُ هذا في المسلمينَ على عهدِ عمرَ، فكيفَ بعدهِ؟

بابُ

بيانِ شيءٍ مِن أنواعِ السحر

باب بيان شيء من أنواع السحر

قوله: باب (بيان شيء من أنواع السحر)

قلت: ذكر الشارح رحمه الله تعالى ها هنا شيئًا من الخوارق وكرامات الأولياء وذكر ما اغتر به كثير من الناس من الأحوال الشيطانية التي غرت كثيرًا من العوام والجهال، وظنوا أنها تدل على ولاية من جرت على يديه ممن هو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن ثم قال: ولشيخ الإسلام كتاب (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان) فراجعه. انتهى.

قال رحمه الله تعالى (قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا عوف عن حَيَّان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: «إن العيافة، والطرق، والطيرة من الجبت» قال عوف: العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط في الأرض، والجبت: قال الحسن رنة الشيطان إسناده جيد[1]. ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه: المسند منه).

---

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد [٢٠٦٠٤] من طريق محمد و[٢٠٦٠٣] من طريق روح، و[١٥٩١٥] من طريق يحيى بن سعيد، الثلاثة عن عوف بهذا الإسناد.

وإسناده ضعيف، حيان غير منسوب وإن نسبه المؤلف، فمرة يقال حيان بن العلاء، وقيل: أبو العلاء. وقيل: ابن عمير، وقيل: ابن مخارق، وهو مجهول الحال، ومدار الحديث عليه.

وقد رواه جمع من طريقه، فرواه عبد الرزاق [١٩٥٠٢] وابن سعد (٣٥/٧) وابن أبي شيبة (٤٢/٩- ٤٣) والنسائي في «الكبرى» [١١١٠٨] وفي «التفسير» [١٢٨] وأبو داود [٣٩٠٧] والدولابي في «الكنى» (٨٦/١)

قال أحمدُ: حدثنا محمدُ بن جعفرٌ حدثنا عوفٌ عن حيانَ بن العلاءِ، حدثنا قَطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال: «إنَّ العيافةَ، والطرقَ، والطيرةَ؛ مِنَ الجبتِ».

قوله: (قال أحمد) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

ومحمد بن جعفر هو المشهور بغندر الهذلي البصري، ثقة مشهور، مات سنة ست ومائتين.

وعوف هو ابن أبي جميلة بفتح الجيم العبدي البصري، المعروف بعوف الأعرابي، ثقة مات سنة ست أو سبع وأربعين، وله ست وثمانون سنة.

وحيان بن العلاء هو بالتحتية، ويقال حيان بن مخارق، أبو العلاء البصري، مقبول.

وقطن، بفتحتين أبو سهل البصري صدوق.

قوله: (عن أبيه) هو قبيصة بفتح أوله ابن مخارق بضم الميم أبو عبد الله الهلالي صحابي، نزل البصرة.

قوله: (إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت) قال عوف: العيافة زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادات العرب، وكثير من أشعارهم، يقال: عاف يعيف عيفًا، إذا زجر وحدس وظن.

والطحاوي «معاني» (٤/٣١٢) وابن حبان [٦١٣١] والطبراني (١٨/(٩٤١) [٩٤٢] [٩٤٣] [٩٤٤] [٩٤٥] والخطيب في «تاريخه» (١٠/٤٢٥) والبيهقي (٨/٣٩) والبغوي [٣٢٥٦].

قال [ق/ ١٧/ ب] عوفٌ: العيافةُ؛ زجرُ الطيرِ، والطرقُ؛ الخَطُّ يُخَطُّ [في الأرْضِ]، والجبت؛ قال الحسن: رنةُّ الشيطانِ، (إسنادُه جيدٌ،

قوله: (والطرق الخط يخط الأرض) كذا فسره عوف، وهو كذلك.

وقال أبو السعادات: هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء. وأما الطيرة فيأتي الكلام عليها في بابها إن شاء الله تعالى.

قوله: (من الجبت) أي السحر. قال القاضي: والجبت في الأصل الفشل الذي لا خير فيه، ثم استعير لما يعبد من دون الله، وللساحر والسحر.

قوله: (قال الحسن: رنة الشيطان) قلت: ذكر إبراهيم بن محمد بن مفلح أن في تفسير بقي بن مخلد أن إبليس رن أربع رنات: رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب[١].

قال سعيد بن جبير: لما لعن الله تعالى إبليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة، ورن رنة، فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة. رواه ابن أبي حاتم[٢].

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده[٣]. رواه الحافظ الضياء في المختارة: الرنين الصوت. وقد رن يرن رنينًا، وبهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه الله تعالى.

---

(١) ذكره ابن مفلح في «مصائب الإنسان» (صـ٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» [٣٣] وأبو الشيخ في «العظمة» [١١٣٣].

(٣) أخرجه الطبراني [١٢٣١٨] والضياء في «المختارة» [١٠١] وقال الهيثمي في «المجمع» (١٣/٣): رجاله موثقون.

ولأبي داودَ والنسائيِّ وابنِ حبانَ في صحيحهِ، المسند منه).

قوله: (ولأبي داود وابن حبان في صحيحه: المسند منه) ولم يذكر التفسير التي فسره به عوف. وقد رواه أبو داود بالتفسير المذكور بدون كلام الحسن.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن اقتبَسَ شعبةً مِن النجوم؛ فقد اقتبسَ شعبةً مِنَ السحرِ زادَ ما زادَ» [رواه أبو داود،

من اقتبس شعبة من النجوم

قوله: (وعن أبي عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**» رواه أبو داود بإسناد صحيح)(١) وكذا صححه النووي والذهبي ورواه أحمد وابن ماجه.

قوله: (من اقتبس) قال أبو السعادات: قبست العلم واقتبسته إذا علمته اهـ(٢).

قوله: (شعبة) أي طائفة من النجوم علم. والشعبة الطائفة. ومنه الحديث «**الحياء شعبة من الإيمان**»(٣) أي جزء منه.

قوله: (فقد اقتبس شعبة من السحر) المحرم تعلمه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: فقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن علم النجوم من السحر، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

(١) صحيح. أخرجه أحمد [٢٠٠٠] [٢٨٤٠] وعبد بن حميد [٧١٤] وابن أبي شيبة (٨/٦٠٢) وأبو داود [٣٩٠٥] وابن ماجه [٣٧٢٦] والطبراني [١١٢٧٨] والبيهقي في «الشعب» [٥١٩٧] وصححه الشيخ في «الصحيحة» [٧٩٣].

(٢) أصله مأخوذ من القبس، وهو القليل من النار ليستدفئ به. قال موسى لأهله: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾.

(٣) أخرجه البخاري [٩] ومسلم [٣٥] والنسائي (٨/١١٠) وابن ماجه [٧٥].

بإسنادٍ صحيحٍ].

قـوله: زاد ما زاد من تعلم علم النجوم زاد في الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس[١] من شعبه، فإن ما يعتقده في النجوم من التأثير باطل، كما أن تأثير السحر باطل[٢].

(١) الوعيد لمن يتعلم منه ما يؤذي إلى الكفر كادعاء علم الغيب كما في كتيب ينسب إلى أبي معشر وهو شائع بين السحرة الذين يتسمون بأسماء إسلامية يغرون به النساء وضعفة العقول. وقد تسمى الشياطين وإخوانهم من سحرة هذا الزمان في البلاد المتمدنة؛ فاخترعوا أسماء للسحر جديدة وصيغ كذلك، مثل اسم التنويم المغناطيسي ومناجاة الأرواح واستحضارها بأنواع من الحيل والتعريج المتمدنة أيضًا.

(٢) علم النجوم علمان: علم يعرف به سيرها ومدارها ومنازلها وأبعادها وأحجامها. وهذا علم الفلك لا بأس بتعلمه والعمل به. وعلم يعرف بالعلم الروحاني، يزعمون أنه معرفة روحانية النجوم والكواكب وتأثيرها في الأرض ومن عليها بالأمراض والحروب الضيق والسعة والموت والحياة؛ والسعادة والشقاء بين الزوجين إذا عقد قرانهما عند اقتران كذا من النجوم والكواكب بكذا. ولهم في ذلك ما يسمونه بالطالع، ويعملون جدولًا بالحوادث التي ستحدث في العام كله من حوادث عامة وخاصة. وهذا هو الدجل والكذب. وهو النوع من السحر واستخدام الشياطين والقول على الله بلا علم.

وللنسائيِّ من حديثِ أبي هريرة [مرفوعًا]: «مَن عقدَ عُقدةً ثمَّ نَفَثَ فيها؛ فقد سَحَرَ،

من سحر فقد أشرك

قوله: وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **«من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر. ومن سحر فقد أشرك. ومن تعلق شيئًا وكل إليه»** هذا حديث ذكره المصنف من حديث أبي هريرة وعزاه للنسائي. وقد رواه النسائي مرفوعًا وحسنه ابن مفلح(١).

قوله: وللنسائي هو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن صاحب السنن وغيرها. وروى عن محمد بن المثنى وابن بشار وقتيبة وخلق، وكان إليه المنتهي في العلم بعلل الحديث، مات سنة ثلاث وثلثمائة، وله ثمان وثمانون سنة رحمه الله تعالى(٢).

قوله: (من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر) اعلم أن السحرة إذا أرادوا عمل سحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقدة، حتى ينعقد ما يريدون من السحر، قال الله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾ يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك، والنفث هو النفخ مع الريق، وهو دون التفل. والنفث فعل الساحر، فإذا تكيفت

---

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه النسائي (١٠٣/٧) وفي «الكبرى» [٣٥٤٢] والطبراني في «الأوسط» [١٤٩٢] وابن عدي في «الكامل» (٣٤٢/٤) من طريق: عباد بن ميسرة، عن الحسن عن أبي هريرة.

وإسناده ضعيف وفيه انقطاع.

عباد بن ميسرة ضعيف، والحسن لم يسمع من أبي هريرة.

وأخرجه عبد الرزاق [١٩٧٧٢] من طريق أبان عن الحسن يرفع الحديث.

وهو مرسل إسناده ضعيف.

(٢) من مؤلفاته «السنن الكبرى» والمجتبى الذي اختصره ابن السني من السنن الكبرى، وعمل اليوم والليلة، وخصائص علي بن أبي طالب، وفضائل الصحابة، وكلها بحمد الله مطبوعة.

....

نفسه بالخبث والشر الذي يريده المسحور ويستعين عليه بالأرواح الخبيثة نفخ في تلك العقيدة نفخًا معه ريق. فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقارن للريق الممازج لذلك، وقد يتساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور فيصيبه بإذن الله الكونى القدرى لا الشرعي، قاله ابن القيم رحمه الله تعالى.

ومَن سَحَرَ؛ فقد أشرَكَ، ومَن تعلقَ شيئًا؛ وكِلَ إليهِ».

قوله: (ومن سحر فقد أشرك) نصٌّ في أن السَّاحر مشرك، إذا لا يتأتى السحر بدون الشرك كما حكاه الحافظ عن بعضهم.

قوله: (ومن تعلَّق شيئًا وكل إليه) أي من تعلَّق قلبه شيئًا: بحيث يعتمد عليه ويرجوه وكله الله إلى ذلك الشيء[1]. فمن تعلق على ربه وإلهه وسيده ومولاه رب كل شيء ومليكه، كفاه ووقاه وحفظه وتولاه. فنعم المولى ونعم النصير. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦] ومن تعلق على السحرة والشياطين وغيرهم من المخلوقين وكله الله إلى من تعلق فهلك. ومن تأمل ذلك في أحوال الخلق ونظر بعين البصيرة رآى ذلك عيانًا، وهذا من جوامع الكلم. والله أعلم.

(١) ومن قصر تعلق قلبه على الله وحده كفاه كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ وقال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وهذا التعلق هو روح الإيمان وخلاصة التوحيد، فمن تعلق قلبه بغير الله يرجوه في دفع ضر أو جلب نفع فقد أشرك بالله أعظم الشرك.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا هل أنبئكم ما العَضْهُ؟ هيَ النميمةُ:

قال: (وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس» رواه مسلم[(١)].

قوله: (ألا هل أنبئكم) أخبركم و(العضه) بفتح المهملة وسكون المعجمة، قال أبو السعادات: هكذا يروي في كتب الحديث. والذي في كتب الغريب «ألا أنبئكم ما العِضَه» بكسر العين وفتح الضاد.

قال الزمخشري[(٢)]: أصلها العضهة فعلة من العضة وهو البهت. فحذفت لامه كما حذفت من السنة والشفة، وتجمع على عضين ثمن فسره بقوله: «هي النميمة القالة بين» فأطلق عليها «العضه» لأنها لا تنفك من الكذب والبهتان غالبًا. ذكره القرطبي.

وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة.

وقال أبو الخطاب في «عيون المسائل»: ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس.

---

(١) خرجه مسلم [٢٦٠٦] والدارمي (٣٠٠/٢) والطحاوي «مشكل» (١٣٨/٣) والطبراني [٨٥١٨] وأبو يعلى [٥٣٦٣] وابن أبي الدنيا في «الغيبة» [١١٩] وفي الصمت [٢٥٦] والبيهقي (٢٤٦/١٠).

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم الزمخشري صاحب «الكشاف» في «التفسير» و«المفصل» في النحو، والفائق، وغيرها من المصنفات، وكان رأسًا في الاعتزال وكان يصرح بذلك في تفسيره، لأجل هذا فليس لأي أحد أن يقرأ في تفسيره إلا إذا كان علمًا بمذهب الرجل لأنه بليغ جدًا وصاحب لسن لكنه استعمله في «الاعتزال».

توفي عن ست وسبعين، عام ثمان وثلاثين وخمسمائة انظر: «المنتظم» (٣٧/١٨) و«معجم الأدباء» (١٢٦/١٩) والكامل (٩٧/١١) والسير (١٥١/٢٠) والبداية (٢٣٥/١٦).

القالَةُ بينَ الناسِ» رواه مسلم،

قال في «الفروع»: ووجهه أن يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة، أشبه السحر، وهذا يعرف بالعرف والعادة أنه يؤثر وينتج ما يعمله السحر، أو أكثر فيعطى حكمه تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين. لكن يقال: الساحر إنما يكفر لوصف السحر وهو أمر خاص ودليله خاص، وهذا ليس بساحر. وإنما يؤثر عمله ما يؤثره فيعطي حكمه إلا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة. انتهى ملخصًا.

وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة. وهو يدل على تحريم النميمة، وهو مجمع عليه قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة. وفيه دليل على أنها من الكبائر.

قوله: (القالة بين الناس) **قال أبو السعادات**: أي كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس ومنه الحديث: «**فشت القالة بين الناس**»[1].

(١) أخرجه البخاري [٢٥٠٥] [٢٥٠٦] من حديث جابر وابن عباس.

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا».

إن من البيان لسحرا

قال: (ولهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إن من البيان لسحر»**[1] البيان البلاغة والفصاحة.

قال صعصعة بن صوحان: «صدق نبي الله، فإن الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق.

وقال ابن عبد البر، تأوله طائفة على الذم. لأن السحر مذموم، وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح. لأن الله تعالى مدح البيان.

قال: وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة فأعجبه قوله. قال: هذا والله السحر الحلال انتهى. والأول أصح والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس، كما قال بعضهم:

في زخرف القول تزيين لباطله ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

مأخوذ من قول الشاعر:

تقول: هذا مجاج النحل، تمدحه ... وإن تشأ قلت: ذا قيء الزنابير
مدحًا وذمًا، وما جاوزت وصفهما ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

قوله: (إن من البيان لسحرًا) هذا من التشبيه البليغ، لكون ذلك يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل، والباطل في قالب الحق. فيستميل به قلوب

---

(١) سبق تخريجه.

الجهال، حتى يقبلوا الباطل وينكروا الحق، ونسأل الله الثبات والاستقامة على الهدى.

وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره، ويبطل الباطل ويبينه. فهذا هو الممدوح. وهكذا حال الرسل وأتباعهم، ولهذا عَلّت مراتبهم في الفضائل وعظمت حسناتهم.

وبالجملة فالبيان لا يحمد إلا إذا لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب، وتغطية الحق، وتحسين الباطل. فإذا خرج إلى هذا فهو مذموم. وعلى هذا تدل الأحاديث كحديث الباب وحديث «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها» رواه أحمد وأبو داود[1].

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وانظر: «الصحيحة» [٨٨٠] و«صحيح الجامع» [١٨٧٥].

فيه مسائل:

الأولى- أنَّ العيافةَ والطرقَ والطيرةَ مِن الجِبْتِ.

الثانية- تفسيرُ العيافةِ والطرقِ.

الثالثة- أن علمَ النجومِ نوعٌ مِن السحرِ.

الرابعة- [أن] العقدَ مع النفثِ مِن ذلكَ.

الخامسة- أن النميمةَ مِن ذلكَ.

السادسة- أن مِن ذلكَ بعضُ الفصاحةِ.

باب
ما جاء في الكهان ونحوهم

باب ما جاء في الكهانة

قوله: (باب ما جاء في الكهان ونحوهم)

«الكاهن» هو الذي يأخذ عن مسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثيرًا. وأما بعد المبعث فإنهم قليل[١]. لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب. وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار، فيظنه الجاهل كشفًا وكرامة[٢]، وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن وليًا لله. وهو من أولياء الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ

---

(١) قلت: نعم، قليل في بلاد نجد والحجاز وفي زمن الشارح، أما عندنا فاصبح في كل قرية وكل نجع من أربعة إلى عشرة من الكهنة والعرافين، ويزيد في بعض المناطق، ومع كثرة البطالة كثرة الكهنة واشتشرى أمرهم، وتغولوا في البلاد، وأكثر الكهنة والسحرة بين أركان الكنائس والأديرة، وأصبحت الكهانة لها دور في حياة النصارى مهم، وضروري، وأصبح السحر هو الوسيلة التي تستخدم للتبشير والتنصير في مجتمع المسلمين، وأصبح السحر يوزع على المنازل من أرباب الصليب حتى لم يعد بيت إلا وفيه مسحور أو مسحورة، إن لم يكن أكثر، والله أعلم.

(٢) والواقع أن ذلك من تآلف روح الشيطان القرين مع روح قرينه الإنسان الخبيث فيتناجيان ويتكلم الشيطان مع قرينه بما يحب من الأخبار التي يتلقاها الشيطان عن الشيطان الآخر قرين الإنسان الآخر. وهكذا فإن لكل إنسان قرينًا من الشيطان كما جاء ذلك في القرآن والسنة. فيخبر شيطان الإنس بما أوحى إليه شيطان الجن من أخبار السائل وأحواله في منزله وخصوصية نفسه مما ألقاه إليه الشيطان القرين، فيظن الجهلة والمغفلون أن ذلك عن ضلال وتقوى وكرامات؛ وأنه بصلاحه قد كشف الحجاب عنه. وهذا من أضل الضلال ومن أعظم الخذلان وإن اعتقده وخدع به كثير ممن ينتسب إلى ظاهر العلم والصلاح.

....

بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٢٨].

روى مسلمٌ في صحيحةِ، عن بعض أزواج النبي ﷺ ورضي الله عنهن، عن النبي ﷺ قال: «مَن أتى عرَّافًا فسألهُ عَن شيء، فصَدقهُ؛ لم تُقبَل لهُ صَلاةٌ أربَعينَ يَومًا».

من أتى عرافًا فصدقه لا تقبل له صلاة

قوله: روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من أتى عرافًا فسأله عن شيء، فصدقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يومًا»**[(١)].

قوله: (عن بعض أزواج النبي ﷺ) هي حفصة، ذكره أبو مسعود الثقفي. لأنه ذكر هذا الحديث في الأطراف في مسندها.

قوله: (من أتى عرافًا) سيأتي بيان العراف إن شاء الله تعالى. وظاهر هذا الحديث أن الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله، سواء صدقه أو شك في خبره. فإن في بعض روايات الصحيح **«من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**.

قوله: (لم تقبل له صلاة) إذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسئول؟

قال النووي وغيره: معناه أنه لا ثواب له فيها، وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه، ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث، فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة[(٢)]. اهـ ملخصًا.

وفي الحديث النهي عن إتيان الكاهن ونحوه.

---

(١) أخرجه أحمد (٦٨/٤) ومسلم [٢٢٣٠] وأبو نعيم في «الحلية» (٤٠٦/١٠) وفي «تاريخ أصبهان» (٢٣٦/٢) والبيهقي (١٣٨/٨).

(٢) صحيح مسلم بالشرح (٤٥٦/٧).

....

قال القرطبي: يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شـيئًا من ذلك من الأسواق وينكر عليهم أشد النكير، وعلى من يجيء إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور ولا بكثرة من يجيء إليهم من ينتسب إلى العلم، فإنهم غير راسخين في العلم بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَن أتى كاهِنًا فصَدَّقهُ بمَا يقولُ؛ فقد كَفرَ بمَا أنزِلَ عَلى مُحمدٍ ﷺ» رواه أبو داود.

من أتى كاهنًا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد

قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**» رواه أبو داود(١).

وفي رواية أبي داود أو أتى امرأة قال مُسَدَّد: امرأته حائضًا أو أتى امرأة.

قال مسدد: امرأته في دبرها فقد بريء مما أنزل على محمد ﷺ فناقل هذا الحديث من السنن حذف منه هذه الجملة واقتصر على ما يناسب الترجمة.

(١) صحيح. أخرجه أحمد [٩٢٩٠] [١٠١٦٧] وابن أبي شيبة (٢٥٢/٤- ٢٥٣) والدارمي [١١٣٦] والبخاري في «تاريخه» (١٦/٣-١٧) وأبو داود [٣٩٠٤] والترمذي [١٣٥] والنسائي «كبرى» [٩٠١٧] وابن الجارود [٦١١٣٠] والعقيلي في «الضعفاء» (٣١٨/١) وصححه الشيخ في «الإرواء» [٢٠٠٦].

وللأربعةِ والحاكمِ وقال صحيحٌ على شرطِهما عن [أبي هريرة] عن النبي ﷺ : «من أتى عرافا أو كاهنا [ق/ ١٨/ أ]؛ فصدَّقَه بما يقول؛ فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمدٍ ﷺ »

قال: (وللأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن النبي ﷺ «**من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ »[1].

هكذا بيض المصنف لاسم الراوي. وقد رواه أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا.

قوله: (من أتى كاهنًا) قال بعضهم لا تعارض بين هذا وبين حديث «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**» هذا على قول من يقول هو كفر دون كفر، أما على قول من يقول بظاهر الحديث فيسأل عن وجه الجمع بين الحديثين. وظاهر الحديث أن يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان. وكان غالب الكهان قبل النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين.

قوله: (فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) **قال القرطبي**: المراد بالمنزل الكتاب والسنة. اهـ

وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر، فلا ينقل عن الملة، أم يتوقف فيه، فلا يقال يخرج عن الملة ولا يخرج؟ وهذا أشهر الروايتين عن أحمد رحمه الله تعالى.

(١) صحيح. أخرجه أحمد [٩٥٣٦] من طريق عوف حدثني خلاسٌ عن أبي هريرة، والحسن عن النبي ﷺ ، فذكره.

وإسناده فيه انقطاع.

خلاس لم يسمع من أبي هريرة.

وأخرجه الحاكم (٨/١) من طريق عوف عن خلاس ومحمد بن سيرين عن أبي هريرة.

وقال: صحيح على شرطهما جميعًا من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه.

وراجع الإرواء (٦٩/٧).

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفًا.

قال: (ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله مرفوعًا)(١).

أبو يعلى اسمه أحمد بن علي بن المثنى الموصلي الإمام صاحب التصانيف كالمسند وغيره. روى عن يحيى بن معين وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق. وكان من الأئمة الحفاظ، مات سنة سبع وثلاثمائة،

وهذا الأثر رواه البزار أيضًا ولفظه: من أتى كاهنًا أو ساحرًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر أيضًا(٢).

(١) إسناده جيد.

أخرجه أبو يعلى [٥٤٠٨] من طريق إبراهيم بن طهمان عن أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم عن ابن مسعود، به مرقوفًا.

قال الهيثمي في «المجمع» (١١٧/٥): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا هبيرة وهو ثقة.

وأخرجه عبد الرزاق [٢٠٣٤٨] [٢٠٣٤٩] من طريق معمر عن قتادة عن ابن مسعود.

وأخرجه الطيالسي [٣٨٢] من طريق شعبة عن أبي إسحاق.

وأخرجه البزار [١٨٧٣] [١٩٣١] بحر، والطبراني في «الكبير» [١٠٠٠٥].

وقال في «المجمع» (١١٨/٥):

رواه الطبراني في «الكبير» وفي «الأوسط» ورجال الكبير، والبزار ثقات.

قال الحافظ في «الفتح» (٢١٧/١٠): «إسناده جيد».

(٢) وذلك لأن في الكتاب المنزل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ وقال في سورة الأنعام: ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ وقال في سورة الجن: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ فمن صدق العراف والكاهن فقد كذب بهذه الآيات، ومن كذبها كفر.

وعن عمرانَ بنِ حصينٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «ليسَ مِنا

التحذير من الطيرة والكهانة والسحر

قال: (وعن عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعًا **«ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له. ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** صلى الله عليه وسلم» رواه البزار بإسناد جيد[1]، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: ومن أتى كاهنًا.... الحديث[2].

قوله: (ليس منا) فيه وعيد شديد يدل على أن هذه الأمور من الكبائر وتقدم أن الكهانة والسحر كفر.

---

(١) صحيح.

أخرجه البزار (بحر) [٣٥٧٨] والطبراني في «الكبير» (١٨/١٦٢/٣٥٥) من طريق إسحاق بن الربيع العطار عن الحسن، عن عمران ، به.

وإسحاق تُكلم فيه للقدر، والحسن مدلس ولم يسمع من عمران.

لكن يشهد له حديث ابن عباس الآتي.

(٢) أخرجه أبو يعلى كما في «المطالب» [٢٥١٨] والإتحاف [٣٩٥٩] والبزار [١١٦٩] والطبراني في «الأوسط» [٤٢٦٢] من طريق زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة، به.

قال في «المجمع» (٥/١١٧) وزمعة بن صالح ضعيف.

قال الحافظ في «المطالب» (زمعة ضعيف).

وله شاهد من حديث علي.

أخرجه الطبراني وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٩٥) وإسناده ضعيف. وله شاهد من حديث جابر.

أخرجه البزار [١١٧١] والحديث صححه الشيخ رحمه الله في «الصحيحة» [٢١٩٥].

مَن تطيرَ أو تطيرَ له، أو تكهَّنَ أو تكهنَ لهُ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له، ومَن عقدَ عقدةً، ومَن أتى كاهِنًا فصَدَّقهُ بمَا يقولُ؛ فقد كفرَ بمَا أنزِلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ» رواهُ البزارُ بإسنادٍ جيدٍ، ورواهُ الطبرانيُّ [في الأوسط] بإسنادٍ حسنٍ مِن حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى..»الخ.

قوله: (من تَطَيَّر) أي فعل الطيرة (أو تُطِيّر له) أي قبل قول المتطير له وتابعه كذا معنى أو تكهن أو تكهن له كالذي يأتي الكاهن ويصدقه ويتابعه، وكذلك من عمل الساحر له السحر.

فكل من تلقى هذه الأمور عمن تعاطاها فقد بريء منه رسول الله ﷺ لكونها إما شركًا، كالطيرة، أو كفرًا كالكهانة والسحر، فمن رضي بذلك وتابع عليه فهو كالفاعل لقبوله الباطل واتباعه.

قوله: (رواه البزار) هو أحمد بن عمر بن عبد الخالق، أبو بكر البزار البصري صاحب المسند الكبير. وروى عن ابن بشار وابن المثنى وخلق، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

قوله: (قال البغوي إلى آخره) البغوي بفتحتين هو الحسين بن مسعود الفراء الشافعي، صاحب التصانيف وعالم أهل خراسان، كان ثقة، فقيهًا زاهدًا، مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى.

قال البغوي: (العَرَّافُ): الذي يدَّعِي معرفةَ الأمورِ بمُقدِّماتٍ يَستدلُّ بها على المَسروقِ ومكانِ الضالةِ ونحوِ ذلكِ

من هو الكاهن والعراف

قوله: (العراف: الذي يدعى معرفة الأمور) ظاهرة: أن العراف هو الذي يخبر عن الوقائع كالسرقة وسارقها والضالة ومكانها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن العرَّاف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، كالحارز الذي يدعى علم الغيب أو يدعى الكشف.

وقال أيضًا: والمنجم يدخل في اسم العراف، وعند بعضهم هو معناه.

وقال أيضًا: والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء، وحكى ذلك عن العرب. وعند آخرين هو من جنس الكاهن، وأسوء حالًا منه، فيلحق به من جهة المعنى.

وقال الإمام أحمد: العرافة طرف من السحر. والساحر أخبث.

وقال أبو السعادات: العراف المنجم، والحارز الذي يدعى علم الغيب، وقد استأثر الله تعالى به.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفًا، وعرافًا.

والمقصود من هذا: معرفة أن من يدعى معرفة علم الشيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنى فيلحق به. وذلك أن إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف. ومنه ما هو من الشياطين ويكون بالفأل والزجر والطيرة والضرب بالحصى والخط في الأرض والتنجيم والكهانة

وقيل: هو الكاهِنُ، والكاهنُ هو الذي يُخبِرُ عن المُغيَّباتِ في المستقبلِ وقيل: الذي يخبرُ عمَّا في الضميرِ.

والسحر، ونحو هذا من علوم الجاهلية، ونعني بالجاهلية كل من ليس من أتباع الرسل عليهم السلام، كالفلاسفة والكهان والمنجمين، وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فإن هذا علوم لقوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل صلى الله عليهم وسلم[1]، وكل هذه الأمور يُسمى صاحبها كاهنًا أو عرافًا أو في معناهما، فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد. وقد ورث هذه العلوم عنهم أقوام فادعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، وادعوا أنهم أولياء وأن ذلك كرامة.

ولا ريب أن من ادَّعى الولاية، واستدل بإخباره ببعض المغيبات فهو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن، إن الكرامة أمر يجريه الله على يد عبده المؤمن التقي، إما بدعاء أو أعمال صالحة لا صنع للولي فيها، ولا قدرة له عليها، بخلاف من يدعى أنه ولي ويقول للناس: اعلموا أني أعلم المُغَيَّبات، فإن هذه الأمور قد تحصل بما ذكرنا من الأسباب، وإن كانت أسبابًا محرمة كاذبة في الغالب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الكهان: «فيكذبون معها مائة كذبة» فبين أنهم يصدقون مرة ويكذبون مائة، وهكذا حال من سلك سبيل الكهان ممن يدعى الولاية تزكية النفس المنهي عنها بقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم: ٣٢] وليس هذا من شأن الأولياء، فإن شأنهم الإزراء على نفوسهم وعيبهم لها، وخوفهم من ربهم، فكيف يأتون الناس

(١) ومعنى الجاهلية: الإعراض عن العلم المنزل من الله على رسله هدى ورحمة، والاعتماد على التقاليد والعادات والظنون والتخرصات، وما يوحي به الشياطين، ويحددها قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ وقد عادت الجاهلية إلى الناس اليوم مثل الجاهلية الأولى وشرًا منها، ولا يمنع وجود القرآن والحديث لأنهم اتخذوهما مهجورين، فوجدوهما حجة عليهم فقط، ولا يغرنك منهم عمائم ولحى وصور فما وراءها إلا جاهلية وعقلية عامية قد تكون شرًا من عقلية من يتبعون أذناب الإبل والبقر. ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

وقال أبو العباس ابنُ تيمية: العرافُ: اسم للكاهنِ والمَنجِّم والرَّمَّالِ ونحوِهِم ممَّن يتكلمُ في معرفةِ الأمورِ بهذهِ الطرقِ.

ويقولون: اعرفوا أننا أولياء، وأنا نعلم الغيب؟ وفي ضمن ذلك طلب المنزلة في قلوب الخلق واقتناص الدنيا بهذه الأمور. وحسبك بحال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وهم سادات الأولياء، أفكان عندهم من هذه الدَّعاوى والشَّطحات شيءٌ؟ لا والله بل كان أحدهم لا يملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن، كالصديق رضي الله عنه، وكان عمر رضي الله عنه يسمع نشيجه من وراء الصفوف يبكي في صلاته، وكان يمر بالآية في ورده من الليل فيمرض منها ليالي يعودونه، وكان تميم الداري يتقلب على فراشه ولا يستطيع النوم إلا قليلًا خوفًا من النار ثم يقوم إلى صلاته. ويكفيك في صفات الأولياء ما ذكره الله تعالى في صفاتهم في سورة الرعد والمؤمنين والفرقان والذاريات والطور[1] فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء، لا أهل الدعوى والكذب ومنازعة رب العالمين فيما اختص به من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب، بل مجرد دعواه علم الغيب كفر. فكيف يكون المدعى لذلك وليًا لله؟ ولقد عظم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المفترين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين، ولبسوا بها على خفافيش القلوب: نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ...﴾ الآيات، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ...﴾ الآيات، وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا...﴾ الآيات، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ...﴾ الآيات، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ...﴾ الآيات.

هذا وفي القرآن الكريم صفات المؤمنين كثيرة جدًا؛ بل أكثر آي القرآن في وصف الإيمان وأهله؛ وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ومن أدل الدلائل على أن الجهل ضرب على القلوب نطاقًا كثيفًا أن يعتقد الناس هذه الدرجة الرفيعة لعباد الرحمن في قوم يبولون على ثيابهم وهم في غاية القذر والوسخ، ولا يركعون لله ركعة؛ وقد سلبوا كل نعمة إلا الحيوانية؛ وربما تكلم الشيطان على ألسنتهم بالكلمة يفتن بها أولئك الجاهلين، ولا قوة إلا بالله.

وقال ابنُ عباس: في قومٍ يكتبونَ «أبا جاد» وينظرونَ في النجومِ: ما أرَى مِن فعلِ ذلكَ لهُ عندَ الله مِن خلاقٍ.

قوله: (وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد إلى آخره) هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعًا. وإسناده ضعيف.

ولفظه **«رب معلم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة»**(١).

ورواه حمد بن زنجويه عنه بلفظ رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد ليس له عند الله خلاق(٢).

قوله: (ما أرى) يجوز فتح الهمزة بمعنى: لا أعلم. ويجوز ضمها بمعنى: لا أظن وكتابه «أبي جاد» وتعلمها لمن يدعى بها علم الغيب هو الذي يسمى علم الحرف، وهو الذي جاء في الوعيد، فأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل فلا بأس به.

قوله: (وينظرون في النجوم) أي يعتقدون أن لها تأثيرًا كما سيأتي في باب التنجيم. وفيه من الفوائد عدم الاغترار بما يؤتاه أهل الباطل من معارفهم وعلومهم كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [غافر: ٨٣].

---

(١) إسناده ضعيف جدًا، أخرجه الطبراني في «الكبير» [١٠٩٨٠] بسند ضعيف جدًا.

(٢) أخرجه البيهقي (١٣٩/٨) بسند صحيح.

فيهِ مسائلُ:

الأولى- [أنه]لا يَجتمعُ تصديقُ الكاهِنِ معَ الإيمانِ بالقرآنِ.

الثانية- التصريحُ بأنهُ كفرٌ.

الثالثة- ذكرُ مَن تُكهنَ له.

الرابعة- ذكرُ من تُطير له.

الخامسة- ذكرُ من سُحِر له.

السادسة- ذكرُ مَن تعلمَ (أبا جادٍ).

السابعة- [ذكرُ] الفرقِ بينَ الكاهنِ والعرَّافِ.

بابُ

ما جاءَ في النّشْرَةِ

باب ما جاء في النُّشْرة، وما هي النُّشْرة

قوله: (باب: ما جاء في النُّشْرة)

بضم النون، كما في القاموس، **قال أبو السعادات**: النشرة ضرب من العلاج والرقية، يعالج به من يظن أن به مسًّا من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يكشف ويزال[(١)]

قال الحسن: النُّشرة من السحر. وقد نشرت عنه تنشيرًا، ومنه الحديث: فلعل طبًّا أصابه، ثم نشره بقل أعوذ برب الناس أي رقاه.

وقال ابن الجوزي: النُّشرة حل السحر عن المسحور. ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر[(٢)].

قال: عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة؟ فقال: «هي من الشيطان»[(٣)] رواه أحمد بسند جيد.

وأبو داود وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٥/١٦).

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/٧٧) وهو في جامع المسانيد لابن الجوزي.

(٣) إسناده صحيح.

أخرجه أحمد (٣/٢٩٤) وأبو داود [٣٨٦٨] وعبد الرزاق [١٩٧٦٢] والبيهقي (٩/٣٥١) من طريق عقيل بن معقل عن وهب، به.

وإسناده صحيح.

وله شاهد من حديث أنس عن الحاكم (٤/٤١٨).

عنَ جابرٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن النُّشْرةِ فقال: «هِيَ مِن عَمَلِ الشَّيْطانِ» رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

هذا الحديث رواه أحمد ورواه عنه أبو داود في سننه. والفضل بن زياد في كتاب «المسائل» عن عبد الرزاق عن عقيل بن معقل عن وهب بن منبه عن جابر فذكره قال ابن مفلح: إسناد جيد، وحسن الحافظ إسناده[1].

قوله: (سُئل عن النُّشْرة) والألف واللام في النُّشْرة للعهد أي النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها هي من عمل الشيطان.

قوله: (وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله) أراد أحمد رحمه الله أن ابن مسعود يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان كما يكره تعليق التمائم مطلقًا.

قوله: (وللبخاري عن قتادة: قلت لابن المسيب «رجل به طب أو يؤخذ عن مرأته أيحل عنه، أو ينشر؟ قال: لا بأس به: إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه»[2].

---

١) الأدب (٣/٧٧- ٧٨).

٢) ذكره البخاري «تعليقًا» في كتاب «الطب» باب «هل يستخرج السحر» (١٠/١٩٠-١٩١) فتح.

قال الحافظ: وصله أبو بكر بن الأثرم في كتاب «السنن» من طريق أبان العطار عن قتادة، ومثله من طريق هشام الدستوائي عن قتادة بلفظ «يلتمس» من يداويه، فقال: «إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع» وأخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد، أنه كان لا يرى بأسًا إذا كان بالرجل سحر أن يمشي إلى من يطلق عنه، فقال: هو صلاح.

قال قتادة: وكان الحسن، يكره ذلك، يقول لا يعلم ذلك إلا ساحر، قال: فقال سعيد بن المسيب: إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع.

قلت: أثر الأثرم أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٦/٢٤٣- ٢٤٤) من طريق حفص بن عمر النمري، حدثنا هشام عن قتادة، فذكره.

وفي «البخاري» عن قتادة قلتُ لابن المسيِّبِ: رجلٌ بِهِ طبٌّ أو يُؤخَذُ عن امرأتِهِ، أيُحلّ عنهُ أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما [يريدون به] الإصلاح، وأمَّا ما ينفع فلم ينه عنه. أهـ [ق/ ١٨/ ب].

قوله: عن قتادة هو ابن دُعامة بكسر الدال السَّدُوسي ثقة فقيه من أحفظ التابعين. قالوا إنه ولد أكمه. مات سنة بضع عشرة ومائة.

قوله: (رجل به طب) بكسر الطاء. أي سحر، يقال: طب الرجل بالضم ذا سحر. ويقال: كنوا عن السحر بالطب تفاؤلًا. كما يقال للديغ: سليم.

وقال ابن الأنباري[١]: الطب من الأضداد. يقال لعلاج الداء طب، والسحر من الداء يقال له طب.

قوله: (يؤخّذ) بفتح الواو مهموزة وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة. أي يحبس عن امرأته ولا يصل إلى جماعها. والأخذة بضم الهمزة الكلام الذي يقوله الساحر.

قوله: (أيحل) بضم الياء وفتح الحاء مبنى للمفعول.

قوله: (أو ينشر) بتشديد المعجمة.

قوله: (لا بأس به) يعني أن النشرة لا بأس بها لأنهم يريدون بها الإصلاح، أي إزالة السحر، ولم ينه عما يراد به الإصلاح، وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم أنه سحر.

---

(١) هو أبو بكر بن الأنباري محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة (صاحب كتاب) «الوقف والابتداء» وغير ذلك من المصنفات وكان من بحور العلم في اللغة العربية وغير ذلك، وكان ثقة فاضلًا دينًا من أهل السنة، وكان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة.

توفي ليلة عيد النحر سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

انظر طبقات النحويين (ص:١٥٣) وطبقات الحنابلة (٢/ ٦٩) وتاريخ بغداد (٣/ ١٨١) والمنتظم (١٣/ ٣٩٧) ووفيات الأعيان (٤/ ٣٤١) وتذكرة الحفاظ (٣/ ٨٤٢) والبداية (١٥/ ١٢٥).

وروى عن الحَسنِ أنه قال: «لا يَحُلُّ السِّحرَ إلا ساحرٌ».

قالَ ابنُ القيم: النَّشرةُ: حَلُّ السحرِ عن المَسحورِ، وهي نوعان:

قوله: وروى الحسن أنه قال: («لا يحل السحر إلا ساحر»)[1] هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في جامع المسانيد.

والحسن هو ابن أبي الحسن واسمه: يسار بالتحتية والمهملة البصرى الأنصاري: مولاهم. ثقة فقيه، إمام من خيار التابعين. مات سنة عشرة ومائة رحمه الله، وقد قارب التسعين.

قوله: (قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان، حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان إلى آخره)[2] ومما جاء في صفة النشرة الجائزة: ما رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله، تقرأ في إناء فيه ماء، ثم يصب على رأس المسحور: الآية التي في سورة يونس: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس:٨١-٨٢] وقوله: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١١٨] إلى آخر الآيات الأربع. وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ [طه:٦٩].

(١) ليس هذا الكلام على إطلاقه، لأنه قد يفك السحر معالج بالقرآن، ويستخدم الرقى الشرعية، ولو أننا قلنا بإطلاق الكلام لوصفنا الرقى القرآنية والسُّنية بأنها عاجزة عن علاج المسحور، وهذا لا يعنيه الحسن رحمه الله، وأصبح من الضروري ذهاب المسحور إلى الساحر ليفك سحره، الله أعلم.

(٢) انظر: زاد المعاد (٤/١٢٦- ١٢٧).

[أَحَدُاهُما]- حلٌّ بسحر مثلِه، وهو الذي مِن عملِ الشيطانِ، وعليهِ يحملُ قولُ الحسنِ، فيتقرب الناشِرُ والمنتشَرُ إلى الشيطانِ بما يُحِبُّ، ويبطلُ عملَه عَن المسحورِ.

والثاني- النشرةُ بالرقيةِ والتعوذاتِ والدعواتِ والأدويةِ المباحةِ؛ فهذا جائزٌ.

وقال ابن بَطَّال[(١)]: في كتاب وهب بن منبه: أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به يذهب عنه كل ما به، هو جيد للرجل إذا حبس عن أهله[(٢)].

قلت: قول العلامة ابن القيم والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة فهو جائز يشير رَحِمَهُ اللهُ إلى مثل هذا، وعليه يحمل كلام من أجاز النشرة من العلماء[(٣)].

والحاصل: أن ما كان منه بالسحر فيحرم، وما كان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة فجائز: والله أعلم.

---

(١) ابن بطال: شارح «صحيح البخاري» العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي. كان من أهل العلم والمعرفة، وتوفي سنة تسع وأربعين وأربع مائة، انظر: الصلة لابن بشكوال (٢/٤١٤) والعبر (٣/٢١٩) والسير (١٣/٣٠٣).

(٢) انظر: «المصنف» [١٩٧٦٣] (١١/١٣) لعبد الرزاق، وانظر: «تعليق الحافظ» (١٠/١٧٧).

(٣) انظر: «الفتح» (١٠/١٧٧).

فيه مسألتان:

الأولى- النهيُ عنِ النشرةِ.

الثانية- الفرقُ بينَ المنهيِّ عنهُ والمرَخَّصِ فيهِ مِمَّا يُزِيلُ الأشكالَ.

بابُ

ما جاءَ في التّطير

ما هي النُشرة

باب ما جاء في التّطير

قوله: (باب: ما جاء في التطير)

أي من النهي عنه والوعيد فيه، مصدر تَطَيَّرَ يَتَطَيَّر، والطِّيرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن اسم مصدر من تطير طيرة، كما يقال تَخَيَّرَ خِيرة، ولم يجيء في المصادر على هذه الزِّنَةِ غيرهما، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشارع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضر.

قال المدائني: «سألت رؤبه بن العجاج قلت: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه. قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره. والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد».

ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته[1] ذكرها المصنف رحمه الله في كتاب التوحيد تحذيرًا مما ينافي كما التوحيد الواجب.

(١) وذلك بتعلق القلب بها خوفًا وطمعًا، ومنافاتها للتوكل على الله الذي لا ينفع ولا يضر غيره، واعتقاد النفع والضر في طائر ونحوه لا علم ولا قصد، وإنما تذهب وتجيء في ضرورة معايشها وشئونها. فاعتقاد أن لهذه الحركات ذات اليمين وذات الشمال أثرًا في جلب أو دفع ضر من سخف العقول وفساد الفطر، وتمكن الخرافات والجهل وعمى القلوب. وهذا اعتقاد المنجمين التي سخرها الله تعالى تجري في بروجها ومداراتها المستقر لها، اعتقدوا لها تأثيرًا في الكون وهو اعتقاد الصائبة الذين أرسل الله إليهم

وقولِ الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]،

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ...﴾ [الأعراف: ١٣١] الآية ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ...﴾ الآية. المعنى: أن آل فرعون كانوا إذا أصابتهم الحسنة، أي الخصب والسعة والعافية، كما فسره مجاهد وغيره قالوا: لنا هذه، أي نحن الجديرون والحقيقيون به، ونحن أهله. وإن تصبهم سيئة. أي بلاء وقحط تطيروا بموسى ومن معه، فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم فقال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1].

قال ابن عباس طائرهم: «ماقضى عليهم وقدر لهم»[2] وفي رواية «شؤمهم عند الله ومن قبله»[3] أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله.

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي أن أكثرهم جهال لا يدرون. ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلى الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبعه.

إبراهيم عليه السلام.

(١) أخرجه ابن جرير [١٤٩٩٢] [١٤٩٩٣] بإسناد حسن.

(٢) أخرجه ابن جرير [١٤٩٩٥] وفيه انقطاع.

(٣) أخرجه ابن جرير [١٤٩٩٦] وسنده صحيح لولا عنعنة ابن جريج.

وقوله: ﴿ قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ [يس:١٩].

قوله: (وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾ [يس:١٩] الآية المعنى والله أعلم حظكم وما نابكم من شر معكم، بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا. بل ببغيكم وعدوانكم. فطائر الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشر فهو سببه الجالب له. وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله، كما قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦] ويحتمل أن يكون المعنى: طائركم معكم. أي راجع عليكم، فالتّطيّر الذي حصل لكم إنما يعود عليكم. وهذا من باب القصاص في الكلام. ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»[1] ذكره ابن القيم رحمه الله.

قوله تعالى: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم ﴾ أي من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ قال قتادة: أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا؟[2].

ومناسبة الآيتين للترجمة: أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين. وقد ذمّهم الله تعالى به ومقتهم، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطير وأخبر أنه شرك. كما سيأتي في أحاديث الباب.

(١) أخرجه البخاري [٦٢٥٨] ومسلم [٢١٦٣] وأبو داود [٥٢٠٧] والنسائي «عمل» [٣٨٦] وأحمد [١١٩٤٨] [١٢١١٥] [١٢١٤١] [١٣١٩٣] [١٣٢١١] [١٣٥٣١] عن أنس.

وفي الباب ابن عمر وغيره.

(٢) أخرجه ابن جرير [٢٩٠٨٨] بسند صحيح.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عَدْوَى

حديث: لا عدوى ولا طيرة إلخ

قال: وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»** أخرجاه. زاد مسلم: **«ولا نوء ولا غول»**(١).

قال أبو السعادات: «العدوى» اسم من الإعداء. كالدعوى(٢). يقال: أعداهُ الدَّاء يُعديه إعْدَادً إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء(٣).

وقال غير: لا عدوى هو اسم من الإعداد، وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره والمنفي نفس سراية العلة أو إضافتها إلى العلة. والأول هو الظاهر.

وفي رواية لمسلم أن أبا هريرة كان يحدث بحديث لا عدوى، ويحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«لا يورد ممرض على مصح»**(٤) ثم إن أبا هريرة اقتصر على حديث: **«لا يورد ممرض على مصح»** وأمسك عن حديث «لا عدوى» فراجعوه وقالوا: سمعناك تحدث به، فأبى أن يعترف به. قال أبو سلمة الراوي عن أبي هريرة: فلا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر؟

وقد روى حديث «لا عدوى» جماعة من الصحابة: أنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، والسائب بن يزيد، وابن عمر(٥)، وغيرهم، وفي بعض روايات هذا الحديث

---

(١) أخرجه أحمد [٩١٦٥] ومسلم [٢٢٢٠] وأبو داود [٣٩١٢] وابن حبان [٦١٣٣] وابن أبي عاصم [٢٧٥] والبغوي [٣٢٥٢] وأخرجه البخاري [٥٧٥٧] من غير الزيادة.

(٢) في «النهاية» كالرَّغْوَى والبَقْوَى، من الإرعاء والإبقاء.

(٣) النهاية (٣/١٧٤).

(٤) أخرجه البخاري [٥٧٧٠] [٥٧٧١] [٥٧٧٣] [٥٧٧٤] ومسلم [٢٢٢١] وأبو داود [٣٩١١] وابن ماجه [٣٥٤١] وأحمد [٩٢٦٣] [٩٦١٢].

(٥) حديث ابن عمر: أخرجه البخاري [٥٧٥٣] [٥٧٧٢] ومسلم [٢٢٢٥] وأحمد [٦٤٠٥] والنسائي [٩٢٧٧].

«وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»(١).

وقد اختلف العلماء في ذلك. وأحسن ما قيل فيه: قول البيهقي، وتبعه ابن الصلاح وابن القيم، وابن رجب، وابن مفلح وغيرهم: أن قوله: لا عدوى على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وإن هذه الأمور تُعْدى بطبعها. وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببًا لحدوث ذلك، ولهذا قال: «فر من المجذوم كما تفر من الأسد» وقال: «لا يورد ممرض على مصح» وقال في الطاعون: «من سمع به في أرض فلا يقدم عليه»(٢) وكل ذلك بتقدير الله تعالى. ولأحمد والترمذي عن ابن مسعود مرفوعًا: «لا يعدي شيء» قالها ثلاثًا فقال أعرابي: يا رسول الله! إن النقبة(٣) من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتجرب كلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**فمن أجرب الأول؟ لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصائبها ورزقها**»(٤) فأخبر ﷺ أن ذلك كله قضاء الله وقدره، والعبد مأمور باتقاء

- حديث ابن عباس: أخرجه أحمد [٢٤٢٥] وابن ماجه [٣٥٣٩].
- حديث ابن عمرو: أخرجه أحمد [٧٠٧] بسند ضعيف.
- حديث جابر: أخرجه أحمد (٣/٣٨٢) ومسلم [٢٢٢٠].
- حديث أنس: أخرجه أحمد [١٣٦٣٣] ومسلم [٢٢٢٤].

(١) صحيح. أخرجه البخاري معلقًا [٧٠٥٧] وعنه البغوي [٣٢٤٧] ووصله ابن خزيمة كما في «الفتح» وصححه الألباني في «الصحيحة» [٧٨٣].

(٢) أخرجه البخاري [٥٧٢٨] ومسلم [٢٢١٨] من حديث أسامة.

(٣) النُّقْبة: - بضم النون وسكون القاف والباء الموحدة - أول شيء يظهر من الجرب؛ وجمعها: نقب - لأنها تنقب الجلد أن تخرقه.

(٤) إسناده ضعيف. ولكنه يصح بشواهد، وقد خرجته وشواهده في رسالة بعنوان «الكهانة» وهي مطبوعة.

أسباب الشر إذا كان في عافية. فكما أنه يؤمر أن لا يلقى نفسه في الماء والنار، مما جرت العادة أن يهلك أو يضر. فكذلك اجتنب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطاعون. فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، فالله سبحانه هو خالق الأسباب ومسبباتها. لا خالق غيره ولا مقدر غيره. وأما إذا قوى التوكل على الله والإيمان بقضاء الله وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادًا على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر، ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك، لاسيما إذا كانت مصلحة عامة أو خاصة، وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي: «أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة، ثم قال: «كل بسم الله ثقة بالله وتوكلًا عليه»[1] وقد أخذ به الإمام أحمد.

وروى ذلك عن ابن عمر وابنه وسلمان رضي الله عنهم. ونظير ذلك ما روى عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه أكل السم ومنه مشى سعد بن أبي وقاص وأبي مسلم الخولاني على متن البحر، قاله ابن رجب رحمه الله.

---

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود [٣٩٢٥] والترمذي [١٨١٧] وابن ماجه [٣٥٤٢] وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف أبي داود» [٨٤٧].

ولا طِيَرَة

قـوله: (ولا طيرة) **قال ابن القيم رحمـه الله تعالى،** يحتمل أن يكون نفيًا أو نهيًا أي لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: «**لا عدوي ولا صفر ولا هامة**» يدل على أن المـراد النفي وإبطال هـذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيهـا. والنفي في هذا أبلغ من النهي. لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه.

وفي صحيـح مسـلم عن معاوية بـن الحكم أنه قال لرسـول الله ﷺ «ومنا أناس يتطيرون. قال: «**ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم**»[(١)] فأخبر أن تأذيـه وتشـاؤمه بالطـيرة إنما هو في نفسـه وعقيدته، لا في المتطير بـه، فوهمه وخوفه وإشراكـه هو الذي يطيره ويصده لما رآه وسـمعه، فأوضـح ﷺ لأمته الأمر، وبـين لهم فسـاد الطـيرة ليعلموا أن الله سـبحانه لم يجعل لهم عليـه علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سـببًا لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم، وتسكن نفوسهم إلى وحدانيتـه تعـالى التي أرسـل بها رسـله، وأنـزل بها كتبـه، وخلق لأجلها السـماوات والأرض، وعَمَّر الدَّارين الجنة والنار بسبب التوحيد فقطع ﷺ علق الشرك في قلوبهم، لئلا يبقى فيها علقة منها، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار البتة.

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطرها من قبل استكمانها.

قال عكرمة: كنا جلوسًا عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير. فقال له ابن عباس: لاخير ولا شر. فبادره بلإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم [٥٣٧] والطيالسي [١١٥٠] وأحمد (٤٤٧/٥) وأبو داود [١٥٠٣] والنسائي (٣/١٤- ١٨) وابن خزيمة [٨٥٩] وابن حبان [٢٢٤٧] وا بن الجارود [٢١٢] والطحاوي (٤٤٦/١).

(٢) خرجته في رسالة «الكهانة».

وخرج طاوس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير. فقال طاوس: وأي خير عند هذا؟ لا تصحبي[1]. اهـ ملخصًا.

وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة، كقوله: «الشؤم في ثلاث: في المرأة، والدابة، والدار»[2] ونحو هذا.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله سبحانه، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانًا مشؤومة على من قاربها وساكنها، وأعيانًا مباركة لا يلحق من قاربها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير على وجهه، ويعطى غيرهما ولدًا مشؤومًا يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية وغيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس.

والله سبحانه خالق الخير والشر والسُّعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة، ويقضي بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له. ويخلق بعضها نحوسًا يتنحس بها من قاربها. وكل ذلك بقضائه وقدره، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة. كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذذ بها من قاربها من الناس. وخلق ضدها وجعلها سببًا لألم من قاربها من الناس، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس، فكذلك الديار والنساء والخيل. فهذا لون والطيرة الشركية لون. انتهى.

---

(١) خرجته في رسالة «الكهانة».

(٢) أخرجه البخاري [٢٨٥٨] ومسلم [٢٢٢٥] عن ابن عمر.

ولا هَامَةَ ولا صُفْرَ» أخرجاه. زاد مسلم:

قوله: (ولا هامة) بتخفيف الميم على الصحيح. **قال الفرّاء:** الهامة طير من طير الليل، كأنه يعني البومة.

قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم، يقول: نعت إلى نفسي أو أحدًا من أهل داري، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

قوله: (ولا صفر) بفتح الفاء، روى أبو عبيدة في غريب الحديث عن رؤبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب. وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى وممن قال بهذا سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخاري وابن جرير.

وقال آخرون: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهو قول مالك.

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه مشؤوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك[١].

قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.

(١) أخرجه أبو داود [٣٩١٥] بإسناد صحيح.
وله شاهد من قول مالك أخرجه أبو داود [٣٩١٤].

«ولا نَوْءَ، ولا غُوْلَ».

لا نوء ولا غول

قـوله: (ولا نـوء) النوء واحد الأنواء، وسـيأتي الكلام عليه في بابه إن شـاء الله تعالى.

قوله: (ولا غول) هو بالضم اسم، وجمعه أغوال وغيلان، وهو المراد هنا.

قال أبو السعادات: الغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، تتلون تلونًا في صور شتى وتغولهم، أي تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي ﷺ وأبطله[1].

فإن قيل: ما معنى النفي وقد قال النبي ﷺ: **«إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان»**[2].

أجيـب عنـه: بأن ذلك كان في الابتداء، ثم دفعها الله عن عباده. أو يقال: المنفى ليس وجود الغول، بل ما يزعمه العرب من تصرفه في نفسه، أو يكون المعنى بقوله لا غـول أنهـا لا تسـتطيع أن تضل أحدًا مع ذكـر الله والتوكل عليه. ويشـهد له الحديث الآخر **«لا غول ولكن السـعالى سـحرة الجن»**[3] أي ولكـن في الجن سحرة لهم تلبيس

(١) انظر: «النهاية» (٣/٣٥٥).

(٢) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (٣/٣٠٥- ٣٨٢) وعبد الرزاق [٩٢٤٧] وأبو داود [٢٥٧٠] وابن ماجه [٣٣٧٢] والنسائي «عمل» [٩٥٥] وأبو يعلى [٢٢١٩] وابن خزيمة [٢٥٤٩] وابن السني في «عمل اليوم» [٥٢٣] وهو ضعيف كما بينته في «عمل اليوم» لابن السني.

(٣) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (٥/٤٢٣) والترمذي [٢٨٨٠] والطحاوي في «المشكل» [٧٨٧] والطبراني [٤٠١١] [٤٠١٢] [٤٠١٣] [٤٠١٤] وأبو الشيخ في «العظمة» [١١٠٨] [١١٠٨] [١١١٠] والحاكم (٣/٤٥٩) وأبو نعيم في «الدلائل» [٥٤٥] وإسناده ضعيف.

....

وتخييل. ومنه الحديث «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان» أي ادفعوا شرها بذلك بذكر الله.

وهذا يدل على أنه لم يرد بنفيها أو عدمه. ومنه حديث أبي أيوب «كان لي تمر في سهوة فكانت الغول تجي فتأخذ»(١).

(١) قصة صحيحة وخرجتها في كتاب «إرواء الظمأن».

ولهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عَدْوَى، ولا طِيَرَةَ، ويُعْجِبُنِي الفأْلُ» قالوا: ومَا الفأْلُ؟ قالَ: «الكلِمَةُ الطيِّبَةُ».

أحسنها الفأل

قوله: («ولهما عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل»**، قالوا: وما الفأل؟ قال: **«الكلمة الطيبة»**[(١)].

قوله: (ويعجبني الفأل) **قال أبو السعادات**: الفأل، مهموز فيما يَسرُّ ويَسوُء، والطِّيرَة لا تكون إلا فيما يَسُوء، وربما استعملت فيما يَسُرّ. يقال: تفاءلت بكذا وتفاولت، على التخفيف والقلب، وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفًا، وإنما أحبَّ الفأل لأن الناس إذا أمَّلوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوى فَهُم على خيرٍ[(٢)]، وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله تعالى كان ذلك من الشرّ.

وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء، والتفاؤل: أن يكون رجل مريض فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته. ومنه الحديث: «قيل يا رسول الله ما الفأل؟ قال: **«الكلمة الطيبة[(٣)]»**[(٤)].

قوله: (قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة) بين صلى الله عليه وسلم أن الفأل يعجبه فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها.

---

(١) أخرجه البخاري [٥٧٧٦] ومسلم [٢٢٢٤] وقد سبق.
(٢) «ولو غَلِط في وجهة الرجاء فإنّ الرَّجاء لهم خير» ساقط من الأصل وجميع النسخ الكتاب واستدركتها من كتاب النهاية (٣/٢٦٤).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) «النهاية» (٣/٢٦٤).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، كما أخبرهم ﷺ أنه حُبِّب إليه من الدُّنيا النساء والطيب[1]، وكان يحب الحلواء والعسل[2]، ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمع إليه ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشيم. بالجملة يحب كل كمال وخير ما يفضي إليهما، والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الإسم الحسن ومحبته، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استشبرت بها النفوس وانشرح لها الصدر وقوى بها القلب، وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال. فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفًا وطيرة وانكماشًا وانقباضًا عما قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضررًا في الدنيا ونقصًا في الإيمان ومقارفة الشرك.

وقال الحليمي[3]، وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

---

(١) عن أنس مرفوعًا «حُبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي وانظر «صحيح الجامع» [٣١٢٤].

(٢) أخرج البخاري ومسلم والأربعة عن عائشة كان رسول الله ﷺ يحبُّ الحلواء والعسل.

(٣) الحليمي: القاضي العلامة رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، أحد الأذكياء الموصوفين، ومن أصحاب الوجوه في المذهب، وكان متقنًا سيال الذهن مناظرًا طويل الباع توفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعمائة.

انظر: «تاريخ جرجان» (ص:١٥٦) و«الأنساب» (١٩٨/٤) «المنتظم» (٢٦٤/٧) «تذكرة الحفاظ» (٩٥٨/٣)

ولأبي داودَ بسندٍ صحيحٍ عن عروة قالَ: ذُكِرَتِ الطيرةُ عندَ رسولِ الله ﷺ فقال: «أحسَنُها الفألُ

قوله: ولأبي داود بسند صحيح عن عروة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: **«أحسنها الفأل، ولا ترد مسلمًا، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك»**[١].

قوله: عن (عروة بن عامر) هكذا وقع في نسخ التوحيد، وصوابه: عن عروة ابن عامر كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما. وهو مكي اختلف في نسبه، فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره: الجهني. واختلف في صحبته، فقال الماوردي: له صحبة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال المزي: لا صحبة له تصح.

قوله: (فقال أحسنها الفأل) قد تقدم أن النبي ﷺ كان يعجبه الفأل. وروى الترمذي وصححه عن أنس رضي الله عنه «أن النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع: يا نجيح، يا راشد[٢]» وروى أبو داود عن بريدة أن النبي ﷺ «كان لا يتطير من شيء»، وكان إذا بعث عاملًا سأله عن اسمه فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه»[٣] وإسناده حسن. وهذا فيه استعمال الفأل.

قال ابن القيم: أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من

و«العبر» (٨٤/٣) و«السير» (٣٥/١٣).

(١) إسناده ضعيف. أخرجه أبو داود [٣٩١٩] وضعفه الشيخ في «الضعيف منه» [٨٤٣].

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي [١٦١٦] وصححه الشيخ في «الصحيح منه» [١٣١٦].

(٣) حسن. أخرجه أحمد (٣٤٧/٥-٣٤٨) وأبو داود [٣٩٢٠]، وابن حبان [٥٨٢٧] والبيهقي (١٤٠/٨) والشعب [١١٧٠] وهو حسن الإسناد.

ولا تَرُدُّ مُسلِمًا؛ فإذا رَأى أحدُكُم ما يَكرَهُ، فليَقل: اللهُمَّ لا يأتِي بالحَسَناتِ إلا أنتَ، ولا يَدفعُ السيئاتِ إلا أنتَ، ولا حَولَ ولا قوَّة إلا بكَ».

لامتياز والتضاد، ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا: منعه من الرقي بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك، لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة.

قوله: (ولا ترد مسلمًا) قال الطِّيبي: تعريض بأن الكافر بخلافه.

قوله: (اللَّهُمَّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت) أي لا تأتي الطيرة الحسنة ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات، وتدفع السيئات، والحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب، كقوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٨-٧٩] ففيه نفي تعليق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة وتصريح بأنها لا تجلب نفعًا ولا تدفع ضرًا، ويعد من اعتقدها سفيهًا مشركًا.

قوله: (ولا حول ولا قوة إلا بك) استعانة بالله تعالى على فعل التوكل وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببًا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها. وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

و«الحول» التحول والإنتقال من حال إلى حال، و«القوة» على ذلك بالله وحده لا شريك له. ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته. وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «الطِّيَرَةُ؛ شِركٌ، الطِّيَرَةُ؛ شِركٌ» ومَا مِنَّا إلا!

قوله: (وعن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: **«الطيرة شرك، والطيرة شرك. وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»**[1] رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخر من قول ابن مسعود.

ورواه ابـن ماجه وابن حبان. ولفـظ أبي داود **«الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك. ثلاثًـا»** وهـذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الـشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى.

قال ابن حمدان: تكره الطيرة، وكذا قال غيره من أصحاب أحمد.

قـال ابن مفلـح: والأولى القطع بتحريمهـا لأنها شرك، وكيـف يكون الشرك مكروهًا الكراهية الإصطلاحية؟

قال في شرح السنن: وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضرًا إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى.

قوله: (وما منا إلا) **قال أبو القاسم الأصبهاني، والمنذري**: في الحديث إضمار. التقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. اهـ

وقال الخلخاني: حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة. وهذا من أدب الكلام.

---

(١) إسناده صحيح.

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٩٠٩] وأبو داود [٣٩١٠] وابن ماجه [٣٥٣٨] والطحاوي «مشكل» (٣٥٨/٠) وأبو يعلى [٥٢١٩] والشاشي [٦٥٥] وابن حبان [٦١٢٢] وأحمد [٣٦٨٧] [٤١٧١] [٤١٩٤] والبيهقي في «السـنن» (١٣٩/٨) قال الحافظ «الفتح» (٢١٣/١٠) قوله: «وما منا إلا» من كلام ابن مسعود أدرج في الخبر، وقد بينه سليمان بن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن البخاري عنه».

وَلكِنَّ اللهَ يُذهِبُهُ بالتوَكُّلِ». رواه أبو داود، والترمذيُّ، وصَححَهُ وجعلَ آخِرَهُ مِن قولِ ابنِ مسعودٍ ﷺ.

قوله: (ولكن الله يذهبه بالتوكل) أي لكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده.

قوله: (وجعل آخره من قول ابن مسعود) **قال ابن القيم**: وهو من الصواب، فإن الطيرة نوع من الشرك.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «مَن رَدَّتهُ الطِّيَرةُ عَن حَاجَتِهِ؛ فقد أشرَكَ» قالوا:

من ردته الطيرة فقد أشرك

قـال: (ولأحمد من حديث ابن عمرو: «ومن ردتـه الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»(١).

هذا الحديث رواه أحمد والطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي إسناده ابن لهيعة وبقية رجاله ثقات.

قوله: (من حديث ابن عمرو) وهو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو محمد. وقيل أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء. مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف (٢).

قـوله: (مـن ردته الطيرة عـن حاجته فقد أشرك) وذلك أن الطيرة هي التشـاؤم بالشـيء المرئي أو المسموع، فإذا رده شيء من ذلك عن حاجته التي عزم عليها كإرادة السـفر ونحـوه، فمنعه عما أراده وسـعى فيـه ما رأى وما سـمع تشـاؤمًا، فقد دخل في الشرك. كما تقدم، فلم يخلص توكله على الله بالتفاته إلى ما سواه فيكون للشيطان منه نصيب.

---

(١) إسناده حسن.

أخرجه أحمد [٧٠٤٥] وابن السني في «عمل اليوم» [٢٩٣] وإسناده حسن، كما أوضحت في «عمل اليوم».

(٢) واقعة الحرة وفتنة الحرة. الموقعة التي كانت من أهل الشام في أهل المدينة، بعث يزيد بن معاوية أهل الشام لقتال أهل المدينة حين امتنعوا عن بيعته فغلبوا على أهلها واستباحوها ثلاثًا، وقتل خلق كثير من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم؛ وكان ذلك سنة خمس وستين أو ثلاث وستين.

فما كفارَةُ ذلك؟ قال: «أنْ تقولَ: اللهُمَّ لا خيْرَ إلا خيرُكَ، ولا طيْرَ إلى طيرُكَ، ولا إلهَ غيرُكَ».

وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما:

قوله: (فما كفارة ذلك؟) إلى آخره. فإذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه، ولم يلتفت إليه، كفر الله عنه ما وقع في قلبه ابتداء لزواله عن قلبه بهذا الدعاء المتضمن للاعتماد على الله وحده، والإعراض عما سواه.

وتضمن الحديث أن الطيرة لا تضر من كرهها ومضى في طريقه، وأما من لا يخلص توكله على الله واسترسل مع الشيطان في ذلك، فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره، لأنه أعرض عن واجب الإيمان بالله، وأن الخير كله بيده، فهو الذي يجلبه لعبده بمشيئته وإرادته، وهو الذي يدفع عنه الضر وحده بقدرته ولطفه وإحسانه، فلا خير إلا منه، وهو الذي يدفع الشر عن عبده فما أصابه من ذلك فبذنبه، كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].

قوله: (وله من حديث الفضل بن عباس إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك)[١].

هذا الحديث عند الإمام أحمد من حديث الفضل بن عباس قال: «خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا، فبرح ظبي، فمال في شقه فاحتضنته، فقلت: يا رسول الله تطيرت، فقال: إنما الطِّيرة ما أمضاك أو ردَّك» وفي إسناده انقطاع، أي بين مسلمة رواية وبين الفضل، وهو الفضل بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن معين: قتل يوم اليرموك. وقال غيره: قتل يوم مرج الصفر سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة. وقال أبو داود: قتل بدمشق. كان عليه درع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد [١٨٢٤] وإسناده ضعيف.

«إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك».

قوله: (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك) هذا حد الطيرة المنهي عنها: أنها ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراده، ويمنعه من المضي فيه كذلك. وأما الفأل الذي كان يحبه النبي ﷺ فيه نوع من بشارة، فيسر به العبد ولا يعتمد عليه بخلاف ما يمضيه أو يرده، فإن للقلب عليه نوع اعتماد. فافهم الفرق والله أعلم.

فيه مسائل:

الأولى- التنبيه على قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١]، مع قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس:١٩].

الثانية- نفيُ العدوَى.

الثالثة- نفيُ الطيرةِ.

الرابعة- نفيُ الهامةِ.

الخامسة- نفيُ الصُّفرِ.

السادسة- أنَّ الفألَ ليسَ مِن ذلكَ بل مُستحبٌّ.

السابعة- تفسيرُ الفألِ.

الثامنة- أنَّ الواقعَ في [القلوبِ] من ذلك مع كراهتِهِ لا يضرُّ بل يذهبُه اللهُ بالتوكلِ.

التاسعة- ذكرُ ما يقولهُ مَن وجدَهُ.

العاشرة- التصريحُ بأن الطيرةَ شركٌ.

الحادية عشرة- تفسيرُ الطيرةِ [المَذكُورةِ].

بابُ

ما جاءَ في التَّنجيمِ

قالَ البخاريُّ في «صحيحِهِ»: قالَ قتادةُ:

باب ما جاء في التنجيم

قوله: (باب: ما جاء في التنجيم)

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ: التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفكلية على الحوادث الأرضية[١].

وقال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان، كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر، وتغير الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها، واجتماعها وافتراقها، يدعون أن لها تأثيرًا في السفليات، وهذا منهم تحكم على الغيب، وتعاط لعلم قد استأثر الله به، ولا يعلم الغيب سواه[٢].

قوله: (قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به)[٣].

---

(١) الفتاوى (٣٥/١٩٢).

(٢) «معالم السنن» (٥/٣٧١-٣٧٢).

(٣) علقه البخاري (٦/٣٤١) ووصله الطبري [٣٤٤٩٠] وعبد بن حميد.

انظر: «تغليق التعليق» (٣/٤٨٩).

وأخرجه الأصفهاني في «العظمة» [٧٠٦] مطولًا.

هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه. وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم. وأخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة، ولفظه قال: إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وإن ناسًا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والدميم، وما علم هذه النجوم وهذا الدابة وهذا الطائر بشئ من هذا الغيب ولو أن أحدًا علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء انتهى[1].

فتأمل ما أنكره هذا الإمام مما حدث من المنكرات في عصر التابعين، وما زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم حتى بلغ الغاية في هذه الأعصار، وعمت به البلوى في جميع الأمصار فمقل ومستكثر، وعز في الناس من ينكره، وعظمت المصيبة به في الدين. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) في قرة العيون: وقال قتادة رحمه الله تعالى يدل على أن علم التنجيم هذا قد حدث في عصره فأوجب له إنكاره على من اعتقده وتعلق به؛ وهذا العلم مما ينافي التوحيد ويوقع في الشرك لأنه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله سبحانه بمشيئته وإرادته كما قال تعالى: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وقال: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾.

خلقَ اللهُ هذه النجومَ لثلاثٍ: زينةً للسماءِ، ورُجومًا للشياطينَ، وعلاماتٍ يُهتدَي بها، فمَن تأولَ فيها غيرَ ذلكَ أخطأ، وأضاعَ نصيبَه، وتكلفَ ما لا علمَ لهُ بهِ. أهـ.

قوله: (خلق الله هذه النجوم لثلاث) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا، كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما السماء الدنيا فإن الله خلقها من دخان وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا، وزينها بمصابيح وجعلها رجومًا للشياطين، وحفظًا من كل شيطان رجيم»(١).

قوله: (وعلامات) أي دلالات على الجهات (يهتدي بها) أي يهتدي بها الناس في ذلك. كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] أي لتعرفوا بها جهة قصدكم، وليس المراد أن يهتدي بها في علم الغيب، كما يعتقده المنجمون، وقد تقدم وجه بطلانه وأنه لا حقيقة له كما قال قتادة: «فمن تأول فيها غير ذلك» أي زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث فقد أخطأ. حيث زعم شيئًا ما أنزل الله به من سلطان، وأضاع نصيبه من كل خير، لأنه شغل نفسه بما يضره ولا ينفعه.

فإن قيل: المنجم قد يصدق؟ قيل: صدقه كصدق الكاهن، ويصدق في كلمة ويكذب في مائة. وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدرًا، فيكون فتنة في حق من صدقه.

---

(١) انظر: «الدر» (٤/٩٥) وعزه لابن مردوية عن ابن مسعود.
وأخرجه بنحوه مطولًا الطبراني في «الأحاديث الطوال» [٣] والطبري [٢٩٢٦٧] وأبو الشيخ [٦٤٧] وإسناده ضعيف جدًا عن ابن عباس.

....

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥ وَعَلَامَاتٍ﴾ [النحل:١٥-١٦] فقوله: علامات معطوف على ما تقدم مما ذكره في الأرض، ثم استأنف فقال: «وبالنجم هم يهتدون» ذكره ابن جرير عن ابن عباس بمعناه.

وقد جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بإبطال علم التنجيم، كقوله: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر. زاد ما زاد»(١).

وعن رجاء بن حيوة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن مما أخاف على أمتي: التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة» رواه عبد بن حميد(٢). وعن أبي محجن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح.

أخرجه البخاري في «تاريخه الكبير» (١٤٨/١) في ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن عمرو، راوي الحديث عن رجاء بن حيوة، فذكره، معضلًا.

ومحمد بن عبد الرحمن فيه جهالة، لكن للحديث شواهد.

منها حديث جابر بن سمرة بنحوه.

أخرجه أحمد (٨٩/٥-٩٠) وأبو يعلى [٧٤٦٢] [٧٤٧٠] والبزار [٢١٨١] والطبراني في «الكبير» [١٨٥٣] وفي «الأوسط» [١٨٧٣] وفي «الصغير» [١١٢] وابن أبي عاصم في «السنة» [٣٢٤] وإسناده واهٍ جدًا.

ومنها حديث أبي أمامة، أخرجه الطبراني في «الكبير» [٨١١٣]. بإسناد ضعيف.

ومنها حديث أبي محجن، أخرجه ابن عساكر، وابن عبد البر في «جامع العلم» (٣٩/٢) وإسناده ضعيف.

ومنها حديث طلحة بن مصرف، أخرجه أبو عمر الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢٣/١-٢).

وأخر من حديث أبي الدرداء.

والحديث بشواهده صححه الألباني في «الصحيحة» [١١٢٧].

....

مرفوعًا: «أخاف على أمتي ثلاثًا: حيف الأئمة، وإيمانًا بالنجوم وتكذيبًا للقدر»[(١)] رواه ابن عساكر وحَسَّنه السيوطي.

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعًا «أخاف على أمتي بعدي خصلتين: تكذيبًا بالقدر، وإيمان بالنجوم»[(٢)] رواه أبو يعلى وابن عدي والخطيب في كتاب «النجوم» وحسنه السيوطي أيضًا. والأحاديث في ذم التنجيم والتحذير منه كثيرة.

---

(١) صحيح. انظر «تخريج الحديث السابق».
(٢) صحيح. أخرجه أبو يعلى [٤١٣٥] وابن عدي (١٣٥٠/٤) وانظر تخريج الحديث السابق.

وكَرِهَ قتادةُ تعلُّمَ منازلِ القمرِ، ولم يُرخِّص ابنُ عيينةَ فيهِ،

ما جاء في تعلم علم الفلك

قوله: (وكره قتادة تعلم منازل القمر. ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق).

قال الخطّابي: أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال، وتعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهى عنه. وذلك أن معرفة رصد الظل ليس شيئًا أكثر من أن الظل ما دام متناقصًا فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي، وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي، وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة، إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوه من الآلات التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته. وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة فإنها كواكب رصدها أهل الخبرة من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به عنها، مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة ويشاهدها على حال الغيبة عنها، فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غير مهتمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم. انتهى[1].

وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لا يرى بأسًا أن يتعلم الرجل منازل القمر. وروى عن إبراهيم أنه كان لا يرى بأسًا أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به.

---

(١) وحقيقة علم الفلك معرفة حركات النجوم والكواكب وتنقلاتها ومنازلها. وقد اخترع لمعرفة ذلك آلات حاسبة ومنظارات مقربة؛ ومراصد كاملة الأسباب والآلات عرفوا بها شيئًا كثيرًا جدًا من العوالم العلوية؛ حتى أصبحت كأنها على هذه الأرض. وكل ذلك لا يصح أن يختلف فيه مطلقًا؛ لأنه كعلم الحساب. أما أن ينسب إلى هذه النجوم والكواكب شيء من الحوادث على هذه الأرض من موت أو حياة أو حرب أو سلم يكون في المستقبل فهذا هو الذي لا شك في كذبه وأنه ضلال.

....

قال ابن رجب: والمأذون في تعلمه التسيير لا علم التأثير فإنه باطل محرم، قليله وكثيره. وأما علم التسـيير فيتعلم ما يحتاج إليه منه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق جائز عند الجمهور.

ذكرَهُ حربٌ عنهُما، ورخَّصَ في تعلُّمِ المنازلِ أحمدُ [وإسحاقُ].

قوله: (ذكره حرب عنهما) هو الإمام الحافظ حرب بن إسماعيل أبو محمد الكرماني الفقيه من جُلة أصحاب الإمام أحمد. روى عن أحمد وإسحاق وابن المديني وابن معين وغيرهم. وله كتاب «المسائل» التي سئل عنها الإمام أحمد وغيره، مات سنة ثمانين ومائتين. وأما إسحاق فهو ابن إبراهيم بن مخلد أبو أيوب الحنظلي النيسابوري، الإمام المعروف بابن راهويه. روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم. قال أحمد: إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين. روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم. وروى هو أيضًا عن أحمد. مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.

وعن أبي موسى ﷺ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يَدخلونَ الجَنةَ:

قال: وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر»**(١) رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

هذا الحديث رواه أيضًا الطبراني والحاكم وقال: صحيح. وأقرَّه الذهبي.

وتمامه **«ومن مات وهو يدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة: نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهن»**.

قوله: (وعن أبي موسى) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بفتح المهملة وتشديد الضاد، أبي موسى الأشعري. صحابي جليل. مات سنة خمسين.

قوله: (ثلاثة لا يدخلون الجنة) هذا من نصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها. وقالوا: أمروها كما جاءت، وعن تأولها فهو على خطر من القول على الله بلا علم. وأحسن ما يقال: إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج على ملة الإسلام فإنه يرجع إلى مشيئة الله، فإن عذبه فقد استوجب العذاب، وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته.

---

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (٣٩٩/٤) وأبو يعلى [٧٢٤٨] وابن حبان [٥٣٤٦] [٦١٣٧] والحاكم (١٤٦/٤) من طريق أبي حريز عن أبي بُردة عن أبي موسى، به.

وإسناده ضعيف.

أبو حريز واسمه عبد الله بن الحسين الأزدي ضعيف، وأما قوله «ثلاثة لا يدخلون الجنة» صحيح فله شواهد من حديث أبي سعيد وابن عمر، وغيرهما.

مُدمِنُ الخَمْرِ، وقاطِعُ الرَّحِمِ، ومُصَدِّقٌ بالسِّحْرِ» رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه.

قوله: (مدمن الخمر) أي المداوم على شربها.

قوله: (وقاطع الرحم) يعني القرابة كما قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢] الآية.

قوله: ومصدق بالسحر أي مطلقًا. ومنه التنجيم، لما تقدم من الحديث. وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة.

قال الذهبي في «الكبائر»، ويدخل فيه تعلم السيميا وعملها، وعقد المرء عن زوجته ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه. وأشباه ذلك بكلمات مجهولة. قال: وكثير من الكبائر -بل عامتها إلا الأقل- يجهل خلق من الأمة تحريمه، وما بلغه الزجر فيه، ولا الوعيد عليه اهـ(١).

فيه مسائل:

الأولى- الحكمةُ في خَلْقِ النجومِ.

الثانية- الردُّ على مَن زعمَ غيرَ ذلكَ.

الثالثة- ذكرُ الخلافِ في تعلُّمِ المنازلِ.

الرابعة- الوعيدُ فيمَن صدقَ بشيءٍ مِن السحرِ ولو عرفَ أنهُ باطلٌ.

بابُ

ما جاءَ في الاستسقاءِ بالأنْوَاءِ

وقول الله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢].

الاستسقاء بالنجوم

قوله: (باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء)

أي: من الوعيد، والمراد: نسبة السُّقيا ومجيء المطر إلى الأنواء. جمع نَوْءٍ وهي منازل القمر.

قال أبو السعادات: وهي ثمان وعشرون منزلة. ينزل القمر كل ليلة منها. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ ﴾ [يس: ٣٩] يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، فتقضي جميعها مع انقضاء السنة. وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها، ويقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وإنما سمي نوءًا لأنه إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق، أي نهض وطلع[(١)].

قال: وقوله تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢] روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ يقول: شكركم ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ تقولون: **مطرنا بنوء كذا وكذا: بنجم كذا وكذا**»[(٢)].

---

(١) «النهاية» (٥/١٠٧).

(٢) حسن أخرجه أحمد [٦٧٧] [٨٤٩] [٨٥٠] [١٠٨٧] والترمذي [٣٢٩٥] والبزار [٥٩٣] والخرائطي في «المساوئ» [٧٨٤]، والطبراني (٢٧/٢٠٨-٢٠٨) من طريق عبد الأعلى بن عامر الثعلبي عن أبي عبد

....

وهذ أولى ما فسرت به الآية. وروى ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم وهو قول جمهور المفسرين وبه يظهر وجه استدلال المصنف رحمه الله بالآية.

قال ابن القيم رحمه الله: أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم: التكذيب به، يعني القرآن.

قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون قال: وخَسِرَ عبدٌ لا يكون حَظُّه من القرآن إلا التكذيب.

الرحمن السُّلمي عن علي، به.

وإسناده ضعيف، لضعف عبد الأعلى.

ولكن يشهد له حديث ابن عباس بنحوه، أخرجه مسلم [٧٣] مرفوعًا، والطبري (٢٧/٢٠٨) موقوفًا.

وعن أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «أربعٌ في أمَّتي مِن أمْرِ الجَاهليَّةِ لا يَترُكُونَهُنَّ:

قوله: عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أربعٌ في أُمّتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفَخْرُ بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة**». وقال: «**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب**»[1] رواه مسلم.

أبو مالك اسمه الحرث بن الحرث الشامي. صحابي تفرد عنه بالرواية أبو سلام. وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا.

قوله: (أربع في أمتي من أمر بالجاهلية لا يتركونهن) ستفعلها هذه الأمة إما مع العلم بتحريمها أو مع الجهل بذلك، مع كونها من أعمال الجاهلية المذمومة المكروهة المحرمة. والمراد بالجاهلية هنا: ما قبل المبعث، سموا ذلك لفرط جهلهم. وكل ما يخالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو جاهلية، فقد خالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من أمورهم أو أكثرها. وذلك يدرك بتدبر القرآن ومعرفة السنة. ولشخنا رحمه الله مصنف لطيف ذكر فيه ما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أهل الجاهلية، بلغ مائة وعشرين مسألة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذمًا لمن لم يتركه، وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها،

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٤٣-٣٤٤) ومسلم [٩٣٤] وأبو يعلى [١٥٧٧] وابن حبان [٣١٤٣] والطبراني [٣٤٢٦] والبيهقي (٤/٦٣) والبغوي [١٥٣٤].

وفي الباب حديث أبي هريرة وابن عباس عند البخاري [٣٨٥٠].

ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ فـإن في ذلك ذمًـا للتبرج وذمًا لحال الجاهليـة الأولى، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة.

الفخرُ بالأحسابِ، والطعنُ في الأنسابِ،

قوله: (الفخر بالأحساب) أي التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم، وذلك جهل عظيم، إذ لا كرم إلا بالتقوى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧].

ولأبي داود عن أبي هريرة مرفوعًا: **«إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان»**(١).

قوله: (والطعن في الأنساب) أي الوقوع فيها بالعيب والتنقص. ولما عير أبو ذر رضي الله عنه رجلًا بأمه قال له النبي صلى الله عليه وسلم: **«أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية»**(٢) متفق عليه. فدل على أن الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه. قاله شيخ الإسلام رحمه الله.

(١) حسن. أخرجه أحمد [٨٧٣٦] [٨٧٩٢] [١٠٧٨١] وأبو داود [٥١١٦] والترمذي [٣٩٥٦] والطحاوي «مشكل» [٣٤٥٨] والبيهقي في «السنن» (٢٣٢/١٠) وفي «الشعب» [٥١٢٦] [٥١٢٧] وفي «الأدب» [٤٢٢] وحسنه الشيخ في «غاية المرام» [٣١٢].

وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه أحمد [٢٧٣٩] بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري [٣٠] [٢٥٤٥] وفي «الأدب» [١٨٩] ومسلم [١٦٦١] وأبو عوانة [٦٠٧١] [٦٠٧٢] وأحمد (١٦١/٥).

والاستسقاءُ بالنجوم،

قوله: (والاستسقاء بالنجوم) أي نسبة المطر إلى النوء وهو سقوط النجم. كما أخرج الإمام أحمد وابن جرير السوائي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أخاف على أمتي ثلاثًا: استسقاء بالنجوم. وحيف السلطان. وتكذيبًا بالقدر»**[(١)].

فإذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا. فلا يخلوا إما أن يعتقد أن له تأثيرًا في إنزال المطر. فهذا شرك وكفر. وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية كاعتقادهم أن دعاء الميت والغائب يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضرًا. أو أنه يشفع بدعائهم إياه، فهذا هو الشرك الذي بعث الله رسوله ﷺ بالنهي عنه وقتال من فعله. كما قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩] والفتنة الشرك، وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا مثلًا، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده. لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم.

والصحيح: أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز، فقد صرح ابن مفلح في الفروع: بأنه يحرم قول مطرنا بنوء كذا وجزم في الإنصاف بتحريمه ولو على طريق المجاز، ولم يذكر خلافًا. وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء، فيكون ذلك شركًا أصغر. والله أعلم.

(١) سبق تخريجه.

والنياحَةُ» وقال: «النائحةُ إذا لم تَتُب قبلَ مَوتِها؛ تقامُ يومَ القيامَةِ وعليها سِربالٌ مِن قطِرانٍ، ودِرعٌ مِن جَرَبٍ» رواه مسلم.

عقوبة النائحة إذا لم تتب

قوله: (والنياحة) أي رفع الصوت بالندب على الميت لأنها تسخط بقضاء الله، وذلك ينافي الصبر الواجب، وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة.

قوله: (والنائحة إذا لم تتب قبل موتها) فيه تنبيه على أن التوبة تُكَفِّر الذَّنب وإن عَظُم، هذا مجمعٌ عليه في الجملة، ويُكَفِّر أيضًا الحسنات الماحية والمصائب، ودعاء المسلمين بعضهم لبعض، وبالشفاعة بإذن الله، وعفو الله عمن شاء ممن لا يشرك به شيئًا وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعًا: «إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان[1].

قوله: (تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) **قال القرطبي**: السربال واحد السرابيل، وهي الثياب والقميص، يعني أنهن يلطخن بالقطران، فيكون لهم كالقمص، حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن، وألمهن بسبب الجرب أشد. وروى عن ابن عباس: إن القطران هو النحاس المذاب.

(١) حسن. أخرجه أحمد [٦١٦٠] [٦٤٠٨] والترمذي [٣٥٣٧] وابن حبان [٦٢٨] وابن عدي (١٥٩٢/٤) وابن ماجه [٤٢٥٣] وأبو نعيم في «الحلية» (١٩٠/٥) والحاكم (٢٥٧/٤) والبيهقي في «الشعب» [٧٠٦٤] والبغوي [١٣٠٦] وله شواهد.
انظر: صحيح الجامع [١٩٠٣].

ولهما عن زيدِ بن خالدٍ الجُهَنيِّ رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل،

قال: («ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: **«أتدرون ماذا قال ربكم؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: قال: **«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»**)(١).

زيد بن خالد الجهني صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين، وقيل: غير ذلك، وله خمس وثمانون سنة.

قوله: (صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بنا، فاللام بمعنى الباء. قال الحافظ: وفيه إطلاق ذلك مجازًا. وإنما الصلاة لله.

قوله: (بالحديبية) بالمهملة المضمومة وتخفيف يائها وتثقل.

قوله: (على إثر سماء كانت من الليل) بكسر الهمزة وسكون المثلثة على المشهور، وهو ما يعقب الشيء.

قوله: (سماء) أي مطر. لأنه ينزل من السحاب، والسماء يطلق على كل ما ارتفع.

---

(١) أخرجه البخاري [٨٤٦] [١٠٣٨] [٤٠٤٧] [٧٥٠٣] ومسلم [٧١] وأبو داود [٣٩٠٦] والنسائي (١٦٤/٣) ومالك (١٩٢/١) والشافعي (١٥/١) والحميدي [٨١٣] وعبد الرزاق [٢١٠٠٣] وأحمد (١١٥/٤) وأبو عوانة (٢٦/١- ٢٧) والطبراني [٥٢١٤] [٥٢١٥] [٥٢١٦] وابن منده [٥٠٤] [٥٠٥] [٥٠٦] والبيهقي (٣٥٧/٣) والبغوي [١١٦٩].

فلما انصرف أقبل الناس فقال: «هل تدرون ماذا قالَ رَبُّكُم؟» قالوا: «الله ورسوله أعلم»، قال: «قالَ: أصبحَ مِن عِبَادِي مُؤمنٌ بي وكَافرٌ،

قوله: (فلما انصرف) أي من صلاته، أي التفت إلى المأمومين، كما يدل عليه قوله: أقبل على الناس ويحتمل أنه أراد السلام.

قوله: (هل تدرون) لفظ استفهام ومعناه التنبيه. وفي النسائي: ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟ وهذا من الأحاديث القدسية. وفيه إلقاء العالم على أصحابه المسألة ليختبرهم.

قوله: (قالوا الله ورسوله أعلم) فيه حسن الأدب للمسئول عما لا يعلم أن يكل العلم إلى عالمه. وذلك يجب(١).

قوله: أصبح من عبادي الإضافة هنا للعموم بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

قوله: (مؤمن بي وكافر) إذا اعتقد أن للنوء تأثيرًا في إنزال المطر فهذا كفر لأنه أشرك في الربوبية. والمشرك كافر. وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر، لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله لم يجعل النوء سببًا لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل من الله ورحمته يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء.

ودل هذا الحديث على أنه لا يجوز لأحد أن يضيف أفعال الله إلى غيره ولو على سبيل المجاز. وأيضًا الباء تحتمل معاني، وكلها لا تصدق بهذا اللفظ، فليست للسببية ولا للاستعانة، لما عرفت من أن هذا باطل. ولا تصدق أيضًا على أنها للمصاحبة، لأن

---

(١) وردهم هذا إنما كان يصح حينما كان الرسول ﷺ في حياته الدنيا حاضر المجلس فإن الواجب رد العلم إلى الله ثم إليه. وأما بعد أن مات وفارق هذه الدنيا، فلا ينبغي رد العلم إلا إلى الله وحده. فمن الخطأ استعمال الناس هذه الجملة الآن وقولهم: «الله ورسوله أعلم».

....

المطر قد يجيء في هذا الوقت وقد لا يجيء فيه، وإنما يجيء المطر في الوقت الذي أراد الله مجيئه فيه برحمته وحكمته وفضله. فكل معنى تحمل عليه الباء في هذا اللفظ المنهي عنه فاسد. فيظهر على هذا تحريم هذه اللفظة مطلقًا لفساد المعنى[1]. وقد تقدم القطع بتحريمه في كلام صاحب الفروع والإنصاف.

قال المصنف رحمه الله: وفيه التفطن للإيمان في هذا الموضع يشير إلى أنه الإخلاص.

---

(١) وكذلك مثلها مما يستعمله الجاهلون، كقولهم: يا ربنا بمحمد وببنته؛ ونحو ذلك من ألفاظ في توسلاتهم ودعواتهم الجاهلية.

فأمَّا مَن قالَ: مُطِرْنَا بفضلِ اللهِ ورحمتِهِ؛ فذلكَ مؤمنٌ بي كافِرٌ بالكَوكَبِ، وأمَّا مَن قالَ مُطرنَا بنوءِ كذا وكذا؛ فذلِكَ كافرٌ بي، مُؤمنٌ بالكَوكَبِ».

قوله: (فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته) فالفضل والرحمة صفتان لله، ومذهب أهل السنة والجماعة: أن ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات الذات: كالحياة والعلم، وصفات الأفعال، كالرحمة التي يرحم بها عباده. كلها صفات لله قائمة بذاته ليست قائمة بغيره، فتفطن لهذا فقط غلط فيه طوائف.

وفي هذا الحديث: إن نِعَم الله لا يجوز أن تُضاف إلَّا إليه وحده، وهو الذي يُحمد عليها، وهذه حال أهل التوحيد.

قوله: (وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا) إلى أخره، تقدم ما يتعلق بذلك.

قال المصنف رحمه الله: وفيه التفطن للكفر في هذا الموضع.

يشير إلى أنه نسبة النعمة إلى غير الله كفر، ولهذا قطع بعض العلماء بتحريمه، وإن لم يعتقد تأثير النوء بإنزال المطر، فيكون من كفر النعم، لعدم نسبتها إلى الذي أنعم بها، ونسبتها إلى غيره، كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل:٨٣].

قال القرطبي في شرح حديث زيد بن خالد: وكانت العرب إذا طلع نجم من الشرق وسقط آخر من المغرب فحدث عند ذلك مطر أو ريح، فمنهم من ينسبه إلى الطالع، ومنهم من ينسبه إلى الغارب نسبة إلى إيجاد واختراع، ويطلقون ذلك القول المذكور في الحديث. فنهى الشارع عن إطلاق ذلك لئلا يعتقد أحد اعتقادهم ولا يتشبه بهم في نطقهم. انتهى.

....

قوله: فمنهم من ينسـبه نسـبة إيجاد يدل على أن بعضهم كان لا يعتقد ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت :٦٣] فدل على أن منهم من يعرف ويُقـرّ بأنَّ الله هـو الذي أوجد المطر، وقد يعتقد هؤلاء أن النوء فيه شـيئًا من التأثير، والقرطـبي في شرحه لم يصرح أن العرب كلهم يعتقـدون ذلك المعتقدالذي ذكره. فلا اعتراض عليه بلآية للاحتمال المذكور.

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه وفيه قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥﴾

قوله: ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه: قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٧٥-٨٢]. وبلفظه عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر، ومنهم كافر». قالوا: هذه رحمة الله. وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا». فقال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[1].

هذا قَسَمٌ من الله عز وجل، يُقسم بما شاء من خلقه على ما شاء. وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾ فتكون (لا) صلة لتأكيد النفي، فتقدير الكلام، ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر، أو كهانة، بل هو قرآن كريم.

قال ابن جرير: قال بعض أهل العربية: معنى قوله: (فلا أقسم) فليس الأمر كما تقولون، ثم استؤنف القسم بعد فقيل: أقسم بمواقع النجوم.

قال ابن عباس: يعني نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء الدنيا، ثم نزل مُفَرَّقًا في السنين بعد، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية. ومواقعها: نزولها شيئًا بعد

(١) أخرجه مسلم [٧٣] فقط.

وأخرجه أحمد [٨٧٣٩] ومسلم [٧٢] والنسائي (١٦٤/٣) والبيهقي (٣٥٨/٣) عن أبي هريرة.

وأخرجه أحمد (٧/٣) وابن حبان عن أبي سعيد.

....

شيء[1]. وقال مجاهد: مواقع النجوم مطالعها ومشارقها[2]. واختاره ابن جرير. وعلى هذه فتكون المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه وهو القرآن من وجوه: **أحدها**: أن النجوم جعلها الله يهتدي بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يهتدي بها في ظلمات الغي والجهل. فتلك هداية في الظلمات الحسية، والقرآن هداية في الظلمات المعنوية. فجمع بين الهدايتين مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة. وفي القرآن من الزينة الباطنة، ومع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي القرآن من رجوم شياطين الجن والإنس. والنجوم آياته المشهودة العيانية، والقرآن آياته المتلوة السمعية، مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول. ذكره ابن القيم رحمه الله.

---

(١) أخرجه الطبري [٣٣٥٢٤] والطبراني [١٢٤٢٦] بإسناد ضعيف جدًا.

(٢) أخرجه ابن جرير [٣٣٥٢٧] بإسناد ضعيف وفيه انقطاع.

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾

وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ **قال ابن كثير:** أي وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم به عليه[1].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ هذا هو المقسم عليه، وهو القرآن، أي إنه وحي الله وتنزيله وكلامه، لا كما يقول الكفار: إنه سحر أو كهانة، أو شعر. بل هو قرآن كريم أي عظيم كثير الخير لأنه كلام الله.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فوصفه بما يقتضي حُسنه وكثرة خيره ومنافعه وجلالته، فإن الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله. والله سبحانه وتعالى وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن **قال الأزهري:** الكريم اسم جامع لما يحمد، والله تعالى كريم جميل الفعال، وإنه لقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة.

وقوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي في كتاب معظم محفوظ موقر، قاله ابن كثير.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: اختلف المفسرون في هذا، فقيل: هو اللوح المحفوظ والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة، وهو المذكور في قوله: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٦] ويدل على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسونه.

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٨).

﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾

قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾. قال: الكتاب الذي في السماء[1] وفي رواية: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ يعني الملائكة[2] وقال قتادة: لا يمسه عند الله إلا المطهرون[3] فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس والمنافق الرجس واختار هذا القول كثيرون، منهم ابن القيم رحمه الله ورجحه.

وقال ابن زيد: زعمت قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين، فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠-٢١٢] قال ابن كثير: هذا قول جيد. وهو لا يخرج عن القول قبله[4].

وقال البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه في هذه الآية: لا يجد طعمه إلا من آمن به.

---

(١) إسناده ضعيف جدًا. أخرجه ابن جرير [٣٣٥٣٣] من طريق حكيم بن جُبير عن سعيد عن ابن عباس.

وإسناده ضعيف جدًا، حكيم متروك.

(٢) إسناده ضعيف جدًا.

أخرجه ابن جرير [٣٣٥٣٧] وفيه ضعف وانقطاع.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» [٣١٤٨] بسند صحيح.

وأخرجه ابن جرير [٣٣٥٤٨] من طريق آخر عن معمر عن قتادة بسند صحيح.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٨).

قال ابن القيم رحمه الله: هذا من إشارة الآية وتنبيهها، وهو أنه لا يلتذ به وبقراءته وفهمه وتدبره إلا من يشهد أنه كلام الله تكلم به حقًا، وأنزله على رسوله وحيًا. لا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه.

وقال آخرون: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ أي من الجنابة والحديث. قالوا: ولفظ الآية خبر معناه الطلب. قالوا: والمراد بالقرآن ههنا المصحف. واحتجوا على ذلك بما رواه مالك في «الموطأ» عن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم: **«أن لا يمس القرآن إلا طاهر»**[1].

(١) صحيح أخرجه مالك (ص:١٤١) وعبد الرزاق في «تفسيره» [٣٦٤٩] وابن حبان [٦٥٥٩] والدارقطني (١٢٢/١) والحاكم (٣٩٥/١) والبيهقي (٨٧/١) وجماعة، وصححه الشيخ في الإرواء [١٢٢].

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾﴾

وقوله: (﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **قال ابن كثير:** هذا القرآن مُنَزَّلٌ من ربِّ العالمين وليس كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر، بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع. وفي هذه الآية: أنه كلام الله تكلم به[1].

قال ابن القيم رحمه الله: ونظيره: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة:١٣] وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢] هو إثبات علو الله تعالى على خلقه فإن النزول والتنزيل الذي تعقله العقول وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلى إلى أسفل ولا يرد عليه قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر:٦] لأنا نقول: إن الذي أنزلها فوق سماواته. فأنزلها لنا بأمره.

قال ابن القيم رحمه الله: وذكر التنزيل مضافًا إلى ربوبيته للعالمين المستلزمة لملكه لها وتصرفه فيهم، وحكمه عليهم، وإحسانه إليهم، وإنعامه عليهم، وأن من هذا شأنه مع الخلق كيف يليق به مع ربوبيته التامة أن يتركهم سدى، ويدعهم هملًا، ويخلقهم عبثًا. لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم؟ فمن أقر بأنه رب العالمين أقر بأن القرآن تنزيله على رسوله. واستدل بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله وصحة ما جاء به، وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق. وإن كانت دلالتها أقرب إلى أذهان عموم الناس. وذلك إنما تكون لخواص العقلاء.

قوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ قال مجاهد: أتريدون أن تمالئوهم فيه وتركنوا إليهم؟.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ثم وبّخهم على وضعهم الإدهان في غير موضعه وأنهم يداهنون فيما حقه أن يصدع به ويعرف به، ويعض عليه بالنواجذ، وتثني

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٩٨).

....

عليه الخناصر، وتعقد عليه القلوب والأفئدة، ويحارب ويسالم لأجله، ولا يلتوى عنه يُمنةً ولا يُسرة، ولا يكون للقلب التفات إلى غيره، ولا محاكمة إلا إليه، ولا مخاصمة إلا به، ولا اهتداء في طرق المطالب العالية إلا بنوره، ولا شفاء إلا به، فهو روح الوجود، وحياة العالم، ومدار السعادة، وقائد الفلاح، وطريق النجاة، وسبيل الرشاد، ونور البصائر. فكيف تطلب المداهنة بما هذا شأنه، ولم ينزل للمداهنة، وإنما نزل بالحق وللحق، والمداهنة إنما تكون في باطل قوى لا تمكن إزالته، أو في حق ضعيف لا تمكن إقامته، فيحتاج المداهن إلى أن يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل، فأما الحق الذي قام به كل حق فكيف يداهن به؟

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة: ٨٢].

قوله: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ تقدم الكلام عليها أول الباب، والله تعالى أعلم.

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ آيةِ الواقعةِ.

الثانية- ذكرُ الأرْبَعِة من أمرِ الجاهليةِ.

الثالثة- ذكرُ [الكفرِ في بعضِها.

الرابعة- أنَّ مِنَ الكفرِ] ما لا يُخرِجُ [مِنَ] الملةِ.

الخامسة- قولُهُ: «أصبح مِن عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ» بسببِ نزولِ النعمةِ.

السادسة- التفطنُ للإيمانِ في هذا المَوضعِ.

السابعة- التفطنُ للكفرِ في هذا الموضعِ.

الثامنة- التفطنُ لقولِهِ: «لقد صدَقَ نوءَ كذا وكذا».

التاسعة- إخراجُ العالِمِ [للمتعلمِ] المسألةَ بالاستفهامِ عنها، لقولِهِ: « أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ».

العاشرة- وعيدُ النائحةِ.

بابُ
قولِ الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]،

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾

قوله: باب

قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

لما كانت محبته سبحانه هي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان، نبه المصنف على ذلك بهذه الترجمة.

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ الآية. قال في «شرح المنازل»[1]: أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئًا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادًا، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحدًا من أهل الأرض لا يثبت هذا الند، بخلاف ند المحبة. فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادًا في الحب والتعظيم. ثم قال تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ وفي تقدير الآية قولان:

أحدهما: والذين آمنوا أشد حبًا لله من أصحاب الأنداد لأندادهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله.

---

(١) المدارج (٢٠/٣).

وروى ابن جرير عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ مباهاة ومضاهاة للحق بالأنداد ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من الكفار لأوثانهم[(١)].

ثم روى عن ابن زيد قال: هؤلاء المشركون أندادهم آلهتهم التي عبدوا مع الله يحبونهم كما يحب الذين آمنوا الله، والذين آمنوا أشد حبًا لله من حبهم آلهتهم[(٢)]. انتهى.

والثاني: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من المشركين بالأنداد لله، فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة. والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ فإن فيها قولين أيضًا:

أحدهما: يحبونهم كما يحبون الله. فيكون قد أثبت لهم محبة الله. ولكنها محبة أشركوا فيها مع الله تعالى أندادهم.

والثاني: أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، ثم بين تعالى أن محبة المؤمنين لله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرجح القول الأول ويقول: إنما ذموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له، وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم، وهم في النار أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨] ومعلوم أنهم ما سووهم برب العالمين في الخلق والربوبية

(١) أخرجه ابن جرير [٢٤١٥] بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير [٢٤١٨] بسند صحيح.

....

وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم، وهذا أيضًا هو العدل المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١] به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] وهذه تسمى آية المحنة. قال بعض السلف: ادعى قوم محبة الله فأنزل الله تعالى آية المحنة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدته. فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول ﷺ وفائدتها وثمرتها، محبة المرسل لكم. فما لم تحصل منكم المتابعة فمحبتكم له غير حاصلة، ومحبته لكم منتفية.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:٥٤] ذكر لها أربع علامات:

إحداهما: أنهم أذلة على المؤمنين، قيل: معناه أرقاء رحماء مشفقين عاطفين عليهم، فلما ضمن أذلة هذا المعنى عداه بأداة على. قال عطاء رحمه الله: للمؤمنين كالولد لوالده وكالعبد لسيده، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

العلامة الثالثة: الجهاد في سبيل الله بالنفس واليد والمال واللسان. وذلك تحقيق دعوى المحبة.

العلامة الرابعة: إنهم لا تأخذهم في الله لومة لائم. وهذه علامة صحة المحبة. فكل محب أخذه اللوم على محبوبه فليس بمحب على الحقيقة. وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ

....

ﱡﭐ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﱠ [الإسراء:٥٧] فذكر المقامات الثلاثة: الحب. وهو ابتغاء القرب إليه، والتوسل إليه بالأعمال الصالحة. والرجاء والخوف يدل على أن ابتغاء الوسيلة أمر زائد على رجاء الرحمة وخوف العذاب، ومن المعلوم قطعًا أنه لا يتنافس إلا في قرب من يحب قربه، وحب قربه تبع لمحبة ذاته، بل محبة ذاته أوجبت محبة القرب منه. وعند الجهمية والمعطلة: ما من ذلك كله شيء فإنه عندهم لا تقرب ذاته من شيء، ولا يقرب من ذاته شيء، ولا يحب، فأنكروا حياة القلوب، ونعيم الأرواح وبهجة النفوس، وقرة العيون وأعلى نعيم الدنيا والآخرة. ولذلك ضربت قلوبهم بالقسوة وضرب دونهم ودون الله حجاب على معرفته ومحبته، فلا يعرفونه ولا يحبونه ولا يذكرونه إلى عند تعطيل أسمائه وصفاته، فذكرهم أعظم آثامهم وأوزارهم، بل يعاقبون من يذكره بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله ويرمونهم بالأدواء التي هم أحق بها وأهلها. وحسب ذي البصيرة وحياة القلب ما يرى على كلامهم من القسوة والمقت والتنفير عن محبة الله تعالى ومعرفته وتوحيده والله المستعان.

وقال رحمه الله تعالى أيضًا: لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء. فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها. وأجمع ما قيل في ذلك: ما ذكره أبو بكر الكتاني عن الجنيد.

محبة الله

قال أبو بكر: «جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله في أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنًا، فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه

ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هيبته، وصفا شرابه من كأس مودته، وانكشف له الحياء من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو لله وبالله ومع الله. فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين[1].

وذكر رحمه الله تعالى: أن الأسباب الجالبة للمحبة عشرة:

أحدهما: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر هذا.

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: وهو أعجبها إنكسار القلب بين يديه.

الثامن: الخلوة وقت النزول الإلهي وتلاوة كتابه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

....

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشرة: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب[1].

(١) المدارج (١٣/١٧-١٨).

وقوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ [التوبة:٢٤]، إلى قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة:٢٤].

قوله: وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

أمر الله نبيه ﷺ أن يتوعد من أحب أهله وماله وعشيرته وتجارته ومسكنه فآثارها، أو بعضها على فعل ما أوجبه الله عليه من الأعمال التي يحبها الله تعالى ويرضاها، كالهجرة والجهاد ونحو ذلك.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: أي إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ ﴾ أي انتظروا ما يحل بكم من عقابه[1].

روى الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له من حديث أبي عبد الرحمن السُّلمي عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلًا لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم»**[2].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣٤٢/٢).

(٢) صحيح أخرجه أبو داود [٣٤٦٢] والدولابي في «الكنى» (٦٥/٢) وابن عدي في «الكامل» (١٩٩٨/٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٢٠٨/٥) والبيهقي (٣١٦/٥) من طريق حيوة بن شريح عن إسحاق أبي عبد الرحمن عن عطاء الخراساني عن نافع، به.

وأخرجه أحمد [٤٨٢٥] وأبو يعلى [٥٦٥٩] والطبراني [١٣٥٨٣] [١٣٥٨٥] والبيهقي في «الشعب» [٤٢٢٤] [١٠٨٧١] وأبو نعيم في «الحلية» (٣١٣/١) (٣١٨/٣) من طرق عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر، به.

....

فلا بد من إيثار ما أحبه الله من عبده وأراده على ما يحبه العبد ويريده، فيحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه، ويوالي فيه ويعادي فيه ويتابع رسوله ﷺ كما تقدم في آية المحنة ونظائرها.

وله طرق آخر عند أحمد [٥٠٠٧] [٥٥٦٢] بسند ضعيف.

والحديث بطرقه وشواهده صحيح انظر: «الصحيحة» [١١].

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يُؤمِنُ أحَدُكُم حَتى؛ أكونَ أحَبَّ إليهِ مِن وَلدِهِ ووَالِدِهِ والناسِ أجْمَعينَ» أخرجاه.

محبة النبي

قوله: (وعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»** أخرجاه) أي البخاري ومسلم(١).

قوله: (لا يؤمن أحدكم) أي الإيمان الواجب، والمراد كماله، حتى يكون الرسول أحب إلى العبد من ولده ووالده والناس أجمعين، بل ولا يحصل هذا الكمال إلا بأن يكون الرسول أحب إليه من نفسه، كما في الحديث: **«أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال: «والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنك الآن أحب إلي من نفسي، فقال: «الآن يا عمر»** رواه البخاري(٢).

فمن قال: إن المنفي هو الكمال، فإن أراد الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويعرض للعقوبة فقد صدق، وإن أراد أن المنفي الكمال المستحب، فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. قاله شيخ الإسلام رحمه الله.

فمن ادَّعى محبة النبي صلى الله عليه وسلم بدون متابعة وتقديم قوله على قول غيره فقد كذب كما قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٤٧] فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول

(١) أخرجه البخاري [١٥] ومسلم [٤٤] وعبد بن حميد [١١٧٥] والدارمي [٢٧٤١] والنسائي (٨/١١٤) وأبو يعلى [٣٠٤٩] [٣٢٥٨] [٣٨٩٥] وأحمد (٣/٢٠٧و ٢٧٢و٢٧٥و٢٧٨)، وابن حبان [١٧٩] وابن منده [٢٨٥] [٢٨٦] والبيهقي في «الشعب» [١٣٧٤] [١٣٧٥] والبغوي [٢٢].

(٢) أخرجه البخاري [٣٦٩٤] [٦٢٦٤] [٦٦٣٢] وأحمد (٤/٢٣٣) (٥/٢٩٣) وابن قانع [٥٢٨] والحاكم (٣/٤٥٦) من حديث عبدالله بن هشام.

صلى الله عليه وسلم، لكن كل مسلم يكون محبًا بقدر ما معه من الإسلام وكل مسلم لا بد أن يكون مؤمنًا وإن لم يكن مؤمنًا الإيمان المطلق. لأن ذلك لا يحصل إلا لخواص المؤمنين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر، أو ولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله. فهم مسلمون ومعهم إيمان مجمل، لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئًا فشيئًا إن أعطاهم الله ذلك، وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلى اليقين ولا إلى الجهاد، ولو شككوا لشكوا، ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا. إذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأ الريب، ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الأهل والمال، فهؤلاء إن عرفوا من المحنة ماتوا ودخلوا الجنة، وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبهم فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين، وانتقلوا إلى نوع من النفاق. انتهى.

وفي هذا الحديث: أن الأعمال من الإيمان. لأن المحبة عمل القلب.

وفيه: أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة تابعة لمحبة الله لازمة لها، فإنها لله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها، وكل من كان محبًا لله فإنما يحب في الله ولأجله كما يحب الإيمان والعمل الصالح. وهذه المحبة ليس فيها شيء من شوائب الشرك كالاعتماد عليه ورجائه في حصول مرغوب منه أو دفع مرهوب منه. وما كان فيها ذلك فمحبته مع الله لما فيها من التعلق على غيره والرغبة إليه من دون الله، فبهذا يحصل التمييز بين المحبة في الله ولأجله، التي هي من كمال التوحيد، وبين المحبة مع الله التي هي محبة الأنداد من دون الله لما يتعلق في قلوب المشركين من الإلهية التي لا تجوز إلا لله وحده.

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ مَن كنَّ فيهِ وجدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمانِ:

قوله: (ولهما عنه أي البخاري ومسلم، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف بالنار»** وفي رواية: لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله... إلخ[1].

قوله: (ثلاث) أي ثلاث خصال.

قوله: (من كن فيه) أي وجدت فيه تامة.

قوله: (وجد بهن حلاوة الإيمان) الحلاوة هنا هي التي يعبر عنها بالذوق لما يحصل به من لذة القلب ونعيمه وسروره وغذائه، وهي شيء محسوس يجده أهل الإيمان في قلوبهم.

قال السيوطي رحمه الله في «التوشيح»: وجد حلاوة الإيمان فيه استعارة تخييلية. شَبَّه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه.

وقال النووي: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق وإيثار ذلك على أغراض الدنيا، ومحبة العبد لله بفعل طاعته وترك مخالفته. وكذلك الرسول ﷺ[2].

قال يحي بن معاذ: حقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء.

---

(١) أخرجه البخاري [١٦] [٦٩٤١] ومسلم [٤٣] وأحمد [١٢٠٠٢] [١٢١٢٢] [١٢٧٦٥] [١٢٧٨٣] والترمذي [٢٦٢٤] وأبو يعلى [٢٨١٣] وابن حبان [٢٣٨] والبيهقي في «الشعب» [٤٠٥].

(٢) شرح مسلم للنووي (١/٢٨٩).

أَنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أَحَبَّ إليهِ مِمَّا سِواهُما، وأَنْ يُحِبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا للهِ، وأَنْ يكرَهَ أَنْ يعودَ في الكُفرِ بعدَ إذ أنقذَهُ اللهُ منهُ؛

قوله: (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) يعني بالسوى: ما يحبه الإنسان بطبعه، كمحبة الولد والمال والأزواج ونحوها. فتكون أحب هنا على بابها.

وقال الخطابي: المراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع كذا قال.

وأما المحبة الشركية التي قد تقدم بيانها فقليلها وكثيرها ينافي محبة الله ورسوله وفي بعض الأحاديث: «أحبوا الله بكل قلوبكم»[1] فمن علامات محبة الله ورسوله: أن يحب ما يحبه الله ويكره ما يكرهه الله، ويؤثر مرضاته على ما سواه، ويسعى في مرضاته ما استطاع، ويبعد عما حرمه الله ويكرهه أشد الكراهة، ويتابع رسوله ويمتثل أمره ويترك نهيه، كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠] فمن آثر أمر غيره على أمره وخالف ما نهى عنه، فذلك أحب الله وأطاعه أحب الرسول وأطاعه. ومن لا فلا، كما في آية المحنة، ونظائرها. والله المستعان.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان. لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له فمن أحب شيئًا واشتهاه، إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى. قال: فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله. وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة وتفريغها، ودفع ضدها. فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (١٠٨/٢) بلاغًا، ووصله البيهقي في «الدلائل» (٥٢٤/٢- ٥٢٥) بإسناد حسن ولكنه مرسل.

سواهما، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب، بل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما[1].

قلت: ومحبة الله تعالى تستلزم محبة طاعته، فإنه يحب من عبده أن يطيعه والمحب يحب ما يحبه محبوبه ولا بد.

ومن لوازم محبة الله أيضًا: محبة أهل طاعته، كمحبة أنبيائه ورسله والصالحين من عباده. فمحبة ما يحبه الله ومن يحبه الله من كمال الإيمان، كما في حديث ابن عباس الآتي.

قال: وتفريغها. أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، قال: ودفع ضدها أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار. انتهى.

قوله: (أحب إليه مما سواهما) فيه جمع ضمير الله تعالى وضمير رسوله ﷺ وفيه قولان:

أحدهما: أنه ثنى الضمير هنا إيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحدة فإنها وحدها لاغية. وأمر بالإفراد في حديث الخطيب[2]

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٠٥- ٢٠٦).

(٢) وذلك ما رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث عدي بن حاتم: «أن خطيبًا خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله تعالى ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى. فقال له ﷺ: «بئس الخطيب أنت. قل: من يعص الله تعالى ورسوله فقد غوى».

قال النووي: سبب الإنكار عليه أن الخطبة شأنها البسط والإيضاح، واجتناب الإشارات والرموز. قال ولهذا ثبت أن رسول الله كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا لتُفهم عنه، قال وإنما ثنى الضمير في قوله: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» لأنه ليس خطبة وعظ وإنما هو تعليم حكم. فكلما قل لفظه كان أقرب إلى حفظه بخلاف الخطبة اهـ

أقول: ولعلها حادثة حال لها ظروفها التي اقتضت أن يقول رسول الله ﷺ ذلك والله أعلم.

إشعارًا بأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية إذ العطف في تقدير التكرير، والأصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم.

الثاني، حمل حديث الخطيب على الأدب والأولى، وهذا هو الجواز.

وجواب ثالث، وهو أن هذا وارد على الأصل، وحديث الخطيب ناقل فيكون أرجح.

كَمَا يَكرَهُ أنْ يُقذفَ فِي النارِ».

وفي رواية: «لا يجد أحدكم حلاوة الإيمان حتى...» إلى أخره.

قوله: (كما يكره أن يقذف في النار) أي يستوى عنده الأمران. وفيه رد على الغلاة الذين يتوهمون أن صدور الذنب من العبد نقص في حقه مطلقًا وإن تاب منه.

والصواب: أنه إن لم يتب كان نقصًا وإن تاب فلا، ولهذا كان المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم أفضل هذه الأمة مع كونهم في الأصل كفارًا فهداهم الله إلى الإسلام، والإسلام يمحو ما قبله، وكذلك الهجرة. كما صح الحديث بذلك.

قوله: (وفي رواية: لا يجد أحد) هذه الرواية أخرجها البخاري في «الأدب» من صحيحه. ولفظها: **«لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلى لله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»**[(١)].

وقد تقدم أن المحبة هنا عبارة عما يجده المؤمن من اللذة والبهجة والسرور والإجلال والهيبة ولوازم ذلك، قال الشاعر:

أَهابكَ إِجلالًا. ومَا بِكَ قُدرةٌ عليّ، ولكنّ ملءُ عينِ حَبِيبهَا

(١) صحيح البخاري [٦٠٤١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَن أحبَّ في الله،

من أحب الله أبغض في الله ووالى في الله

قوله: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنمـا تنـال ولايـة الله بذلك، ولن يجد عبد طعـم الإيمان وإن كثرت صلاتـه وصومه حتى يكون كذلـك. وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا» رواه ابن جرير)[1].

وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم الجملة الأولى منه فقط.

قوله: (من أحبَّ في الله) أي أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك.

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه ابن المبارك في «الزهد» [٣٥٣] وابن أبي شيبة (٣٦٨/١٣) من طريق سفيان عن الليث عن مجاهد عن ابن عباس، به.

وإسناده ضعيف، الليث هو ابن أبي سليم مجمع على ضعفه، وربما اضطرب فيه.

فرواه الطبراني في «الكبير» [١٣٥٣٧] وأبو نعيم في «الحلية» (٣١٢/١) من طريق أبي نعيم عن سفيان عن الليث عن مجاهد عن ابن عمر، به.

فمرة يرويه سفيان عن الليث فجعله من حديث ابن عمر، ومرة من حديث ابن عباس، ولكنه الليث لا يجعل هذا الاحتمال قائمًا لسوء حفظه واضطرابه.

لكن الجزء الأول منه له شواهد يصح بها فراجع الحديث رقم [٣٨٠] من السلسة الصحيحة للشيخ الألباني.

وشاهد من قول كعب، أخرجه هناد في «الزهد» [٤٦٨] ووكيع في «الزهد» [٣٣٥] وأبو نعيم في «الحلية» (٣١/٦) بسند صحيح عنه.

وأبغضَ في الله، ووالَى في الله، وعادَى في الله، فإنما تُنَالُ ولايةُ الله بذلك.

قوله: (وأبغض في الله) أي أبغض من كفر بالله وأشرك به وفسق عن طاعته لأجل ما فعلوه مما يسخط الله وإن كانوا أقرب الناس إليه، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

قوله: (ووالى في الله) هذا والذي قبله من لوازم محبة العبد لله تعالى، فمن أحب فيه، ووالى أولياءه، وعادى أهل معصيته وأبغضهم، وجاهد أعداءه ونصر أنصاره وكلما قويت محبة العبد لله في قلبه قويت هذه الأعمال المترتبة عليها، وبكماله يكمل توحيد العبد، ويكون ضعفها على قدر ضعف محبة العبد لربه، فمقل ومستكثر ومحروم.

قوله: (فإنما تنال ولاية الله بذلك) أي توليه لعبده. وولاية بفتح الواو لا غير أي الأخوة والمحبة والنصرة، وبالكسر الإمارة، والمراد هنا الأول.

ولأحمد والطبراني عن النبي ﷺ قال: **«لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله. فإذا أحب لله وأبغض لله، فقد استحق الولاية لله»**(١) وفي حديث آخر: **«أوثق عري الإيمان الحب في الله، والبغض في الله عز وجل»**(٢) رواه الطبراني.

---

(١) إسناده ضعيف. أخرجه أحمد (٤٣٠/٣) من طريق رشدين بن سعد عن عبدالله بن الوليد عن أبي منصور مولى الأنصار عن عمرو بن الجموح مرفوعًا بلفظ «لا يحق العبد حق صريح الإيمان» الحديث.
وإسناده ضعيف جدًا.
رشدين ضعف، وأبو منصور لم يلق عمرو ففيه انقطاع.

(٢) حسن. أخرجه الطبراني [١١٥٣٧] من طريق حنش عن عكرمة عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ لأبي ذر «أي عرى الإيمان أوثق؟» وإسناده ضعيف، لضعف حنش الرحبي.
وله شاهد من حديث ابن مسعود.
أخرجه الطيالسي [٣٧٨] والطبراني [١٠٥٣١] وفي «الأوسط» [٤٤٧٦] وفي «الصغير» [٦٢٤] وابن عبد البر في «التمهيد» (٤٣٠/١٧) والحاكم (٤٨٠/٢).

ولن يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمانِ وإن كثُرَت صلاتُه وصومُه حتى يكونَ كذلكَ وقد [صارت] عامةُ مؤاخاةِ الناسِ على أمرِ الدنيا، وذلكَ لا يُجدِي [على أهلِه] شيئًا. رواه ابن جرير.

قوله: (ولن يجد عبد طعم الإيمان) إلى آخره. أي لا يحصل له ذوق الإيمان ولذته وسروره وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، أي حتى يحب في الله ويبغض في الله، ويعادي في الله، ويوالي فيه.

وفي حديث أبي أمامة مرفوعًا: «**من أحب في الله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**» رواه أبو داود(١).

قوله: (وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا. وذلك لا يجدي على أهله شيئًا) أي لا ينفعهم، بل يضرهم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧] فإذا كانت البلوى قد عمَّت بهذا في زمن ابن عباس خير القرون فما زاد الأمر بعد ذلك إلا شدة، حتى وقعت الموالاة على الشرك والبدع والفسوق والعصيان. وقد وقع ما أخبر به ﷺ بقوله: «**بدأ الإسلام غريبًا**

وشاهد من حديث البراء بن عازب بنحوه.

أخرجه أحمد (٤/٢٨٦) والطيالسي [٧٤٧] والبيهقي في «الشعب» [١٤] وابن عبد البر في «التمهيد» (١٧/٤٣١) بإسناد ضعيف

وشاهد من حديث أبي ذر.

أخرجه أحمد (٥/١٤٦) بإسناد ضعيف.

وشاهد من حديث معاذ الجهني.

أخرجه أحمد (٥/٢٤٧) والطبراني (٢٠/٤٢٦) بسند ضعيف والحديث بشواهده حسن إن شاء الله، وحسنه الشيخ في «الصحيحة» [١٧٢٧].

(١) صحيح أخرجه أبو داود [٤٦٨١] والطبراني [٧٧٣٧] وانظر «الصحيحة» [٣٨٠].

وسيعود غريبًا كما بدأ»[١]. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار في عهد نبيهم صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما يؤثر بعضهم بعضًا على نفسه محبة في الله وتقربًا إليه، كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد رأيتنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما منا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم رواه ابن ماجه[٢].

(١) حديث متواتر.

أخرجه أحمد [٣٧٨٤] والترمذي [٢٦٢٩] وابن ماجه [٣٩٨٨] والدارمي (٣١١/٢) والطحاوي «مشكل» (٢٩٧/١) والطبراني [١٠٠٨١] وأبو يعلى [٤٩٧٥] والشاشي [٧٢٩] والبيهقي في «الزهد» [٢٠٦] من حديث ابن مسعود وهو صحيح.

وأخرجه مسلم [١٤٦] عن ابن عمر.

وأخرجه ابن ماجه [٣٩٨٧] والطحاوي (٢٩٨/١) عن أنس.

وأخرجه الترمذي [٢٦٣٠] عن عمرو بن عوف.

وأخرجه أحمد [١٦٠٤] وأبو يعلى [٧٥٦] عن سعد بن أبي وقاص.

وهناك أحاديث وطرق أخرى.

(٢) أخرجه أحمد [٥٥٦٢] من طريق أبي جناب يحيي بن أبي حية عن شهر بن حوشب عن ابن عمر، فذكره.

وإسناده ضعيف لضعف يحيي بن أبي حية وشيخه.

وقال ابنُ عباسٍ في قولِهِ تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة:١٦٦]، قال: المودةُ.

قوله: وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة:١٦٦] قال: المودة، هذا الأثر رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه[١].

قوله: (قال المودة) أي التي كانت بينهم في الدنيا خانتهم أحوج ما كانوا إليها، وتبرأ بعضهم من بعض، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٢٥].

قال العلامة ابن القيم في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ... ﴾ [البقرة:١٦٦-١٦٧] الآيتين فهؤلاء المتبوعون كانوا على الهدى وأتباعهم ادعوا أنهم على طريقهم ومناهجهم، وهم مخالفون لهم سالكون غير طريقهم، ويزعمون أن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم، فيتبرآون منهم يوم القيامة فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله. وهذا حال كل من اتخذ من دون الله أولياء، يوالي لهم، ويعادي لهم، ويرضى لهم، ويغضب لهم، فإن أعماله كلها باطلة، يراها يوم القيامة حسرات عليه مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونصبه، إذ لم يجرد موالاته ومعاداته وحبه وبغضه وإنتصاره وإيثاره لله ورسوله، فأبطل الله عَزَّ وَجَلَّ ذلك العمل كله. وقطع تلك الأسباب. فينقطع يوم القيامة كل سبب وصلة ووسيلة ومودة كانت لغير الله، ولا يبقى إلا السبب الواصل بين العبد وربه. وهو حظه من الهجرة إليه وإلى رسوله وتجريده عبادته لله وحده

---

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه ابن جرير [٢٤٣١] وابن أبي حاتم [١٤٩٢] والحاكم (٢/٢٧٢) وإسناده ضعيف كما بينت في الأصل.

ولوازمها: من الحب والبغض، والعطاء والمنع، والموالاة والمعاداة، والتقرب والإبعاد وتجريد ومتابعة رسول الله ﷺ تجريدًا محضًا بريئًا من شوائب الالتفات إلى غيره، فضلًا عن الشرك بينه وبين غيره، فضلًا عن تقديم قول غيره عليه. فهذا السبب هو الذي لا ينقطع بصاحبه. وهذه هي النسبة التي بين العبد وربه، وهي نسبة العبودية المحضة، وهي آخيته التي يجول ما يجول وإليها مرجعه، ولا تتحقق إلا بتجريده متابعة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، إذ هذه العبودية إنما جاءت على ألسنتهم، وما عرفت إلا بهم ولا سبيل إليها إلا بمتابعتهم. وقد قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] فهذه هي الأعمال التي كانت في الدنيا على غير سنة رسله وطريقتهم ولغير وجهه، يجعلها الله هباءً منثورًا لا ينتفع منها صاحبه بشيء أصلًا. وهذا من أعظم الحسرات على العبد يوم القيامة: أن يرى سعيه ضائعًا وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم. انتهى ملخصًا.

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ آيةِ البقرةِ.

الثانية- تفسيرُ آيةِ براءَة.

الثالثة- وجوبُ محبتهِ ﷺ على النفسِ والأهلِ والمالِ.

الرابعة- أنَّ نفيَ الإيمانِ لا يدلُّ على الخروجِ مِن الإسلامِ.

الخامسة- أنَّ للإيمانِ حلاوةً قد يجدهَا الإنسانُ وقد لا يجدها.

السادسة- أعمالُ القلبِ الأربعةُ التي لا تنالُ ولايةُ الله إلا بها، [ولا] يجد أحدٌ طعمَ الإيمانِ إلا بها.

السابعة- فهمُ [الصحابيِّ] للواقعِ: أنَّ عامةَ المؤاخاةِ على أمرِ الدنيا.

الثامنة- تفسيرُ: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البَقَرَةِ:١٦٦].

التاسعة- أنَّ مِن المشركينَ مَن يحبُّ الله حبًا شديدًا.

العاشرة- الوعيدُ على مَن كانَتِ الثمانيةُ [عنده] أحبَّ [إليهِ] مِن دينهِ.

الحادية عشرة- أنَّ مَن اتخذَ ندًا تساوِي محبتُه محبةَ الله فهو الشركُ الأكبرُ.

باب

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]،

قول الله: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾

قوله: باب

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

الخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها، وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى. قال تعالى: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠] وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] وقال تعالى: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٤٤] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

أقسام الخوف

والخوف من حيث هو على ثلاثة أقسام:

أحدها: خوف السرّ، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، كما قال تعالى عن قوم هود عليه السلام إنهم قالوا له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ [هود: ٥٤-٥٥] وقال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر: ٣٦] وهذا هو الواقع من عُبّاد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها،

ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

الثاني، أن يترك الإنسان ما يجب عليه، خوفًا من بعض الناس، فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد. وهذا هو سبب نزول هذه الآية. كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥] الآية. وفي الحديث: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره؟ فيقول: رب خشية الناس. فيقول: إياي كنت أحق أن تخشى»(١).

الثالث، الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك. فهذا لا يذم. كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١] الآية.

ومعنى قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي يخوفكم أولياءه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله، فلا يخافون إلا إياه. وهذا هو الإخلاص الذي أمر به عباده ورضيه منهم. فإذا أخلصوا له الخوف وجميع العبادة أعطاهم ما يرجون وأمنهم من

---

(١) إسناده حسن.

أخرجه أحمد [١١٢١٤] والحميدي [٧٣٩] وعبد بن حميد [٩٧٤] وابن ماجه [٤٠١٧] وأبو يعلى [١٠٨٩] [١٣٤٤] وابن حبان [٧٣٦٨] والبيهقي في «الشعب» [٧٥٧٤] [٧٥٧٥] وحسنه الشيخ في «الصحيحة» [٩٢٩].

مخاوف الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر: ٣٦] الآية.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن كيد عدو الله: أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، لئلا يجاهدوهم، لا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر. وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه. ونهانا أن نخافهم. قال: والمعنى عند جميع المفسرين: يخوفهم بأوليائه. قال قتادة: يعظمهم في صدوركم. فكلما قوى إيمان العبد زال خوف أولياء الشيطان من قلبه، وكلما ضعف إيمانه قوى خوفه منهم. فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من كمال شروط الإيمان[1].

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨]،

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ...﴾ الآية

قوله: وقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨].

أخبر تعالى أن مساجد الله لا يُعمرها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم، وأخلصوا له الخشية دون من سواه، فأثبت لهم عمارة المساجد بعد أن نفاها عن المشركين. لأن عمارة المساجد بالطاعة والعمل الصالح، والمشرك وإن عمل فعمله: ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور:٣٩] أو ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم:١٨] وما كان كذلك فالعدم خير منه، فلا تكون المساجد عامرة إلا بالإيمان الذي معظمه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع، وذلك كله داخل في مُسمَّى الإيمان المطلق عند أهل السنة والجماعة.

قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ **قال ابن عطية**: يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية، وينبغي في ذلك كله قضاء الله وتصريفه[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: الخوف عبودية القلب. فلا يصلح إلا لله، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب.

---

(١) «المحرر الوجيز» (٣/١٦).

قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ قال بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: يقول: إن أولئك هم المهتدون، وكل عسى في القرآن فهي واجبة[1].

وفي الحديث: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾» رواه أحمد والترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري[2].

(١) أخرجه ابن جرير [١٦٥٦٩] وإسناده فيه ضعف وانقطاع.

(٢) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (٦٨/٣) والترمذي [٢٦١٧] [٣٠٩٣] والدارمي (٢٧٨/١) وابن خزيمة [١٥٠٢] وابن حبان [١٧٢١] وابن عدي (٩٨١/٣) والحاكم (٢١٢/١- ٢١٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٣٢٧/٨) والبيهقي (٦٦/٣) وإسناده ضعيف وفيه نكارة.

وأخرجه الترمذي [٣٠٩٣] وابن ماجه [٨٠٢] وإسناده أشد ضعفًا.

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ فإذا أوذي إلخ

قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى مخبرًا عن صفات قوم من المكذبين يدعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت في قلوبهم: أنهم إذا جاءتهم محنة وفتنة في الدنيا اعتقدوا أنها من نقمة الله بهم، فارتدوا عن الإسلام. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يعني فتنة أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله»[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين: إما أن يقول أحدهم: آمنا، وإما أن لا يقول ذلك. بل يستمر على السيئات والكفر، فمن قال: آمنا امتحنه ربه وابتلاه وفتنه.

والفتنة: الابتلاء والاختبار، ليتبين الصادق من الكاذب، ومن لم يقل: آمنا. فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه. فمن آمن بالرسل وأطاعهم عاداه أعداؤهم وآذوه وابتلي بما يؤلمه، ومن لم يؤمن بهم ولم يطعهم عوقب في الدنيا والآخرة وحصل له ما يؤلمه، وكان هذا الألم أعظم وأدوم من ألم أتباعهم.

فلا بد من حصول الألم لكل نفس، آمنت أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير في الألم الدائم، والإنسان لا بد أن يعيش مع

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٤٠٥).

الناس، والناس لهم إرادات وتصورات، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم، كمن عنده دين وتقي حل بين قوم فجار ظلمة لا يتمكنون من فجورهم وظلمهم إلا بموافقته لهم أو سكوته عنهم، فإن وافقهم أو سكت عنهم سلم من شرهم في الابتداء. ثم يتسلطون عليه بالإهانة والأذى أضعاف ما كان يخافه ابتداء لو أنكر عليهم وخالفهم، وإن سلم منهم فلا بد أن يهان ويعاقب على يد غيرهم.

فالحزم كل الحزم بما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لمعاوية رضي الله عنه: «من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس. ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا من الله شيئًا»(١).

فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شر نفسه امتنع من الموافقة على فعل المحرم وصبر على عداوتهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسل وأتباعهم.

ثم أخبر تعالى عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة وأنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس له، وهي أذاهم ونيلهم إياه بالمكروه، وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم، جعل ذلك في فراره منه وتركه السبب الذي يناله به: كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالإيمان.

فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قرب. وهذا لضعف بصيرته فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم، ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله. فجعل ألم فتنة الناس في

---

(١) سيأتي مرفوعًا مخرجًا إن شاء الله.

الفرار منه بمنزلة عذاب الله. وغبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار. وفرَّ من ألم ساعة إلى ألم الأبد، وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال: إني كنت معكم، والله أعلم بما انطوى عليه صدره من النفاق. انتهى.

وفي الآية رد على المرجئة والكرامية[1]، ووجهه: أنه لم ينفع هؤلاء قولهم: آمنا بالله. مع عدم صبرهم على أذى من عاداهم في الله، فلا ينفع القول والتصديق بدون العمل. فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان. وهذا قول أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وفيه الخوف من مداهنة الخلق في الحق. والمعصوم من عصمه الله.

---

(١) فرقة من فرق المشبهه، وهم أصحاب أبي عبد الله بن محمد بن كرام وأقوالهم في التشبيه متعددة مختلفة غير أنها لا ينتهي إلى من يعبأ به، ويبالي بقوله، فاختير الاقتصار على قال زعميهم وهو: أن الله تعالى على العرش من جهة العلو مماس له في الصفحة العليا ويجوز عليه الحركة والنزول، واختلفوا يملأ العرش أم ملؤه؟ بل هو على بعضه؟..، ولهم كلام طويل لا يستحق الاعتناء كما قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ في «مكائد الشيطان» (ص:٢٠٥).

وعن أبي سعيد ﷺ مرفوعًا: «إن من ضعف اليقين؛

من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله

قوله: (عن أبي سعيد مرفوعًا: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره»[1].

هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي، وأعله بمحمد بن مروان السُّدِّي وقال: ضعيف، وفيه أيضًا عطية العوفي: ذكره الذهبي في «الضعفاء والمتروكين»، ومعنى الحديث صحيح، وتمامه: «وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضى واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط».

قوله: (إن من ضعف اليقين) الضعف يضم ويحرك، ضد القوة، ضعف ككرم ونصر، ضعفًا، وضعفة، وضعافية، فهو ضعيف وضعوف وضعفان، والجمع: ضعاف وضُعفاء وضَعَفَة وضَعْفى، أو الضعف بالفتح في الرأي وبالضم في البدن، فهي ضعيفة وضعوف. و«اليقين» كمال الإيمان. قال ابن مسعود: «اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان رواه أبو نعيم الحلية، والبيهقي في الزهد من حديثه مرفوعًا[2]. قال:

---

(١) إسناده ضعيف جدًا. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٦/٥) والبيهقي في «الشعب» [٢٠٣] وإسناده فيه مجاهيل وضعفاء.

(٢) إسناده ضعيف واهٍ.

أخرجه البيهقي في «الزهد» [٩٨٤] وأبو نعيم في «الحلية» (٣٤/٥) والخطيب في «تاريخه» (٢٢٦/١٣) واللالكائي في «السنة» وابن الجوزي في «العلل» (٨١٥/٢) رقم [١٣٦٤] عن ابن مسعود مرفوعًا.

وردَّه الحافظ العراقي في «الإحياء» (٧٢/١) والحافظ ابن حجر في «الفتح» (٤٨/١) وقال: لا يثبت رفعه.

وقال في «لسان الميزان» (١٥٢/٥) بعد أن ساقه إليه بالسند: حديث منكر، لا أصل له من حديث زبيد ولا من حديث الثوري» وقد صح موقوفًا.

ويدخل في ذلك تحقيق الإيمان بالقدر السابق، كما في حديث ابن عباس مرفوعًا: **«فإن استطعت أن تعمل بالرضى في اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا»**(١) وفي رواية: **«قلت يا رسول الله كيف أصنع باليقين؟ قال: «أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»**(٢).

قال الحافظ: الموقوف علّقه البخاري في «كتاب الإيمان» وأسنده الطبراني في «الكبير» [٨٥٤٤] بسند صحيح.

قلت: وقد رواه موقوفًا: الحاكم (٤٤٦/٢) ووكيع في «الزهد» [٢٠٣] والبيهقي في «الزهد» [٩٨٥] وفي «الشعب» [٤٧] وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والعراقي والحافظ في «الفتح» (٤٨/١).

(١) إسناده ضعيف جدًا.

أخرجه الحاكم (٥٤١/٣) وإسناده ضعيف جدًا وفيه انقطاع وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣١٤/١) من طريق آخر أشد ضعفًا.

(٢) إسناده ضعيف.

أخرجه الآجري في «الشريعة» [٤١٢] من طريق عبد السلام الشامي عن يزيد بن أبي حبيب عن حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعًا به، «يا غلام احفظ الله يحفظك» الحديث.

وإسناده ضعيف لضعف عبد السلام الشامي، لكنه قد توبع على الحديث، لكنه تفرد بهذه الزيادة ولم أجدها في غيرها من الروايات، فهي شاذة، وأصل الحديث صحيح.

أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله،

قوله: (أن ترضي الناس بسخط الله) أي تؤثر رضاهم على رضى الله، وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من استجلاب رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرف في القلوب ويفرج الكروب ويغفر الذنوب. وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك. لأنه آثر رضى المخلوق على رضى الله. وتقرب إليه بما يسخط الله. ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله. ووفقه لمعرفته ومعرفة ما يجوز على الله من إثبات صفاته على ما يليق بجلاله، وتنزيهه تعالى عن كل ما ينافي كماله، ومعرفة توحيده من ربوبيته وإلهيته وبالله التوفيق.

قوله: (وأن تحمدهم على رزق الله) أي على ما وصل إليك من أيديهم، بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه. فإن المتفضل في الحقيقة هو الله وحده الذي قدره لك وأوصله إليك، وإذا أراد أمرًا قيض له أسبابًا. ولا ينافي هذا حديث: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[1] لأن شكرهم إنما هو بالدعاء لهم لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئهم، لحديث: «ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»[2]. فإضافة الصنيعة إليهم لكونهم صاروا سببًا في إيصال المعروف إليك، والذي قدره وساقه هو الله وحده.

---

(١) صحيح. أخرجه الطيالسي [٢٤٩١] وأحمد [٧٥٠٤] [٧٩٣٩] [٨٠١٩] [٩٠٣٤] [٩٩٤٤] والبخاري في «الأدب المفرد» [٢١٨] وأبو داود [٤٨١١] والترمذي [١٩٥٤] وابن حبان [٣٤٠٧] وغيرهم عن أبي هريرة، وله شواهد من حديث أبي سعيد، والنعمان بن بشير والأشعث بن قيس، فالحديث صحيح.

(٢) صحيح. أخرجه الطيالسي [١٨٩٥] وأحمد [٥٣٦٥] [٥٧٠٣] [٥٧٤٣] [٦١٠٦] والبخاري في «الأدب» [٢١٦] وأبو داود [٥١٠٩] والنسائي (٨٢/٥) وابن حبان [٣٤٠٨] والقضاعي [٤٢١] وأبو نعيم (٥٦/٩) والبيهقي (١٩٩/٤) عن ابن عمر بلفظ «من استعاذ بالله فأعيذ ومن سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه...» الحديث.

وهو حديث صحيح.

وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كره كاره».

قوله: (وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله) لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم فلو قدره لك لساقته المقادير إليك. فمن علم أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده وأنه هو الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا يحتسب، لم يمدح مخلوقًا على رزق ولم يذمه على منع، ويفوض أمره إلى الله، ويعتمد عليه في أمر دينه ودنياه. وقد قرر النبي هذا المعنى بقوله في الحديث: «**إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره**» كما قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما عدا الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقنًا لا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة. فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤونتهم. وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفًا منهم ورجاءً لهم وذلك من ضعف اليقين. وإذا لم يقدر لك ما تظن يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم. فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر كان ذلك من ضعف يقينك، فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود، ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم. ولما قال بعض وفد بني تميم: «أي محمد أعطني. فإن حمدي زين وذمي شين،

قال النبي ﷺ: «ذاك الله»[1] ودلَّ الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص وأن الأعمال من مسمى الإيمان.

(١) صحيح. أخرجه الترمذي [٣٢٦٧] والنسائي في «الكبرى» (١١٥/٥) وابن جرير (١٢١/٢٦) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢٩٦/٢) من حديث البراء.
وله شاهد من حديث الأقرع بن حابس بنحوه.
أخرجه أحمد (٤٨٨/٣) والطبراني [٨٧٨] وأبو نعيم في «المعرفة» [١٠٣٣] وابن الأثير في «الأسد» (١٣٠/١) وفيه انقطاع وصحح الحديث الألباني في «صحيح الترمذي» [٢٦٠٥].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَنِ التمسَ رضا الله بسَخطِ الناس؛ رضي الله عنه وأرضَى عنه الناسَ، ومَن التمسَ رضا الناسِ بسَخطِ الله؛ سَخِط اللهُ عليهِ، وأسخطَ عليهِ الناسَ» رواه ابن حبان في «صحيحه».

قوله: (وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»** رواه ابن حبان في صحيحه)(١).

هـذا الحديث رواه ابن حبان بهـذا اللفظ، ورواه الترمذي عن رجل من أهل المدينـة قـال: كتب معاوية رضي الله عنه إلى عائشـة رضي الله عنها: أن اكتـبي لي كتابًا توصيني فيه، ولا تكثري علي، فكتبت عائشـة رضي الله عنها: إلى معاوية، سـلام عليك، أما بعد فـإني سـمعت رسـول الله ﷺ يقول: **«من التمـس رضا الله بسـخط الناس كفـاه الله مؤونـة النـاس، ومـن التمس رضـا الناس بسـخط الله وكلـه الله إلى الناس. والسـلام عليك»** ورواه أبو نعيم في «الحلية».

قوله: (من التمس) أي طلب.

قال شيخ الإسلام: وكتبت عائشة إلى معاوية، وروي أنها رفعته: **«من أرضى الله بسـخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن أرضى الناس بسـخط الله لم يغنوا عنه من الله شـيئًا»** هـذا لفظ المرفوع. ولفـظ الموقوف: **«من أرضى الله بسـخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس له ذمًا»**(٢) وهذا

(١) صحيح. أخرجه ابن المبارك في «الزهد» [١٩٩] وعنه الترمذي [٢٤١٤] والقضاعي (٤٩٩، ٥٠٠) وابن حبان (٢٧٦-٢٧٧) والبغوي [٤٢١٣] وعبد بن حميد [١٥٢٤] مرفوعًا وصححه الشيخ في «الصحيحة» [٢٣١١].

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص:١٦٤) وابن المبارك في «الزهد» [٢٠٠] والحميدي [٢٦٦] عنها موقوفًا.

من أعظم الفقه في الدين فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه وكان عبده الصالح، والله يتولى الصالحين، والله كاف عبده: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]. والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب.

وأما كون الناس كلهم يرضون عنه قد لا يحصل ذلك، لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض وإذا تبين لهم العاقبة. «**ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئًا**» كالظالم الذي يعض يديه. وأما كون حامده ينقلب ذامًا، فهذا يقع كثيرًا ويحصل في العاقبة. فإن العاقبة للتقوى لا تحصل ابتداء عند أهوائهم. اهـ

وقد أحسن من قال:

إذا صح منك الود يا غاية المنى … فكل الذي فوق التراب تراب

قال ابن رجب رحمه الله: فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب؟ أم كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب؟ إن هذا لشيء عجاب.

وفي الحديث: عقوبة من خاف الناس وآثرهم رضاهم على الله، وأن العقوبة قد تكون في الدين. عياذًا بالله من ذلك. كما قال تعالى: ﴿ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٧].

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ [آيةِ] آلِ عمرانَ.

الثانية- تفسيرُ آيةِ براءةَ.

الثالثة- تفسيرُ آيةِ العنكبوتِ.

الرابعة- أنَّ اليقينَ يضعفُ ويقوَى.

الخامسة- علامةُ ضعفِهِ، ومِن ذلكَ هذهِ الثلاثةُ.

السادسة- أنَّ إخلاصَ الخوفِ للهِ مِن الفرائضِ.

السابعة- ذكرُ ثوابِ مَن فعلَه.

الثامنة- ذكرُ عقابِ مَن تركَه.

باب

قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ إلخ

قوله: باب

قوله الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

قال أبو السعادات: يقال: تَوَكَّل بالأمر. إذا ضمن القيام به، ووكَّلتُ أمري إلى فلان. إذا اعتمدت عليه، ووكل فلان فلانًا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزًا عن القيام بأمر نفسه. اهـ[١].

وأراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى، فإن تقديم المعمول يفيد الحصر. أي وعلى الله فتوكلوا لا على غيره، فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها، لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، فإنه إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية، دون كل من سواه صح إخلاصه ومعاملته مع الله تعالى، فهو من أعظم منازل «إياك نعبد وإياك نستعين» فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله، كما في هذه الآية، وكما قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] وقوله: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩] الآيات في الأمر به كثيرة جدًا. قال الإمام أحمد رحمه الله: التوكل عمل القلب.

وقال ابن القيم في معنى الآية المترجم بها: فجعل التوكل على الله شرطًا في الإيمان فدل على إنتفاء الإيمان عند انتفائه، وفي الآية الآخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن

---

(١) «النهاية» (٥/١٩١- ١٩٢).

كُنتُم ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤] فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل وإذا كان التوكل ضعيفًا كان دليلًا على ضعف الإيمان ولا بد. والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية.

فظهر أن التوكل أصل جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس، فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل[1].

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: وما رجا أحد مخلوقًا ولا توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مشرك: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج:٣١].

قال الشارح رحمه الله تعالى: قلت: لكن التوكل على الله قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصرٍ، أو حفظٍ أو رزقٍ أو شفاعةٍ. فهذا شرك أكبر.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه من رزق، أو دفع أذى ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر.

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين» (ص:٥٢- ٥٣).

....

والوكالـة الجائزة هي توكيل الإنسـان الإنسـان في فعل ما يقـدر عليه نيابة عنه، لكن ليس له أن يعتمد في حصوله ما وكَّل فيه، بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢].

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾

قال: وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢] الآيات.

قال ابن عباس في الآية: المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فأدوا فرائضه»[(١)] رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، ووجل القلب من الله مستلزم القيام بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

قال السُّدِّي: «الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم» هو الرجل يريد أن يظلم، أو قال يهم بمعصية، فيقال له: اتق الله، فيجل قلبه[(٢)] رواه ابن أبي شيبة وابن جرير.

قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ استدل الصحابة رضي الله عنهم والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه.

---

(١) إسناده ضعيف أخرجه ابن جرير [١٥٦٩٦] وابن أبي حاتم بإسناد فيه انقطاع.

(٢) أخرجه ابن جرير [١٥٧٠٢] بسند فيه انقطاع.

وأخرجه ابن المبارك في «زيادات الزهد» [١٣٩] والبيهقي في «الشعب» [٧٢٣] بسند رجاله ثقات.

وله شاهد من كلام مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦]، أخرجه الطبري (٢٧/١٤٥) وابن المبارك في «الزهد» زوائد [١٣٦] والبيهقي [٧٢٥] بسند صحيح.

قال عُمير بن حبيب الصحابي: «إن الإيمان يزيد وينقص، فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشيناه فذلك زيادته. وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه». رواه ابن سعد[1].

وقال مجاهد: الإيمان يزيد وينقص وهو قول وعمل رواه ابن أبي حاتم[2].

وحكى الإجماع على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم رحمهم الله تعالى.

قوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي يعتمدون عليه بقلوبهم مفوضين إليه أمورهم فلا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرغبون إلا إليه، يعلمون أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده، والمعبود وحده، لا شريك له. وفي الآية وصف المؤمنين حقًا بثلاث مقامات من مقامات الإحسان، وهي: الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده. وهذه المقامات تقتضي كمال الإيمان وحصول أعماله الباطنة والظاهرة مثال ذلك الصلاة، فمن أقام الصلاة وحافظ عليها وأدى الزكاة كما أمره الله استلزم ذلك العمل بما يقدر عليه من الواجبات وترك جميع المحرمات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢٨١/٤) من طريق حماد عن أبي جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عمير، به.

وإسناده رجاله ثقات خلا يزيد بن عمير أبو جعفر لم أعثر له على ترجمة.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» [٥٩] بإسناد ضعيف.

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤]،

معنى: حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين

قال وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٤] **قال ابن القيم** رحمه الله: أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك: فلا تحتاجون معه إلى أحد[1]، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وقيل: المعنى حسبك الله وحسبك المؤمنون.

قال ابن القيم رحمه الله: وهذا خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه، فإن الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة. قال الله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:٦٢] ففرق بين الحسب والتأييد، فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد له بنصره وبعباده، وأثنى على أهل التوحيد من عباده حيث أفردوه بالحسب، ف قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران:١٧٣] ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله. ونظير هذا قوله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ [التوبة:٥٩]. فتأمل كيف جعل الإيتاء لله والرسول، وجعل الحسب له وحده. فلم يقل: وقالوا حسبنا الله ورسوله، بل جعله خالص حقه، كما قال: ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴾ فجعل الرغبة إليه وحده، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب لله وحده، كما أن العبادة والتقوى والسجود والنذر والحلق لا يكون إلا له سبحانه وتعالى. انتهى.

(١) انظر «زاد المعاد» (١/٣٥).

وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة. فإذا كان هو الكافي لعبده وجب ألا يتوكل إلا عليه، ومتى التفت بقلبه إلى سـواه وكله الله إلى من التفت إليه، كما في الحديث: «مَنْ تَعَلَّق شيئًا وُكِلَ إليه»[1].

١) سبق تخريجه.

وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

قال: وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

قال ابن القيم رحمه الله وغيره: أي كافيه. ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره إلا أذى لا بد منه، كالحر والبرد والجوع والعطش. وأما أن يضره بما يبلغ به مراده منه فلا يكون أبدًا، وفرق بين الأذى الذي هو الظاهر إيذاء وفي الحقيقة إحسان وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يتشفى به منه.

قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته، فقال: «ومن يتوكل على الله فهو حسبه» فلم يقل: فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل نفسه سبحانه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه. فلو توكل العبد على الله حق توكله، وكادته السموات والأرض ومن فيهن، لجعل الله له مخرجًا وكفاه رزقه ونصره. انتهى.

وفي أثر رواه أحمد في «الزهد» عن وهب بن منبه قال: «قال الله عز وجل في بعض كتبه: بعزتي إنه من اعتصم بي فكادته السموات بمن فيهن والأرضون بمن فيهن، فإني أجعل له من ذلك مخرجًا، ومن لم يعتصم بي فإني أقطع يديه من أسباب السماء وأخسف من تحت قدميه الأرض، فأجعله في الهواء ثم أكله إلى نفسه. كفى بي لعبدي مآلًا. إذا كان عبدي في طاعتي أعطيه قبل أن يسألني، وأستجيب له قبل أن يدعوني. فأنا أعلم بحاجته التي نرفق به منه»[1].

وفي الآية دليل على فضل التوكل، وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار. لأن الله تعالى علق الجملة الأخيرة على الأولى وتعليق الجزاء على الشرط.

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/٢٥-٢٦).

فيمتنع أن يكون وجود الشرك كعدمه، لأنه الله تعالى رتب الحكم على الوصف المناسب له، فعلم أن توكله هو سبب كون الله حسبًا له.

وفيها تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل، لأنه تعالى ذكر التقوى ثم ذكر التوكل، كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١] فجلع التوكل مع التقوى الذي هو قيام الأسباب المأمور بها. فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض، وإن كان مشوبًا بنوع من التوكل فلا ينبغي للعبد أن يجعل توكله عجزًا ولا عجزه توكلًا، بل يجعل توكله من جملة الأسباب التي لا يتم المقصود إلا بها كلها. ذكره ابن القيم بمعناه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حسبنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ» قالها إبراهيمُ صلى الله عليه وسلم حينَ ألقيَ في النارِ،

قال: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ رواه البخاري[1].

قوله: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ أي كافينا. فلا نتوكل إلا عليه. قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ؟﴾ [الزمر: ٣٦].

قوله: ونعم الوكيل أي نعم الموكل إليه، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨] ومخصوص نعم محذوف تقديره هو.

قال ابن القيم رحمه الله: هو حسب من توكل عليه وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف، ويجير المستجير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه، وانقطع بكليته إليه، تولاه وحفظه وحرسه وصانه. ومن خافه واتقاه، أمنه مما يخاف ويحذر، ويجلب إليه ما يحتاج إليه من المنافع[2].

ما قال إبراهيم حين ألقي في النار

قوله: قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار قال تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

---

(١) أخرجه البخاري [٤٥٦٣] [٤٥٦٤] والنسائي «الكبرى» [١١٠٨١].

(٢) المدارج (٢/١١٦).

وقالها محمدٌ ﷺ حينَ قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]» رواه البخاري والنسائي.

قوله: وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ وذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أحد «بلغه أن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا الكَرَّةَ عليهم، فخرج النبي ﷺ في سبعين راكبًا حتى انتهى إلى حمراء الأسد، فألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان. فرجع إلى مكة بمن معه، ومر به ركب من عبد القيس فقال: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قال: فهل أنتم مبلغون محمدًا عني رسالة؟ قالوا: نعم. قال فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمرَّ الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان. فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل» ففي هاتين القصتين فضل هذه الكلمة العظيمة وأنها قول الخليلين عليهما الصلاة والسلام في الشدائد. وجاء في الحديث: «إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل»[1].

---

(١) أخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة. انظر: «ضعيف الجامع» [٨٢٩].

فيه مسائل:

الأولى- أنَّ التوكلَ مِن الفرائِضِ.

الثانية- أنه مِن شروطِ الإيمانِ.

الثالثة- تفسيرُ آيةِ الأنفالِ.

الرابعة- تفسيرُ الآيةِ في آخرِها.

الخامسة- تفسيرُ آيةِ الطلاقِ.

السادسة- عظمُ شأنِ هذهِ الكلمةِ، وأنها قولُ إبراهيمَ ومحمدٍ صلى الله عليهما وسلم في الشدائدِ.

باب
قولِ الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]،

باب قول الله ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾

قوله: باب

قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

[الأعراف: ٩٩].

قصد المصنف رحمه الله بهذه الآية التنبيه على أن الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب. وأنه ينافي كمال التوحيد، كما أن القنوط من رحمة الله كذلك وذلك يرشد إلى أن المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وأرشد إليه سلف الأمة والأئمة.

ومعنى الآية: أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل بين أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من مكر الله وعدم الخوف منه، كما قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٧-٩٨]. أي الهالكون. وذلك أنهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم، فاستبعدوا أن يكون ذلك مكرًا.

قال الحسن رحمه الله: من وسع الله عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له.

وقال قتادة: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قومًا قط إلى عند سلوتهم ونعمتهم غرتهم. فلا تغتروا بالله.

وفي الحديث: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج» رواه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم[1].

وقال إسماعيل بن رافع: «من الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة» رواه ابن أبي حاتم[2].

وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف: يستدرجهم الله بالنعم إذا عصوه، ويملي لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر. وهذا هو معنى المكر والخديعة ونحو ذلك، ذكره ابن جرير بمعناه.

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٥/٤) والطبراني وصححه الألباني في «الصحيحة» [٤١٤].

(٢) لم أعثر عليه.

وقوله: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر:٥٦].

قال: (وقول الله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر:٥٦] القنوط: استبعاد الفرج واليأس منه. وهو يقابل الأمن من مكر الله. وكلاهما ذنب عظيم. وتقدم ما فيه لمنافاته لكمال التوحيد.

وذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه الآية مع التي قبلها تنبيهًا على أنه لا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفًا راجيًا، يخاف ذنوبه ويعمل بطاعته، ويرجو رحمته، كما قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر:٩] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:٢١٨] فالرجاء مع المعصية وترك الطاعة غرور من الشيطان، ليوقع العبد في المخاوف مع ترك الأسباب المنجية من المهالك، بخلاف حال أهل الإيمان الذين أخذوا بأسباب النجاة خوفًا من الله تعالى وهربًا من عقابه، وطمعًا في المغفرة ورجاء لثوابه.

والمعنى أن الله تعالى حكى قول خليله إبراهيم عليه السلام، لما بشرته الملائكة بابنه إسحاق: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر:٥٤] لأن العادة أن الرجل إذا كبر سنه وسن زوجته استبعد أن يولد له منها. والله على كل شيء قدير، فقالت الملائكة: ﴿بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الذي لا ريب فيه. فإن الله إذا أراد شيئًا إنما يقول له كن فيكون: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ أي من الأيسين، فقال عليه السلام: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك وأعظم، لكنه والله أعلم قال ذلك على وجه التعجب.

قوله: ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ قال بعضهم: إلا المخطئون طريق الصواب، أو إلا الكافرون. كقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: سُئلَ عن الكبَائرِ فقال: «الشركُ بالله، واليَأسُ مِن رَوحِ الله، والأمْنُ مِن مَكرِ الله [والقنوط من رحمة الله]».

اليأس من روح الله والأمن من مكر الله

قوله: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الكبائر، فقال: **«الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله»**[(١)].

هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس ورجاله ثقات إلا شبيب بن بشر. فقال ابن معين: ثقة. ولينه أبو حاتم. وقال ابن كثير: في إسناده نظر. والأشبه أن يكون موقوفًا.

قوله: (الشرك بالله) هو أكبر الكبائر. قال ابن القيم رحمه الله: الشرك بالله هضم للربوبية وتنقص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين. انتهى.

ولقد صدق ونصح. قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣] ولهذا لا يغفره الله إلا بالتوبة منه.

قوله: (واليأس من روح الله) أي قطع الرجاء الأول والأمل من الله فيما يخافه ويرجوه، وذلك إساءة ظن بالله، وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته.

قوله: (والأمن من مكر الله) أي من استدراجه للعبد وسلبه ما أعطاه من الإيمان، نعوذ بالله من ذلك. وذلك جهل بالله وبقدرته، وثقة بالنفس وعجب بها.

---

(١) أخرجه البزار (١٠٦ كشف) وحسنه الألباني في «الصحيحة» [٢٠٥١] وصحيح الجامع [٤٦٠٣].

واعلم أن هذا الحديث لم يرد به حصر الكبائر في الثلاث، بل الكبائر كثير وهذه الثلاث من أكبر الكبائر المذكورة في الكتاب والسنة، وضابطها ما قاله المحققون من العلماء: كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب. زاد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أو نفي الإيمان.

قلت: ومن برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قال: «ليس منا من فعل كذا وكذا».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار»[1].

(١) سبق تخريجه.

وعن ابن مسعود قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله» رواه عبد الرزاق.

قوله: (وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر الإشراك بالله. والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله» رواه عبد الرزاق[(١)].

ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح عن ابن مسعود رضي الله عنه.

قوله: (والقنوط من رحمة الله) قال أبو السعادات: هو أشد اليأس.

وفيه التنبيه على الرجاء والخوف، فإذا خاف فلا يقنط ولا ييأس، بل يرجو رحمة الله. وكان السلف يستحبون أن يقوى في الصحة الخوف، وفي المرض الرجاء. وهذه طريقة أبي سليمان الدَّاراني وغيره. قال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإذا غلب الرجاء الخوف فسد القلب. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: ١٢] وقال: ﴿يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧] قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١] وقال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] الآية. قدم الحذر على الرجاء في هذه الآية.

---

(١) إسناده صحيح. أخرجه عبد الرزاق [١٩٧٠١] وعنه الطبراني [٨٧٨٤] والطبري (٥/٤٠) من طريق معمر عن أبي إسحاق عن وبرة عن عامر عن أبي الطفيل عن ابن مسعود موقوفًا.

وإسناده رجال ثقات، ولكن أخشى عنعنة أبي إسحاق قال الهيثمي في «المجمع» (١/١٠٤): إسناده صحيح.

وقد توبع.

فرواه الطبراني [٨٧٨٣] من طريق مسعر عن وبرة عن عبد الملك بن ميسرة عن أبي الطفيل، به.

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ آيةِ الأعرافِ.

الثانية- تفسيرُ آيةِ الحِجرِ.

الثالثة- شدةُ الوعيدِ فيمَن أمِنَ مكرَ اللهِ.

الرابعة- شدةُ الوعيدِ في القنوطِ.

بابُ
مِن الإيمانِ باللهِ؛ الصبرُ على أقدارِ اللهِ، وقولِ الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

قوله: (باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله)

قال الإمام أحمد: ذكر الله تعالى الصبر في تسعين موضعًا من كتابه[1]. وفي الحديث الصحيح: «الصبر ضياء» رواه أحمد ومسلم[2]، وللبخاري ومسلم مرفوعًا: «ما أعطى أحد عطاء خيرًا أوسع من الصبر»[3] قال عمر رضي الله عنه: «وجدنا خير عيشنا بالصبر» رواه البخاري[4]. قال علي رضي الله عنه: «إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من

(١) ذكره ابن القيم في «عدة الصابرين» (ص:١٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٤٢- ٣٤٣) ومسلم [٢٢٣] والترمذي [٣٥١٧] والدارمي [٦٥٣] والنسائي «عمل» [١٦٨] والطبراني [٣٤٢٣] والمروزي في «الصلاة» [٤٣٥] [٤٣٦] واللالكائي [١٦١٩] والبيهقي (١/٤٢) من حديث أبي مالك الأشعري.

(٣) أخرجه مالك (٢/٩٩٧) وعنه البخاري [١٤٦٩] ومسلم [١٠٥٣] وأبو داود [١٦٤٤] والترمذي [٢٠٢٤] والنسائي (٥/٩٥) والدارمي (١/٣٨٧) وأحمد (٣/٩٣) وابن حبان [٣٤٠٠] من حديث أبي سعيد.

(٤) أخرجه البخاري معلقًا مجزومًا به (١١/٣٠٣) فتح، ووصله أحمد في «الزهد» (ص:١٤٦) وأبو نعيم من طريق أبي معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال: قال عمر فذكره.

ومجاهد لم يسمع من عمر.

وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» [٢٢٢] ووكيع في «الزهد» [١٩٨] من طريق سفيان عن منصور عن مجاهد.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» [٦] من طريق الليث عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن أبيه عن عمر، بنحوه وإسناده فيه انقطاع، أبو عبيدة لم يسمع من أبيه،وأخرجه الحاكم عن مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر.

وسعيد لم يسمع من عمر.

الجسد ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له»[1].

واشتقاقه: من صبر إذا حبس ومنع. والصبر حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما ذكره ابن القيم رحمه الله[2].

واعلم أن الصبر ثلاثة أقسام: صبر على ما أمر الله به، وصبر عما نهى عنه، وصبر على ما قدره من المصائب.

وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١٩٥/٢) عن الليث عن عمرو بن الحارث عن عمر، وفيه انقطاع.

وقد ذكر الحافظ رواية أحمد وقال: سنده صحيح.

(١) ضعيف. أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» [٨] وابن أبي شيبة في «الإيمان» [١٣٠] والبيهقي في «الشعب» [٤٠] ووكيع في «الزهد» [١٩٩] وأبو نعيم (٧٥/١- ٧٦) وابن عبد البر في «جامع العلم» (١٠٨/١) من طرق لا يصح منها طريق، كما بينت في الأصل.

(٢) عدة الصابرين (ص:٢٠).

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

قوله: وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

وأول الآية: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي بمشيئته وإرادته وحكمته، كما قال في الآية الأخرى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

معنى قول الله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾

قوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ قال ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ إلا بأمر الله يعني عن قدره ومشيئته ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ أي من صابته مصيبة فعلم أنها بقدر الله فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه، ويقينًا صادقًا. وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ تنبيه على أن ذلك إنما يصدر عن علمه المتضمن لحكمته. وذلك يوجب الصبر والرضا.

قال علقمة: هوَ الرجلُ تصيبُهُ المصيبةُ فيعلم أنَّها مِن عندِ الله، فيَرَ ويُسلِّم.

قوله: (قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله في ويسلم)[1].

هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وعلقمة: هو قيس بن عبد الله النخعي الكوفي. ولد في حياة النبي ﷺ وسمع من أبي بكر وعثمان وعلي وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم رضي الله ع وهو من كبار التابعين وأجلائهم وعلمائهم وثقاتهم مات بعد الستين.

قوله: هو الرجل تصيبه المصيبة إلخ. هذا الأثر رواه الأعمش عن أبي ظ قال: كنا عند علقمة فقرئ عليه هذه الآية: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ قا الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. هذا سياق ابن ج وفي هذا دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان.

قال سعيد بن جبير: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يعني يسترجع. يقول إنا لله إليه راجعون. وفي الآية بيان أن الصبر سبب لهداية القلب وأنها من ث الصابرين.

---

(١) صحيح. أخرجه ابن جرير بأسانيد بعضها صحيح [٣٤١٩٤] [٣٤١٩٥] [٣٤١٩٦] [٣٤١٩] [٤١٩٧

وفي صحيحِ مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إثنتانِ في الناسِ هُما بهم كفرٌ: الطعنُ في الأنسَابِ، والنياحَةُ عَلى المَيتِ».

قوله: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»**[1].

أي هما بالناس كفر حيث كانتا من أعمال الجاهلية، وهما قائمتان بالناس ولا يسلم منهما إلا من سَلَّمه الله تعالى ورزقه علمًا وإيمانًا يستضيء به. لكن ليس من قام بشعبة من شعب الكفر يصير كافرًا كالكفر المطلق. كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمنًا الإيمان المطلق. وفرق بين الكفر المُعَرَّف باللام كما في قوله: **«ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة»**[2] وبين كفر منكر في الإثبات.

قوله: (الطعن في النسب) أي عيبه، يدخل فيه أن يقال: هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه.

قوله: (والنياحة على الميت) أي رفع الصوت بالندب وتعداد فضائل الميت، لما فيه من التسخط على القدر المنافي للصبر، كقول النائحة: واعضداه، واناصراه، ونحو ذلك. وفيه دليل على أن الصبر واجب، وأن من الكفر ما لا ينقل عن الملة.

(١) أخرجه أحمد [٨٩٠٦] [٩٦٩٠] [١٠٤٣٤] ومسلم [٩٧] والترمذي [١٠٠١] وابن منده في «الإيمان» [٦٦٠] والبيهقي في «الشعب» [٦٦٧٣] والسنن (٢٤٦/١٠) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه أحمد [١٤٩٧٩] وابن أبي شيبة (٣٤/١١) ومسلم [٨٢] وعبد بن حميد [١٠٣٢] والترمذي [٢٦١٨] [٢٦١٩] وأبو يعلى [١٩٥٣] [٢١٠٢] [٢١٩١] والطحاوي «مشكل» [٣١٧٥] وابن حبان [١٤٥٣] والطبراني في «الصغير» [٧٩٩] والبيهقي (٣٦٦/٣) من حديث جابر.

ولهما عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «ليسَ مِنا مَن؛ ضَرَبَ الخُدُ وشَقَّ الجُيوبَ، ودَعا بدَعْوَى الجَاهليَّةِ».

براءة الرسول ﷺ من ضرب الخدود إلخ

قوله: (**ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيو ودعا بدعوى الجاهلية»**[1].

هـذا من نصوص الوعيد، وقد جاء عن سـفيان الثوري وأحمـد كراهية تأو ليكـون أوقع في النفـوس، وأبلغ في الزجر، وهو يدل على أن ذلـك ينافي كـمال الإي الواجب.

قـوله: (من ضرب الخدود) وقـال الحافظ: خص الخد لكونه الغالب وإلا فض بقية الوجه مثله.

قوله: (وشق الجيوب) هو الذي يدخل فيه الرأس من الثوب، وذلك من عادة أ الجاهلية حزنًا على الميت.

قوله: (ودعا بدعوى الجاهلية) **قال شـيخ الإسلام رحمه الله تعالى**، هو ن الميت. وقال غيره: هو الدعاء بالويل والثبور.

وقال ابن القيم رحمه الله: الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصـ ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشـايخ، وتفضيل بعضهم على بعض، يد إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي، فكل هذا من دعوى الجاهلية.

(١) أخرجه أحمد [٣٦٥٨] [٤١١١] [٤٢١٥] [٤٣٦١] [٤٤٣٠] والبخاري [١٢٩٤] [١٢٩٧] [١٢٩٨] [١٩ ومسـلم [١٠٣] والترمذي [٩٩٩] والنسـائي (٤/٢٠- ٢١) والكبرى [١٩٨٩] وابن ماجه [١٥٨٤] الجارود [٥١٦] وأبو يعلى [٥٢٥٢] وابن حبان [٣١٤٩] والطحاوي (٢/١٣٤) والشـاشي [٣٨٤] وأبو (٥/٣٩) والبيهقي (٤/٦٣) والشعب [١٠١٥٦].

وعند ابن ماجه وصححه ابن حبان عن أبي أمامة: «أن رسول الله ﷺ لعن الخامشة وجهها، والشاقَّة جيبها، والداعية بالويل والثبور»(١).

وهذا يدل على أن هذه الأمور من الكبائر، وقد يعفى عنه الشئ اليسير من ذلك إذا كان صدقًا وليس على وجه النوح والتسخط نص عليه أحمد رحمه الله، لما وقع لأبي بكر وفاطمة رضي الله عنهما لما توفي رسول الله ﷺ.

وليس في هذه الأحاديث ما يدل على النهي عن البكاء، لما في الصحيح أن رسول الله ﷺ لما مات ابنه إبراهيم قال: **«تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»**(٢) وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ انطلق إلى إحدى بناته ولها صبي في الموت فرفع إليه ونفسه تقعقع كأنها شن، ففاضت عيناه، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله قال: **«هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»**(٣).

---

(١) صحيح. أخرجه ابن ماجه [١٥٨٥] وابن حبان [٣١٥٦] وصححه الشيخ في «الصحيحة» [٢١٤٧].
(٢) خرجه البخاري [١٣٠٣] ومسلم [٢٣١٥] من حديث أنس.
(٣) أخرجه البخاري [١٢٨٤] ومسلم [٩٢٣].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [ق/ ٢١/ ب] قال: «إذا أرادَ اللهُ بعبدِهِ الخيرَ؛ عجلَ لهُ العقوبةَ في الدنيَا»

من رحمته بالعبد تعجيل عقوبته في الدنيا

قوله: (وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة»**[1].

هذا الحديث رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي. وأخرجه الطبراني والحاكم عن عبد الله بن مُغَفّل وأخرجه ابن عدي عن أبي هريرة، والطبراني عن عمار بن ياسر.

قوله: (إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا) أي يصب عليه البلاء والمصائب لما فرط من الذنوب منه، فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافى به يوم القيامة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: المصائب نعمة، لأنها مكفرات للذنوب، وتدعو إلى الصبر فيثاب عليها. وتقتضي الإنابة إلى الله والذل له، والإعراض عن الخلق، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة. فنفس البلاء يكفر الله به الذنوب والخطايا. وهذا من أعظم النعم. فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاصي أعظم مما كان قبل ذلك فيكون شرًا عليه من جهة

(١) صحيح. أخرجه الترمذي [٢٣٩٦] والحاكم (٤/٦٠٨) والبيهقي في «الأسماء» (ص:١٥٤).
وله شاهد من حديث عبد الله بن مغفل بنحوه.
أخرجه أحمد [١٦٨٠٦] وابن حبان [٢٩١١] والحاكم (١/٣٤٩) (٤/٣٧٦) والبيهقي في «الشعب» [٩٨١٧] وفي «الأسماء» (ص:١٥٣-١٥٤) وفي «الآداب» [٨٩٩] وإسناده حسن.
وشاهد آخر من حديث عمار انظر: «صحيح الجامع» [٣٠٨] والصحيحة [١٢٢٠].

ما أصابه في دينه، فإن من الناس من إذا ابتلي بفقر أو مرض أو وجع حصل له من النفاق والجزع ومرض القلب والكفر الظاهر وترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ما يوجب له الضرر في دينه، فهذا كانت العافية خيرًا له من جهة ما أورثته المصيبة لا من جهة نفس المصيبة، كما أن من أوجبت له المصيبة صبرًا وطاعة، كانت في حقه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب عز وجل ورحمة للخلق والله تعالى محمود عليها، فمن ابتلي فرزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه، وحصل له بعد ما كفر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه، قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة:١٥٧] وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات. فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك انتهى ملخصًا[1].

(١) الفتاوى (١١/٢٦٠).

وإذا أرادَ بعبدِهِ الشرَّ؛ أمْسكَ عنهُ بذنبِهِ حَتى يوافى بِهِ يومَ القيامةِ».

قوله: (وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه) أي أخر عنه العقوبة بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة وهو بضم الياء وكسر الفاء منصوبًا بحتى مبنيًا للفاعل. قال العزيزي: أي لا يجازيه بذنبه في الدنيا حتى يجيء في الآخرة مستوفى الذنوب وافيها، فيستوفى ما يستحقه من العقاب. وهذه الجملة هي آخر الحديث. فأما قوله: وقال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء» إلى آخره فهو أول حديث آخر، لكن لما رواهما الترمذي بإسناد واحد وصحابي واحد جعلهما المصنف كالحديث الواحد.

وفيه التنبيه على حسن الرجاء وحسن الظن بالله فيما يقضيه لك، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

وقال النبي ﷺ : «إنَّ عِظَمَ الجَزاءِ؛ معَ عِظَمِ البلاءِ»

قوله: (وقال النبي ﷺ «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء. وإن الله تعالى إذ أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط» حسن الترمذي[1].

قال الترمذي: حدثنا قتيبة ثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس، فذكر الحديث السابق ثم قال: وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ أن قال: «إن عظم الجزاء... » الحديث. ثم قال حديث حسن غريب من هذا الوجه. وروا ابن ماجه. وروى الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رفعه: «إذا أحب الله قومًا ابتلاهم فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع» قال المنذري: رواته ثقات[2].

قوله: (إن عِظم الجزاء) بكسر العين وفتح الظاء فيها. ويجوز ضمها مع سكون الطاء. أي من كان ابتلاؤه أعظم كمية وكيفية.

وقد يحتج بهذا الحديث من يقول: إن المصائب يثاب عليها مع تكفير الخطايا ورجح ابن القيم أن ثوابها تكفير الخطايا فقط، إلا إذا كانت سببًا لعمل صالح كالصبر والرضا والتوبة والإستغفار. فإنه حينئذ يثاب على ما تولد منها، وعلى هذا يقال في معنى الحديث: إن عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب.

---

(١) سبق تخريجه، وأخرجه الترمذي [٢٣٩٦] وابن ماجه [٤٠٣١] وانظر: «الصحيحة» [١٤٦].

(٢) إسناده حسن.

أخرجه أحمد (٤٢٧/٥و٤٢٨و ٤٢٩) ورواه ثقات كما قال المنذري (٢٨٣/٤).

وله شاهد من حديث أنس عند ابن ماجه [٤٠٣١] والترمذي بإثر الحديث ر قم [٢٣٩٦] وصححه الشيخ في «الصحيحة» [١٤٦].

وإنَّ اللهَ تعَالى إذا أحبَّ قومًا؛ ابتلاهُم، فمَن رضِيَ؛ فلَهُ الرِّضَا،

قوله: (وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم) ولهذا ورد في حديث سعد: «سئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» رواه الدرامي وابن ماجه والترمذي وصححه(١).

وهذا الحديث ونحوه من أدلة التوحيد، فإذا عرف العبد أن الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاء في أنفسهم الذي هو في الحقيقة رحمة ولا يدفعه عنهم إلا الله، عرف أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا دفعًا، فلأن لا يملكوه لغيرهم أولى وأحرى، فيحرم قصدهم والرغبة إليهم في قضاء حاجة أو تفريج كربة، وفي وقوع الإبتلاء بالأنبياء والصالحين من الأسرار والحكم والمصالح وحسن العاقبة ما لا يحصى.

قوله: (فمن رضي فله الرضاء) أي من الله تعالى، والرضاء قد وصف الله تعالى به نفسه في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة:٨] ومذهب السلف وأتباعهم من أهل السنة: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسول الله ﷺ على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل؛ فإذا رضي الله تعالى عنه حصل له كل خير، وسلم من كل شر، والرضى هو أن يسلم العبد أمره إلى الله، ويحسن الظن به، ويرغب في ثوابه، وقد يجد لذلك راحة وانبساطًا

---

(١) حسن. أخرجه أحمد [١٤٨١] [١٤٩٤] والطيالسي [٢١٥] وعبد بن حميد [١٤٦] والدارمي [٢٧٨٣] وابن أبي شيبة (٢٣٣/٣) والبزار [١١٥٥] وابن حبان [٢٩٠٠] [٢٩٢١] والحاكم (٤١/١) والبيهقي (٣٧٢/٣) والشعب [٩٧٧٥].

محبة لله وثقة به، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»[1].

---

(١) إسناده فيه انقطاع.

أخرجه ابن أبي الدنيا في «اليقين» [٣٢] والبيهقي في «الشعب» [٣٠٥] موقوفًا بسند فيه انقطاع.

وأخرج نحوه الطبراني [١٠٥١٤] وأبو نعيم (١٢١/٤) (١٣٠/٧) بإسناد ضعيف مرفوعًا.

وأخرجه أبو نعيم (٤١/١٠) (١٠٦/٥) والبيهقي [٢٠٣] عن أبي سعيد بنحوه له شاهدًا، لكن إسناده ضعيف جدًا.

ومَن سَخِطَ؛ فلَهُ السَّخَطُ» حَسنهُ الترمذيُّ.

قوله: (ومن سَخِط) وهو بكسر الخاء، **قال أبو السعادات:** السخط الكراهية للشيء وعدم الرضا به. أي من سخط على الله فيما دبره فله السخط، أي من الله، وكفى بذلك عقوبة. وقد يستدل به على وجوب الرضا وهو اختيار ابن عقيل. واختار القاضي عدم الوجوب، ورجحه شيخ الإسلام وابن القيم.

قال شيخ الإسلام: ولم يجيء الأمر به كما جاء الأمر بالصبر. وإنما جاء الثناء على أصحابه. قال: وأما ما يروى من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربًا سوائي فهذا إسرائيلي لم يصح عن النبي ﷺ[1].

قال شيخ الإسلام: وأعلى من ذلك أي من الرضا أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها. اهـ والله أعلم.

---

(١) ضعيف جدًا أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/٣٢٠/٨٠٧) وابن حبان في «المجروحين» (١/٧...) والخطيب في «التلخيص» (٢/٣٩) وابن عساكر في «تاريخه» (٧/١١٥/١) (١٢/٢٦٧/١) عن أبي هند الداري مرفوعًا، به.

وقال في «المجمع» (٧/٢٠٧) وفيه سعيد بن زياد بن هند وهو متروك.

قال الحافظ في «الإصابة» (٤/٢١٢): وفيه ضعيفان.

أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢/٤٨) وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/٢٢٨) وعنه الخطيب في «تاريخ...» (٢/٢٢٧) والبيهقي في «الشعب» [١٩٦] عن أنس، وهو ضعيف وراجع الضعيفة [٥٠٦].

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ آيةِ التغابنِ.

الثانية- أنَّ هذا مِن الإيمانِ بالله.

الثالثة- الطعنُ في النسبِ.

الرابعة- شدةُ الوعيدِ فيمَن ضربَ الخدودَ، وشقَّ الجيوبَ، ودَعا بدعوَى الجاهليةِ.

الخامسة- علامةُ إرادةِ الله بعبدِهِ الخيرَ.

السادسة- [علامة] إرادةِ الله بِهِ الشرَّ.

السابعة- علامةُ حبِّ الله للعبدِ.

الثامنة- تحريمُ السخطِ.

التاسعة- ثوابُ الرضَي بالبلاءِ.

بابُ

ما جاءَ في الرياءِ

وقولِ الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾

[الكهف: ١١٠]

باب ما جاء في الرياء

قوله: (باب: ما جاء في الرياء)

أي من النهي والتحذير. **قال الحافظ:** هو مشتق من الرؤية. والمراد بها إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدون صاحبها. والفرق بينه وبين السُّمعة: أن الرياء لما يُرى من العمل كالصَّلاة. والسُّمعة لما يُسمع كالقراءة والوعظ والذكر، ويدخل في ذلك التحدث بما عمله[1].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ إلخ

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠] أي ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء، بل ذلك كله وحده لا شريك له أوحاه إلي ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي يخافه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، قوله (أحدًا) نكرة في سياق النهي تعم، وهذا العموم يتناول الأنبياء والملائكة والصالحين والأولياء وغيرهم.

---

(١) «فتح الباري» (١١/٣٤٤).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة، وقالوا: لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة، وذكروا الأدلة على ذلك[1].

قال ابن القيم رحمه الله في الآية: أي كما أن الله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح: هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة[2].

وفي الآية دليل على أن أصل الدين الذي بعث الله به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرسلين قبله، هو إفراده تعالى بأنواع العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] والمخالف لهذا الأصل من هذه الأمة أقسام: إما طاغوت ينازع الله في ربوبيته وإلهيته، ويدعو الناس إلى عبادته، أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان، أو مشرك يدعو غير الله ويتقرب إليه بأنواع العبادة أو بعضها، أو شاك في التوحيد: أهو حق أم يجوز أن يجعل لله شريك في عبادته؟ أو جاهل يعتقد أن الشرك دين يقرب إلى الله، وهذا هو الغالب على أكثر العوام لجهلهم وتقليدهم من قبلهم، لما اشتدت غربة الدين ونسي العلم بدين المرسلين.

(١) مجموع الفتاوى (٦/٤٨٨).
(٢) الداء والدواء (ص:١٦٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «قالَ اللهُ تعَالى: أنا أغنَى الشُّرَكاءِ عَن الشِّركِ، مَن عَمِلَ عَمَلًا أشرَكَ مَعِي فيهِ غيرِي؛ تَركتُهُ وشِرْكَهُ» رواه مسلم.

الله أغنى الشركاء عن الشرك

قوله: (وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك. من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» رواه مسلم[1].

قوله: (من عمل عملًا أشرك فيه غيري) أي من قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه. ولابن ماجه فأنا بريء وهو الذي أشرك **قال الطيبي**: الضمير المنصوب في قوله تركته يجوز أن يرجع إلى العمل.

أخوف النبي صلى الله عليه وسلم على أمته من الرياء

قال ابن رجب رحمه الله[2]: واعلم أن العمل لغير الله أقسام فتارة يكون رياء محضًا كحال المنافقين. كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٢] وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في فرض الصلاة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه وذكر أحاديث تدل على ذلك منها: هذا الحديث وحديث شدَّاد بن أوس مرفوعًا «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك، وإن الله عز وجل يقول: أنا خير قسم لمن أشرك بي، فمن أشرك

(١) صحيح مسلم [٢٩٨٥] وقد سبق.
(٢) جامع العلوم والحكم ص(٢٣-٢٤).

....

بي شيئًا فإن جدة عمله وقليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به. أنا عنه غني» رواه أحمد[(١)]، وذكر أحاديث في المعنى ثم قال: فإن خالط نية الجهاد مثلًا نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة الخدمة أو أخذ من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهاده ولم يبطل بالكلية.

قال ابن رجب: وقال الإمام أحمد رحمه الله: التاجر والمستأجر والمكرى أجرهم على قدر ما يخلص من نياتهم في غزواتهم، ولا يكون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره[(٢)].

وقال أيضًا فيمن يأخذ جُعل الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس كأنه خرج لدينه إن أعطى شيئًا أخذه. وروى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «إذا أجمع أحدكم على الغزو فَعَوَّضَهُ الله رزقًا فلا بأس بذلك، وأما إن أحدكم أعطى دراهم غزا وإن لم يعط لم يغز فلا خير في ذلك».

وروى عن مجاهد رحمه الله أنه قال في حج الجمال وحج الأجير، وحج التاجر: هو تام لا ينقص من أجرهم شيء أي لأن قصدهم الأصلي كان هو الحج دون التكسب.

قال: وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء، فإن كان خاطرًا ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا فيجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير، ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك، وأنه يجازي بنيته الأولى، وهو مروى عن

---

(١) إسناده ضعيف، أخرجه أحمد (١٢٥/٤) والطبراني [٧١٣٩] والحاكم (٣٢٩/٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦٨/١-٢٦٩) والبيهقي في «الشعب» [٦٨٤٤] وإسناده ضعيف.

(٢) جامع العلوم (ص:٢٦).

الحسن وغيره. وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ: «أنه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه، فقال: «تلك عاجل بشرى المؤمن» رواه مسلم(١). انتهى ملخصًا.

قلت: وتمام هذا المقام يتبين في شرح حديث أبي سعيد إن شاء الله تعالى.

(١) أخرجه أحمد (٥/١٥٦- ١٥٧و١٦٨) ومسلم [٢٦٤٢] والطيالسي [٤٥٥] وابن ماجه [٤٢٢٥] وابن حبان [٣٦٦] عن أبي ذر الغفاري.

وعن أبي سعيد ﷺ مرفوعًا: «أَلا أُخبِرُكُم بِمَا هُوَ أَخوفُ عَلَيكُم عِندِي مِن المَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ: «الشِركُ الخفي: يقومُ الرجل فيصَلِي فيزَيِّنُ صلاتَهُ لِمَا يَرَى مِن نظرِ رَجُلٍ» رواه أحمد.

قوله: (وعن أبي سعيد مرفوعًا «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل» رواه أحمد[1].

وروى ابن خزيمة في صحيحه عن محمود بن لبيد قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس، إياكم وشرك السرائر»، قالوا يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه. فذلك شرك السرائر»[2].

قوله: (عن أبي سعيد الخدري) وتقدم.

قوله: (الشرك الخفي) سماه خفيًا لأن صاحبه يظهر أن عمله لله وقد قصد به غيره، أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله. وعن شداد بن أوس قال: «كنا نعد الرياء على

---

(١) حسن. أخرجه أحمد [١١٢٥٢] والبزار [٢٤٤٧] والطحاوي في «المشكل» [١٧٨١] وابن عدي (١٠٣٤/٣) وابن ماجه [٤٢٠٤] من طريق كثير بن زيد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن جده به.

وإسناده ضعيف.

كثير بن زيد ضعيف، وكذلك شيخه.

وأخرجه الحاكم (٣٢٩/٤) من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم العتواري عن كثير، به.

ودراج ضعيف في روايته عن أبي الهيثم غير أنه منكر الحديث.

ومع هذا قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي! ولكن يشهد له الحديث الآتي وغيره، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» [٢٧].

(٢) حسن. أخرجه ابن خزيمة [٩٣٧] والبيهقي (٢٩٠/٢) وحسنه الشيخ في «صحيح الترغيب» [٢٨].

عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر» رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الإخلاص»، وابن جرير في «التهذيب»، والطبراني والحاكم وصححه[١].

قال ابن القيم: وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل ماشاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا شرك أكبر بحسب حال قائله ومقصده، انتهى[٢].

ولا خلاف أن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة، كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلْك :٢] قال: أيكم أخلصه ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة[٣].

وفي الحديث عن الفوائد: شفقة النبي ﷺ على أمته ونصحه لهم، وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال. فإن كان النبي ﷺ يخافه على سادات الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم فغيرهم ممن هو دونهم بأضعاف أولى بالخوف من الشرك أصغره وأكبره.

---

(١) صحيح أخرجه الطبراني [٧١٦٠] والبزار [٣٤٨١] وابن أبي الدنيا في «الإخلاص» والحاكم (٣٩/٤) وقال: صحيح ووافقه الذهبي وقال الألباني وهو كما قالا انظر: «صحيح الترغيب» [٣٢].

(٢) انظر: «المدارج» (٣٤٤/١).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص» [٢٢] من طريق محمد بن علي بن شقيق حدثنا إبراهيم بن الأشعث عن الفضيل، به.

وهكذا أخرجه أبو نعيم (٩٥/٤).

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ آيةِ الكهفِ.

الثانية- [هذا] الأمرُ العظيمُ في رَدِّ العملِ الصالحِ إذا دخلَهُ شيءٌ لغيرِ الله.

الثالثة- ذكرُ السببِ الموجبِ لذلكَ، وهو كمالُ الغِنَى.

الرابعة- أنَّ مِن الأسبابِ، أنه تعالى خيرُ الشركاءِ.

الخامسة- خوفُ النبيِّ ﷺ على أصحابِهِ مِنَ الرياءِ.

السادسة- أنهُ فسَّرَ ذلكَ بأنْ يصلي المرءُ للهِ، لكن يُزيِّنها لِمَا يَرَى مِن نظرِ رجلٍ [إليهِ].

بابُ

مِنَ الشركِ، إرادةُ الإنسانِ بعملِهِ الدنيا [ق/٢٢/أ]

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

قوله: (باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا)

فإن قيل: فما الفرق بين هذه الترجمة وبين ترجمة الباب قبله؟

قلت: بينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وهو ما إذا أراد الإنسـ بعملـه التزيـن عند الناس والتصنـع لهم والثناء، فهـذا رياء كما تقـدم بيانه، كحـ المنافقـين. وهو أيضًـا إرادة الدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكر ويفارق الرياء بكونه عمل عملًا صالحًا، أراد به عرضًا من الدنيا، كمن يجاهد ليأ مـالًا، كمـا في الحديث «تعس عبد الدينار»[1] أو يجاهد للمغنم أو غير ذلك من الأم التي ذكرها شيخنا عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ [هود: ١٥].

وأراد المصنـف رحمه الله بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا شرك ينـ كمـال التوحيـد الواجب، ويحبط الأعمال، وهو أعظم مـن الرياء، لأن مريد الدنيا تغلـب إرادتـه تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمـ ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرًا من هذا وهذا.

---

(١) سيأتي تخريجه.

وقولِ الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هُود:١٥].

قال: (وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هُود:١٥-١٦].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «من كان يريد الحياة الدنيا»، أي ثوابها. وزينتها، أ: مالها. نوف، أي نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور في المال والأهل والولد: «وه فيها لا يبخسون» لا ينقصون، ثم نسختها: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء:١٨-١٩] الآيتين. رواه النحاس في ناسخه[1].

قوله: (ثم نسختها) أي قيدتها. فلم تبق الآية على إطلاقها.

وقال قتادة: من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطي بها جزاء، وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة ذكره ابن جرير بسنده[2].

ثم ساق حديث أبي هريرة عن ابن المبارك عن حيوة ابن شريح قال: حدثني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان أن عقبة بن مسلم حدثه أن شفي بن ماتع الأصبحي حدثه: (أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا أبو هريرة. قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، وهو يحدث الناس. فما سكت وخلا قلت: أنشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمته. قال: فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله

---

(١) عزاه السيوطي في «الدار» (٣/٥٨٤) لابن النحاس فقط.

(٢) ابن جرير [١٨٠٣٢] بسند صحيح.

ﷺ في هذا البيت ما فيه أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة[١]، ثم أفاق فقال: لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما فيه غيري أحد وغيره. ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى، ثم مال خارًا على وجهه، واشتد به طويلًا. ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ : **«إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى القيامة ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية. فأول من يدعى به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال. فيقول الله تبارك وتعالى للقارىء: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان قارىء فقد قيل ذلك. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جواد، فقد قيل ذلك. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له: فبماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك»**. ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: **«يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة[٢]»[٣]**.

---

(١) نشغ بفتح النون والشين المعجمة وبعدها غين معجمة؛ أي شهق حتى كاد يغشى عليه أسفًا وخوفًا.

(٢) صحيح. أخرجه الترمذي [٢٣٨٢] وابن خزيمة [٢٤٨٢] وابن حبان [٤٠٨] وابن جرير [١٨٠٤٢] والحاكم (٤١٨/١) والبغوي [٤١٤٣] من هذا الطريق.

وإسناده صحيح.

وأخرجه مسلم [١٩٠٥] والنسائي (٢٣/٦) والبيهقي (١٦٨/٩) من طريق ابن جريج عن يونس بن يوسف عن سليمان بن يسار عن ناتل بن قيس عن أبي هريرة، به.

(٣) تمام الحديث عند ابن جرير وغيره: «قال أبو عثمان الوليد: فأخبرني عقبة أن شفيا هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا. قال أبو عثمان وحدثني العلاء بن أبي حكيم: أنه كان سَيَّافًا لمعاوية – قال:

وقد سئل شيخنا المصنف رحمه الله عن هذه الآية فأجاب بما حاصله: ذكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله: من صدقة وصلاة، وصلة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطي ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية: أنها نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالًا صالحة ونيته رياء الناس، لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالًا صالحة يقصد بها مالًا، مثل أن يحج لمال يأخذه أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية، كما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيرًا.

فدخل عليه رجل فحدثه بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية: وقد فعل بهؤلاء هذا؟ فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاءً شديدًا حتى ظننا أنه هلك، وقلنا: قد جاء هذا الرجل بشر ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه فقال: صدق الله ورسوله ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ قال المنذري: ورواه ابن خزيمة في صحيحه.

النـوع الرابع، أن يعمل بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفرًا يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا إبتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة؟ لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم، فهذا النوع أيضًا قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها، قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧][(١)].

ثم قال: بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج إبتغاء وجه الله، طالبًا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالًا قاصدًا بها الدنيا، مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما وقد قال بعضهم: القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله اهـ

(١) هذا ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما وغيره كثيرًا.

و في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تعِسَ عبدُ الدينارِ، تعِسَ عبدُ الدرهَم»

تعس عبد الدينار

قوله: (في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة. إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع له»**[1].

قوله: (في الصحيح) أي صحيح البخاري.

قوله: (تعس) هو بكسر العين ويجوز الفتح أي سقط، والمراد هنا هلك. قاله الحافظ، وقال في موضع آخر: وهو ضد سعد. أي شقي.

قال أبو السعادات: يقال تعس يتعس إذا عثر وانكب لوجهه. وهو دعاء عليه بالهلاك[2].

قوله: (عبد الدينار) هو المعروف من الذهب كالمثقال في الوزن.

قوله: (تعس عبد الدرهم) وهو من الفضة، قدره الفقهاء بالشعير وزنًا، وعنده منه درهم من ضرب بني أمية وهو زنة خمسين حبة شعير وخمسا حبة سماه عبدًا له لكونه هو المقصود بعمله، فكل من توجه بقصده لغير الله فقد جعله شريكًا له في عبوديته كما هو حال الأكثر.

---

(١) أخرجه البخاري [٢٨٨٦] [٢٨٨٧] [٦٤٣٥] وابن ماجه [٤١٣٥] وابن حبان [٣٢١٨] والبيهقي (١٠/٢٤٥)؛ والبغوي [٤٠٥٩].

(٢) انظر «النهاية» (٢/١٨٦).

تعِسَ عبدُ الخمِيصَةِ، تعس عبد الخميلة، إنْ أعطِيَ رضِي، وإنْ لم يُعطَ سَخِطَ، تعِسَ وانتكَسَ، وإذا شِيكَ فلا انتُقِشَ،

قوله: (تعس عبد الخميصة) **قال أبو السعادات:** هي ثوب خز أو صوف معلم وقيل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وتجمع على خمائص. والخميلة بفتح الخاء المعجمة وقال أبو السعادات: ذات الخمل، ثياب لها خمل من أي شيء كان[1].

قوله: (تعس وانتكس) **قال الحافظ:** هو بالمهملة، أي عاوده المرض.

وقال أبو السعادات: أي انقلب على رأسه. وهو دعاء عليه بالخيبة.

قال الطيبي: فيه الترقي بالدعاء عليه. لأنه إذا تعس انكب على وجهه. وإذا انتكس انقلب على رأسه بعد أن سقط.

قوله: (وإذا شيك) أي أصابته شوكة (فلا انتقش) أي فلا يقدر على إخراجه بالمنقاش قاله أبو السعادات.

والمراد أن من كانت هذه حاله فإنه يستحق أن يدعى عليه بما يسوءه في العواقب ومن كانت هذه حاله فلا بد أن يجد أثر هذه الدعوات في الوقوع فيما يضره في عاجل دنياه وآجل أخراه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة. وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله: «**تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**» وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح، لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه، وهذا حال من عبد المال

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/٧٦).

....

وقـد وصف ذلـك بأنه: إن أعطى رضي، وإن منع سـخط كما قَالَتَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة:٥٨] فرضاؤهم لغير الله، وسـخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقًا منها برياسـة أو صـورة ونحـو ذلك مـن أهواء نفسـه، إن حصـل له رضي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده إلى أن قال:

وهكذا أيضًا طالب المال، فإن ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الأمور نوعان، فمنها مـا يحتـاج إليه العبد، كما يحتـاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسـكنه ونحو ذلك، فهـذا يطلب من الله ويرغب إليه فيه. فيكون المال عنده يسـتعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعًا.

ومنهـا: ما لا يحتاج إليه العبـد، فهذا ينبغي أن لا يعلق قلبه بها، فإذا تعلق قلبه بها صار مسـتعبدًا لها، وربما صار مسـتعبدًا متعمدًا على غير الله فيها، فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل عليه، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله، وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ: **«تعس عبد الدينار، تعـس عبد الدرهم، تعس عبـد الخميصة، تعس عبد الخميلة»** وهذا هو عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله، فإن الله إذا أعطاه إياه رضي، وإن منعه إياها سخط، وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض مـا أبغضه الله ورسـوله، ويـوالي أولياء الله ويعـادي أعداء الله فهذا الذي اسـتكمل الإيمان، انتهى ملخصًا.

طُوبَى لعبدٍ

قوله: (طوبى لعبد) **قال أبو السعادات**: طوبى اسم الجنة، وقيل: هي شجرة فيه ويؤيد هذا ما روى ابن وهب بسنده عن أبي سعيد قال: «قال رجل: يا رسول الله وم طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**» وروا الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى سمعت عبد الله بن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ «إن رجلًا قال: ي رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، قال: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى ثم طوبى ث طوبى لمن آمن بي ولم يرني**». قال له رجل: وما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائ عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»[1] وله شواهد في الصحيحين وغيرهما.

وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا. قال وهب رحمه الله: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها زهرها رياط، وورقها برود[2] وقضبانها عنبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور ووحلها مسك، يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة بينما هم في مجلسهم إذا أتتهم الملائكة من ربهم يقودون نجبًا مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حسنها، ووبرها كخز المرعزي من لينه، عليها رحال

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (٧١/٣) وأبو يعلى [١٣٧٤] من طريق حسين بن موسى، به.

وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٩١/٤) من طريق أسد بن موسى، به.

وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، ودراج.

لكن تابع ابن لهيعة، ودراج.

لكن تابع ابن لهيعة عليه عمرو بن الحارث.

فرواه ابن حبان [٧٢٣٠] [٧٤١٣] والطبري (١٤٩/١٣) من طريق عن دراج، به.

وشطر الحديث الأول له شواهد تقويه.

(٢) الرياط: جمع ريطة - بفتح الراء المهملة - ثوب كالملاءة. قيل: كل ثوب رقيق لين. والبُرد: كالعباءة(؟).

ألواحهـا مـن ياقـوت، ودفوفهـا من ذهـب وثيابها من سـندس وإسـتبرق، فينيخونه ويقولون: إن ربنا أرسل إليكم لتزوروه وتسلموا عليه قال: فيركبونها، قال: فهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش. خبا من غير مهنة، يسـير الراكب إلى جنب أخيه وهو يكلمـه ويناجيـه، لا تصيـب أذن راحلة منهـا أذن صاحبتها، ولا بـرك راحلة برك صاحبتهـا، حتى إن الشـجرة لتنتحى عن طريقهم لئلا تفرق بـين الرجل وأخيه. قال فيأتـون إلى الرحمن الرحيم فيسـفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظـروا إليه، فإذا رأو قالوا: اللَّهُمَّ أنت السـلام ومنك السلام، وحق لك الجلال والإكرام، قال: فيقول تبارك وتعـالى عند ذلك، أنا السـلام ومني السـلام وعليكم حقت رحمـتي ومحبتي، مرحباً بعبادي الذين خشـوني بالغيـب وأطاعوا أمري. قال فيقولون: ربنـا إنا لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدرك، فائذن لنا بالسـجود قدامك. قال: فيقول الله: إنها ليسـت بدار نصـب ولا عبـادة، ولكنهـا دار ملك ونعيـم، وإني قد رفعت عنكم نصـب العبادة فسـلوني ما شـئتم، بأن لـكل رجل منكم أمنيته. فيسـألونه، حـتى إن أقصرهم أمنية ليقول: ربي، تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها، رب فآتني من كل شيء كانو فيـه مـن يـوم خلقتها إلى أن انتهـت الدنيا، فيقـول الله تعالى: لقد قـصرت بك اليوم أمنيتـك. ولقـد سـألت دون منزلتك. هذا لك مني وسـأتحفك بمنزلـتي لأن ليس في عطـائي نكـد ولا قصر يد. قال: ثم يقول: اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيهم ولم يخطـر على بال. قـال: فيعرضون عليهم حتى تقـصر بهم أمانيهم[1] التي في أنفسـهم فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة. في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهرة في كل قبـة منهـا جاريتان من الحور العين. على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة

(١) في ابن جرير: «حتى يقضوهم أمانيهم» وفي ابن كثير: «حتى تقصر بهم أمانيهم».

وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما. ولا ريح طيب إلا قد عبق بهما. ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة. حتى يظن من يراهما أنهما من دون القبة يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض في يا قوته حمراء. يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل. ويرى لهما مثل ذلك. ثم يدخل عليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ويقولان له: والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك. ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفًا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له.

وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن منبه وزاد: فانظروا إلى مواهب ربكم الذي وهب لكم، فإذا بقباب في الرفيق الأعلى، وغرف مبنية بالدر والمرجان أبوابها من ذهب وسررها من ياقوت، وفرشها من سندس واستبرق، ومنابرها من نور، يفور من أبوابها وعراصها نور مثل شعاع الشمس، عنده مثل الكوكب الدري في النهار المضيء، وإذا بقصور شامخة في أعلى عليين من الياقوت يزهو نورها. فلولا أنه مسخر إذًا لالتمع الأبصار، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض، وما كان منها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر، وما كان منها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالأرجوان الأصفر، مبوبة بالزمرد الأخضر والذهب الأحمر والفضة البيضاء، قوائمها وأركانها من الجوهر، وشرفها من قباب من لؤلؤ، وبروجها غرف من المرجان. فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم قربت لهم براذين من ياقوت أبيض منفوخ فيها الروح، تحتها الولدان المخلدون، بيد كل وليد منهم حكمة برذون من تلك البراذين ولجمها وأعنتها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت، سرر موضونة مفروشة بالسندس والإستبرق، فانطلقت بهم تلك البراذين تزف فينظرون رياض الجنة فلما انتهوا إلى منازلهم وجدوا الملائكة قعدوا على منابر من نور ينتظرونهم ليزوروهم ويصافحوهم ويهنئوهم كرامة ربهم، فلما دخلوا قصورهم

وجدوا فيها جميع ما تطاول به عليهم وما سألوا وما تمنوا، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة جنان جنتان ذواتا أفنان وجنتان مدهامتان وفيهما عينان نضاختان، وفيهما من كل فاكهة زوجان، وحور مقصورات في الخيام، فلما تبوءوا منازلهم واستقروا قرارهم قال لهم ربهم: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ وربنا. قال: هل رضيتم ثواب ربكم؟ قالوا: ربنا رضينا فارض عنا، قال: فبرضائي عنكم أحللتكم داري ونظرتم إلى وجهي، فعند ذلك قالوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[(١)] وهذا سياق غريب وأثر عجيب ولبعضه شواهد في الصحيحين.

وقال خالد بن معدان: إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى، ضروع كلها، ترضع صبيان أهل الجنة، وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيبعث ابن أربعين سنة رواه ابن أبي حاتم[(٢)].

---

(١) خبر إسرائيلي، إسناده حسن إلى وهب.

أخرجه ابن جرير [٢٠٣٨٩] من طريق الفضل بن الصَّبَّاح حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم الصنعاني حدثني عبد الصمد بن معقل عن وهب، به.

وجاء مرفوعًا.

أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجنة» [٥٤] وأبو نعيم في «وصف الجنة» [٤١١] من طريق أبي إياس عن محمد بن علي بن الحسين مرفوعًا.

وهو معضل ومع إعضاله ضعيف جدًا.

فإن أبا إياس وهو إدريس بن سنان متروك كما قال الدارقطني وغيره.

وأخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن وهب بن منبه عن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، وهو معضل.

(٢) قال في «الدر» (٤/١١٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزاء» وابن أبي حاتم.

أَخَذَ بعَنَانِ فرَسِهِ في سبيلِ الله، أشعَثَ رأسُهُ، مُغبَرَّةً قدمَاهُ، إنْ كانَ في الحِراسَةِ كانَ في الحِراسَةِ، وإنْ كانَ في السَّاقةِ كانَ في الساقةِ، إنْ استأذنَ لم يُؤذن له،

قوله: (أخذ بعنان فرسه في سبيل الله) أي في جهاد المشركين.

قوله: (أشعث) مجرور بالفتحة لأنه اسم لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل، ورأسه مرفوع على الفاعلية، وهو طائر الشعر، شغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالأدهان وتسريح الشعر.

قوله: (مغبرة قدماه) هو بالجر صفة ثانية لعبد.

قوله: (إن كان في الحراسة كان في الحراسة) هو بكسر الحاء أي حمى الجيش عن أن يهجم العدو عليهم.

قوله: (كان في الحراسة) أي غير مقصر فيها ولا غافل، وهذا اللفظ يستعمل في حق من قام بالأمر على وجه الكمال.

قوله: (وإن كان في الساقة كان في الساقة) أي في مؤخرة الجيش، يقلب نفسه في مصالح الجهاد، فكل مقام يقوم فيه إن كان ليلًا أو نهارًا، رغبة في ثواب الله وطلبًا لمرضاته ومحبة لطاعته.

قال ابن الجوزي ﷺ: وهو خامل الذكر لا يقصد السمو.

وقال الخلخالي: المعنى ائتماره بما أمر، وإقامته حيث أقيم. لا يفقد من مقامه، وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشد مشقة. انتهى.

وفيه فضل الحراسة في سبيل الله.

قوله: إن استأذن لم يؤذن له أي إن استأذن على الأمراء ونحوهم لم يؤذن له لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة. لأنه ليس من طلابها. وإنما يطلب ما عند الله لا يقصد بعمله سواه.

وإنْ شفعَ لم يُشفع [له]».

قوله: (وإن شَفَّع) بفتح أوله وثانية (لم يُشَفَّع) بفتح الفاء مشددة. يعني لو ألجأت الحال إلى أن يشفع في أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل شفاعته عند الأمراء ونحوهم.

وروى الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**»[1].

وروى الإمام أحمد أيضًا عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال: قال عثمان رضي الله عنه وهو يخطب على منبره: «إني محدثكم حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنعني أن أحدثكم به إلا الظن بكم. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**حرسُ ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويُصام نهارها**»[2].

وروى الحافظ ابن عساكر[3] في ترجمة عبد الله بن المبارك قال عبد الله بن محمد قاضي نصيبين حدثني محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة أنه أملى عليه عبد الله

(١) أخرجه مسلم [٢٦٢٢] [٢٨٤٦] وابن حبان [٦٤٨٣] والطحاوي مشكل (٢٩٢/١) والحاكم (٣٢٨/٤).
(٢) ضعيف الإسناد.
أخرجه أحمد [٤٣٣] وإسناده ضعيف، وفيه انقطاع.
مصعب بن ثابت ضعفه أحمد وابن معين وغيرهما.
غير أنه لم يسمع من عثمان، ولد بعد مقتله بخمسين عامًا.
وأخرجه ابن أبي عاصم [١٥٠] والطبراني [١٤٥] والحاكم (٨١/٢) وأبو نعيم (٢١٤/٦) والبيهقي في «الشعب» [٤٢٣٤] وابن ماجه [٢٧٦٦] من طريق مصعب بن ثابت عن عبدالله بن الزبير عن عثمان به.
وإسناده ضعيف، وراجع ضعيف الجامع [٢٧٠٣].
(٣) انظر: تاريخ ابن عساكر (٤٤٩/٣٢) والسير (٤١٠/٨) وقد خرجته في رسالة البكاء.

....

بـن المبـارك هذه الأبيات بطرسـوس وواعده الخروج. وأنشـدها معـه إلى الفضيل بن عياض في سنة سبع وسبعين ومائة. قال:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولهم يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم، ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الليل في ... أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

قـال: فلقيت الفضيل بكتابه في المسـجد الحرام فلما قـرأه ذرفت عيناه فقال صـدق أبو عبد الرحمن ونصحني، ثـم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم قال لي: اكتب هذا الحديث، وأملي على الفضيل بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالـح عـن أبي هريرة: «أن رجلًا قال: يا رسـول الله! علمني عمـلًا أنال به ثواب المجاهديـن في سـبيل الله، فقال: **«هل تسـتطيع أن تصلي فلا تفتر، وتصـوم فلا تفطر؟»** فقال: يا رسـول الله! أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي ﷺ: **«فو الـذي نفسي بيده لـو طوقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سـبيل الله، أما علمت أن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك حسنات؟»**[1].

---

(١) المرفوع. أخرجه البخاري [٢٧٨٥] والنسائي (١٩/٦) وابن منده في «الإيمان» [٢٤١] وأحمد [٨٥٤٠] [٩٤٨١] [٩٦٤٨] والبيهقي (١٥٧/٩) وفي «الشعب» [٤٢١٦] [٤٢١٧].

فيه مسائلُ:

الأولى- إرادةُ الإنسانِ الدنيا بعملِ الآخرةِ.

الثانية- تفسيرُ آيةِ هودٍ.

الثالثة- تسميةُ الإنسانِ المسلمِ: عبدَ الدينارِ، والدرهمِ والخميصة [والخميلةِ].

الرابعة- تفسيرُ ذلكَ بأنهُ إنْ أعطيَ رضِيَ، وإن لم يُعط سخِط.

الخامسة- قولهُ «تعسَ وانتكسَ».

السادسة- قوله: «وإذا شيكَ فلا انتُقِش».

السابعة- الثناءُ على المجاهدِ الموصوفِ بتلكَ الصفاتِ.

باب

مَن أطاعَ العلماءَ والأمراءَ في تحريمِ ما أحلَّ اللهُ أو تحليلِ ما حرّمَ اللهُ، فقد اتخذَهُم أربابًا [مِن دونِ اللهِ].

وقال ابنُ عباس: يوشكُ أن تنزلَ عليكم حجارةٌ مِن السماءِ، أقولُ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «وتقولونَ: قال أبو بكرٍ وعمرُ؟!.

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله

قوله: (باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، فقد اتخذهم أربابًا من دون الله)

قول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١] وتقديم تفسير هذا في أصل المصنف رحمه الله عند ذكر حديث عدي ابن حاتم رضي الله عنه.

قوله: وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟»(١).

قوله: يوشك بضم أوله وكسر الشين المعجمة أي يقرب ويسرع.

(١) إسناده ضعيف. أخرجه أحمد [٢٢٧٧] [٢٦٦٤] [٢٩٧٦] [٣١٢١] وغيره، وأصل الحديث صحيح: فإن لبعض طرقه قوة، ولكن هذه الزيادة قد تفرد بها شريك عن الأعمش وهو سيء الحفظ، فالإسناد ضعيف.

وهي عند أحمد [٣١٢١] وقد أخطأ من صحح هذا الإسناد.

....

وهـذا القـول من ابـن عباس رضي الله عنهما جواب لمـن قال: إن أبا بكـر وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج، ويريان أن إفراد الحج أفضل: أو ما هو معنى هذا، وكان ابن عباس يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب ويقول: إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشـواط فقد حل من عمرته شاء أم أبى» لحديث سراقة بن مالك حين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلوها عمرة ويحلوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفـا والمـروة، فقال سراقة: يا رسـول الله ألعامنا هـذا أم للأبد؟ فقـال: «بل للأبد والحديث في الصحيحين[1]، وحينئذ فلا عذر لمن استفى أن ينظر في مذاهب العلماء وما اسـتدل به كل إمام ويأخذ من أقوالهم ما دل عليه الدليل إذا كان له ملكة يقتدر بها على ذلـك. كمـا قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

وللبخاري ومسلم وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معي الهدى لأحللت**»[2] هذا لفظ البخاري في حديث عائشـة رضي الله عنها . ولفظـه في حديث جابر: «**افعلـوا ما أمرتكم به فلولا أني سـقت الهدي لفعلت مثل الذي أمرتكم**»[3] في عدة أحاديث تؤيد قول ابن عباس.

وبالجملـة فلهـذا قـال ابـن عباس لمـا عارضوا الحديـث برأي أبي بكـر وعمر رضي الله عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء.... الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري [١٧٨٥] ومسلم [١٢١٦] وأحمد (٣/٢٩٣) وابن حبان [٣٩١٩] عن جابر.
وأخرجه أحمد [١٧٥٩٠] والنسائي (٥/١٧٨) والطبراني [٦٦٠٤] عن سراقة.
(٢) أخرجه البخاري [٧٢٢٩] ومسلم [١٢١١].
(٣) أخرجه البخاري [١٥٦٨] ومسلم [١٢١٦].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد»[(١)].

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا صاحب هذا القبر ﷺ.

وكلام الأئمة في هذا المعنى كثير.

وما زال العلماء رحمهم الله يجتهدون في الوقائع فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، كما في الحديث[(٢)].

لكن إذا استبان لهم الدليل أخذوا به وتركوا اجتهادهم. وأما إذا لم يبلغهم الحديث أو لم يثبت عن النبي ﷺ عندهم فيه حديث، أو ثبت وله معارض أو مخصص ونحو ذلك فحينئذ يسوغ للإمام أن يجتهد.

وفي عصر الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى إنما كان طلب الأحاديث ممن هي عنده باللقي والسماع، ويسافر الرجل في طلب الحديث إلى الأمصار عدة سنين. ثم اعتنى الأئمة بالتصانيف ودوَّنوا الأحاديث ورووها بأسانيدها، وبيَّنوا صحيحها من حسنها من ضعيفها.

والفقهاء صنفوا في كُلِّ مذهب، وذكروا حجج المجتهدين. فَسهُل الأمر على طالب العلم. وكل إمام يذكر الحكم بدليله عنده، وفي كلام ابن عباس رضي الله عنهما ما يدل

(١) ما بين القوسين ساقط من نسخة دار الحديث، وهذه النسخة بها سقط كثير وأخطاء مطبعية كثيرة، ولهذا من باب النصح والأمانة.

(٢) الحديث «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران».

أخرجه أحمد (٤/١٩٨-٢٠٤) والبخاري [٧٣٥٢] ومسلم [١٧١٦] وأبو داود [٣٥٧٤] والترمذي [١٣٢٦] والنسائي [٢٢٣١٨] وابن ماجه [٢٣١٤] والطحاوي [٥٣] وابن الجارود [٩٩٦] عن عمرو بن العاص.

على أن من يبلغه الدليل فلم يأخذ به تقليدًا لإمامه فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ لمخالفته الدليل.

وقال الإمام أحمد[(١)]: حدَّثنا أحمد بن عمر البزَّار، حدثنا زياد بن أيوب، حدثنا أبو عبيدة الحداد عن مالك بن دينار عن عكرمة ابن عباس قال: «ليس منا أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع غير النبي ﷺ»[(٢)].

وعلى هذا فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء كائنًا من كان، ونصوص الأئمة على هذا، وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها يرجع إليه من كتاب ولا سنة، فهذا هو الذي عناه بعض العلماء بقوله: لا إنكار في مسائل الاجتهاد. وأما من خالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه كما قال ابن عباس والشافعي ومالك وأحمد، وذلك مجمع عليه، كما تقدم في كلام الشافعي رحمه الله تعالى.

---

(١) الصواب أنه الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة، وليس الإمام أحمد بن حنبل.

(٢) أخرجه الطبراني [١١٩٤١] بهذا الإسناد.

وقال الهيثمي في «المجمع» (١/١٧٩): «رجاله موثقون».

قلت: إسناده حسن لأجل مالك بن دينار فإنه صدوق.

وقال الإمامُ أحمدُ: عجبتُ لقومٍ عرفوا الإسنادَ وصحتَه، [و] يذهبون إلى رأي سفيانٍ، والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]،

قول الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد ويذهبون إلى رأي سفيان إلخ

قوله: (وقال الإمام أحمد: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان. والله تعالى يقول: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] أتدرون ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

هذا الكلام من الإمام أحمد رحمه الله رواه عنه الفضل بن زياد وأبو طالب. قال الفضل عن أحمد: نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاث وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ الآية، فذكر من قوله: الفتنة الشرك إلى قوله: فيهلك. ثم جعل يتلو هذه الآية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال أبو طالب عن أحمد وقيل له: إن قومًا يدعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره، فقال: أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحته يدعونه ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره، قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الكفر.

أتدري ما الفتنةُ؟ الفتنةُ: الشركُ، لعله إذا رَدَّ بعضَ قولِهِ أن يقعَ في قلبهِ شيءٌ مِنَ الزيغِ فيهلكُ.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧] فيدعون الحديث عن رسول الله ﷺ وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي ذكر ذلك عنه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

قوله: عرفوا الإسناد أي إسناد الحديث وصحته، فإن صح إسناد الحديث فهو صحيح عند أهل الحديث وغيرهم من العلماء.

وسفيان: هو الثوري الإمام الزاهد العابد الثقة الفقيه، وكان له أصحاب يأخذون عنه، ومذهبه مشهور يذكره العلماء رحمهم الله في الكتب التي يذكر فيها مذاهب الأئمة، كـ«التمهيد» لابن عبد البر، و«الاستذكار» له، وكتاب «الإشراف على مذاهب الأشراف» لابن المنذر، و«المحلى» لابن حزم، و«المغني» لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة الحنبلي. وغير هؤلاء.

فقول الإمام أحمد رحمه الله: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته... إلخ إنكار منه لذلك. وأنه يؤول إلى زيغ القلوب الذي يكون به المرء كافرًا.

وقد عَمَّت البلوى بهذا المنكر خصوصًا ممن ينتسب إلى العلم، نصبوا الحبائل في الصد عن الأخذ بالكتاب والسنة، وصدوا عن متابعة الرسول ﷺ وتعظيم أمره ونهيه، فمن ذلك قولهم: لا يستدل بالكتاب والسنة إلا المجتهد[1]

(١) إن الناظر إلى أحوال السلفيين اليوم أو أكثرهم من الطلبة والأتباع، تجدهم يتعصبون إلى الشيوخ، مع علم الشيوخ بذلك، وقلما نهى أحدهم طلبته عن هذا التعصب.

وأصبحت المولاة والمعاداة على الشيوخ وليس على الحق.

والمشاكل والعصبية هنا وهناك، والتي تولدت بسبب التعصب للشيوخ، وترك الجميع الحق والدليل الذي هو أساس هذه الدعوة المباركة، والتي انتسب إليها الكثيرون ظلمًا وزورًا. والدعوة السلفية مبنيةٌ على

والاجتهاد قد انقطع ويقول: هذا الذي قلدته أعلم منك بالحديث وبناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك من الأقوال التي غايتها ترك متابعة الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، والاعتماد على قول من يجوز عليه الخطأ، وغيره من الأئمة يخالفه، ويمنع قوله بدليل، فما من إمام إلا والذي معه بعض العلم لا كله. فالواجب على كل مكلف إذا بلغه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله وفهم معنى ذلك: أن ينتهي إليه ويعمل به، وإن خالفه من خالفه، كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣] وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١].
وقد تقدم حكاية الإجماع على ذلك، وبيان أن المقلد ليس من أهل العلم، وقد حكى أيضًا أبو عمر ابن عبد البر وغيره الإجماع على ذلك.

قلت: ولا يُخالف في ذلك إلا جُهَّال المُقلِّدة، لجهلهم بالكتاب والسنة، ورغبتهم عنها، وهؤلاء وإن ظنوا أنهم قد اتبعوا الأئمة فإنهم في الحقيقة قد خالفوهم، واتبعوا غير سبيلهم[1]. كما قدمنا من قول مالك والشافعي وأحمد، ولكن في كلام أحمد

اتباع الدليل وأن العبد يدور مع الدليل حيث دار، لكن قِلّة نصح الشيوخ وفرحهم بالمتعصبين لهم انسلخ أكثرهم من الدعوة المباركة وعادت ربما لعادتها القديمة، وعاد التعصب المذهبي في ثوب جديد للمشايخ والله المستعان.

والحرب الضروس التي يدور رحالها بين طلبة العلم الآن هي بسبب أن الشيخ الفلاني قال كذا وكذا. ولا يجوز مخالفته حتى لو خالف الحق، والويل كل الويل لمن تسول له نفسه مخالفة الشيخ!!.

والشيخ يتكلم ويفتي في كل شيء، في الحديث يفتي، في الفقه يفتي، في التفسير يفتي، في التوحيد يفتي. وقوله هو الحق، وكلامه هو الصدق، حتى لم يعد وجود لشيخ الإسلام ابن تيمية ولا لابن القيم، ولا ابن باز ولا الألباني ولا ابن عثيمين - رحم الله الجميع - بين الطلبة ولا حتى الطلبة يعرفون هؤلاء فلا صوت يعلو صوت الشيخ، ولا قول بعد قول الشيخ!!!.

(١) أين الذين يدرسون التوحيد في بلدنا وغيرها من هذا الكلام؟!!.

رحمه الله إشارة إلى أن التقليد قبل بلوغ الحجة لا يُذَم وإنما يُنكر على من بلغته الحجة وخالفهم لقول إمام من الأئمة، وذلك إنما ينشأ عن الإعراض عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله والإقبال على كتب من تأخروا والإستغناء بها عن الوحيين، وهذا يشبه ما وقع من أهل الكتاب الذي قال الله فيهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١] كما سيأتي بيان ذلك في حديث عدي بن حاتم.

فيجب على من نصح نفسه إذا قرأ كتب العلماء ونظر فيها وعرف أقوالهم أن يعرضها على ما في الكتاب والسنة، فإن كل مجتهد من العلماء ومن تبعه وانتسب إلى مذهبه لا بد أن يذكر دليله، والحق في المسألة واحد، والأئمة مثابون على اجتهادهم، فالمنصف يجعل النظر في كلامهم وتأمله طريقًا إلى معرفة المسائل واستحضارها ذهنًا وتمييزًا للصواب من الخطأ بالأدلة التي يذكرها المستدلون، ويعرف بذلك من هو أسعد بالدليل من العلماء فيتبعه، والأدلة على هذا الأصل في كتاب الله أكثر وفي السنة كذلك، كما أخرج أبو داود بسنده عن أناس من أصحاب معاذ: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذًا إلى اليمن قال: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟**» قال: أقضي بكتاب الله تعالى، قال: «**فإن لم تجد في كتاب الله؟**» قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله؟**» قال: أجتهد رأيي ولا آلو، قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال: «**الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله**»[1] وساق بسنده عن الحارث بن عمرو عن أناس من أصحاب معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه إلى اليمن بمعناه.

---

(١) ضعيف وفيه انقطاع، أخرجه أبو داود [٣٥٩٣] والترمذي [١٣٢٨] وأحمد (٢٤٢/٥) وضعفه الشيخ في «أبي داود» [٧٧٠].

والأئمة رحمهم الله لم يقصروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهم إذا استبانت السنة، لعلمهم أن من العلم شيئًا لم يعلموه، وقد يبلغ غيرهم، وذلك كثير كما لا يخفى على من نظر في أقوال العلماء.

قال أبو حنيفة رحمه الله: إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضي الله عنهم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال[1].

وقال: إذا قلت قولًا وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولي لكتاب الله[2].

قيل: إذا كان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر الرسول صلى الله عليه وسلم. وقيل إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لصحابة[3].

وقال الربيع: سمعت الشافعي رحمه الله يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت[4].

وقال: إذا صح الحديث بما يخالف قولي فاضربوا بقولي الحائط[5].

---

(١) عزاه الشيخ الألباني في «صفة الصلاة» (٢٤/١) إلى ابن عابدين في «الحاشية» (٦٣/١) وفي رسالته «رسم المفتي» (٤/١) وإلى الشيخ صالح الفُلاَّني في «إيقاظ الهمة» (ص:٦٢).

(٢) ذكره الألباني في «صفة الصلاة» (٢٧/١) وعزاه إلى الفُلاَّني في «الإيقاظ» (ص:٥٠).

(٣) وقال أيضًا رحمه الله: «إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي» وقال: «لا يحل لأحدٍ أن يأخذ بقولنا، ما لم يعلم من أين أخذناه».

وقال: «حرامٌ من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي».

وقال: «فإنا بشر: نقول القول اليوم، ونرجع عنه غدًا».

(٤) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (١/٤٧/٣) والخطيب في «الاحتجاج بالشافعي» (٨/٢) وابن عساكر (١/٩/١٥) وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٧/٩) وابن حبان (٢٨٤/٣).

(٥) بنحوه أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي» (ص:٩٣) وأبو نعيم (١٠٦/٩) وابن عساكر (٢/٩/١٥)

وقال مالك: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ [(١)].

وتقدم له مثل ذلك، فلا عذر لمقلد بعد هذا. ولو استقصينا كلام العلماء في هذ لخرج عما قصدناه من الاختصار، وفيما ذكرناه كفاية لطالب الهدى.

قـوله: (لعله إذا رد بعض قوله) أي قول الرسـول ﷺ (أي يقع في قلب شيء من الزيغ فيهلك) نَبّهَ رحمه الله أن ردّ قول الرسول ﷺ سبب لزيغ القلب

بسند صحيح ولقد كثرت النقول عن الشافعي رحمه الله فراجعها في «آداب الشافعي»ونقل بعضها الشيخ الألباني رحمه الله ونور قبره وجعله عليه روضة من رياض الجنة في «صفة الصلاة» (٣١/١).

(١) قال الشيخ الألباني السلفي الأثري الذي يقال أنه سلفي العقيدة والمنهج والاتباع رحمه الله في «صفة الصلاة» (٢٧/١) نسبة هذا إلى مالك هو المشهور عن المتأخرين وصححه عنه ابن عبد الهاد في «إرشاد السالك» (١/٢٢٧) وقد رواه بن عبد البر في «الجامع» (٩١/٢) وابن حزم في «أصول الأحكام (١٤٥/٦و١٧٩) من قول الحكم بن عُتيبة ومجاهد، وأورده تقي الدين السُّبكي في «الفتاوى» (١٤٨/١) من قول ابن عباس متعجبًا من حُسنه، ثم قال: «وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد، وأخذها منه مالك رضي الله عنه، واشتهرت عنه».

قال الألباني: ثم أخذها عنهم الإمام أحمد فقد قال أبو داود في مسائل الإمام أحمد (ص:٢٧٦): «سمعت أحمد يقول: ليس أحد إلاَّ ويؤخذ من رأيه ويترك ما خلا النبي ﷺ».

وأما الإمام أحمد فقد كان أكثرهم تمسكًا بالحديث والدليل فقد رحمه الله:

«لا تقلدني ولا تقلد مالكًا، ولا الشافعي، ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا».

وقال: «الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه ثم هو من بعد التابعين مخير».

وقال: «رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفةرحمهم الله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار».

وقال: «من ردّ حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة».

والنقول عن الأماجد كثيرة في كيفية الاتباع، وبيان الاتباع الحق، وبيان السلفية الصحيحة، ليست السلفية التي عليها أصحابنا اليوم والتي خالفوا فيها كل قواعد السلفية.

وذلك هو الهلاك في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف: ٥].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في معنى قول الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ [النور: ٦٣] فإن كان المخالف لأمره قد حَذَّر من الكفر والشرك، أو من العذاب الأليم، دل على أنه قد يكون مفضيًا إلى الكفر والعذاب الأليم، ومعلوم أن إفضاءه إلى العذاب الأليم هو مجرد فعل المعصية، فإفضاؤه إلى الكفر إنما هو لما يقترن به من الاستخفاف في حق الأمر، كما فعل إبليس لعنه الله تعالى اهـ

وقال أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى عن الضحاك: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ﴾ قال: يطبع على قلبه فلا يؤمن أن يظهر الكفر بلسانه فتضرب عنقه(١).

قال أبو جعفر بن جرير: أدخلت (عن) لأن معنى الكلام فليحذر الذين يلوذون عن أمره ويدبرون عنه معرضين(٢).

قوله: (أو يصيبهم) في عاجل الدنيا عذاب من الله موجع على خلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٨/١٧٨) [٢٦٢٦٥] بإسناد ضعيف جدًا.

(٢) ابن جرير (١٨/١٧٨).

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سمع النبي [ق/ ٢٢/ ب] صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]،

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

قوله: (عن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التوبة:٣١] الآية. فقلت: «إنا لسنا نعبدهم. قال: **«أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟»** فقلت: بلى، قال: **«فتلك عبادتهم»** رواه أحمد والترمذي وحسنه[(١)].

هذا الحديث قد روى من طرق، فرواه ابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني، وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي.

قوله: عن عدي بن حاتم أي الطائي المشهور. وحاتم هو ابن عبد الله بن سعد ابن الحشرج بفتح الحاء المشهور بالسخاء والكرم. قدم عدي على النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان سنة تسع من الهجرة. فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة.

وفي الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله، ومن الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله لقوله تعالى في آخر الآية: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ ونظير ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ

---

(١) سبق تخريجه.

فقلت له: «إنا لسنا نعبدهم»، قال: «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمو ويحللون ما حرم الله فتحلونه؟» فقلت: «بلى»، قال: «فتلك عبادتكم» رو أحمد والترمذي وحسنه.

ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١]

وهـذا قـد وقع فيه كثير من الناس مع من قلدوهم، لعـدم إعتبارهم الدليل إذا خالف المقلد، وهو من هذا الشرك. ومنهم من يغلو في ذلك ويعتقد أن الأخذ بالدليل والحا هـذه يكره، أو يحرم، فعظمت الفتنة. ويقول: هم أعلم منا بالأدلة. ولا يأخذ بالدليـ إلا المجتهد، وربما تفوهوا بذم من يعمل بالدليل، ولا ريب أن هذا من غربة الإسلا كما قال شيخنا رحمه الله في المسائل:

فتغـيرت الأحوال، وآلت إلى هـذه الغاية فصارت عند الأكثر عبادة الرهبان هـ أفضل الأعمال، ويسمونها ولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه. ثم تغيرت الحال إ أن عبد من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.

وأما طاعة الأمراء ومتابعتهم فيما يخالف ما شرعه الله ورسـوله فقد عمت ب البلوى قديمًا وحديثًا في أكثر الولاة بعد الخلفاء الراشدين وهلم جرا. وقد قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠].

وعـن زيـاد بن حدير قـال: قال لي عمر رضي الله عنه: «هل تعرف ما يهدم الإسـلا قلـت: لا، قال: يهدمه زلـة العالم، وجدال المنافق بالقـرآن، وحكم الأئمة المضلين رواه الدارمي[١].

جعلنا الله وإياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

---

(١) سبق تخريجه.

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ آيةِ النورِ.

الثانية- تفسيرُ آيةِ براءةَ.

الثالثة- التنبيهُ على معنَى العبادةِ التي أنكرَها عُدَيٌّ.

الرابعة- تمثيلُ ابنِ عباسٍ بأبي بكرٍ وعمرَ، وتمثيلُ أحمدَ بسفيانٍ.

الخامسة- تغيّرُ الأحوالِ إلى هذهِ الغايةِ، حتى صارَ عندَ الأكثرِ عباد الرهبانِ هيَ أفضلُ الأعمالِ، وتسمَّى الولايةُ، وعبادةُ الأحبارِ هيَ العلمُ والفقه ثم تغيَّرتِ الحالُ إلى أن عُبدَ [مِن دونِ الله] مَن ليسَ مِن الصالحينَ، وعُبدَ بالمعنَى الثاني مَن هوَ مِن الجاهلينَ.



باب

قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ

باب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ إلخ

قوله: باب

قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: ٦٠] الآيات.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا[١].

وتقدم ما ذكره ابن القيم رحمه الله في حده للطاغوت، وأنه كل ما تجاوز العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فكل من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكفروا به، فإن التحاكم ليس إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن كان يحكم بهما، فمن تحاكم إلى غيرهما فقد تجاوز به حده، وخرج عما شرعه الله ورسوله ﷺ وأنزله منزلة لا يستحقها. وكذلك من عبد شيئًا دون الله فإنما عبد الطاغوت، فإن كان المعبود صالحًا صارت عبادة العابد له راجعة إلى الشيطان الذي أمره بها، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِ

---

(١) تفسيره (١/٥١٩).

....

﴿ ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:٢٨-٣٠] وكقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ:٤٠-٤١] وإن كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه أو كان شجرًا أو حجرًا أو قبرًا وغير ذلك مما يتخذه المشركون أصنامًا على صور الصالحين والملائكة وغير ذلك، فهي من الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده أن يكفروا بعبادته، ويتبرأوا منه، ومن عبادة كل معبود سوى الله كائنًا من كان، وهذا كله من عمل الشيطان وتسويله، فهو الذي دعا إلى كل باطل وزينة لمن فعل، وهذا ينافي التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله. فالتوحيد: هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤] وكل من عبد غير الله فقد جاوز به حده وأعطاه من العبادة ما لا يستحقه.

قال الإمام مالك رحمه الله: الطاغوت ما عبد من دون الله.

وكذلك من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله فقد ترك ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ورغب عنه، وجعل لله شريكًا في الطاعة وخالف ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] فمن خالف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو طلب ذلك أتباعًا لما يهواه

ويريده فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان في عنقه. وإن زعم أنه مؤمن، فإن الله تعا
أنكر على من أراد ذلك، وأكذبهم في زعمهم الإيمان لما في ضمن قوله: «يزعمون» م
نفى إيمانهم، فإن «يزعمون» إنما يقال غالبًا لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالف
لموجبها وعمله بما ينافيها، يحقق هذا قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ لأن الك
بالطاغوت ركن التوحيد، كما في آية البقرة فإن لم يحصل هذا الركن لم يكن موح
والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه. كما أ
ذلك بين في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ
بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦] الآية. وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به.

﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠]،

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ يبين تعالى في هذه الآية أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه: ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله، وأكده بالمصدر، ووصفه بالبعد. فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى.

ففي هذه الآية أربعة أمور. **الأول،** أنه إرادة الشيطان: **الثاني،** إنه ضلال. **الثالث،** تأكيده بالمصدر. **الرابع،** وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى.

فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن وما أبلغه، وما أدله على أنه كلام رب العالمين، أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلغه عبده الصادق الأمين. صلوات الله وسلامه عليه.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ بين تعالى أن هذه صفة المنافقين، وأن من فعل ذلك أو طلبه، وإن زعم أنه مؤمن فإنه في غاية البعد عن الإيمان.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى، هذا دليل على أن من دعى إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين.

قوله: ﴿يَصُدُّونَ﴾ لازم وهو بمعنى يعرضون، لأن مصدره صدودًا فما أكثر من اتصف بهذا الوصف، خصوصًا ممن يَدَّعى العلم، فإنهم صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلى أقوال من يخطىء كثيرًا ممن ينتسب إلى الأئمة الأربعة في تقليدهم من لا يجوز تقليده، واعتمادهم على قول من لا يجوز الاعتماد على قوله، ويجعلون قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد عندهم الذي لا تصح الفتوى إلا به. فصار المتبع للرسول ﷺ بين أولئك غريبًا، كما تقدم التنبيه على هذا في الباب الذي قبل هذا.

وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة:١١]،

فتدبر هذه الآيات وما بعدها يتبين لك ما وقع فيه غالب الناس من الإعراض عن الحق وترك العمل به في أكثر الوقائع. والله المستعان.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ إلخ

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة:١١]. قال أبو العالية في الآية: يعني لا تعصوا في الأرض. لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله. وقد أخبر تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ [يوسف:٧٠-٧٣] فدلت الآية على أن كل معصية فساد في الأرض.

ومناسبة الآية للترجمة: أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين وهو الفساد في الأرض.

وفي الآية: التنبيه على عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعوى.

وفيها التحذير من الاغترار بالرأي ما لم يقم على صحة دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما أكثر من يصدق بالكذب ويكذب بالصدق إذا جاءه وهذا من الفساد في الأرض ويترتب عليه من الفساد أمور كثيرة، تخرج صاحبها عن

وقوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف:٥٦]،

الحق وتدخله في الباطل. نسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

فتدبر تجد ذلك في حال الأكثر إلا من عصمه الله ومن عليه بقوة داعي الإيمان وأعطاه عقلًا كاملًا عند ورود الشهوات، وبصرًا نافذًا عند ورود الشبهات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف:٥٦] قال أبو بكر بن عياش في الآية: إن الله بعث محمدًا ﷺ إلى أهل الأرض وهم فساد فأصلحهم الله بمحمد ﷺ فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض.

وقال ابن القيم رحمه الله: قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله لها ببعث الرسل، وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به وبمخالفة أمره، فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره، ومطاع متبع غير رسول الله ﷺ، هو أعظم فساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المطاع، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ. فإذا أمر بمعصية وخلاف شريعته فلا سمع ولا طاعة. ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله. اهـ

ووجـه مطابقة هذه الآية للترجمة: أن التحاكم إلى غير الله ورسـوله من أعظ
مـا يفسـد الأرض من المعـاصي، فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسـنة رسـو
ﷺ، وهو سبيل المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ
تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَ
مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وقوله: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

قوله: (وقول الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال ابن كثير رحمه الله: ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات كما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظرة وهواه. فصارت في بنيه شرعًا يقدمونها على الحكم بالكتاب والسنة، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير[(١)].

قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ استفهام إنكار أي لا حكم أحسن من حكمه تعالى. وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك، أي ومن أعدل من الله حكمًا لمن عقل عن الله شرعه وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليم بمصالح عباده القادر على كل شيء، الحكم في أقواله وأفعاله وشره وقدره؟.

---

(١) ومثل هذا وشر منه من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فهو لاشك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله. ولا ينفعه أي اسم تسمى به. ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها.

وفي الآية، التحذير من حكم الجاهلية وإختياره على حكم الله ورسـوله، فمـ فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن، وهو الحق، إلى ضده من الباطل.

عن عبدِ الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يُؤمِنُ أحدُكُم

لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به

قوله: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**» قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح(١).

هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نضر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب: «الحجة على تارك الحجة» بإسناد صحيح كما قاله المصنف رحمه الله عن النووي. ورواه الطبراني وأبو بكر بن أبي عاصم، والحافظ أبو نعيم في «الأربعين» التي شرط لها أن تكون في صحيح الأخبار، وشاهده في القرآن قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء:٦٥] الآية. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦] وقوله: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [القصص:٥٠] ونحو هذه الآيات.

قوله: (لا يؤمن أحدكم) أي لا يكون من أهل كمال الإيمان الواجب الذي وعد الله أهله عليه بدخول الجنة والنجاة من النار. وقد يكون في درجة أهل الإساءة والمعاصي من أهل الإسلام.

---

(١) ضعيف أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» [١٥] والهروي في «ذم الكلام» (٢/٤٠/٢) وابن ماطة في «الإبانة» (٢/٢٢/٢)، والخطيب في «تاريخه» (٣٦٩/٤) وإسناده ضعيف.

حَتى يَكونَ هَواهُ تبعًا لِمَا جئتُ بِهِ» قال النووي: حديث صحيح روين في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

قـوله: (حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به). «الهوى» بالقصر، أي ما يهواه وتح نفسـه وتميـل إليه، فـإن كان الذي تحبه وتميل إليه نفسـه ويعمل به تابعًـا لما جاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخرج عنه إلى ما يخالفه. فهذه صفة أهل الإيمان المطلز وإن كان بخـلاف ذلـك أو في بعـض أحـواله أو أكثرهـا انتفى عنه مـن الإيمان كما الواجـب، كمـا في حديث أبي هريرة: «لا يـزني الزاني حين يزني وهـو مؤمن، ولا يسر السارق حين يسرق وهو مؤمن»[1] يعني أنه بالمعصية ينتفي عنه كمال الإيمان الواجب وينزل عنه في درجة الإسلام وينقص إيمانه، فلا يطلق عليه الإيمان إلا بقيد المعصي أو الفسوق، فيقال: مؤمن عاص، أو يقال: مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته، فيكون مع مطلـق الإيمـان الذي لا يصـح إسـلامه إلا بـه[2]. كمـا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء:٩٢] والأدلة على ما عليه سلف الأمة وأئمتها: أن الإيمان قول وعم ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية: من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه البخاري [٢٤٧٥] [٦٧٧٢] ومسلم [٥٧] [١٠١] [١٠٢] والنسائي (٨/٣١٣) وأبو عوانة (١/٩ وابن حبان [١٨٦] وأحمد (٢/٢٤٣-٣١٧ و٣٧٦و٣٨٦) وابن منده في «الإيمان» [٥١٠] [٥١١] والبيها (١٠/١٨٦) البغوي [٤٦].

(٢) في قرة العيون: وهذا التوحيد الذي لا يشوبه شرك ولا كفر. وهذا هو الذي يذهب إليه أهل الـ والجماعة خلافًا للخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج يكفرون بالذنوب والمعتزلون لا يطلقون عل الإيمان ويقولون بتخليده في النار، وكلا الطائفتين ابتدع في الدين وترك ما دل عليه الكتاب والسـ وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فقيد مغفرة ما دون الشر بالمشيئة وتواترت الأحاديث بما يحقق ما ذهب إليه أهل السنة. فقد أخرج البخاري وغيره عن أن عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخر من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير؛ ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وز ذرة من خير».

أكثر من أن تحصى، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة، وقول النبي ﷺ لوفد عبد القيس: «آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله» الحديث[1]، وهو في الصحيحين والسنن.

والدليل على أن الإيمان يزيد قوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا﴾ [المدثر: ٣١] الآية. وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤] الآية. خلافًا لمن قال إن الإيمان هو القول، وهم المرجئة، ومن قال: إن الإيمان هو التصديق كالأشاعرة ومن المعلوم عقلًا وشرعًا أن نية الحق تصديق، والعمل به تصديق وقول الحق تصديق وليس مع أهل البدع ما ينافي قول أهل السنة والجماعة ولله الحمد والمنة.

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ أي فيما عملوا به في هذه الآية من الأعمال الظاهرة والباطنة. وشاهده في كلام العرب قولهم: حملة صادقة. وقد سمي الله تعالى الهوى المخالف لما جاء به الرسول ﷺ إلهًا، فقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] قال بعض المفسرين: لا يهوى شيئًا إلا ركبه.

قال ابن رجب رحمه الله: أما معنى الحديث: فهو أن الإنسان لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان الواجب حتى تكون محبته تابعة لما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي وغيرها. فيحب ما أمر به ويكره ما نهى عنه، وقد ورد القرآن مثل هذا المعنى في غير موضع، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

---

(١) سبق تخريجه.

....

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥][(١)]، وذ
سبحانه من كره ما أحبَّهُ الله أو أحبَّ ما كرههُ الله كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا
مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا
رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨] فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الل
محبة توجب له الإتيان بما أوجب عليه منه، فإن زادت المحبة حتى أتى بما ندب إليه من
كان ذلك فضلًا، وأن يكره ما يكرهه الله كراهة توجب له الكف عما حرم عليه منه
فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كراهه تنزيهًا كان ذلك فضلًا[(٢)].

فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه أوجب ذلك له أن يحب بقلبه ما يحب
الله ورسوله ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى ما يُرضي الله ورسوله، ويُسخط ،
يسخط الله ورسوله، ويعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض، فإن عمل بجوارحه
شيئًا يخالف ذلك، فأن ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله وترك ما يحبه الله ورسو
مع وجوبه والقدرة عليه، دل ذلك على نقص محبته الواجبة، فعليه أن يتوب من ذلك
ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة[(٣)] [التي هي ركن العبادة إذا كملت][(٤)].

فجميع المعاصي تنشأ عن تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله. وقد وصف الل
المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه، فـقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠

(١) سقط من طبعة دار الحديث وغيرها من الطبعات.

(٢) هنا سقط بمقدار أربعة عشر سطرًا وهكذا في جميع النسخ والطبعات ولعل الشارح رحمه الله اختصر كلام ابن رجب رحمه الله.

(٣) سقط بمقدار ثمانية أسطر ولعله اختصره كما سبق.

(٤) ما بين القوسين من كلام الشارح وليس من كلام ابن رجب.

وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع. ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه، وكذلك حب الأشخاص: الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عمومًا، ولهذا كان من علامات وجود حلاوة الإيمان: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

ويحرم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عمومًا، وبهذا يكون الدين كله لله. [ومن أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان]، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصًا في إيمانه الواجب. فتجب التوبة من ذلك: انتهى ملخصًا[1].

ومناسبة الحديث للترجمة: بيان الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصي في أقوالهم وأفعالهم وإرادتهم.

(١) انظر: «جامع العلوم» (٢/٥٢٦-٥٢٨).

وقال الشعبيُّ: كانَ بينَ رجلٍ مِن المنافقينَ ورجلٍ مِن اليهودِ خصومة فقالَ اليهوديُّ: نتحاكمُ إلى محمدٍ [لأنهُ] عرفَ أنهُ لا يأخذُ الرِّشوَة [ولا يَميلُ في الحُكم] وقالَ المنافقُ نتحاكمُ إلى اليهودِ لعلمِهِ أنهُم يأخذونَ الرِّشوةَ [ويَميلو

قوله: (وقال الشعبي) هو عامر بن شراحيل الكوفي، عالم أهل زمانه، وكان حافظًا علامة ذا فنون. كان يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء، وأدرك خلقًا كثيرًا من الصحابة وعاش بضعًا وثمانين سنة. قاله الذهبي.

وفيما قاله الشعبي ما يبين أن المنافق يكون أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى. ويكون أشد عداوة منهم لأهل الإيمان. كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها من إعانة العدو على المسلمين. وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان: ومن تدبر ما في التاريخ وما وقع منهم من الوقائع عرف أن هذا حال المنافقين قديمًا وحديثًا، وقد حذر الله نبيه ﷺ من طاعتهم والقرب منهم وحضه على جهادهم في مواضع من كتابه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩] الآية. وفي قصة عمر رضي الله عنه وقتله المنافق الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي دليل على قتل من أظهر الكفر والنفاق، وكان كعب بن الأشرف هذا شديد العداوة للنبي ﷺ والأذى له والإظهار لعداوته فانتقض به عهده. وحل به قتله.

وروى مسلم في صحيحه عن عمر: سمعت جابرًا يقول: : قال رسول الله ﷺ : «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله»، قال محمد بن سلمة: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم». قال: ائذن لي فلأقل، قال: «قل»، فأتاه فقال له، وذكر ما بينهما وقال: إن هذا الرجل قد أراد صدقة وقد عنانا. فما سمعه قال: وأيضًا والله لتملُّنّه، قال: إنا قد اتبعناه الآن، ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء

في الحُكمِ] فاتفقا [على] أنْ [ق/ ٢٣/ أ] يأتيا كاهنًا في جُهينةَ فيتحـ
إليهِ فنزلَت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠].

وقيلَ: نزَلت في رجلينِ اختصما فقالَ أحدُهما: نترافعُ إلى الـ
ﷺ وقال الآخرُ: إلى كعبِ بنِ الأشرفِ، ثم [بعدَ ذلكَ] ترافعا إ

يصير أمره، قال: وقد أردت أن تسلِّفني سلفًا، قال: فما ترهنني؟ قال: ما تريد.
ترهنني نسائكم؟ قالت: أنت أجمل العرب، أنرهنك نسائنا؟ قال: ترهنوني أولادـ
قال: يسب ابن أحدنا فيقال: رهن في وسقين من تمر. ولكن نرهنك اللأمة
السلاح قال: فنعم: وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس بن جبر وعبَّاد بن بشر.
فجاءوا فدعوه ليلًا فنزل إليهم قال سفيان قال غير عمرو: قالت له امرأته: إني أسـ
صوتًا كأنه صوت دم، قال: إنما هذا محمد بن مسلمة ورضيعه وأبو نائلة إن الكريـ
دعى إلى طعنة ليلًا لأجاب، قال محمد إني إذا جاء فسوف أُمُدّ يدي إلى رأسه،
استمكنتُ منه فدونكم قال: فلما نزل وهو متوشح. فقالوا: نجد منك ريح الطـ
قال: نعم، تحتي فلانة أعطر نساء العرب، قال: فتأذن لي أن أشتم منه؟ قال: نعم فـ
فتناول فَشَمّ، ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟ قال: فاستمكن من رأسه. ثم قال: دونـ
قال: فقتلوه»(١).

وفي قصة عمر: بيان أن المنافق المغموص بالنفاق إذا أظهر نفاقه قتل، كـ
الصحيحين وغيرهما: أن النبي ﷺ إنما ترك قتل من أظهر نفاقه منهم تأ
للناس، فإنه قال: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»(٢) فصلوات الله وسـ
عليه.

(١) أخرجه البخاري [٢٥١٠] ومسلم [١٨٠١].
(٢) أخرجه البخاري [٣٥١٨] ومسلم [٢٥٨٤] عن جابر.

عمرَ فذكر له أحدُهما القصةَ فقال للذي لم يرضَ برسولِ الله ﷺ: أكذلك؟ قالَ: نعم: فضربَه بالسيفِ فقتلَه[1].

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ آيةِ النساءِ، وما فيها مِنَ الإعانةِ على فَهْمِ الطاغوتِ.

الثانية- تفسيرُ آيةِ البقرةِ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾.

الثالثة- تفسيرُ آيةِ الأعرافِ:[﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾].

الرابعة- تفسيرُ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾.

الخامسة- ما قالَه الشعبيُّ في سببِ نزولِ الآيةِ الأولى.

السادسة- تفسيرُ الإيمانِ الصادقِ والكاذبِ.

السابعة- قصةُ عمرَ معَ المنافقِ.

الثامنة- كونُ الإيمانِ لا يحصُلُ لأحدٍ حتى يكونَ هواهُ تبعًا لِمَا جاءَ به الرسولُ ﷺ.

---

(١) إسناده ضعيف جدًا، أخرجه ابن جرير [٩٩٠٢] وذكره البغوي في «تفسيره» (٢/٢٤٢) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وكذلك ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص:١٥٥) من طريق الكلبي وذكره الثعالبي في «تفسيره» (٢/٢٥٦) بغير إسناده لكن عزاه الحافظ له من طريق الكلبي والكلبي متروك.

بابُ

مَن جحدَ شيئًا مِنَ الأسماءِ والصفاتِ

وقولِ الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠]

باب

من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠].

سبب نزول هذه الآية معلوم مذكور في كتب التفسير وغيرها. وهو أن مشركي قريش جحدوا اسم الرحمن عنادًا، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠] والرحمن اسم وصفته، دل هذا الإسم على أن الرحمة وصفه سبحانه، وهي من صفات الكمال، فإن كان المشركون جحدوا إسمًا من أسمائه تعالى، وهو من الأسماء التي دلت على كماله سبحانه وبحمده فجحود معنى هذا الإسم ونحوه من الأسماء يكون كذلك، فإن جهم بن صفوان[١] ومن تبعه يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى. وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم. فلهذا كفّرهم كثيرون من أهل السنة.

---

(١) جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي الكاتب المتكلم، أس الضلالة ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدل، كان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول بخلق القرآن، ويقول: إن الله في الأمكنة كلها.

قتله سَلْم بن أحوز بسبب هذا المعتقد، راجع قصة مقتله في البداية (١٣/٢١٧-٢١٨) والملل والنحل (١٣٥/١) والفرق بين الفرق (ص:٢١١) والسير (٢٦/٦) والميزان (٤٢٦/١).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

ولقد تقلَّدَ كُفرهم خَمسون في عشرٍ من العلماء في البلد
واللالكائي الإمام حكاهُ عنهم بل حكاه قبلهُ الطَّبراني

فإن هؤلاء الجهمية ومن وافقهم على التعطيل جحدوا ما وصف به نفسه ووص به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيل على أصل باطل أصَّ من عند أنفسهم، فقالوا: هذه هي صفات الأجسام. فيلزم من إثباتها أن يكون ا جسمًا، هذا منشأ ضلال عقولهم، لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائ صفات المخلوقين، فشبهوا الله في إبتداء آرائهم الفاسدة بخلقه ثم عطَّلوه من صفا كماله، وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات، فشبهوا أولًا وعطلوا ثانيًا. وشبَّ ثالثًا بكل ناقص ومعدوم، فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة من إثبات ما وص الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته.

وهذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها، فإنهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأث له رسوله ﷺ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فإن الكلام في الصفا فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتًا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله لا تشبه صفاته صفات خلقه، فإنهم آم

(١) اللالكائي هو: هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي وكنيته أبو القاسم.
منسوب إلى بيع اللوالك التي تُلبس في الأرجل، وهو طبري الأصل، طلب العلم ورحل في طلبه مؤلفات ليست كثيرة من أهمها: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» توفي سنة ٤١٨هـ
انظر: السير (١٣/١٣٦) وتاريخ بغداد (١٤/٧٠) والمنتظم (٨/٣٤) وتذكره الحفاظ (٣/٩٨٦).
- والطبراني: هو سليمان بن أحمد الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة الصغير والأوسط والكبير، وكت الدعاء وغيرها من المصنفات النافعة رَحِمَهُ اللَّهُ وقد سبق.

بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم يتناقضوا، وأولئك المعطلة كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك، وتناقضوا. فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل ولله الحمد والمنة، وإجماع أهل السنن من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين.

وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى في الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم في إبطال هذه البدع وما فيها من التناقض والتهافت: كالإمام أحمد رحمه الله تعالى في رده المشهور، وكتاب «السنة» لابنه عبد الله[1]، وصاحب «الحيدة» عبد العزيز الكناني في رده على بشر المريسي، وكتاب «السنة» لأبي عبد الله المروزي[2]، ورد عثمان بن سعيد على الكافر العنيد[3]. وهو بشر المريسي، وكتاب «التوحيد» لإمام الأئمة محمد بن خزيمة الشافعي[4]، وكتاب «السنة» لأبي بكر الخلال[5]، وأبي عثمان الصابوني الشافعي[6]، وشيخ الإسلام الأنصاري، وأبي عمر بن عبد البر النمري، وخلق كثير من أصحاب الأئمة الأربعة وأتباعهم، وأهل الحديث ومن متأخريهم أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، وشيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه وغيرهم رحمهم الله تعالى. فلله الحمد والمنة على بقاء السنة وأهلها مع تفرق الأهواء وتشعب الآراء. والله أعلم.

---

(١) مطبوع معرفة دار البصيرة.
(٢) مطبوع بمعرفة دار العقيدة.
(٣) مطبوع بمعرفة دار الإمام أحمد.
(٤) مطبوع معرفة دار البصيرة.
(٥) مطبوع بمعرفة دار العالمية.
(٦) مطبوع عدة طبعات.

وفي صحيح البخاري: قال عليٌّ رضي الله عنه: «حَدِّثوا الناسَ بمَا يعرفونَ، أتريدونَ أنْ يكذبَ اللهُ ورسولُهُ؟».

قوله: (وفي صحيح البخاري عن علي رضي الله عنه: حَدِّثوا النّاسَ بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله)[1].

«علي» هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب، وأحد الخلفاء الراشدين. وسبب هذا القول والله أعلم ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرة القصاص وأهل الوعظ. فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف من هذا القبيل[2]؛ فربما استنكرها بعض الناس وردها وقد يكون لبعضها أصل أو معنى صحيح، فيقع بعض المفاسد لذلك، فأرشدهم أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى أنهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال من الحرام الذي كلفوا به علمًا وعملًا، دون ما يشغل عن ذلك مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله فيفضي بهم إلى التكذيب، ولا سيما مع اختلاف الناس في وقته، وكثرة خوضهم وجدلهم.

وقد كان شيخنا المصنف رحمه الله لا يحب أن يقرأ على الناس إلا ما ينفعهم في أصل دينهم وعباداتهم ومعاملاتهم الذي لا غنى لهم عن معرفته، وينهاهم عن القراءة

---

(١) أخرجه البخاري [١٢٧].

(٢) وقد كان هؤلاء القصاص لعدم تحريهم الصدق سببًا في وضع كثير من الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ذكرها أئمة الجرح والتعديل، وحذروا الناس منها، ودونوا دواوين الصحاح والسنن والمسانيد. فلا ينبغي لأحد اليوم أن ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم حديثًا إلا بذكر من خرجه، وخير وأولى: أن يشفعه ببيان درجته من الصحة أو الضعف؛ إذا كان في غير الصحيحين.

في مثل كتب ابن الجوزي: كالمنعش[1]، والمرعش[2]، والتبصرة لما في ذلك من الإعراض عما هو أوجب وأنفع، وفيها ما الله به وأعلم مما لا ينبغي اعتقاده. والمعصوم من عصمه الله.

وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ينهى القصاص عن القصص، لما في قصصهم من الغرائب والتساهل في النقل وغير ذلك، ويقول: «لا يقص إلا أمير أو مأمور»[3] وكل هذا محافظة على لزوم الثبات على الصراط المستقيم علمًا وعملًا ونية وقصدًا، وترك كل ما كان وسيلة إلى الخروج عنه من البدع ووسائلها، والله الموفق للصواب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) لا يوجد لابن الجوزي كتاب بهذا الأسم، ولعله كتاب «المدهش» ووقع تحرف، وتتابع التحريف في بقية النسخ والطبعات عليه.

(٢) ولا يوجد عنوان لابن الجوزي بمثل هذا أو قريب منه، أو لعل الشيخ لقَّب بعض كتب ابن الجوزي بهذا لأنها مؤثرة مثل بحر الدموع، وغيرها من المؤلفات المؤثرة. والله اعلم.

ثم ما المانع من قراءة هذه المصنفات، فهي نافعة ومفيدة نعم كتاب «صيد الخاطر» يحتاج إلى تنقيح جيد.

(٣) الجامع للخطيب (٢/٢٣٦) وتحذير الخواص [٢٣٠].

وقد أخرجه أحمد [٦٦٦١] والدارمي (٢/٣١٩) وابن ماجه [٣٧٥٣] وابن شبة في «تاريخ المدينة» (١/٩) وإسناده حسن.

وله شاهد من حديث عوف بن مالك.

أخرجه أحمد (٦/٢٩) والبزار [٢٧٦٢] والطبراني (١٨/١٠٠) بسند جيد مرفوعًا.

وروى عبدُ الرزاق عن مَعمرٍ عن ابنِ طاوسٍ عن أبيهِ

قوله: (وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: أ
رأى رجلًا انتفض لما سمع حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات استنكارًا لذلا
فقال: ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه)[1].

قوله: (وروى عبد الرزاق) هو ابن همام الصنعاني المُحَدث مُحدّث اليمن صاحه
التصانيف، أكثر الرواية عن مَعْمر بن راشد صاحب الزهري. وهو شيخ عبد الرزا
يروي عنه كثيرًا.

ومَعْمَر بفتح الميمين وسكون العين أبو عروة بن أبي عمرو راشد الأزدي الحرا
ثم اليماني، أحد الأعلام من أصحاب محمد بن شهاب الزهري يروي عنه كثيرًا.

قوله: (عن ابن طاوس) هو عبد الله بن طاوس اليماني. قال مَعمَر: كان من أعا
الناس بالعربية. وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

قوله: (عن أبيه) هو طاوس بن كيسان الجندي بفتح الجيم والنون الإمام العلـ
قيل اسمه ذكوان، قاله ابن الجوزي.

قلت: وهو من أئمة التفسير ومن أوعية العلم، قال في «تهذيب الكمال»: ع
الوليد الموقري عن الزهري قال: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال: من أيـ
قدمت يا زهري؟ قال: قلت: من مكة، قال: ومن خلفت يسودها وأهلها؟ قلت
عطاء بن أبي رباح، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فبم سادهـ
قال: قلت: بالديانة والرواية. قال: إن الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا. قال: فمـ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق [٢٠٨٩٥] وإسناده على شرطهما.
وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» [٤٨٥] من طريق ابن ثور عن معمر، به.
وقال الألباني: إسناده صحيح.

يسـود أهل اليمـن؟ قلت: طاوس بن كيسـان، قال: فمن العرب أم مـن الموالي؟ قال قلت: من الموالى، قال: فبم سادهم؟ قلت: بما ساد به عطاء، قال: إنه لينبغي ذلك. قال فمـن يسـود أهل مصر؟؟ قلت يزيد بن حبيـب، قال: فمن العرب أم من الموالى؟ قال قلت: من الموالى، قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلـت من المـوالي، عبد نـوبي أعتقته امرأة مـن هذيل. قال: فمن يسـود أهل الجزيـرة؟ قلـت: ميمـون بن مهران، قال: فمـن العرب أم من المـوالي، قال: قلت: من المـوالي. قـال فمن يسـود أهل خراسـان؟ قال: قلـت: الضحاك بن مزاحـم، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال: قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قال: قلت الحسـن البـصري، قال فمن العرب أم من الموالي؟ قلـت: من الموالي. قال: ويلك، ومن يسود أهل الكوفة؟ قال: قلت: إبراهيم النخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت: من العرب. قال: ويلك يا زهري فرجت عني، والله لتسـودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، إنه هو دين: من حفظه ساد ومن ضيعه سقط[1].

(١) ذكره الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» وذكره الذهبي في «الميزان» (٥/٤٢٧) وقال: الحكاية منكر والوليد بن محمد راوي القصة عن الزهري، وا ٍ، فلعلها تمت للزهري مع أحد أولاد عبد الملك.
وأيضًا ففيها: من يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي جبيب وهو من الموالي، فيزيد: كان ذاك الوقت شابًا لا يعرف بعد، والضحاك، فلا يدري الزهري من هو من العالم، وكذا مكحول يصغر عن ذاك.

عن ابنِ عباسٍ: أنه رأى رجلًا انتفضَ لما سمعَ حديثًا عن النبيِّ ﷺ في الصفاتِ، استنكارًا لذلكَ فقال: «ما فرقَ هؤلاء؟ يجدونَ رقَّةً عندَ مُحكمِهِ، ويهلكونَ عندَ متشابهِهِ» انتهى.

قوله: (عن ابن عباس) قد تقدم، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن، ودعا له النبي ﷺ قال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[1] وروى عنه أصحابه أئمة التفسير: كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وطاوس وغيرهم.

قوله: (ما فرق هؤلاء) يستفهم من أصحابه، يشير إلى أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس، فإذا سمعوا شيئًا من محكم القرآن ومعناه حصل معهم فرق أي خوف، فإذا سمعوا شيئًا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين له، فلم يحصل منهم الإيمان الواجب الذي أوجبه الله تعالى على عباده المؤمنين[2].

قال الذهبي: حدث وكيع عن إسرائيل بحديث: «**إذا جلس الرب على الكرسي**» فاقشعرَّ رجلٌ عند وكيع. فغضب وكيع. وقال: أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها» أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب «الرد على الجهمية»[3].

وربما حصل معهم من عدم تلقيه بالقبول ترك ما وجب من الإيمان به، فشبه حالهم حال من قال الله فيهم: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾ [البقرة:٨٥] فلا يسلم من الكفر إلا من عمل بما وجب عليه في ذلك من الإيمان

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قال الشيخ رحمه الله في قرة عيون الموحدين: وقد ظهر من البدع في زمن ابن عباس بدعة القدرية كما في صحيح مسلم وغيره. فقتل من دعاتهم غيلان. قتله هشام بن عبد الملك لما أصر على قوله بنفي القدر. ثم بعد ذلك أظهر الجعد بن درهم بدعة الجهمية، فقتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بعد صلاة العيد بمكة. اهـ

(٣) خرجه عبد الله في «السنة» [٥٨٥] وفيه ضعف وانقطاع.

ولما سمِعَت قريشٌ رسولَ الله ﷺ يذكُرُ الرحمنَ أنكروا ذلكَ؛ فأنزلَ اللهُ فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠].

بكتاب الله كله واليقين كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] فهؤلاء الذين ذكرهم ابن عباس رضي الله عنهما تركوا ما وجب عليهم من الإيمان بما لم يعرفوا معناه من القرآن، وهو حق لا يرتاب فيه مؤمن، وبعضهم يفهم منه غير المراد من المعنى الذي أراد الله فيحمله على غير معناه، كما جرى لأهل البدع، كالخوارج والرافضة والقدرية، ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن على بدعته. وقد وقع منهم الابتداع والخروج عن الصراط المستقيم، فإن الواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنى الآيات يبين معنى قول ابن عباس.

وسبب هذه البدع جهل أهلها وقصورهم في الفهم، وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها، وتلقيها من أهلها العارفين لمعناها الذين وفقهم الله تعالى لمعرفة المراد، والتوفيق بين النصوص، والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضًا، ورد المتشابه إلى المحكم. وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه.

ما ورد عن علماء السلف في المشتابه

(ذكر ما ورد عن علماء السلف في المتشابه)

قال في «الدر المنثور»: أخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: **«كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد، فنزل القرآن من سبعة أحرف: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال. فأحلوا**

....

حلاله، وحرموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمة، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا»[(١)].

قال: وأخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧] الآية. قال: طلب القوم التأويل، فأخطأوا التأويل وأصابوا الفتنة، وطلبوا ما تشابه منه فهلكوا بين ذلك[(٢)].

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ قال: منهن قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣]

(١) حسن. أخرجه الطبري [٦٧] وابن حبان [٧٤٥] والطحاوي «مشكل» (١٨٤/٤) والحاكم (٥٥٣/١) من طريق حيوة بن شريح، عن عقيل بن خالد، عن سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود، به.
وإسناده رجاله ثقات، لكن فيه انقطاع، أبو سلمة لم يدرك ابن مسعود.
قال الحافظ في «الفتح» (٢٩/٩) قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يثبته لأنه من رواية أبي سلمة عن ابن مسعود، ولم يلق ابن مسعود، ثم قال: وصححه ابن حبان والحاكم وفي تصحيحه نظر، لانقطاعه المذكور وقد أخرجه البيهقي من وجه آخر عن الزهري عن أبي سلمة مرسلًا، وقال: هذا مرسل جيد.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» [٨٢٩٦] من طريق عمار بن مطر، حدثنا ليث بن سعد عن الزهري عن سلمة بن عمر بن أبي سلمة عن أبيه أن النبي ﷺ قال لعبدالله بن مسعود، فذكره.
وعمار بن مطر، قال الذهبي: هالك ، وقال ابن حبان: كان يسرق الحديث، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٥٣/٧): وإسناده ضعيف جدًا.
وأخرجه أحمد (٤٤٥/١) وابن أبي داود في «المصاحف» (ص:١٨) من طريق عثمان بن حسان عن فلفلة الجعفي عن ابن مسعود.
قال الهيثمي في «المجمع» (١٥٢/٧) وفيه عثمان بن حسان ذكره ابن أبي حاتم فلم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات.
قلت: ولعله بهذه الطرق يتقوى إن شاء الله.
(٢) أخرجه ابن جرير [٦٦٠١] بسند صحيح.

إلى ثلاث آيات، ومنهن: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ...﴾ [الإسراء:٢٣-٣٩] إلى آخ الآيات[١].

وأخرج ابن جرير من طريق أبي مالك عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مر عن ابن مسعود وناس من الصحابة رضي الله عنهم: المحكمات الناسخات التي يعمل بهن والمتشابهات المنسوخات[٢].

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن إسحق بن سويد أن يحي بن يعمر وأبا فاختة تراجعا هذه الآية ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ فقال أبو فاختة: هن فوات السور. منها يستخرج القرآن: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾ منها استخرجت البقر و﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ منها استخرجت آل عمران. وقال يحي: هن اللا فيهن الفرائض، والأمر والنهي والحال والحرام. والحدود وعماد الدين[٣].

وأخرج ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: المحكمات فيهن حج الرب وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس فيها تصريف ولا تحريف ع وضعت عليه وأخر متشابهات في الصدق، لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله بهن العباد كما ابتلاهم بالحلال والحرام، لا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن ع الحق[٤].

---

(١) أخرجه ابن جرير [٦٥٧٠] وفيه انقطاع.
(٢) أخرجه ابن جرير [٦٥٧٣] بسند حسن.
(٣) أخرجه ابن جرير [٦٥٨٦] [٦٥٨٨] وسنده صحيح.
(٤) أخرجه ابن جرير [٢٠٣٩٧] بسند ضعيف.

....

وأخـرج ابـن أبي حاتم مقاتل بن حيان إنما قـال: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لأنه ليس من أهل دين لا يرضي بهن: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ يعني فيما بلغنا ألم والمص والمر.

قلـت: وليس في هذه الآثار ونحوها ما يشـعر بأن أسـماء الله تعالى وصفاته من المتشابه، وما قال النفاة من أنها من المتشابه دعوى بلا برهان.

قوله: (ولما سـمعت قريش رسـول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنـزل الله فيهـم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد: ٣٠] روى ابـن جريـر عن قتادة: «وهـم يكفرون بالرحمن» روى ابـن جرير عن قتادة: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ ذكر لنـا أن نبي الله ﷺ زمن الحديبية حين صالح قريشًـا كتب: «هذا ما صالح عليـه محمد رسـول الله، فقـال مشركوا قريش: لئن كنت رسـول الله ثـم قاتلناك لقد ظلمناك، ولكن اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله. فقال أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله دعنا نقاتلهم. فقال: لا. اكتبوا كما يريدون: إني محمد بن عبد الله فلما كتب الكاتب (بسم الله الرحمن الرحيم) قالت قريش: أما الرحمن فلا نعرفه. وكان أهل الجاهلية يكتبون: باسمك اللَّهُمَّ. فقال أصحابه: دعنا نقاتلهم. قال: لا. ولكن اكتبوا كما يريدون»(١).

وروى أيضًا عن مجاهد قال: قوله: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠] قال: هذا ما كاتب عليه رسول الله ﷺ قريشًـا في الحديبية، كتب بسـم الله الرحمن الرحيم قالوا: لا تكتب الرحمن، لا ندري

---

(١) أخرجه ابن جرير [٢٠٣٩٦] بسند صحيح لقتادة.

....

ما الرحمن؟ لا نكتب إلا باسمك اللهمّ. قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الآية[1].

وروى أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ساجدًا: يا رحمن يا رحيم. فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدًا وهو يدعو مثنى مثنى. فأنزل الله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] الآية[2].

(١) أخرجه ابن جرير [٢٠٣٩٧] بسند ضعيف.
(٢) سبق تخريجه.

فيه مسائل:

الأولى- عدمُ الإيمانِ بجَحدِ شيءٍ مِن الأسماءِ والصفات [ق/ ٢٣/ ب].

الثانية- تفسيرُ آيةِ الرعدِ.

الثالثة- تركُ التحديثِ بما لا يَفْهَم السامعُ.

الرابعة- ذِكرُ العلةِ أنهُ يُفضِي إلى تكذيبِ الله ورسولِهِ، ولو لَم يتعمد المنكر.

الخامسة- كلامُ ابنِ عباسٍ لَمن استنكرَ شيئًا مِن ذلكَ، وأنهُ هلكَ.

باب

قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [النحل:٨٣].

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾

قوله: باب

قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [النحل:٨٣

ذكر المصنف رحمه الله ما ذكر بعض العلماء في معناها. وقال ابن جرير: فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة. فذكر عن سفيان عن السُّدِّي: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ قال: محمد صلى الله عليه وسلم [١].

وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عَدَّد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله، وأن الله هو المُنْعم عليهم بذلك، ولكنهم ينكرون ذلك، فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم [٢].

وأخرج عن مجاهد: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾، قال: هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها والسرابيل من الحديد والثياب، تعرف هذا كفار قريش ثم تنكره، بأن تقول: هذا كان لآبائنا فورّثونا إياه [٣].

---

(١) أخرجه ابن جرير [٢١٨٣٨] بسند صحيح.
(٢) راجع «تفسير الطبري» [٦٢٧٧].
(٣) أخرجه ابن جرير [٢١٨٤٠] بسند صحيح.

وقال آخرون: معنى ذلك أن الكفار إذا قيل لهم من: رزقكم؟ أقروا بأن الله هو الذي يرزقهم ثم ينكرونه بقولهم: رزقنا ذلك شفاعة آلهتنا[١].

وذكر المصنف مثل هذا عن ابن قتيبة وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قاضي مصر النحوي اللغوي، صاحب المصنفات البديعة المفيدة المحتوية على علوم جمة، اشتغل ببغداد وسمع الحديث على إسحاق بن راهوية وطبقته. توفي سنة ست وسبعين ومائتين.

وقال آخرون: ما ذكره المصنف (عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي) أبو عبد الله الكوفي الزاهد عن أبيه وعائشة وابن عباس وعنه قتادة وأبو الزبير والزهري، وثقة أحمد وابن معين قال البخاري: مات بعد العشرين ومائة ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ قال: إنكارهم إياها أن يقول الرجل: لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا وإختار ابن جرير القول الأول، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها. وهو الصواب والله أعلم.

---

(١) تفسير الطبري (٧/٦٣٠).

قالَ مجاهِدٌ ما معناهُ: «هوَ قولُ الرجلِ: هذا مالِي، وَرِثتُه عَن آبائِي».

قوله: (قال مجاهد) هو شيخ التفسير: الإمام الرباني، مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم. قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهدًا يقول عرضت المصحف على ابن عباس مرات، أقفه عند كل آية وأسأله: فيم نزلت؟ وكيف نزلت؟ وكيف معناها؟ توفي سنة اثنتين ومائة. وله ثلاث وثمانون سنة رحمه الله.

وقال [عونُ] بن عبدِ الله: يقولونُ: [لَو لَم يَكُنْ] فلانٍ لم يَكَن ك[وكذا].

وقالَ ابنُ قتيبة: يقولون: هذا بشفاعةِ آلهَتِنا.

قال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه أن الله تعالى قال «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر....» الحديث. وقد تقدم: وهذا كثير الكتاب والسنة يَذمُ سبحانه مَنْ يُضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به».

قالَ بعضُ السلفِ: هو كقولهِم: كانَت الريحُ طيبةً، والمَلّاحُ حاذِقاً ونحوُ ذلكَ مِمَّا هوَ جارٍ على [ألسِنَةِ كثيرٍ].

قوله: (وقال أبو العباس) هو شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلا ابن تيمية الإمام الجليل رحمه الله بعد حديث زيد بن خالد وقد تقدم في باب ما جاء الاستسقاء بالأنواء. قال: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به. قال بعض السلف هو كقولهم: كانت الريح طيبة، والملا حاذقًا. نحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير. اهـ

وكلام شيخ الإسلام يدل على أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إ غير الله الذي أنعم بها، وأسند أسبابها إلى غيره، كما هو مذكور في كلام المفسر المذكور بعضه هنا.

قال شيخنا رحمه الله: وفيه اجتماع الضدين في القلب، وتسمية هذا الكلا إنكارًا للنعمة.

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ معرفةِ النعمةِ وإنكَارِها.

الثانية- معرفةُ أنَّ هذا [جَارٍ] على ألسنةٍ كثيرٍ.

الثالثة- تسميةُ هذا الكلامِ إنكارًا للنعمةِ.

الرابعة- اجتماعُ الضدينِ في القلبِ.

بابُ
قولِ الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البَقَرَة:٢٢].

قول الله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

قوله: باب

قول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البَقَرَة:٢٢].

النـد: المثل والنظير. وجعل الند لله: هـو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله، كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم، ويشفع لهـم. وهذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

قال العماد ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: قال أبو العالية: لا تجعلوا لله أندادًا أي عدلاء شركاء. وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسُّدي وأبو مالك وإسماعيل بن أبي خالد(١).

وقال ابن عباس: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: لا تشركون بالله شيئًا من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه ربكم لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه(٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم [٢٣٠] بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير [٤٨٦] وابن أبي حاتم [٢٣١] من طريق محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس، به.
وإسناده ضعيف وفيه اضطراب.

وكذلك قال قتادة(١)، وعن قتادة ومجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ قال أكفا من الرجال تطيعونهم في معصية الله(٢).

وقال ابن زيد: الأنداد هي الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلو له(٣).

وعن ابن عباس: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أشباهًا(٤).

وقال مجاهد: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال تعلمون أنه إل واحد في التوراة والإنجيل(٥).

وذكر حديثًا في معنى هذه الآية الكريمة وهو ما في مسند أحمد عن الحارث الأشعري أن نبي الله ﷺ قال: **«إن الله أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وأنه كاد أن يبطيء بها. فقال له عيسى عليه السلام: إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن، فقال: يا أخي، إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي. قال: فجمع يحيى بن زكريا بني إسرائيل في بيت المقدس، حتى امتلأ المسجد وقعد على الشرف. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن: أولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا: فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق، فجعل يعمل ويؤدي غلته**

(١) أخرجه ابن جرير [٤٨٧] بسند صحيح.
(٢) أخرجه ابن جرير [٤٨٢] بسند حسن.
(٣) أخرجه ابن جرير [٤٨٣].
(٤) أخرجه ابن جرير [٤٨٤] ابن أبي حاتم [٢٢٨] وفيه انقطاع.
(٥) أخرجه أبي حاتم [٢٣٢] بسند ضعيف.

إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه و
تشركوا به شيئًا. وآمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت. فإ
صليتم فلا تلتفتوا. وآمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك ا
عصابة كلهم يجد ريح المسك. وإن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك
وآمركم بالصدقة. فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فشدوا يديه إلى عنقه، وقدمو
ليضربوا عنقه. فقال لهم: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدى بالقليل والكث
حتى فك نفسه. وآمركم بذكر الله كثيرًا: فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا ؤ
أثره، فأتى حصنًا حصينًا فتحصن فيه، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان ؤ
ذكر الله. قال: وقال رسول الله ﷺ: وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: الجماعة
والسمع والطاعة، والهجرة والجهاد في سبيل الله، فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد
خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثَي[1]
جهنم». قالوا: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ فقال: «وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم
فادعوا المسلمين بأسمائهم التي سماهم الله عز وجل: المسلمين المؤمنين عباد الله»[2].

وهذا حديث حسن، والشاهد منه في هذه الآية قوله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وهذه الآية دالة على توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له.

(١) الجثا: بضم الجيم وفتح الثاء المثلثة مقصورًا - جمع جثو بضم الجيم - وهو الشيء المجموع. قال ابـ
الأثير: وتروى هذه الكلمة «جثي» بضم الجيم وكسر الثاء وتشديد الياء - جمع جاث: هو الذي يجلس على ركبتيه.

(٢) صحيح أخرجه الطيالسي [١١٦١] [١١٦٢] وأحمد (١٣٠/٤) وابن سعد (٣٥٩/٤) والترمذي [٢٨٦٣، ٢٨٦٤] وأبو يعلى [١٥٧١] وابن خزيمة [١٨٩٥] وابن حبان [٦٢٣٣] والآجري في «الشريعة» (ص:١
والطبراني في «الكبير» [٣٤٢٨] وابن منده [٢١٢] والنسائي في «الكبرى» [١١٣٤٩] والحاكم (٢١/١).
وصححه الألباني رحمه الله.

وقد استدل بها كثير من المفسرين على وجود الصانع، وهي دالة على ذلك بطريق الأولى. والآيات الدالة على هذا المقام في القرآن كثيرة جدًا. وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمل في نبات الأرض وانظر ... إلى آثارِ ما صنعَ المَلِيكُ
عيون من لُجين ناظراتٌ ... بأحداقٍ هي الذَّهب السَّبيكُ
على قُضُب الزبرجدِ شاهداتٌ ... بأنَّ اللهَ ليس له شريكُ

وقال ابن المعتز:

فيا عجبًا، كيف يُعصى الإلـ ... ـهُ أم كيف يَجحدهُ الجاحدُ؟
وفي كلِ شيءٍ له آية ... تدل على أنه واحدُ

قالَ ابنُ عباسٍ في الآيةِ: «النِّدُّ: هو الشركُ أخفَى مِن دبيبِ النملِ على صَفاتٍ سوداءَ في ظلمةِ الليلِ؛ وهوَ أنْ تقولَ: واللهِ، وحياتِك يا فلانُ، وحياتِي، وتقولُ: لولا كليبة [فلانٍ] لأتانا اللصوصُ، ولولَا البطُّ في الدارِ لأتانا اللصوصُ، وقولُ الرجلِ لصاحبِهِ: ما شاءَ اللهُ وشئتَ، وقولُ الرجلِ: لولا اللهُ وفلانٍ، [لا تجعَل فيها فلانًا] هذا كلُّه بِهِ شركٌ» رواه ابن أبي حاتم.

قوله: وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل. وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلانة. وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص. ولولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانًا. هذا كله به شرك رواه ابن أبي حاتم[1].

بيَّن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذا كُلَّه من الشرك، وهو الواقع اليوم على أَلْسن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك: فتنبه لهذه الأمور. فإنها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه لكونه من أكبر الكبائر. وهذا من ابن عباس رضي الله عنهما تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم [٢٢٩] وسنده حسن.

وعن عمرَ بنِ [ق/ 24/ أ] الخطابِ ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه، وصححه الحاكم.

من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر

قوله: (وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك[1]»[2] رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم).

قوله: (فقد كفر أو أشرك) يُحتمل لي أن يكون شكًا من الراوي ويحتمل أن تكون «أو» بمعنى الواو فيكون قد كفر وأشرك. ويكون الكفر الذي هو دون الكفر الأكبر. كما هو من الشرك الأصغر. وورد مثل هذا عن ابن مسعود بهذا اللفظ.

---

(١) صحيح. أخرجه أحمد (٢/٣٤-١٢٥) والطيالسي [١٨٩٦] والطحاوي [٨٢٦] والحاكم (١/٥٢) وأصله في «صحيح مسلم» [١٦٤٦] والترمذي [١٥٣٣] والنسائي (٤/٧) وابن ماجه [٢٠٩٤] عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ سمع عمر يقول: «وأبي وأبي» فقال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم».

(٢) وذلك لأن حقيقة اليمين والقصد منه: إنما هو تأكيد الحالف قوله بالقسم بالمحلوف به الذي يقدر أن ينتقم منه ويعاقبه إن كان كاذبًا. ولذلك ترى أكثر العامة يحلفون بالله كذبًا غير مبالين. فإذا استحلفوا بمن يعظمونه من الموتى والأولياء ويعتقدون له السر والتصرف تكعكعوا وصدقوا وإن كان في ذلك ذهاب بعض ما يحرصون عليه من منفعة، يضحون بها خوفًا من عقاب وانتقام وتصرف ذلك الولي فيهم. ويؤكدون اعتقادهم هذا بحكايات مكذوبة يذيعها سدنة هذه المعابد الوثنية لجر النفع المادي باعتقاد العامة في أوليائهم. فيحكون أن رجلًا سرق سمكة مملحة؛ وأكلها فاستحلفه المسروق منه بالله فأقسم ثلاث مرات بأنه لم يأخذها ولم يرها فلم يحصل له شيء. فاستحلفه بأحمد البدوي. فما كاد يلفظ الاسم حتى سبقت السمكة من بطنه ولفظها. وذلك منهم اعتقاد أن البدوي أغير وأعز وأقدر من الله. قبحهم الله وأخزاهم.

وقال ابن مسعود: لأن أحْلِف بالله كاذبًا أحبُّ إليّ [مِن] أن أحلف بغيرِه صادِقًا.

قوله: (وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقًا)[1].

ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذبًا كبيرة من الكبائر لكن الشرك أكبر من الكبائر. وإن كان أصغر كما تقدم بيان ذلك، فإذا كان هذا حال الشرك الأصغر فكيف بالشرك الأكبر الموجب للخلود في النار؟ كدعوة غير الله والاستغاثة به، والرغبة إليه، وإنزال حوائجه به، كما هو حال الأكثر من هذه الأمة في هذه الأزمان وما قبلها: من تعظيم القبور، واتخاذها أوثانًا، والبناء عليها، واتخاذها مساجد، وبناء المشاهد باسم الميت لعبادة من بنيت باسمه وتعظيمه، والإقبال عليه بالقلوب والأقوال والأعمال. وقد عظمت البلوى بهذا الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وتركوا ما دل عليه القرآن العظيم من النهي عن هذا الشرك وما يوصل إليه. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٣٧] كفرهم الله تعالى بدعوتهم من كانوا يدعونه من دونه في دار الدنيا. وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨] وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [الجن: ٢٠-٢١] وهؤلاء المشركون عكسوا الأمر فخالفوا ما بلغ به الأمة وأخبر به عن نفسه ﷺ، فعاملوه بما نهاهم عنه من الشرك بالله والتعلق على غير الله حتى قال قائلهم:

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه عبد الرزاق [١٥٩٢٩] والطبراني في «الكبير» [٨٩٠٢] وفي إسناده انقطاع وضعفه الألباني.

يا أكرمَ الخلقِ ما لي مَنْ ألوذُ بهِ سِواكَ عند حلولِ الحادثِ العممِ

إن لم تكنْ في معادي آخذًا بيدي فضلًا، وإلا فَقلْ: يا زلةَ القدمِ

فإن من جودكَ الدنيا وضرتَها ومِنْ علومكَ علم اللوحِ والقلمِ

فانظر إلى هذا الجهل العظيم حيث اعتقد أنه لا نجاة له إلا بعياذه ولياذه بغير الله، وانظر إلى هذا الإطراء العظيم الذي تجاوز الحد في الإطراء الذي نهي عنه ﷺ بقوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» رواه مالك وغيره[1]، وقد قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

فانظر إلى هذه المعارضة العظيمة للكتاب والسنة والمحادة لله ورسوله. وهذا الذي يقوله هذا الشاعر[2] هو الذي في نفوس كثير خصوصًا ممن يدعون العلم والمعرفة. ورأوا قراءة هذه المنظومة ونحوها لذلك وتعظيمها من القربات فإن لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) هو البوصيري في قصيدته المشهورة البردة؛ التي هي عند الناس بمنزلة القرآن وربما عظمها بعضهم أكثر. فإنه يواظب على قراءتها أكثر ما يواظب على قراءة القرآن.

وعن حُذيفةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقول مَا شاءَ اللهُ وشاءَ فلانٌ، ولكِنْ قل ما شاءَ اللهُ، ثم شاءَ فلانٌ» رواه أبو داودَ بسندٍ صحيحٍ.

قوله: (وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان»** رواه أبو داود بسند صحيح)[1].

وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساويًا للمعطوف عليه، لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع. فلا تقتضي ترتيبًا ولا تعقيبًا. وتسوية المخلوق بالخالق شرك، إن كان في الأصغر مثل هذا فهو أصغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر. كما قال تعالى عنهم في الدار الآخرة: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨] بخلاف المعطوف بثم. فإن المعطوف بها يكون متراخيًا عن المعطوف عليه بمهلة. فلا محذور لكونه صار تابعًا.

(١) صحيح أخرجه أحمد (٥/٣٨٤) والطيالسي [٤٣٠] وأبو داود [٤٩٨٠] والنسائي «عمل» [٩٨٥] والبيهقي في «الأسماء» (ص:٤٤) وفي «السنن» (٣/٢١٦)، وانظر «الصحيحة» [١٣٧].

قلت: وفي الحديث إثبات المشيئة للعبد وأن مشيئته تدور مع مشيئة الرب وجودًا وعدمًا ولأن له مشيئة لذا عطفها على مشيئة الله.

وجاءَ عن إبراهيمَ النخعيِّ، أنه يَكرَهُ أنْ يقول [الرجل]: أعوذُ باللهِ وبكَ، ويُجَوِّز أن يقول: باللهِ ثم بكَ. قال: ويقولُ: لولا اللهِ ثم فلانٍ، ولا تقول: لولا الله وفلانٍ.

قوله: (وعن إبراهيم النخعي: أنه يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك. ويجوز أن يقول: بالله ثم بك. قال ويقول: لولا الله ثم فلان. لا تقولوا: لولا الله وفلان).

وقد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز من ذلك. هذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء. وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك. وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر. فلا يقال في حقهم شيء من ذلك. فلا يجوز التعلق عليه بشيء ما بوجه من الوجوه، والقرآن يبين ذلك وينادي بأنه يجعلهم آلهة إذا سئلوا شيئًا من ذلك، أو رغب إليهم أحد بقوله أو عمله الباطن أو الظاهر، فمن تدبر القرآن ورزق فهمه صار على بصيرة من دينه وبالله التوفيق.

والعلمُ لا يُؤخذُ قسرًا وإنما يُؤخذُ بأسباب ذكرها بعضهم في قوله:

أُخي، لن تنالَ العلَم إلا بستةٍ ... سَأُنبيِّكَ عن تفصيلِهَا ببيانِ
ذكاءٌ وحرصٌ، واجتهادٌ وبلغةٌ ... وإرشادُ استاذٍ، وطولُ زمانِ

وأعظم من هذه الستة من رزقه الله تعالى الفهم والحفظ، وأتعب نفسه في تحصيله فهو الموفق لمن شاء من عباده. كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

ولقد أحسن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى من حيث قال:

والجهلُ داءٌ قاتلٌ وشفاؤهُ ... أمرانِ في التركيبِ متفقانِ

نصٌ من القرآنِ، أو مِن سنةٍ وطبيبُ ذاكَ العالمُ الرباني
والعلمُ أقسامٌ ثلاثٌ، ما لها من رابعٍ، والحقُ ذو تبيانِ
علمٌ بأوصافِ الإلهِ وفعلهِ وكذلكَ الأسماءُ للرحمنِ
والأمرُ والنهيُ الذي هو دينهُ وجزاؤهُ يومُ المعادِ الثاني
والكلُ في القرآن والسُنَنِ التي جَاءتْ عن المبعوثِ بالقرآنِ
واللهِ ما قالَ امرؤٌ متحذلقٌ بِسواهما إلا مِن الهذيانِ

فيهِ مسائلُ:

الأولى- تفسيرُ آيةِ البقرةِ في الأندادِ.

الثانية- أنَّ الصحابةَ [ﷺ] يفسرونَ الآيةَ النازلةَ في الشركِ الأكبرِ؛ بأنَّها تعُمُّ الأصغرَ.

الثالثة- أنَّ الحَلِفَ بغيرِ اللهِ شركٌ.

الرابعة- أنهُ إذا حلفَ بغيرِ اللهِ صادقًا، فهو أكبرُ مِن اليمينِ الغَموسِ.

الخامسة- الفرقُ بينَ الواوِ و[بينَ] ثمَّ في اللفظِ.

باب

ما جاءَ فيمَن لم يَقنَع بالحَلِفِ باللهِ

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تحلفوا بآبائكم، مَن حَلَفَ بالله فليَصْدُق،

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله والنهي عن الحلف بالآباء

قوله: باب

(ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله)

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لا تحلفوا بآبائكم. من حلف بالله فليصدق. ومن حلف له بالله فليرض. ومن لم يرض فليس من الله»** رواه ابن ماجه بسند حسن[(١)].

قوله: لا تحلفوا بآباكم تقدم النهي عن الحلف بغير الله عمومًا.

قوله: (من حلف بالله فليصدق) هذا مما أوجبه الله على عباده وحضهم عليه في كتابه. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩] وقال: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب:٣٥] وقال: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد:٢١] وهو حال أهل البر، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧] إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾.

(١) سبق تخريجه.

ومَن حُلِفَ لهُ باللهِ فليَرْضَ، ومَن لم يَرْضَ؛ فليسَ مِن اللهِ [بشيء]» رواه ابن ماجه [بسندٍ حسَنٍ].

وقوله: (من حلف فليرض، ومن لم يرض فليس من الله) أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلفه فلا ريب أنه يجب عليه الرضا. وأما إذا كان فيما يجري بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك. فهذا من حق المسلم على المسلم: أن يقبل منه إذا حلف له معتذرًا أو متبرئًا من تهمة ومن حقه عليه: أن يحسن به الظن إذا لم يتبين خلافه، كما في الأثر عن عمر رضي الله عنه: ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرًا وأنت تجد لها في الخير محملًا.

وفيه: من التواضع والألفة والمحبة وغير ذلك من المصالح التي يحبها الله ما لا يخفى على من له فهم. وذلك من أسباب اجتماع القلوب على طاعة الله، ثم إنه يدخل في حسن الخلق الذي هو أثقل ما يوضع في ميزان العبد، كما في الحديث[1] وهو من مكارم الأخلاق.

فتأمل أيها الناصح لنفسه ما يصلحك مع الله تعالى: من القيام بحقوقه وحقوق عباده، وإدخال السرور على المسلمين، وترك الانقباض عنهم والترفع عليهم. فإن فيه من الضرر ما لا يخطر بالبال ولا يدور بالخيال. وبسط هذه الأمور وذكر ما ورد فيها مذكور في كتب الأدب وغيرها. فمن رزق ذلك والعمل بما ينبغي العمل به من وترك ما يجب تركه من ذلك، دل على وفور دينه، وكمال عقله. والله الموفق لعبده الضعيف المسكين. والله أعلم.

(١) أخرجه ابن حبان عن أبي الدرداء مرفوعًا: أثقل شيء في الميزان، الخلق الحسن «صحيح» انظر: «الصحيحة» [٨٧٦] وأخرج البيهقي والترمذي وغيرهما عنه بلفظ: «أثقل شيء في ميزان المؤمن خلقٌ حسنٌ، إن الله يبغض الفاحش المتفحِّش البذيَّ» صحيح انظر: «الصحيحة» [٨٧٦].

فيه مسائل:

الأولى- النهيُ عَن الحلفِ [بالآباء].

الثانية- الأمرُ للمَحلوفِ لهُ باللهِ أنْ يَرْضَى.

الثالثة- وعيدُ مَن لم يَرْضَ

بابُ

قولِ: «مَا شاءَ اللهُ وشِئتَ»

عَن قتيلةَ، أنَّ يهوديًا أتىَ النبيَّ ﷺ فقال:

باب: قول ما شاء الله وشئت

باب

قول: (ما شاء الله وشئت)

عـن قتيلة: «أن يهوديًا أتى النـبي ﷺ، فقال: إنكم تشركون. تقولون: ما شـاء الله وشـئت، وتقولـون، وتقولـون: والكعبة. فأمرهـم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفـوا أن يقولـوا: «ورب الكعبـة». وأن يقولوا: «ما شـاء الله ثم شـئت» رواه النسـائي وصححه(١).

قـوله: (عن قتيلـة) بمثناة مصغرة بنت صيفي الأنصاريـة صحابية مهاجرة، لها حديث في سنن النسـائي، وهو المذكور في الباب. ورواه عنها عبد الله بن يسار الجعفي.

وفيه: قبول الحق مما جاء به كائنًا من كان. **وفيه:** بيان النهي عن الحلف بالكعبة، مع أنها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة.

وهذا يبين أن النهي عن الشرك بالله عام لا يصلح منه شيء، لا لملك مقرب ولا نبي مرسل. ولا للكعبة التي هي بيت الله في أرضه. وأنت ترى ما وقع من الناس اليوم من الحلف بالكعبة وسـؤالها ما لا يقدر عليه إلا الله. ومن المعلوم أن الكعبة لا تضر

(١) صحيح أخرجه أحمد (٦/٣٧١-٣٧٢) وابن سعد (٨/٣٠٩) والنسائي «عمل اليوم» [٩٨٦] [٩٨٧] والحاكم (٤/٢٩٧) والطبراني (٢٥/٥و٦و٧) وصحح بعض طرقه الحافظ في «الفتح» (٨/٧٩).

....

ولا تنفع. وإنما شرع الله لعباده الطواف بها والعبادة عندها وجعلها للأمة قبلة: فالطواف بها مشروع والحف بها ودعاؤها ممنوع. فميز أيها المكلف بين ما يشرع وما يمنع، وإن خالفك من خالفك من جهة الناس الذين هم كالأنعام، بل هم أضل سبيلًا.

«إنكُم تشركونَ تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة»، فأمرَهُم النبيُّ ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أنْ يَقولوا: «ورَبِّ الكعبةِ» وأنْ يَقولوا: «مَا شاءَ [اللهُ]، ثمَّ شِئتَ» رواه النسائي وصححه.

قوله: (إنكم تشركون. تقولون: ما شاء الله وشئت) والعبد وإن كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله، ولا قدرة له على أن يشأ شيئًا إلا إذا كان الله قد شاءه، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩] وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠].

وفي هذه الآيات والأحاديث: الرد على القدرية والمعتزلة، نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله تعالى من العبد وشاءه، وسيأتي ما يبطل قولهم في: باب ما جاء في منكري القدر إن شاء الله تعالى، وأنهم مجوس هذه الأمة.

وأما أهل السنة والجماعة فتمسكوا بالكتابة والسنة في هذا الباب وغيره. واعتقدوا أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى في كل شيء مما يوافق ما شرعه الله وما يخالفه، من أفعال العباد وأقوالهم. فالكل بمشيئة الله وإرادته. فما وافق ما شرعه رضيه وأحبه. وما خالفه كرهه من العبد، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] الآية. وفيه: بيان أن الحلف بالكعبة شرك. فإن النبي ﷺ أقر اليهودي على قوله: إنكم تشركون.

وله [أيضًا] عن ابن عباس [رضي الله عنهما]: أَنَّ رجلًا قالَ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَا شاءَ اللهُ وشِئتَ». فقال: «أجعلتني لله نِدًّا؟ [قل] بل: ما شاءَ اللهُ وَحدَهُ».

قوله: (وله أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت، قال: «**أجعلتني لله ندًا؟ بل ما شاء الله وحده**»)(١).

هذا يقرر ما تقدم من أن هذا شرك، لوجود التسوية في العطف بالواو.

وقوله: (أجعلتني لله ندًا) فيه بيان أن من سوى العبد بالله ولو في الشرك الأصغر فقد جعله ندًا لله شاء أم أبى، خلافًا لما يقوله الجاهلون، مما يختص بالله تعالى من عباده، وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه. «ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»(٢).

(١) صحيح. وقد سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري [٧١] [٣١١٦] [٣٦٤١] [٧٣١٢] [٧٤٦٠] ومسلم [١٠٣٧] عن معاوية.

ولابن ماجه: عن الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأبيها قال: «رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وأنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد. ثم

قوله: (ولابن ماجه: عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت فيما يرى النائم كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير ابن الله. قالوا: وإنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى فقلت: من أنتم؟ قالوا نحن النصارى. قلت إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: **«هل أخبرت بها أحدًا؟»** قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: **«أما بعد فإن طفيلًا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»**[(١)].

قوله: (عن الطفيل أخي عائشة لأمها) هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة أخو عائشة لأمها، صحابي له حديث عند ابن ماجه، وهو ما ذكره المصنف في الباب.

وهذه الرؤيا حق أقرها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها. فنهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، وأمرهم أن يقولوا: «ما شاء الله وحده».

وهذا الحديث والذي قبله فيه أن يقولوا: «ما شاء الله وحده» ولا ريب أن هذا أكمل في الإخلاص وأبعد عن الشرك من أن يقولوا: «ثم شاء فلان» لأن فيه التصريح

(١) صحيح. أخرجه أحمد [٢٠٦٩٤] والدارمي [٢٦٩٩] وابن ماجه [٢١١٨] والنسائي في «عمل» [٩٨٥] [٩٨٦] والطحاوي [٢٣٦] والطبراني (٨٢/٥) والحاكم (٤٦٣/٣) انظر: «الصحيحة» [١٣٧].

مررت بنفر من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته قال: «هل أخبَرتَ بها أحدًا؟» قلت: نعم، قال: «فحمدَ اللهَ وأثنَى عليهِ»، ثم قال: «أما بَعدُ؛ فإنَّ الطفيل رأى رؤيا، أخبَرَ بها مَن أخبرَ مِنكُم، وإنكم قلتم كلمَةً

بالتوحيد المنافي للتنديد في كل وجه. فالبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص.

كانَ يَمنعُنِي كذا وكذا أنْ أنهَاكُم عنهَا، فلا تقولوا: ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمدٌ، ولكِن، قولوا: ما شاءَ اللهُ وحدَهُ».

قـوله: (كان يمنعـني كذا وكذا أن أنهاكم عنها) ورد في بعض الطرق: «أنه كان يمنعه الحياء منهم[1]»[2] وبعد هذا الحديث الذي حدثه به الطفيل عن رؤياه خطبهم ﷺ فنهى عن ذلك نهيًا بليغًا، فما زال ﷺ يبلغهم حتى أكمل الله له الديـن وأتـم له به النعمة، وبلغ البلاغ المبين، صلوات الله وسـلامهم عليه وعلى آله وصبحه أجمعين.

وفيه معنى قوله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة[3]»[4].

قلـت: وإن كان رؤيا منام فهي وحي يثبـت بها ما يثبت بالوحي أمرًا ونهيًا. والله أعلم.

---

(١) بعض روايات أحمد السابقة.

(٢) لعل الذي كان يمنعه ﷺ أنه لم يكن الله أوحى إليه فيها شيئًا. فما أوحى إليه بلغه أما الحياء في تبليغ الأوامر والنواهي، فهذا لا يليق برسوله ﷺ والله أعلم.

(٣) أخرجه أحمد [١٢٠٣٧] [١٢٢٧٢] ومالك (٩٥٦/٢) والبخاري [٦٩٨٣] والنسائي «كبرى» [٧٦٢٤] وابن ماجه [٣٨٩٣] وابن حبان [٦٠٤٣] والبغوي [٣٢٧٣] عن أنس وفي الباب: حديث أبي هريرة وابن عباس وغيرهما.

(٤) هذا الحديث إنما يخبر به النبي ﷺ عما كان يرى قبل النبوة وهو يتحنث في غار حراء من الرؤيا التي كانت تجيء مثل فلق الصبح. وذلك في الدور الذي كان يهيئه الله فيه لتلقي الوحي. وكان ذلك الدور ستة أشهر. وهي بالنسبة إلى مدة النبوة الثلاثة والعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءًا منها. والله أعلم.

فيه مسائل:

الأولى- معرفةُ اليهودِ بالشركِ الأصغرِ.

الثانية- فهمُ الإنسانِ إذا كانَ لهُ هوًى.

الثالثة- قولهُ صلى الله عليه وسلم: «أجعلتني لله ندًا؟» فكيفَ بمَن قال: «[أكرمَ الخلقِ] مَا لِي مَن ألوذُ بهِ سواكَ...»، والبيتين بعده.

الرابعة- أنَّ هذا ليسَ مِن [الشركِ] الأكبرِ، لقولهِ: «يَمنعني كذ وكذا».

الخامسة- أنَّ الرؤيا الصالحةَ مِن أقسامِ الوَحي.

السادسة- أنها قد تكونُ سببًا [لشرعِ] بعضِ الأحكامِ.

بابُ

مَن سَبّ الدهَر فقد آذى اللّه

وقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية:٢٤].

باب من سب الدهر فقد آذى الله

قوله: باب

(من سب الدهر فقد آذى الله)

وقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [الجاثية:٢٤].

قال العماد ابن كثير في «تفسيره»: يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ ما ثَمَّ إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثَمَّ معاد ولا قيامة. وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم، وهم ينكرون البدأة والرجعة. وتقول الفلاسفة الدهرية الدورية، المنكرون للصانع، المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا المعقول وكذبوا المنقول، ولهذا قالوا: ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ أي يتوهمون ويتخيلون.

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قالَ اللهُ تعَالى: يُؤذيني ابنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهرَ، وأنا الدَّهرُ؛ أُقلِّبُ الليْلَ والنهَارَ».

فأما الحديث الذي أخرجه صاحب الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان ابن عُيينة عن الزُّهري عن سعيد بن المسيَّب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار**»[1] وفي رواية: «**لا تسبوا الدهر فإني أنا الدهر**»[2] وفي رواية: «**لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما**»[3] اهـ

قال في شرح السنة: حديث متفق على صحته أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبي هريرة قال: ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر أي سبه عند النوازل، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد التي يصنعونها فنهوا عن سب الدهر[4]. اهـ باختصار.

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدًا بهذا الطريق. قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال الله في كتابه: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾. ويسبون الدهر. فقال الله عز وجل: «**يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار**»[5].

---

(١) أخرجه الحميدي [١٠٩٦] وأحمد [٧٢٤٥] [٧٦٨٣] [٧٧١٦] [٧٥١٨] [٧٦٨٢] [٧٩٨٨] والبخاري [٤٨٢٦] [٧٤٩١] ومسلم [٢٢٤٦] وأبو داود [٥٢٧٤] والنسائي في «الكبرى» [١١٦٨٧] وابن حبان [٥٧١٥].

(٢) صحيح مسلم [٢٢٤٦].

(٣) صحيح مسلم [٢٢٤٦].

(٤) شرح السنة للبغوي (١٢/٣٥٧).

(٥) تفسير ابن جرير (٢٥/١٥٢).

وكـذا رواه ابـن أبي حاتم عن أحمـد بن منصور عن سُريج بـن النّعمان عن ابن عُيينة مثله.

ثـم روى عـن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سـلمة عـن أبي هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يقول الله تعالى: يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر، بيـدي الليل والنهار**» وأخرجه صاحب الصحيح والنسـائي من حديث يونس بن يزيد به.

وقـال محمد بن إسـحاق عن العلاء بـن عبدالرحمن عن أبيه عـن أبي هريرة أن رسـول الله ﷺ قـال: «**يقول الله عـز وجل: اسـتقرضت عبدي فلـم يعطني، ويسبني عبدي، يقول: وادهراه، وأنا الدهر**»[١].

قال الشافعي وأبو عبيد وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله: «**لا تسبوا الدهر فإن الله هـو الدهـر**» كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شـدة أو بـلاء أو نكبة قالوا: يا خيبة الدهر فيسـندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسـبونه، وإنمـا فاعلها هو الله تعالى. فكأنما إنما سبوا الله سبحانه، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الإعتبار لأن الله هو الدهر الذي يعنونه ويسندون إليه تلك الأفعال. هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم.

وقـد غلط ابن حزم ومـن نحا نحوه من الظاهرة في عدهم «الدهر» من الأسـماء الحسنى أخذًا من هذا الحديث. ا هـ

---

(١) إسناده حسن.

أخرجه أحمد [٧٩٨٨] وأبو يعلى [٦٤٦٦] وابن خزيمة [٢٤٧٩] والبخاري في «خلق أفعال العباد» [٤٣٥] والطبري (١٥٢/٢٥) من طريق ابن إسحاق، به.

وإسناده حسن، فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

وقد بين معناه في الحديث بقوله: «أقلب الليل والنهار» وتقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه.

وفي هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف رحمه الله تعالى، وهي قوله: «بيدي الأمر».

وفي رواية: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ؛ فإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ».

قوله: (وفي رواية: لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر).

معنى هذه الرواية: هو ما صَرَّح به في الحديث من قوله: «**وأنا الدهر، أقلب الليل والنهـار**» يعني ما يجري فيه من خير وشر بإرادة الله وتدبيره، بعلم منه تعالى وحكمة، لا يشاركه في ذلك غيره. ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين وحسن الظن به سبحانه وبحمده، والرجوع إليه بالتوبة والإنابة. كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٨] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥] ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة، كما في أشعار المولدين، كابن المعتز[١] والمتنبي[٢] وغيرهما. وليس منه وصف السنين بالشدة ونحو ذلك كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ [يوسف:٤٨] الآية. وقال بعض الشعراء:

إنّ اللّيالي مِن الزَّمانِ مَهولة ... تُطوىَ وتُنشر بينها الأعمارُ
فقصارهنَّ مع الهُموم طَويلةٌ ... وطُوالهنَّ مع السرورِ قِصارُ

(١) ابن المعتز هو: عبد الله بن محمد بن جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد هارون بن المهدي أبو العباس الهاشمي العباسي البغدادي الأديب صاحب النظم والرائق.

ولد سنة تسع وأربعين ومائتين وقتل سرًا في ربيع الآخر سنةست، سلموه إلى مؤنس الخادم فخنقه ولفه في بساط وبعث به إلى أهله.

انظر: مروج الذهب (٥٠١/٢) والأغاني (٢٨٦/١٠) وتاريخ بغداد (٩٥/١٠) والمنتظم (٨٤/٦)، والسير (٢٩/١١).

(٢) المُتَنَبِّي الشاعر المشهور أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي الشاعر المعروف بالمُتنبِّي ولد سنة ستٍّ وثلاثمائة بالكوفة، قُتل على يد فاتك بن أبي الجهد الأسديُّ يوم الأربعاء لست بقين من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

له ترجمة مطولة في السير (١٩٩/١٦) وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات) (٣٥-٣٨٠) ص[١٠٢] والبداية (٢٧٢/١٥-٢٨١) وتاريخ بغداد (١٠٢/٤-١٠٥) والمنتظم (١٦٢/١٤-١٦٩).

....

وقال أبو تمام[١]:

أعوامُ وَصْلٍ كادَ يُنْسَى طِيبُها ... ذِكــرُ الـنّــوى، فَكأنها أيــامُ

ثُــمَّ انـبرتْ أيـامُ هـجرٍ أَعقَبتْ ... نحــوي أســىً، فَكأنها أعــوامُ

ثُمَّ انقَضتْ تلكَ السنونِ وأهلُها ... فَكـأنـهَـا وكـأَنـهـمُ أحــلامُ

(١) أبو تمام الطائي الشاعر، صاحب الحماسة التي جمعها في فضل الشتاء هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي الشاعر المعروف، كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع توفي سنة إحدي وثلاثين ومائتين، انظر «الأغاني» (١٦/٣٨٣) و«تاريخ بغداد» (٨/٢٤٨)، ووفيات الأعيان (٢/١١) والسير (١١/٦٣) والبداية (١٤/٢٩٦).

فيه مسائل:

الأولى- النهيُ عَن سبِّ الدهرِ.

الثانية- تسميتُه أذًى لله.

الثالثة- التأملُ في قولهِ: «فإنَّ اللهَ هوَ الدهرُ».

الرابعة- أنهُ قد يكونُ سَابًا ولو لم يَقصِدهُ بقلبِهِ.

بابُ

التَسمّي [ق/٢٥/أ] بقاضِي القُضاةِ ونحوهِ

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «[إنَّ] أخنعَ اسْمٍ عِندَ اللهِ؛ رَجُلٌ تسَمَّى مَلِكَ الأمْلاكِ، لا مَالِكَ إلا اللهَ».

باب التسمي بقاضي القضاة

قوله: باب

(التسمي بقاضي القضاة ونحوه)

ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة إشارة إلى النهي عن التسمي بقاضي القضاة قياسًا على ما في حديث الباب. لكونه شبهه في المعنى فينهى عنه.

قوله: (في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله**(١)**»**(٢).

لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله تعالى. فهو ملك الأملاك لا ملك أعظم ولا أكبر منه. مالك الملك ذو الجلال والإكرام. وكل ملك يؤتيه الله من يشاء من عباده

(١) أخرجه البخاري [٦٢٠٦] ومسلم [٢١٤٣].

(٢) قال العزيزي في «الشرح الكبير»: وفي الباب غير أيضًا. وفي قرة العيون: لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله فهو ملك الأملاك لأنه هو الملك في الحقيقية له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير يتصرف في الملوك وغيرهم بمشيئته وإرادته كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ... ﴾ الآية. فلا ينبغي أن يعظم المخلوق بما يشبه ما يعظم به الخالق جلَّ وعلا، وما كان مثل ذلك فينهي عنه كالذي ترجم به المصنف؛ لأنه لا يصدق هذا المعنى إلا على الله، فلا يصلح أن يسمى به المخلوق، لأن كل لفظ يقتضي التعظيم والكمال لا يكون إلا له تعالى وتقدس دون غيره.

فهو عارية يسرع ردها إلى المعير. وهو الله تعالى، ينزع الملك من ملكه تارة وينزع الملك منه تارة فيصير لا حقيقة له سوى اسم زال مسماه. وأما رب العالمين فملكه دائم كامل لا انتهاء له بيده القسط يخفضه ويرفعه، ويحفظ على عباده أعمالهم بعلمه سبحانه وتعالى، وما تكتبه الحفظة عليهم. فيجازى كل عامل بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر. كما ورد في الحديث: «اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله. وإليك يرجع الأمر كله. أسألك من الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله»[1].

(١) إسناده ضعيف جدًا.

أخرجه البيهقي في «الشعب» [٤٠٨٨] من طريق خالد بن زيد حدثنا ابن أبي ذئب عن زيد بن أسلم عن عطاء عن أبي سعيد، به.

وقال البيهقي: تفرد به خالد بن يزيد.

قلت: وهو ذاهب الحديث، وكذبه أبو حاتم.

وقال ابن حبان: منكر الحديث يروي الموضوعات عن الثقات.

وذكره المنذرى فى «الترغيب» (٢/٤٤١) وعزه للبيهقي.

قال سفيان: مثل «شاهان شاه».

قوله: (قال سـفيان) يعني ابن عُيينة (مثل شاهنشـاه)[١] عند العجم عبارة عن

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (جـ١٢ ص٤٣) في حوادث ٤٢٩: وفي رمضان منها لقب جلال الدولة - السلجوقي - شاهنشاه الأعظم؛ ملك الملوك بأمر الخليفة القائم لله. وخطب له بذلك على المنابر، فنفرت العامة من ذلك، ورموا الخطباء بالآجر، ووقعت فتنة شديدة بسبب ذلك. واستفتوا القضاة والفقهاء في ذلك؛ فأفتى أبو عبد الله الصيمري - الشافعي - أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ وقال: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ وإذا كان في الأرض ملوك جاز أن يكون بعضهم فوق بعض وأعظم من بعض. وليس في ذلك ما يوجب النكير؛ والمماثلة بين الخالق والمخلوقين.
وكتب القاضي أبو الطيب الطبري: «إن إطلاق (ملك الملوك) جائز. ويكون معناه ملك ملوك الأرض. وإذا جاز أن يقال: كافي الكفاة، وقاضي القضاة؛ جاز أن يقال ملك الملوك، وإذا كان في اللفظ ما يدل على أن المراد به ملك ملوك الأرض زالت الشبهة. ومنه قولهم: اللَّهُمَّ أصلح الملك، فيصرف الكلام إلى المخلوقين».
وكتب التيمي الحنبلي نحو ذلك:
وأما الماوردي صاحب الحاوي الكبير فقد نقل عنه أنه أجاز ذلك أيضًا. والمشهور عنه ما نقله ابن الجوزي والشيخ أبو منصور بن الصلاح في أدب المفتي أنه منع من ذلك وأصر على المنع منه مع صحبته للملك جلال الدولة، وكثرة تردداه عليه ووجاهته عنده، وأنه امتنع من الحضور في مجلسه حتى استدعاه جلال الدولة في يوم عيد: فلما دخل عليه وهو رجل خائف أن يوقع به مكروهًا، فلما واجهه قال له جلال الدولة: قد علمت أنه إنما منعك من موافقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك إياي وجاهتك عندي: دينك واتباعك الحق وأن الحق آثر عند من كل أحد؛ ولو حابيت أحدًا من الناس لحابيتني، وقد زادك ذلك عندي صحبة ومحبة وعلو مكانة.
قال ابن كثير: والذي حمل القاضي الماوردي على ذلك المنع هو اتباع السنة التي وردت بها الأحاديث الصحيحة من غير وجه. قال الإمام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أخنع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الأملاك» قال الزهري: سألت عمرو بن الشيباني عن «أخنع اسم» قال: «أوضع» وقد رواه البخاري عن علي بن المديني عن ابن عيينة. وأخرجه مسلم من طريق همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه رجل تسمى ملك الأملاك. لا ملك إلا الله عز وجل» وقام الإمام أحمد حدثني محمد بن جعفر حدثنا عوف عن حلاس عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله على من قتله نبي. واشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الأملاك، لا ملك إلا الله عز وجل» اهـ

وقال العزيزي في «الشرح الكبير» أي سمى نفسه؛ أو سماه غيره فرضي به وأقره ونحوه وما في معناه شاه شاهان، والعجم تقدم المضاف إليه على المضاف، وألحق به ملك شاه. قيل وإذا امتنع التسمي بما ذكر فباسم من له هذا الوصف كالله والجبار والرحمن أولى.

قال القرطبي: وحاصل الحديث أن من تسمى بهذا الاسم انتهى من الكبر إلى الغاية التي لا تنبغي لمخلوق وأنه قد تعاطى ما هو خاص بالإله الحق لما ثبت في الفطرة أنه لا مالك لجميع الخلائق إلا الله، فلا يصدق هذا الاسم بالحقيقة إلا عليه سبحانه وتعالى فعوقب على ذلك من الإذلال والاسترذال بما لم يعاقب به مخلوق؛ والمالك من له الملك؛ والملك أمدح، والمالك أخص. وكلاهما واجب لله تعالى.

وقال الطيبي: قوله: «لا مالك إلا الله» استئناف لبيان تعليل تحريم التسمية، فنفى جنس الملاك بالكلية، لأن المالك الحقيقي ليس إلا هو؛ ومالكية الغير مستردة إلى مالك الملوك، فمن تسمى بذلك نازع الله سبحانه وتعالى في رداء كبريائه، واستنكف أن يكون عبده، لأن وصف الملكية مختص بالله عز وجل لا يتجاوزه، والمملوكية بالعبد لا تتجاوزه. فمن تعدى طوره فله الخزي في الدنيا والعار؛ وفي الآخرة الإلقاء في النار. اهـ

ومن العجائب التي لا تخطر بالباب ما نقله ابن بزيزة عن بعض شيوخه أن أبا العتاهية - الشاعر المشهور - كان له ابنتان سمى إحداهما الله، وسمى الأخرى الرحمن، وهذا من أعظم القبائح؛ وأشد الجرائم والفضائح. وقيل أنه تاب.

وألحق بعض المتأخرين بملك الأملاك: حاكم الحكام. وقد شدد الزمخشري النكير عليه فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ رب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمننا قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين. فاعتبر واستعبر اهـ واعترضه ابن المنير بأن خبر «أقضاكم علي» يؤخذ منه جواز أن يقال لأعدل القضاة وأعلمهم في زمنه «قاضي القضاة» ورد عليه وشنع العلم العراقي منتصرًا للزمخشري. ومن النوادر: أن العز بن جماعة رأى أباه في النوم، فسأله عن حاله فقال: ما كان علي أضر من هذا الاسم. فنهى الموثقين أن يكتبوا له في الأسجال: قاضي القضاة. بل قاضي المسلمين.

وقال ابن القيم: وتحرم التسمية بسيد الناس، وسيدة الكل، كما تحرم بسيد ولد آدم، فإن ذا ليس لأحد إلا للرسول ﷺ اهـ

قال أبو طاهر - غفر الله لهما-: ولعله يلحق بذلك ما تعارف عليه الناس في بعض البلدان الإسلامية. كصاحب العزة؛ وصاحب الجلالة، ونحو ذلك، وكل هذه الألقاب إنما شاعت في الناس من وقت دخول الأعاجم وتمكن دولتهم في البلاد الإسلامية، وأنهم لم يكن لهم من العدل والدين والاستقامة والعلم والفضل ما يتزينون به عند الله والناس، بل لعله كان لهم ضد ذلك؛ فخشوا أن يسقطوا من

وفي رواية: «أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه»، قوله

ملك الأملاك. ولهذا مثل به سفيان لأنه عبارة عنه بلغة العجم.

قوله: (وفي رواية: «أغيظ رجل على الله وأخبثه»).

قوله: (أغيظ) من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض. فيكون بغيضا إلى الله مغضوبًا عليه[1]. والله أعلم.

قوله: (وأخبثه) وهو يدل أيضًا على أن هذا خبيث عند الله فاجتمعت في حقه هذه الأمور لتعاظمه في نفسه وتعظيم الناس له بهذه الكلمة التي هي من أعظم التعظيم، فتعظمه في نفسه وتعظيم الناس له بما ليس له بأهل، وضعه عند الله يوم القيامة. فصار أخبث الخلق وأبغضهم إلى الله وأحقرهم، لأن الخبيث البغيض عند الله يكون يوم القيامة أحقر الخلق وأخبثهم، لتعاظمه في نفسه على خلق الله بنعم الله.

أعين العامة فاخترعوا لهم من تلك الأسماء والألقاب ما يلقي في نفوسهم الوهم والتعظيم المتكلف والتبجيل المصطنع. ولقد كان السلف الصالح ﷺ يدعون بعضهم بعضًا بأسمائهم أو بوظائفهم وقلوبهم مملوءة من المحبة والتوقير والإجلال لعلمائهم وأمرائهم، لما لهم من العلم والفضل والعدل والبر والإحسان التي جملهم الله بها. نسأل الله أن يعيد للناس هذا فهو أنفع وأصلح مما هم عليه اليوم من هذه المداهنات والتملقات المتكلفة بالباطل.

(١) في رواية للبخاري ومسلم وأحمد عن أبي هريرة: «اشتدَّ غضب الله على من زعم أنه ملكُ الأملاك، لا ملك إلاّ الله» صحيح الجامع [٩٨٨].

«أخنع» يعني: أَوْضَع.

قوله: (أخنع: يعني أوضع)[١] هذا هو معنى «أخنع» فيفيد ما ذكرنا في معنى «أغيظ» أنه يكون حقيرًا بغيضًا عند الله.

وفيه التحذير من كل ما فيه تعاظم. كما أخرج أبو داود عن أبي مجلز قال: خرج معاوية رضي الله عنه على ابن الزبير وابن عامر. فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير. فقال معاوية لابن عامر: اجلس، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار**» وأخرجه الترمذي أيضًا، وقال حسن[٢]. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئًا على عصا، فقمنا إليه. فقال: «**لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضًا**» رواه أبو داود[٣].

قوله: (أغيظ رجل) هذا من الصفات التي تمر كما جاءت، وليس شيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى، إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل كما تقدم، والباب كله واحد.

---

(١) «أخنع» بفتح الهمزة والنون بينهما معجمة ساكنة أي أدخلها في الخنوع؛ وهو الذل والضعة والهوان، ذكره الزمخشري. وفي رواية «أخنى» من الخنا بمعنى الفحش في القول ويحتمل أن يكون من قولهم: أخنى عليه الدهر أي أهلكه. وذكر أبو عبيد أنه ورد بلفظ «أنخع» بتقديم النون على الخاء المعجمة وهو بمعنى أهلك. قال ابن بطال: وإذا كان الاسم أذل الأسماء كان من تسمى به أشد ذلًا يوم القيامة أي أشدهم ذلًا وصغارًا. وفي قرة العيون: وهذا من الصفات التي تمر كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل؛ والله أعلم.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد [١٦٨٣٠] وابن أبي شيبة (٥٨٦/٨) والبخاري في «الأدب المفرد» [٩٧٧] وعبد بن حميد [٤١٣] وأبو داود [٥٢٢٩] والطحاوي «مشكل» [١١٢٧] والترمذي [٢٧٥٥] والطبراني في «الكبير» (٨١٩/١٩) وابن قانع في «معجم الصحابة» (٧٢/٣).

(٣) ضعيف. أخرجه أحمد (٢٥٣/٥) وأبو داود [٥٢٣٠] وضعفه الشيخ الألباني في «ضعيف أبي داود» [١١٢٠].

....

وهـذا هو قـول أهل السـنة والجماعة مـن الصحابة والتابعين فمـن بعدهم من الفرق الناجية من الثلاث والسـبعين فرقة. وهذا التفـرق والاختلاف إنما حدث في أواخـر القـرن الثالـث وما بعده كما لا يخـفى على من له معرفة بما وقـع في الأمة من التفرق والاختلاف والخروج عن الصراط المستقيم، والله المستعان.

فيه مسائل:

الأولى- النهيُ عَن التسمِّي بملكِ الأمْلاكِ [لا مالك إلا الله].

الثانية- أنَّ ما في معناهُ مثلُه، كما قالَ سفيانُ.

الثالثة- التفطنُ للتغليظِ في هذا ونحوِهِ، معَ القطعُ بأنَّ القلبَ لم يَقصِد معناهُ.

الرابعة- التفطنُ أنَّ هذا لإجلالِ الله سبحانَهُ.

باب

احترامِ أسمَاءِ اللَّهِ [تعَالى] وتغييرِ الاسْمِ لأجلِ ذلكَ

عَن أبي شُريحٍ: أنه كان

باب احترام أسماء الله

باب

(احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك)

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم. فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم. وإليه الحكم»، فقال: إن قوي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضى كلا الفريقين. فقال: «ما أحسن هذا. فما لك من الولد؟» قل: شريح ومسلم وعبد الله. قال: «فمن أكبرهم؟» قلت: شريح. قال: «فأنت أبو شريح» رواه أبو داود وغيره(١).

قوله: (عن أبي شريح) قال في «خلاصة التهذيب»: هو أبو شريح الخزاعي اسمه خويلد بن عمرو أسلم يوم الفتح، له عشرون حديثًا، اتفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث، وروى عنه أبو سعيد المقبري ونافع بن جبير وطائفة. قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين. وقال الشارح اسمه هانيء بن يزيد الكندي قاله الحافظ وقيل: الحارث الضبابي. قاله المزي.

(١) صحيح. أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» [٨١١] وأبو داود [٤٩٥٥] وابن حبان [٥٠٤] الحاكم (٢٤/١) راجع «الصحيحة» [١٩٣٩] وفي «الإرواء» [٢٦١٥].

يُكنَّى أبا الحكم، فقالَ له النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ، وإليهِ الحُكْمُ فلِمَ تُكنَّى أبَا الحَكَمِ؟» قال:

قوله: (يكنى) الكنية ما صدر بأب أو أم ونحو ذلك واللقب ما ليس كذلك كزين العابدين ونحوه.

وقول النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم وإليه الحكم» فهو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة، يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزل على أنبيائه ورسله، وما من قضية إلا ولله فيها حكم بما أنزل على نبيه من الكتاب والحكمة، وقد يسر الله معرفة ذلك لأكثر العلماء من هذه الأمة، فإنها لا تجتمع على ضلالة، فإن العلماء وإن اختلفوا في بعض الأحكام فلا بد أن يكون المصيب فيهم واحدًا، فمن رزقه الله تعالى قوة الفهم وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من أقوال العلماء يسر له ذلك بفضله ومنه عليه وإحسانه إليه، فما أجلها من عطية، فنسأل الله من فضله.

قوله: (وإليه الحكم في الدنيا والآخرة) كما قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى:١٠] وقال: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩] فالحكم إلى الله هو الحكم إلى كتابه، والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته[١].

وقد قال ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «بم تحكم؟ قال: بكتاب الله: قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله ﷺ. قال فإن لم تجد؟ قال أجتهد رأيي. فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضى رسول الله «فمعاذ من

(١) يعني رد الحكم إلى الله: رد الحكم إلى كتابه، ورد الحكم إلى الرسول ﷺ رد الحكم إليه في حياته، ثم رده إلى سنته بعد وفاته ﷺ.

أجل علماء الصحابة بالأحكام ومعرفة الحلال من الحرام، ومعرفة أحكام الكتاب والسنة. ولهذا ساغ له الاجتهاد إذا لم يجد للقضية حكمًا في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ، بخلاف ما يقع اليوم وقبله من أهل التفريط في الأحكام ممن يجهل حكم الله في كتابه وسنة رسوله، فيظن أنه الاجتهاد يسوغ له مع الجهل بأحكام الكتاب والسنة وهيهات[1].

وأما يوم القيامة فلا يحكم بين الخلق إلا الله عز وجل إذا نزل لفصل القضاء بين العباد، فيحكم بين خلقه بعلمه. وهو الذي لا يخفى عليه خافية من أعمال خلقه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٤٠] والحكم يوم القيامة إنما هو بالحسنات والسيئات، فيؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر ظلامته إن كان له حسنات، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم، فطرح على سيئات الظالم لا يزيد على هذا مثقال ذرة ولا ينقص هذا عن حقه بمثقال ذرة.

(١) وبخلاف الصنف الآخر: الذين يعنون بأقوال الناس وآرائهم فيحفظونها متونًا وشروحًا مهما كانت معقدة وطويلة، ثم يقدمونها في العبادات والأحكام بين يدي الله ورسوله، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ماذا حرم الناس من خير وهدى وعز وسلطان بهذا العزل لكتاب الله وسنة رسوله عن وظيفتها.

إنَّ قومِي إذا اختلفوا في شيءٍ أتوني؛ فحكمتُ بينَهم فرَضِيَ كِلا الفريقينِ فقال: «مَا أحْسَنَ هذا؟

قوله: (فإن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضى كلا الفريقين فقال: ما أحسن هذا) فالمعنى - والله أعلم - أن أبا شريح لما عرف منه قومه أنه صاحب إنصاف وتحر للعدل بينهم ومعرفة ما يرضيهم من الجانبين صار عندهم مرضيًا وهذا هو الصلح: لأن مداره على الرضى لا على الإلزام. ولا على الكهان وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ولا على الاستناد إلى أوضاع أهل الجاهلية من أحكام كبرائهم وأسلافهم التي تخالف حكم الكتاب والسنة. كما قد يقع اليوم كثيرًا، كحال الطواغيت الذين لا يلتفتون إلى حكم الله ولا إلى حكم رسوله. وإنما المعتمد عندهم ما حكموا به بأهوائهم وآرائهم[(١)].

وقد يلتحق بهذا بعض المقلدة لمن لم يسغ تقليده فيعتمد على قول من قلده ويترك ما هو الصواب الموافق لأصول الكتاب والسنة. والله المستعان.

---

(١) في قرة العيون: وأما ما يحكم به الجهلة من الأعراب، ونحوهم من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب لما فيه من النهي الشديد والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يخالفه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ وهذا كثير، فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به، وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى لذلك ممن يرجع الناس إليه إذا اختلفوا. اهـ

والنص صريح في إبطال حكم السوالف من حكام البدو غير المتدينين هو قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وأبو شريح كان من قضاة الجاهلية قبل الإسلام، ولذلك كنوه «بأبي الحكم» فأنكرها عليه النبي ﷺ وغيرها، ولفظ «الحكم» بفتحتين لا ينهى عنه في الإسلام لقوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ وذلك لأنه يحكم بما شرعه الله من صلح وإصلاح، وقد أذن الله للمؤمنين بأن يحكموا بين الناس بالعدل.

فَمَا لكَ مِن الولدِ؟» قال: شريح ومسلم وعبد الله قال: «فمَن أكبَرُهُم؟» قلت: شريحٌ قال: «فأنتَ أبو شُريحٍ» فدعا له ولولدهِ. رواه أبو داود وغيره.

وقول رسـول الله ﷺ : «فما لك من الولد؟» قال شريح، ومسلم، وعبد الله. قـال: «فمن أكبرهم؟» قلـت: شريح. قال: «فأنت أبو شريح» فيه تقديم الأكبر في الكنية وغيرها غالبًا. وجاء هذا المعنى في غير ما حديث والله أعلم.

فيه مسائل:

الأولى- احترام أسماء الله [وصفاتِه] ولو [لم] يُقصِد معناهُ.

الثانية- تغييرُ الاسمِ لأجلِ ذلكَ.

الثالثة- اختيارُ أكبرِ الأبناءِ للكُنيةِ.

باب

مَن هَزَلَ بشيءٍ فيهِ ذكرُ اللهِ أو القرآنُ أو الرسولُ

وقولِ الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة:٦٥].

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله والرسول

قوله: باب

(من هزل بشيء فيه الله أو القرآن أو الرسول) أي فقد كفر

قوله: وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [التوبة:٦٥].

قال العماد ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: قال أبو معشر المدني عن محمد بن كعب القرظي وغيره: قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى مثل قرائنا هؤلاء؟ إلا أرغبنا بطونًا، وأكذبنا ألسنًا، وأجبننا عند اللقاء، فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته. فقال يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق. فقال: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ وإن رجليه ليسفعان[1] الحجارة، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بنسعة ناقة رسول الله ﷺ[2][3].

---

(١) سفع الطائر ضريبته - كمنع - لطمها بجناحيه، وسفع فلان فلانًا لطمه وضربه، والمعنى أن الحجار تضرب رجليه من سرعة المسير وأنه مشغول عن ذلك. (الفقي).

(٢) والصواب أن النسعة حبل يشد به الرحل ولا يطلق على الزمام قال في القاموس: (النسع بالكسر سير ينسج عريضًا على هيئة أعنة النعال، يشد به الرحال والقطعة منه نسعة، وسمي نسعًا لطوله) انتهى المقصود. (ابن باز)

(٣) أخرجه ابن جرير [١٦٩٣٢] وفيه أبو معشر وهو ضعيف.

عن ابنِ عمرَ، ومحمدِ بنِ كعبٍ، وزيدِ بنِ أسلمَ، وقتادةَ دخلَ حديثُ بعضِهم في بعضٍ أنه قالَ رجلٌ في غزوةِ تبوكٍ: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله ﷺ

وقال عبد الله بن وهب: أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: «﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[1] وقد رواه الليث عن هشام بن سعد بنحو هذا[2].

وقال ابن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية ابن زيد بن عمرو بن عوف، ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له: مخشي بن حمير، يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا؟ والله لكأنا بكم غدًا مقرنين في الحبال، إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين. فقال مخشي بن حمير: والله لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وأننا نتلفت أن ينزل فينا قرآن

١) أخرجه ابن جرير [١٦٩٢٨] وابن أبي حاتم [١٠٠٤٧] من طريق ابن وهب، به.
وإسناده ضعيف لأجل هشام بن سعد.
ولكن يشهد له الطريق الأول وبه يحسن.
٢) أخرجه ابن جرير [١٦٩٢٧] مرسلًا ضعيفًا.

[ق/ ٢٥/ ب] وأصحابه القراء فقال له عوف بن مالك: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق.

لمقالتكم هذه، وقال رسول الله ﷺ فيما بلغني لعمار بن ياسر: «أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بل قلتم كذا وكذا وكذا»، فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه. فقال وديعة بن ثابت ورسول الله واقف على راحلته فجعل يقول وهو آخذ بحقها: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فقال مخشي بن حمير: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، فكان الذي عناه أي بقوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ في هذه الآية: مخشي بن حمير فسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدًا لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر(١).

وقال عكرمة في تفسير هذه الآية: كان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول: اللَّهُمَّ إني أسمع آية أنا أعني بها تقشعر منها الجلود، وتجل منها القلوب. اللَّهُمَّ فاجعل وفاتي قتلًا في سبيلك، لا يقول أحد أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت. قال: فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا وقد وجد غيره(٢).

---

(١) ذكره ابن هشام في «السيرة» (٤/ ١٥٠) عن ابن إسحاق معلقًا، وعزاه الحافظ في «الإصابة» [٧٥١٦] إلى ابن الكلبي في «تفسيره» بسنده إلى ابن عباس.
وبسند آخر إلى ابن مسعود.
والكلبي متروك الحديث.

(٢) أخرجه ابن جرير [١٦٩٢٩] بسند صحيح إليه.

قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسولُ الله ﷺ: «﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾» ما يلتفت إليه وما يزيد عليه.

وقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي بهذه المقالة التي استهزأتم بها ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ أي مخشي بن حمير ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾ أي لا يعفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ أي بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة. انتهى.

قال شيخ الإسلام، وقد أمره الله تعالى أن يقول لهم: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ وقول من يقول: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولًا بقلوبهم: لا يصح لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم، فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان، فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم ما زالوا كذلك. ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين.

وقال رحمه الله **في موضع آخر**: فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم: إنما تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل إنما كنا نخوض ونلعب. وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر. ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدرًا بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه لمنعه أن يتكلم بهذا الكلام، والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه. كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٤٧-٥٢] فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة

....

الرسـول، وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسـوله ليحكم بينهم سـمعوا وأطاعوا، فبين أن هذا من لوازم الإيمان، انتهى [من الصارم المسلول].

وفيـه: بيـان أن الإنسـان قد يكفـر بكلمة يتكلم بهـا أو عمل يعمـل به[١]. وأشـدها خطـرًا إرادات القلـوب. فهي كالبحـر الذي لا سـاحل له. ويفيد الخوف من النفـاق الأكـبر. فإن الله تعالى أثبت لهؤلاء إيمانًا قبـل أن يقولوا ما قالوه، كما قال ابن أبي مليكة: «أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه»[٢]. نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

---

(١) ومن هذا الباب الاستهزاء بالعلم وأهله؛ وعدم احترامهم لأجله.

(٢) أخرجه البخاري (١/١٠٩) تعليقًا، ووصله في «التاريخ الكبير» (٥/١٣٧).

فيه مسائلٌ:

الأولى- وهيَ العظيمةُ: أنَّ مَن هزَلَ بهذا فهوَ كافرٌ.

الثانية- أنَّ هذا هو تفسيرُ الآيةِ فيمَن فعلَ ذلكَ كائنًا مَن كانَ.

الثالثة- الفرقُ بينَ النميمةِ والنصيحةِ لله ولرسولِهِ.

الرابعة- الفرقُ بينَ العفوِ الذي يحبُّه اللهُ وبينَ الغلظةِ على أعداءِ الله.

الخامسة- أنَّ مِن الأعذارِ ما لا يَنبغِي أنْ يُقبلَ.

باب

ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ﴾ [فصلت :٥٠].

قالَ مجاهدُ: [هذا] بعملِي وأنا محقوقٌ بهِ. وقالَ ابنُ عباسٍ: يريدُ مِن عندِي.

باب قول الله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ﴾ الآية

قوله: باب

قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ﴾ [فصلت :٥٠] الآية.

ذكر المصنف رحمه الله تعالى عن ابن عباس وغيره من المفسرين في معنى هذه الآية وما بعدها ما يكفي في المعنى ويشفي.

قوله: قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد من عندي. وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِيَ﴾ قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب: وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وليس فيما ذكروه اختلاف وإنما هي افراد المعنى.

قال العماد ابن كثير رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ [الزمر :٤٩] يخبر أن الإنسان في حالة الضر يضرع إلى الله تعالى وينيب إليه ويدعوه، ثم إذا خوله نعمة منه طغى وبغى و﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ أي لما يعلم الله من استحقاق له، ولولا أني عند الله حظيظ لما خولني هذا.

وقولُه: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القَصَص: ٧٨].

قالَ قتادةُ: على علمٍ مِنِّي بوجوهِ المَكاسبِ.

وقال آخرونَ: على علمٍ مِن اللهِ أني لهُ أهلٌ. وهذا معنَى قولِ مجاهدٍ: أوتيتهُ على شرفٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ ﴾ أي ليس الأمر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصى؟ مع علمنا المتقدم بذلك «فهي فتنة» أي إختبار ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فلهذا يقولون ما يقولون، ويدعون ما يدعون: ﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الأمم ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ أي فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم، وما كانوا يكسبون. كما قَالَ تَعَالَىٰ مخبرًا عن قارون: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القَصَص: ٧٦-٧٨] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سَبَإ: ٣٥] اهـ.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنهُ سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد [ق/ ٢٦/ أ] قذرني الناس به، قال: فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنا قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو البقر شك إسحاق فأعطى ناقة عشراء وقال: بارك الله لك فيها قال: فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرًا حسنًا فقال: أي المال

حديث ابرص وأقرع وأعمى

قوله: وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن ثلاثة..**» الحديث[1].

قوله: (أخرجاه) أي البخاري ومسلم. والناقة العشراء بضم العين وفتح الشين وبالمد هي الحامل.

قوله: (أُنتج) وفي رواية (فنتج) معناه تولي نتاجها، والناتج للناقة كالقابلة للمرأة.

قوله: (ولّد هذا) هو بتشديد اللام، أي تولى ولادتها، وهو بمعنى (أنتج) في الناقة، فالمولد والناتج والقابلة بمعنى واحد، لكن هذا للحيوان، وذلك لغيره.

وقوله: (انقطعت بي الحبال) هو بالحاء المهملة والباء الموحدة: هي الأسباب.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٤٦٤] ومسلم [٢٩٦٤].

أحب إليك؟ قال: البقر أو الإبل فأعطى بقرة حاملًا قال: بارك الله لك فيها، فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إلك؟ قال: الغنم فأعطى شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم قال: ثم إنه أتي الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك أسالك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به في سفري فقال: الحقوق كثيرة، فقال: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله عز وجل المال فقال: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت وأتى الأقرع في صورته فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد عليه هذا فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت قال: وأتي الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليه بصرك شاة أتبلغ [ق/ ٢٧/ ب] بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلى بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله

لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال: أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» أخرجاه.

قوله: (لا أجهدك) معناه: لا أشق عليك في رد شيء تأخذ، أو تطلب من مالي ذكره النووي.

وهذا حديث عظيم، وفيه معتبر: فإن الأولين جحدا نعمة الله، فما أقرا لله بنعمة، ولا نسبا النعمة إلى المنعم بها، ولا أديا حق الله فيها، فحل عليهما السخط. وأما الأعمى فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى من أنعم عليه بها، وأدى حق الله فيها، فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكر إلا بها. وهي الإقرار بالنعمة ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يجب.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له، والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلًا بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف بها لم يشكرها أيضًا، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم عليه بها فقد كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم بها، وأقر بها ولم يجحدها، ولكن لم يخضع له ولم يحبه ويرض به وعنه، لم يشكره أيضًا، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها، وخضع للمنعم بها، وأحبه ورضي به وعنه واستعملها في محابه وطاعته، فهذا هو الشاكر لها، فلا بد في الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له[1].

قوله: قذرني الناس بكراهة رؤيته وقربه منهم.

(١) «مدارج السالكين» (٢/١٣٥-١٤٤).

فيه مسائلّ:

الأولى- تفسيرُ الآيةِ.

الثانية- ما معنَى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾.

الثالثة- ما معنَى قوله: ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾.

الرابعة- ما في هذهِ [القصةِ العجيبةِ مِن العِبَرِ العظيمةِ].

باب
قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠].

باب قول الله «فلما آتاهما صالحا» الآية

قول الله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

قال الإمام أحمد رحمه الله في معنى هذه الآية: حَدَّثنا عبد الصَّمد حَدَّثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سَمُرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش. وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره»**[(١)] وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به. ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه. ورواه الحاكم في «مستدركه» من حديث عبد الصمد مرفوعًا، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في «تفسيره» عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعًا[(٢)].

---

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد [٢٠١١٧] والترمذي [٣٠٧٧] والطبري (٩/١٤٦) والطبراني [٦٨٩٥] والحاكم (٢/٥٤٥) من طريق عمر بن إبراهيم بهذا الإسناد.

وإسناده ضعيف، لضعف عمر بن إبراهيم في روايته عن قتادة، والانقطاع الذي بين الحسن وسمرة على الخلاف المشهور بينهما.

(٢) قال الحافظ ابن كثير: والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج

وقال ابن جرير: حَدَّثنا ابن وكيع، حَدَّثنا سُهيل بن يوسف عن عمرو عن الحسن «جعلا له شركاء فيما آتاهما» قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن آدم[1].

وحدثنا بشر بن معاذ قال: حدثني يزيد، حدثنا سعيد عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا فهودوا ونصروا وهذا إسناد صحيح عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ[2].

قال العماد ابن كثير في «تفسيره»، وأما الآثار: فقال: محمد بن إسحاق عن داود ابن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أولادًا فتعبدهم لله وتسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس فقال: أما إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه به لعاش، فولدت له رجلًا فسماه عبد الحارث، ففيه أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ الآية[3].

به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعًا. فالله أعلم.

الثاني: أنه قد روى من قول سمرة نفسه، وليس مرفوعًا. كما قال ابن جرير.

الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا. فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعًا لما دل عنه - ثم ساق ابن كثير الروايات عن الحسن، بمثل ما روى ابن جرير عنه ثم قال: هذه أسانيد صحيحة عن الحسن: أنه فسر الآية بذلك؛ وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية. ولو كان هذا الحديث عنده محفوظًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عدل عنه هو ولا غيره، ولاسيما مع تقواه وورعه. فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي؛ ويحتمل أنه تلقاه عن بعض أهل الكتاب من آمن منهم، مثل كعب أو وهب بن منبه أو غيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلا أننا برئنا من عهده المرفوع. والله أعلم اهـ

وقال الإمام أبو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل: وهذا الذي نسبوه إلى آدم من أنه سمى ابن عبد الحارث خرافة موضوعة مكذوبة من تأليف من لا دين له ولا حياء؛ لم يصح سندها قط وإنما نزلت الآية في المشركين على ظاهرها. اهـ

(١) أخرجه ابن جرير [١٥٥٣٧] وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير [١٥٥٣٩] وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن جرير [١٥٥٢٧] من طريق ابن إسحاق، به.

وقال العوفي عن ابن عباس: فأتاهما الشيطان فقال: هل تدريان ما يولد لكما؟ أم هل تدريان ما يكون، أبهيمة أم لا؟ وزين لهما الباطل، إنه لغوي مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويًا، ومات كما مات الأول. فسميا ولدهما عبد الحارث، فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[1].

وذكر مثله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس[2]. ورواه ابن أبي حاتم.

وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، ومن الطبقة الثانية: قتادة والسُّدِّي وجماعة من الخلف، ومن المفسرين والمتأخرين جماعات لا يحصون كثرة. قال العماد ابن كثير: وكأن أصله والله أعلم مأخوذ من أهل الكتاب[3].

قلت: وهذا بعيد جدًا.

وإسناده ضعيف، ابن إسحاق لم يصرح بالتحديث، وداود ضعيف الرواية في عكرمة.

(١) ابن جرير [١٥٥٢٨] وهو مسلسل بالضعفاء.

(٢) ابن جرير [١٥٥٣٤] بسند ضعيف.

(٣) قال ابن كثير: وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم أنها من آثار أهل الكتاب، أما نحن فعلى مذهب الحسن البصري في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المشركون من ذريته؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

فائدة: قال شيخنا العلامة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ - أطال الله حياته لنفع المسلمين - قوله تعالى في آخر الآية: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ فليس المراد به آدم وحواء، لأن الكلام قد تم قبله وهذا ابتداء كلام مستأنف، وإنما المراد به المشركون؛ وما ساقه الشارح: في قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ هو القول المعتمد الذي يدل على ظاهر القرآن اهـ

قالَ ابنُ حزمٍ: اتفقوا على تحريمِ كلِّ اسمٍ مُعبَّد لغيرِ الله؛ كعبدِ عُمرَ، وعبدِ الكعبةِ، وما أشبَه ذلكَ،

قوله: (قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشى عبد المطلب)(١).

ابن حزم: هو عالم الأندلس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري. صاحب التصانيف، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة. وله اثنتان وسبعون سنة.

وعبد المطلب هذا هو جد رسول الله ﷺ. وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وما فوق عدنان مختلف فيه. ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

حكى رحمه الله اتفاق العلماء على تحريم كل ما عُبِّد لغير الله، لأنه شرك في الربوبية والإلهية. لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له، استعبدهم لعبادته وحده، وتوحيده في ربوبيته وإلهيته، فمنهم من عبد الله ووحده في ربوبيته وإلهيته، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته، وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد، كما قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ [مريم:٩٣] فهذه هي العبودية العامة.

وأما العبودية الخاصة فإنها تخص بأهل الإخلاص والطاعة، كما قال تعالى: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ ﴾ ونحوها.

---

(١) مراتب الإجماع (ص:١٥٤).

حاشا عبدِ المطلب.

قوله: (حاشا عبد المطلب) هذا استثناء من العموم المستفاد من كل وذلك أن تسميته بهذا الإسم لا محذور فيها، لأن أصله من عبودية الرق، وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة، وكان ابن أخيه «شيبة» هذا قد نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج، لأن هاشمًا تزوج فيهم امرأة، فجاءت منه بهذا الابن، فلما شب في أخواله، وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب إلى مكة بلد أبيه وعشيرته[1] فقدم به مكة وهو رديفه، فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر، فحسبوه عبدًا للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب، فعلق به هذا الإسم وركبه، فصار لا يذكر ولا يدعى إلا به[2]، فلم يبق للأصل معنى مقصود. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«أنا ابن عبد المطلب»**[3] وقد صار معظمًا في قريش والعرب، فهو سيد قريش وأشرفهم في جاهليته، وهو الذي حفر زمزم وصارت له السقاية وفي ذريته من بعده. وعبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد بني عبد المطلب، وتوفي في حياة أبيه.

قال الحافظ صلاح الدين العلائي في كتاب «الدرة السنية في مولد خير البرية»: كان سن أبيه عبد الله حين حملت منه آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثمانية عشر

---

(١) وكانت أمه سلمى قد شرط أبوها عمرو بن زيد الخزرجي النجاري على هاشم أن تلد عنده بالمدينة. فولدت له شيبة. ومات هاشم في الشام فبقي شيبة بالمدينة عند أخواله بني عدي بن النجار سبع سنين حتى ذهب عمه المطلب إليه وأحضره إلى مكة.

(٢) واسمه العلم: شيبة الحمد.

(٣) روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب - وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله يوم حنين؟ فقال: «لكن رسول الله لم يفر. كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا؛ فأكببنا على الغنائم فاستقبلتنا بالسهام. ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأن أبا سفيان آخذ بزمامها يقول: «أن النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب. اللهم نزل نصرك» وكنا إذا حمي البأس اتقينا برسول الله. وإن الشجاع الذي يُحاذى به» قلت: أخرجه البخاري [٢٧٦٤] ومسلم [١٧٧٦]. (حلمي).

عامًـا، ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمرًا لأهله فمات بها عند أخواله بني عدي بن النجار، والنبي ﷺ حمل على الصحيح. انتهى.

قلت: وصار النبي ﷺ لما أوضعته أمه في كفالة جده عبد المطلب.

قال الحافظ الذهبي: وتوفي أبوه عبد الله وللنبي ثمانية وعشرون شهرًا، وقيل أقل من ذلك، وقيل: وهو حمل. توفي بالمدينة، وكان قد قدمها ليمتار تمرًا، وقيل: بل مر بها راجعًا من الشام، وعاش خمسة وعشرين سنة.

قـال الواقدي: وذلك أثبت الأقاويل في سـنه ووفاته. وتوفيـت أمه آمنة بالأبواء وهي راجعة به ﷺ إلى مكة من زيارة أخوال أبيه بني عدي بن النجار، وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم، وقيل: ابن أربع سنين. فلما ماتت أمه حملته أم أيمن مولاتـه إلى جده، فكان في كفالته إلى أن توفي جده، وللنبي ﷺ ثمان سـنين فأوصى به إلى عمه أبو طالب اهـ[1].

(١) كذا هذا حققته في «السيرة» لابن هشام وهي مطبوعة بمعرفة دار العقيدة.

وعنِ ابنِ عباسٍ [رضي الله عنه] في الآيةِ قالَ: « ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ آدم ﴿حَمَلَتْ﴾ فأتاهُما إبليسُ لعنه الله فقال: إني صاحبُكُما الذي أخرجتُكُما مِن الجنةِ لَتُطيعانِّي أو لأجعلنَّ لهُ قرني أَيِلٍ، فيخرجُ مِن بطنكَ فيشقهِ، ولأفعلنَّ، فعلن يُخوفهما فسَمِّياهُ عبدَ الحارثِ، فأبيا أنْ يطيعاهُ، فخرجَ ميتًا، ثم حملت الثانية، فأتاهما فقالَ مثلَ قولِهِ، فأبيا أن يطيعاه، فخرجَ ميتًا، ثم حملت الثالثة، فأتاهما فذكر لهما، فأدركهُما حُبُّ الولدِ؛ فسمَّياهُ عبدَ الحارثِ، فذلك قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف:١٩٠]» . رواه ابن أبي حاتم بسند ضعيف - كما سبق.

وله بسندٍ صحيحٍ عن قتادةَ قال: شركاءُ في طاعتِهِ، ولم يَكُونا في عبادتهِ.

ولهُ بسندٍ صحيحٍ عن مجاهدٍ في قولِهِ: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ [الأعراف:١٨٩].

قال: أشْفَقا ألا يَكونَ إنسانًا، وذُكرَ معناهُ عن الحسنِ وسعيدٍ وغيرِهما.

قوله: (وعن ابن عباس رضي الله عنه في الآية) قد قدمنا نظيره عن ابن عباس في المعنى.

قوله: وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته **قال شيخنا** رحمه الله: إن هذا الشرك في مجرد تسمية، لم يقصدا حقيقته التي يريدها إبليس، وهو محمل حسن يبين أن ما وقع من الأبوين من تسميتهما ابنهما عبد الحارث إنما هو مجرد تسمية لم يقصدا تعبيده لغير الله وهذا معنى قول قتادة: شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته. اهـ

فيهِ مسائلُ:

الأولى- تحريمُ كلِّ اسمٍ مُعبّدٍ لغيرِ اللهِ.

الثانية- تفسيرُ الآيةِ.

الثالثة- أنَّ هذا الشركَ في مجردِ تسميةٍ لم تُقصَد حقيقتُها.

[الرابعة]- أنَّ هبةَ اللهِ للرجلِ؛ البنتُ [السويةُ] مِن النِّعمِ.

الخامسة- ذكرُ السلفِ الفرقَ بينَ الشركِ في الطاعةِ، [ق/ 27/ أ] والشركِ في العبادَةِ.

باب

قولِ الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قوله: باب

قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠] الآية[(١)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**» أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان ابن عيينة. ورواه البخاري عن أبي اليمان عن أبي الزناد عن الأعرج عنه[(٢)]. وأخرجه الجوزجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بسنده مثله. وزاد بعد قوله: «يحب الوتر: هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارىء، المصور، القهار، الغفار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق،

---

(١) في قرة عيون الموحدين: أراد رحمه الله بهذه الترجمة الرد على من يتوسل بالأموات وأن المشروع هو التوسل بالأسماء الحسنى والصفات العليا، والأعمال الصالحة.

(٢) أخرجه البخاري [٦٤١٠] ومسلم [٢٦٧٧] والترمذي [٣٥٠٨] والحميدي [١١٣٠] والبيهقي في «الأسماء» (ص:٤) من طريق سفيان، به.

وأخرجه البخاري [٢٧٣٦] [٧٣٩٢] والطبراني في «الدعاء» [١١٠] والنسائي [٧٦٥٩] من طريق شعيب، به.

الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المعطي، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور». ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب(١). وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة، ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث.

الذي عَوَّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه. وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك. أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى عن جعفر بن محمد وسفيان وأبي زيد اللغوي والله أعلم.

هذا ما ذكره العماد ابن كثير في «تفسيره». ثم قال: ليعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في تسعة وتسعين. بدليل ما رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: **«ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك بن عبدك، بن أمتك، ناصيت بيدك. ماض في حكمك. عدل في قضاؤك. أسألك اللهم بكل اسم هو لك. سميت به نفسك. أو أنزلته في كتابك. أو علمته أحدًا**

(١) إسناده ضعيف.

أخرجه الترمذي [٣٥٠٧] وابن حبان [٨٠٨] والطبراني في «الدعاء» [١١١] والحاكم (١/١٦) والبيهقي (١٠/٢٧) وفي «الأسماء» (ص:٥) وفي «الشعب» [١٠٢] والبغوي [١٢٥٧] من طريق الوليد بن مسلم، به.

وإسناده ضعيف، وضعفه الألباني وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وجل علماء الحديث.

ذكرَ ابنُ أبي حاتمٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ يشركونَ.

من خلقك. أو استأثرت به في علم الغيب عنك. أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري. وجلاء حزني. وذهاب همي وغمي. إلا أذهب الله همه وحزنه. وأبدله مكانه فرحًا فقيل: يا رسول الله: ألا نتعلمها؟ فقال: بلى. ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها» وقد أخرجه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه(١).

معنى يلحدون في أسمائه:

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ قال: إلحاد الملحدين: أن دعوا اللات في أسماء الله(٢).

وقال ابن جريج عن مجاهد: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ قال: اشتقوا اللات من الله. واشتقوا العزى من العزيز(٣).

وقال قتادة: «يلحدون: يشركون»(٤) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس «الإلحاد التكذيب»(٥).

---

(١) حسن.
أخرجه أحمد [٣٧١٢] وابن أبي شيبة (١٠/٢٥٣) وأبو يعلى [٥٢٩٧] وابن حبان [٩٧٢] والشاشي [٢٨٢] والطبراني في «الكبير» [١٠٣٥٢] وفي «الدعاء» [١٠٣٥] والحاكم (١/٥٠٩) وابن السني في «عمل اليوم» [٣٤٢] وخرجته فيه مطولًا وهو حسن وانظر: «الصحيحة» [١٩٨].
(٢) أخرجه ابن جرير [١٥٤٦٤] بسند مسلسل بالضعفاء.
(٣) أخرجه ابن جرير [١٥٤٦٥] بسند ضعيف.
(٤) أخرجه ابن جرير [١٥٤٦٧] بسند صحيح.
(٥) أخرجه ابن جرير [١٥٤٦٦] بسند فيه انقطاع.

وعنهُ: سَمَّوا اللاتَ مِن الإلهِ [أ.هـ] والعُزَّى مِن العزيزِ.

وأصل الإلحـاد في كلام العرب: العدول عن القصد. والميل والجور والإنحراف. ومنه اللحد في القبر. لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالإشراك والتعطيل والنكران

وقال رحمـه الله تعالى: فالإلحاد إما بجحدها وإنكارهـا. وإما بجحد معانيها وتعطيلها وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات. وإما أن يجعلها أسماء لهذه المخلوقات كإلحاد أهل الاتحاد. فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها. حتى قال زعيمهم: هو المسـمى بمعنى كل اسـم ممدوح عقلًا وشرعًا وعرفًا. وبكل اسم مذموم عقلًا وشرعًا وعرفًا. تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا، انتهى.

قلـت: والذي عليه أهل السـنة والجماعـة قاطبة. متقدمهـم ومتأخرهم: إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسـه ووصفه بها رسـول الله ﷺ على ما يليق بجـلال الله وعظمتـه. إثباتـا بلا تمثيـل. وتنزيهًا بلا تعطيـل. كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] وأن الـكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ومثاله.

فكما أنه يجب العلم بأن الله ذاتًا حقيقة لا تشبه شيئًا من ذوات المخلوقين، فله صفات حقيقة لا تشبه شيئًا من صفات المخلوقين، فمن جحد شيئًا مما وصف الله به نفسـه أو وصفه به رسـوله، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه فهو جهمي قد اتبع غير سـبيل المؤمنـين. كمـا قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وعَن الأعمشِ: يُدخلونَ فيها ما ليسَ مِنها.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى أيضًا:

(فائدة جليلة)

ما يجري صفة أو خبرًا على الرب تبارك وتعالى أقسام:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات، كقولك: ذات وموجود.

الثاني: ما يرجع صفاته ونعوته، كالعليم والقدير، والسميع والبصير.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله. كالخالق والرزاق.

الرابع: التنزيه المحض. ولا بد من تضمنه ثبوتًا، إذا لا كمال في العدم المحض، كالقدوس والسلام.

الخامس: ولم يذكره أكثر الناس وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، بل دال على معان، نحو المجيد العظيم الصمد. فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة، من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا. فإنه موضوع للسعة والزيادة والكثرة، فمنه «استمجد المرخ والعفار»[1] وأمجد الناقة، علفها. ومنه (رب العرش المجيد) صفة العرش لسعته وعظمته وشرفه. وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترنًا بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمناه ﷺ لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء، وكثرته ودوامه. فأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه، كما تقول: اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، فهو راجع إلى التوسل إليه بأسمائه وصفاته. وهو من أقرب الوسائل وأحبها إليه. ومنه الحديث الذي في الترمذي: «ألظوا بياذا الجلال والإكرام»[2] ومنه: **«اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا**

---

(١) المرخ - شجر سريع الورى والاشتعال. والعفار- كسحاب - شجر يتخذ منه الزناد، والمراد: كثرت النار؛ ويضرب المثل للكثرة.

(٢) صحيح. أخرجه أحمد [١٧٥٩٦] والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/٢٨٠) والنسائي في «الكبرى» [٧٧١٦٠]

....

ـه إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام»[1] فهذا سؤال له وتوسل يـه بحمـده وأنه لا إله إلا هو المنان. فهو توسـل إليه بأسـمائه وصفاته. وما أحق ذلك الإجابة وأعظمه موقعًا عند المسؤول. وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر. وذلك قدر زائد لى مفرديهمـا نحو الغني الحميد، الغفور القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات لقترنة والأسـماء المزدوجة في القرآن. فإن الغني صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع غـني مـع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه من حمده، وثناء من اجتماعهما، وكذلك غفور القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنه أشرف المعارف.

[١١٥٦٣] والطبراني في «الكبير» [٤٥٩٤] وفي «الدعاء» [٩٢] والحاكم (٤٩٨/١) والقضاعي في «مسند الشهاب» [٦٩٣] والبيهقي في «الدعوات» [١٩٦] من حديث ربيعة بن عامر.

وله شاهد من حديث أنس.

أخرجه الترمذي [٣٥٢٤] [٣٥٢٥] والطبراني في «الدعاء» [٩٣] [٩٤] وخرجته مطولًا في «عمل اليوم» لابن السني.

(١) سبق تخريجه.

فيهِ مسائلُ:

الأولى- إثباتُ الأسماءِ.

الثانية- كونُها حُسنَى.

الثالثة- الأمرُ بدعائِه بها.

الرابعة- تركُ مَن عارضَ مِن الجاهلينَ المَلحدينَ.

الخامسة- تفسيرُ الإلحادِ فيها.

السادسة- وعيدُ مَن ألحَدَ.

بابُ

لا يُقال السلامُ على الله

في الصحيحِ عَن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: كُنا إذا كُنا مَعَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الصَّلاةِ، قُلنَا: السَّلامُ على الله مِن عبادِهِ، السَّلامُ على جبريل وميكائيل، فقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لا تقولوا: السَّلامُ على الله»

باب: لا يقال السلام على الله

قوله: (باب لا يقال، السلام على الله)

قوله: (في الصحيح عن ابن مسعود إلخ) هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث شَقيق بن سَلَمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كنا إذا جلسنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا: السلام على الله قبل عباده، السلام على فلان وفلان»[1] الحديث. وفي آخره ذكر التشهد الآخير. رواه الترمذي من حديث الأسود بن يزيد عن ابن مسعود. وذكر في الحديث سبب النهي عن ذلك بقوله: «**فإن الله هو السلام ومنه السلام**» وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة المكتوبة يستغفر ثلاثًا ويقول: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»[2]. وفي الحديث: «**إن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى**»[3] وفي التنزيل ما يدل على أن الرب تبارك وتعالى يسلم عليهم في الجنة. كما قال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾ [يس:٥٨].

(١) أخرجه البخاري [٨٣١] [٨٣٥] [١٢٠٢] [٦٢٣٠] ومسلم [٤٠٢] وأبو داود والترمذي [١١٠٥] والنسائي (٢/٢٣٨) وفي «الكبري» [١٢٠٢] وابن ماجه [٨٩٩] والداري (١/٣٠٨) وأحمد [٣٦٢٢] [٣٧٢٨] [٣٨٧٧] [٣٩١٩] [٣٩٢٠] [٣٩٢١] [٣٩٣٥] [٣٩٦٧] وابن الجارود [٣٠٥] وأبو يعلى [٨٠٥٢] والطبراني [٩٩١٠] [٩٩١١].

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٧٩) ومسلم [٥٩١] والترمذي [٣٠٠] وابن ماجه [٩٢٨].

(٣) حسن. أخرجه أحمد (٤/٣٨١) والبزار [١٤٦١] والطبراني (٢٠/٩٠) والحاكم (٤/١٧٢) عن معاذ بن جبل.

فإنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ».

ومعنى قوله: (إن الله هو السلام) إن الله سالم من كل نقص ومن كل تمثيل. فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص.

قال العلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد»: السلام اسم مصدر. وهو من ألفاظ الدعاء. يتضمن الإنشاء والإخبار، فجهة الخبر فيه لا تناقض الجهة الإنشائية. وهو معنى السلام المطلوب عند التحية. وفيه قولان مشهوران:

الأول: أن السلام هنا هو الله عز وجل. ومعنى الكلام: نزلت بركته عليكم ونحو ذلك. فاختير في هذا المعنى من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء.

الثاني: أن السلام مصدر بمعنى السلامة. وهو المطلوب المدعو به عند التحية ومن حجة أصحاب القول: أنه يأتي منكرًا، فيقول المسلم: سلام عليكم ولو كان اسمًا من أسماء الله لم يستعمل كذلك. ومن حجتهم: أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنى، وإنما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبرًا ودعاء.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وفصل الخطاب أن يقال: الحق في مجموع القولين. فكل منهما بعض الحق، والصواب في مجموعهما. وإنما يتبين ذلك بقاعدة. وهي: أن حق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يسأل في كل مطلوب ويتوسل بالاسم المقتضى لذلك المطلوب، المناسب لحصوله، حتى إن الداعي متشفع إلى الله تعالى متوسل به إليه. فإذا قال: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور. فقد سأله أمرين وتوسل إليه باسمين من أسمائه، مقتضيين لحصول مطلوبه. وقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه وقد سأله ما يدعو به «**قل: اللهم أني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر**

وله شاهد موقوف ذكره الحافظ في «الفتح» (١١/١٣).

الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[١] فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل، أتى في طلبها بصيغة اسم من أسماء الله تعالى وهو السلام الذي تطلب منه السلامة.

فتضمن لفظ السلام معنين: **أحدهما،** ذكر الله، **والثاني،** طلب السلامة. وهو مقصود المسلم. فقد تضمن سلام عليكم اسمًا من اسماء الله وطلب السلامة منه. فتأمل هذه الفائدة. وحقيقته: البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب. وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه، فمن ذاك قولهم: سلمك الله، ومنه دعاء المؤمنين على الصراط «رب سلم سلم»[٢] ومنه سلم الشئ لفلان، أي خلص له وحده. قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ [الزمر: ٢٩] أي خالصًا له وحده لا يملكه معه غيره. ومنه السلم ضد الحرب: لأن كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر، ولهذا بنى فيه على المفاعلة، فقيل: المسالمة مثل المشاركة. ومنه القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب. وحقيقته: الذي قد سلم لله وحده، فخلص من دغل الشرك وغله، ودغل الذنوب والمخالفات، فهو مستقيم على صدق حبه وحسن معاملته. وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذاب الله والفوز بكرامته. ومنه أخذ الإسلام، فإنه من هذه المادة، لأنه الاستسلام والانقياد لله، والتخلص من شوائب الشرك، فسلم لربه وخلص له، كالعبد الذي سلم لمولاه ليس له فيه شركاء متشاكسون. ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه وللمشرك به[٣].

---

(١) أخرجه البخاري [٨٣٤] ومسلم [٢٧٠٥].

(٢) حديث الصراط رواه جماعة من الصحابة خرجتها كلها في «الفتن» ورواه مسلم [١٩٥] وأحمد عن أبي هريرة.

(٣) بدائع الفوائد (٢/١٤٧-١٤٨).

فيهِ مسائلُ:

الأولى- تفسيرُ السلامِ.

الثانية- أنهُ تحيةٌ.

الثالثة- أنهُ لا يَصلحُ لله.

الرابعة- العلةُ في ذلكَ.

الخامسة- تعليمُهُم التحيةِ التي تصلُحُ لله.

بابُ

قولِ: «اللّهُمّ اغفِر لي إنْ شئتَ»

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ: «لا يَقل أحدُكُم: اللهُمَّ اغفِر لِي إنْ شِئتَ، اللهُمَّ ارحَمني إنْ شِئتَ؛ ليَعزِمِ المَسْألَةَ؛ فإنَّ اللهَ لا مُكرِهَ لَهُ».

قول: اللّهُمَّ اغفر لي إن شئت

قوله: باب

قول: اللّهُمَّ اغفر لي إن شئت

يعني أن ذلك لا يجوز لورود النهي عنه في حديث الباب.

قوله: (في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له»**[(١)] بخلاف العبد، فإنه قد يعطي السائل مسألته. لحاجته إليه، أو لخوفه أو رجائه، فيعطيه مسألته وهو كاره. فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول حاجته على مشيئة المسؤول، مخافة أن يعطيه وهو كاره، بخلاف رب العالمين، فإنه تعالى لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلهم فقير إليه، محتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين وعطاؤه كلام.

وفي الحديث: **«يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سخاء الليل والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه، وفي يده الأخرى القسط يخفضه**

---

(١) أخرجه البخاري [٦٣٣٩] ومسلم [٢٦٧٩].

ويرفعه»[1] يعطي تعالى لحكمة ويمنع لحكمة وهو الحكيم الخبير. فاللائق بمن سأل الله أن يعزم المسألة، فإنه لا يعطي عبده شيئًا عن كراهة ولا عن عظم مسألة. وقد قال بعض الشعراء فيمن يمدحه:

ويعظم في عين الصغير صغارها ... ويصغر في عين العظيم العظائم

وهذا بالنسبة إلى ما في نفوس أرباب الدنيا، وإلا فإن العبد يعطي تارة ويمنع أكثر، ويعطي كرهًا، والبخل عليه أغلب. وبالنسبة إلى حاله هذه فليس عطاؤه بعظيم، وأما ما يعطيه الله تعالى عباده فهو دائم مستمر، يجود بالنوال قبل السؤال من حين وضعت النطفة في الرحم. فنعمه على الجنين في بطن أمه دارة، يربيه أحسن تربية فإذا وضعته أمه عطف عليه والديه ورباه بنعمة حتى يبلغ أشده، يتقلب في نعم الله مدة حياته، فإن كانت حياته على الإيمان والتقوى ازدادت نعم الله تعالى عليه إذا توفاه أضعاف أضعاف ما كان عليه في الدنيا من النعم التي لا يقدر قدرها إلا الله، مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين. وكل ما يناله العبد في الدنيا من النعم وإن كان بعضها على يد مخلوق فهو بإذن الله وإرادته وإحسانه إلى عبده، فالله تعالى هو المحمود على النعم كلها، فهو الذي شاءها وقدرها وأجراها عن كرمه وجوده وفضله. فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن. قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣] وقد يمنع سبحانه عبده إذا سأله لحكمة وعلم بما يصلح عبده من العطاء والمنع، وقد يؤخر ما سأله عبده لوقته المقدر، أو ليعطيه أكثر. فتبارك الله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري [٤٣٥٢] [٦٨٤٤] [٧٤١١] [٧٤٩٦] ومسلم [٩٣٣] والترمذي [٣٠٤٥] وأبو يعلى [٦٢٦٠] وأحمد [٩٩٨٥] [١٠٥٠٠] عن أبي هريرة.

ولمسلم: «وليُعظِم الرغبَةَ؛ فإنَّ اللهَ لا يَتعاظمُهُ شيءٌ أعطاهُ».

وقوله: (ولمسلم: وليعظم الرغبة) أي في سؤاله ربه حاجته، فإنه يعطي العظائم كرمًا وجودًا وإحسانًا. فالله تعالى لا يتعاظمه شيء أعطاه، أي ليس شيء عنده بعظيم وإن عظم في نفس المخلوق. لأن سائل المخلوق لا يسأله إلا ما يهون عليه بذله بخلاف رب العالمين، فإن عطاءه كلام ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] فسبحان من لا يقدر الخلق قدره، لا إله غيره ولا رب سواه.

فيه مسائل:

الأولى- النهيُ عن الاستثناءِ في الدعاءِ.

الثانية- بيانُ [العلةِ] في ذلكَ.

الثالثة- قولهُ: «ليعزم المسألة».

الرابعة- إعظامُ الرغبةِ.

الخامسة- التعليلُ لهذا الأمرِ.

باب

لا يقَالُ: «عبدِي وأمَتِي»

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَقل أحدُكُم: أطعِم ربَّكَ، وَرَضِّي ربَّكَ، [ق/ ٢٧/ ب] وليَقل: سَيِّدِي، ومَولايَ ولا يَقل أحدكم: عَبدِي، وأمَتِي. وليَقل: فتايَ، وفتاتِي، وغُلامِي».

لا يقول: عبدي وأمتي

قوله: باب

(**لا يقول**، عبدي وأمتي)

ذكر الحديث الذي في الصحيح: (عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«لا يقولن أحدكم: أطعم ربك. وضيء ربك. وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي»**[١].

هذه الألفاظ المنهى عنها. وإن كانت تطلق لغة. فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها تحقيقًا للتوحيد وسدًا لذرائع الشرك لما فيها من التشريك في اللفظ. لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم. فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم. فينهى عنه لذلك. وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى. وإنما المعنى أن هذا مالك له. فيطلق عليه هذا اللفظ بهذا الإعتبار. فالنهي عنه حسمًا لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق. وتحقيقًا للتوحيد. وبعدًا عن الشرك حتى في اللفظ. وهذا أحسن مقاصد الشريعة. لما فيه من تعظيم الرب تعالى، وبعده عن مشابهة المخلوقين،

(١) أخرجه البخاري [٢٥٥٢] ومسلم [٢٢٤٩].

....

وكـذا قـوله: ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي لأن العبيـد عبيد الله. والإماء إماء الله. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣] فـفي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريـك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيمًا لله تعـالى وأدبًـا وبعدًا عـن الشرك وتحقيقًا للتوحيـد، وأرشـدهم إلى أن يقولوا: فتاي وفتـاتي وغلامي وهذا من باب حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد، فقد بلغ ﷺ أمته كل ما فيه لهم نفع، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين. فلا خير إلا دلهـم عليـه، خصوصًـا في تحقيق التوحيـد، ولا شر إلا حذرهم منـه، خصوصًا ما يقرب من الشرك لفظًا وإن لم يقصد به. وبالله التوفيق.

فيه مسائل:

الأولى- النهيُ عن قولِ: عبدِي وأمتِي.

الثانية- لا يَقُلِ العبدُ: ربِّي ولا يقالُ له: أطعِم ربَّك.

الثالثة- تعليمُ الأولِ قولِ: فتايَ وفتاتِي وغُلامِي.

الرابعة- [تعليم الثاني] قولِ: سَيدِي ومَولايَ.

الخامسة- التنبيهُ للمرادِ، وهوَ تحقيقُ التوحيدِ حتَّى في الألفاظِ.

بابُ

لا يُرَدّ مَن سألَ اللهِ

عن ابن عمر [رضي الله عنهما] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَن استعاذ بالله فأعِيذوهُ، ومَن سَألَ بالله فأعطوهُ،

لا يرد من سأل الله

قوله: باب

(لا يرد من سأل بالله)

ظاهر الحديث النهي عن رد السائل إذا سأل بالله. لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل بحسب ما ورد في الكتاب والسنة، فيجب إذا سأل السائل ما له فيه حق كبيت المال أن يجاب فيعطى منه على قدر حاجته وما يستحقه وجوبًا، وكذلك إذا سأل المحتاج من في ماله فضل فيجب أن يعطيه على حسب حاله ومسألته، خصوصًا إذا سأل من لا فضل عنده، فيستحب أن يعطيه على قدر حال المسؤول ما لا يضر به ولا يضر عائلته، وإن كان مضطرًا وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته.

ومقام الإنفاق من أشرف مقامات الدين، وتفاوت الناس فيه بحسب ما جبلوا عليه من الكرم وضدهما من البخل والشح. **فالأول**؛ محمود في الكتاب والسنة.

والثاني؛ مذموم فيهما. وقد حث الله تعالى عباده على الإنفاق لعظم نفعه وتعديه وكثرة ثوابه. قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم

....

مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧-٢٦٨] وقال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧] وذلك الإنفاق من خصال البر المذكورة في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية فذكره بعد ذكر أصول الإيمان وقبل ذكر الصلاة. ذلك والله أعلم لتعدي نفعه. وذكره تعالى في الأعمال التي أمر الله بها عباده. وتعبدهم بها ووعدهم عليها الأجر العظيم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على الصدقة حتى النساء. نصحًا للأمة وحثًا لهم على ما ينفعهم عاجلًا وآجلًا. وقد أثنى الله سبحانه على الأنصار رضي الله عنهم بالإيثار، فقال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩] والإيثار من أفضل خصال المؤمن كما تفيده هذه الآية الكريمة، وقد قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٨-٩].

والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة جدًا، ومن كان سعيه للآخرة رغب في هذا ورغب، بالله التوفيق.

ومَن دَعَاكُم فأجيبوهُ، ومَن صَنعَ إليكُم معروفًا فكافئوهُ، فإن لم تجدوا ما تُكَافِئوا بهِ؛ فادْعُوا له حَتى ترونَ أنكُم قد كَافأتمُوهُ» رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

قوله: (من دعاكم فأجيبوه) هذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض: إجابة دعوة المسلم، وتلك من أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين.

قوله: (ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه) ندبهم ﷺ على المكافأة على المعروف، فإن المكافأة على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله، كما دل عليه هذا الحديث ولا يهمل المكافأة على المعروف إلا اللئام من الناس، وبعض اللئام يكافئ على الإحسان بالإساءة، كما يقع كثيرًا من بعضهم. نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، بخلاف حال أهل التقوى والإيمان فإنهم يدفعون السيئة بالحسنة طاعة لله ومحبة لما يحبه لهم ويرضاه، كما قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨] وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥]. وهم الذين سبقت لهم من الله تعالى السعادة.

قوله: (فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له) أرشدهم ﷺ إلى أن الدعاء في حق من لم يجد المكافأة مكافأة للمعروف: فيدعو له على حسب معروفه.

قوله: (تُروا - بضم التاء - تظنوا أنكم قد كافأتموه) ويحتمل أنها مفتوحة بمعنى تعلموا. ويؤيده ما في سنن أبي داود من حديث ابن عمر: «حتى تعلموا»[1] فتعين الثاني

(١) صحيح. وهو عند أبي داود [٥١٠٩] وصححه الشيخ الألباني.

للتصريح به. وفيه: «من سألكم بالله فأجيبوه» أي إلى ما سأل. فيكون بمعنى: أعطوه.

وعند أبي داود في رواية أبي نهيك عن ابن عباس: «من سألكم بوجه الله فأعطوه» وفي رواية عبيد الله القواريري لهذا الحديث «ومن سألكم بالله»[1] كما في حديث ابن عمر.

(١) حسن. أخرجه أحمد [٢٢٤٨] وأبو داود [٥١٠٨] وأبو يعلى [٢٥٣٦] [٢٧٥٥] والخطيب في «تاريخه» (٢٥٨/٤).
وله شاهد من حديث ابن عمر.
أخرجه أحمد (٦٨/١٣-٩٩) وابن حبان (٨-٣٤).

فيهِ مسائلُ:

الأولى- إعاذةُ مَن استعاذَ باللهِ.

الثانية- إعطاءُ مَن سألَ باللهِ.

الثالثة- إجابةُ الدعوةِ.

الرابعة- المُكَافأةُ على الصنيعةِ.

الخامسة- أنَّ الدعاءَ مكافأةٌ لِمَن لم يَقدِر إلا عليهِ.

السادسة- قولهُ: «حتى ترونَ أنكُم قد كافأتموهُ».

باب

لا يُسأَلُ بوجهِ اللهِ إلا الجنةُ

عن جابر [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يُسْأَلُ بوَجهِ الله إلا الجَنة» رواه أبو داود.

لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

قوله: باب

(لا يسأل بوجه الله إلا الجنة)

ذكر فيه حديث جابر رواه أبو داود عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»**(١).

وهنا سؤال، وهو أنه قد ورد في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الطائف حين كذبه أهل الطائف ومن في الطائف من أهل مكة، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء المأثور: **«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يك بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي»** وفي آخره: **«أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة. أن يحل علي غضبك، أو ينزل بي سخطك. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله»**(٢). والحديث المروي في الأذكار: **«اللهم أنت أحق من ذكر وأحق من**

---

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود [١٦٧١] والبيهقي (١٩٩/٤) عن جابر، وضعفه الشيخ في «ضعيف أبي داود» [٣٦٨].

(٢) إسناده ضعيف.

عبد وفي آخره أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض»[(١)] وفي حديث آخر: «**أعوذ بوجه الله الكريم، وباسم الله العظيم وبكلماته التامة من شر السامة واللامة، ومن شر ما خلقت، أي رب، ومن شر هذا اليوم ومن شر ما بعده، ومن شر الدنيا والآخرة**»[(٢)]. وأمثال ذلك في الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان.

فالجواب: أن ما ورد من ذلك فهو في سؤال ما يقرب إلى الجنة أو ما يمنعه من الأعمال التي تمنعه من الجنة، فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة كما في الحديث الصحيح: «**اللهم إن أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل**»[(٣)] بخلاف ما يختص بالدنيا كسؤال المال والرزق والسعة في المعيشة رغبة في الدنيا، مع قطع النظر عن كونه أراد بذلك ما يعينه على عمل الآخرة. فلا ريب أن الحديث يدل على المنع من أن يسأل حوائج دنياه بوجه الله. وعلى هذا فلا تعارض بين الأحاديث. كما لا يخفى. والله أعلم.

أخرجه الطبراني في «الدعاء» [١٠٣٦] وابن عدي (٢/٢٤/٦) وخرجته مطولًا في «السيرة» وانظر: «فقه السيرة» [١٣١].

(١) ضعيف. أخرجه الطبراني في «الكبير» [٨٠٢٧] وفي «الدعاء» [٣١٨] من طريق هشام بن هشام الكوفي ثنا فضاله بن جبير عن أبي أمامه، به.

وإسناده ضعيف، فضالة يروي عن أبي أمامة ما ليس من حديثه، لا يحل الاحتجاج به، وهشام لعله مجهول.

وضعفه الهيثمي في «المجمع» (١٠/١١٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٩/٧٩) والبيهقي في «الأسماء» (ص:٢٩٣-٢٩٤) وإسناده صحيح موقوف، وليس مرفوعًا.

(٣) صحيح. أخرجه أحمد (٦/١٣٤) وابن أبي شيبة (١٠/٢٦٣) وابن ماجه [٣٨٤٦] والطحاوي [٦٠٢٥] [٦٠٢٦] [٦٠٢٧] عن عائشة.

....

وحديث الباب من جملة الأدلة المتواترة في الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى. فإنه صفة كمال: وسلبه غاية النقص والتشبيه بالناقصات. كسلبهم جميع الصفات أو بعضها. فوقعوا في أعظم مما فروا منه. تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا. وطريقة أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا. الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه ووصفه به رسوله ﷺ في سنته على ما يليق بجلال الله وعظمته، فيثبتون له ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ، وينفون عنه مشابهة المخلوق. فكما أن ذات الرب لا تشبه الذوات فصفاته كذلك لا تشبه الصفات، فمن نفاها فقد سلبه الكمال.

فيه مسائلُ:

الأولى-النهيُ عن أنْ يُسألَ بوجهِ اللهِ إلا [الجَنةُ] غايةُ المَطالبِ.

الثانية- إثباتُ [صفةِ الوجهِ].



بابُ

ما جاءَ في [اللو]

وقولِ الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤]،

ما جاء في اللو

قوله: باب

(ما جاء في اللو)

أي من الوعيد والنهي عنه عند الأمور المكروهة، كالمصائب إذا جرى بها القدر لما فيه من الإشعار بعد الصبر والأسى على ما فات، مما لا يمكن استدراكه، فالواجب التسليم للقدر، والقيام بالعبودية الواجبة وهو الصبر على ما أصاب العبد مما يكره. والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة.

وأدخل المصنف رحمه الله أداة التعريف على «لو» وهذه في هذا المقام لا تفيد تعريفًا كنظائرها، لأن المراد هذا اللفظ كما قال الشاعر:

رأيت الوليد بن اليزيد مباركًا   شديدًا بأعباء الخلافة كاهله

وقوله: وقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤].

قال بعض المنافقين يوم أحد، لخوفهم وجزعهم وخورهم.

قال بن إسحاق: فَحدَّثني يحي بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله ابن الزبير قال: قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد

الخوف علينا أرسل الله علينا النوم. فما منا رجل إلا ذقنه في صدره، قال: فو الله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا. فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ لقول معتب رواه ابن أبي حاتم[1].

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ أي هذا قدر مقدر من الله عز وجل وحكم حتم لازم لا محيد عنه ولا مناص منه.

---

(١) حسن الإسناد.

أخرجه ابن جرير [٨٠٩٣] وابن أبي حاتم [٤٣٧٣] من طريق سلمة عن ابن إسحاق، به.

وإسناده حسن، فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.

وأخرجه ابن جرير [٨٠٩٤] من طريق يحيي الأموي عن ابن إسحاق، به.

وقوله [تعالى]: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٦٨] الآية.

قال العماد ابن كثير: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ﴾ أي لو سمعوا مشورتنا عليهم بالقعود وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أي إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت، فينبغي لكم أن لا تموتوا، والموت لا بُدَّ آتٍ إليكم، ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين.

قال مجاهد عن جابر بن عبد الله: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه»[١] يعني أنه هو الذي قال ذلك.

وأخرج البيهقي عن أنس أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، فجعل يسقط سيفي وآخذه ويسقط وآخذه[٢]. قال: والطائفة الأخرى المنافقون ليس لها هم إلا أنفسهم، أجبن قوم، وأرعبه، وأخذله للحق ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ إنما هم أهل ريب وشك بالله عز وجل[٣].

قوله: قد أهمتهم أنفسهم يعني لا يغشاهم النعاس عن القلق والجزع والخوف: ﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾.

---

(١) أخرجه ابن جرير [٨٢٠٢] بسند ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري [٤٠٦٨] [٤٥٦٢] والترمذي [٣٠٠٨] والنسائي في «الكبرى» [١١١٩٨] والشاشي [١٠٥٨] [١٠٥٩] [١٠٦٠] وابن حبان [٧١٨٠] والطبري [٨٠٧٦] [٨٠٧٧] والطبراني [٤٧٠٧] وأحمد [١٦٣٥٧] والحاكم (٢/٢٩٧) والبيهقي في «الدلائل» (٣/٢٧٢).

(٣) أخرج هذه الزيادة ابن حبان [٧١٨٠] والبيهقي في «الدلائل» (٣/٢٧٢) وغيرهما.

ابن تيمية، كلامه على القدر

قال شيخ الإسلام رحمه الله: لما ذكر ما وقع من عبد الله بن أبي في غزوة أحد قال: فلما انخذل يوم أحد وقال: يدع رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان؟ أو كما قال... انخذل معه خلق كثير، كان كثير منهم لم ينافق قبل ذلك. فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان، هو الضوء الذي ضرب الله به المثل. فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق لماتوا على الإسلام، ولم يكونوا من المؤمنين حقًّا الذين امتحنوا فثبتوا على المحنة، ولا من المنافقين حقًّا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة. وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا بالمحنة التي يتضعضع فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرًا وينافق كثير منهم. ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبًا، وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة. وإذا كانت العافية، أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين، وهم مؤمنون بالرسل باطنًا وظاهرًا، لكنه إيمان لا يثبت على المحنة، ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم وهؤلاء من الذين قالوا: آمنا، فقيل لهم: ﴿لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقًّا، فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله تعالى، كما دل عليه الكتاب والسنة، فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب، انتهى[1].

قوله: وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا ما فيه عبرة.

قلت: ونحن كذلك رأينا من ذلك ما فيه عبرة عند غلبة العدو، من إعانتهم العدو على المسلمين، والطعن في الدين، وإظهار العداوة والشماتة، وبذل الجهد في إطفاء نور الإسلام، وذهاب أهله، وغير ذلك مما يطول ذكره. والله المستعان.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٢٨٠- ٢٨١).

في الصحيح عن أبي هريرة [رضي الله عنه] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «احرِص على ما يَنفعُكَ، واستعِن بالله، ولا تعجَز، وإنْ أصابَكَ شيءٌ فلا تقل:

قوله: في الصحيح أي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «احرص» الحديث.

اختصر المصنف رحمه الله هذا الحديث، وتمامه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك»**[1] أي في معاشك ومعادك. والمراد الحرص على فعل الأسباب التي تنفع العبد في دنياه وأخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة، ويكون العبد في حال فعله السبب مستعينًا بالله وحده دون كل ما سواه ليتم له سببه وينفعه. ويكون اعتماده على الله تعالى في ذلك، لأن الله تعالى هو الذي خلق السبب والمسبب، ولا ينفع سبب إلا إذا نفعه الله به، فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى. ففعل السبب سنة والتوكل على الله توحيد. فإذا جمع بينهما تم له مراده بإذن الله.

قوله: (ولا تعجزن) النون نون التأكيد الخفيفة. نهاه صلى الله عليه وسلم عن العجز وذمه، والعجز مذموم شرعًا وعقلًا، وفي الحديث: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»**[2] فأرشده صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إذا أصابه ما يكره أن لا يقول: **«لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا»** ولكن يقول: **«قدر الله وما شاء فعل»**، أي هذا قدر الله والواجب التسليم للقدر والرضى به، واحتساب الثواب عليه.

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٦٦) ومسلم [٢٦٦٤] وابن ماجه [٧٩].

(٢) ضعيف. أخرجه أحمد (٤/١٢٤) والترمذي [٢٤٥٩] وابن ماجه [٤٢٦٠] وابن المبارك في «الزهد» [١٧١] والطيالسي [١١١٢] والطبراني [٧١٤٣] والقضاعي [١٨٥] والحاكم (١/٥٧) وهو ضعيف.

لو أنِّي فعلتُ؛ كانَ كذا وكذا، ولكِن قل: قدَّرَ اللهُ ومَا شَاءَ فعَلَ، فإنَّ «لو تفتحُ عمَلَ الشيطانِ».

قوله: (فإن «لو» تفتح عمل الشيطان) أي ما فيه من التأسف على ما فات والتحسر ولوم القدر، وذلك ينافي الصبر والرضى، والصبر واجب، والإيمان بالقدر فرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»[١] وقال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعًا من القرآن[٢].

قال شيخ الإسلام رحمه الله وذكر حديث الباب بتمامه ثم قال في معناه: لا تعجز عن مأمور، ولا تجزع عن مقدور، ومن الناس من ... ع كلا الشرين، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالحرص على النافع والاستعانة بالله، والأمر يقتضي الوجوب، وإلا فالاستحباب، ونهى عن العجز وقال: «**إن الله يلوم على العجز**»[٣] والعاجز ضد الذين هم ينتصرون فالأمر بالصبر والنهي عن العجز مأمور به في مواضع كثيرة، وذلك لأن الإنسان بين أمرين: أمر أُمِرَ بفعله، فعليه أن يفعله ويحرص عليه ويستعين الله ولا يعجز، وأمر أصيب به من غير فعله. فعليه أن يصبر عليه ولا يجزع منه، ولهذا قال

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق عزوه إلى عدة الصابرين [٥٤].

(٣) إسناده ضعيف.

أخرجه أحمد (٦/٢٤) وأبو داود [٣٦٢٧] والنسائي كبرى [١٠٤٦٢] وضعفه الشيخ في «ضعيف أبي داود» [٧٨٢].

....

بعض العقلاء ابن المقفع أو غيره الأمور أمران: أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه، وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه. وهذا في جميع الأمور لكن عند المؤمن: الذي فيه حيلة هو ما أمره الله به، وأحبه له. فإن الله لم يأمره إلا بما فيه حيلة له، إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وقد أمره بكل خير له فيه حيلة. وما لا حيلة له فيه ما أصيب به من غير فعله. واسم الحسنات والسيئات يتناول قسمين: فالأفعال مثل قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام:١٦٠] ومثل قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا﴾ [الإسراء:٧] ومثل قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى:٤٠] ومثل قوله تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة:٨١] إلى آيات كثيرة من هذا الجنس والله أعلم[1].

والقسم الثاني: ما يجري على العبد بغير فعله من النعم والمصائب. كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النساء:٧٩] والآية قبلها فالحسنة في هاتين الآيتين: النعم، والسيئة: المصائب، هذا هو الثاني من القسمين.

وأظن شيخ الإسلام رحمه الله ذكره في هذا الموضع ولعل الناسخ أسقطه والله أعلم.

ثم قال رحمه الله: فإن الإنسان ليس مأمورًا أن ينظر إلى القدر عندما يؤمر به من الأفعال ولكن عندما يجري عليه المصائب التي لا حيلة له في دفعها، فما أصابك بفعل الآدميين أو بغير فعلهم فاصبر عليه وارض وسلم. قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن:١١] ولهذا قال آدم لموسى: «أتلومني على أمر

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/٣٢-٣٣).

....

قـدره الله على قبـل أن أخلق بأربعين سـنة؟» فحج آدم موسى لأن مـوسى قال له: «لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة»[1] فلامه على المصيبة التي حصلت بسبب فعله، لا لأجل كونها ذنبًا. وأما كونها لأجل الذنب كما يظنه طوائف من الناس فليس مرادًا بالحديث، فإن آدم عليه السلام كان قد تاب من الذنب. والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. ولا يجوز لوم التائب باتفاق الناس، انتهى.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: فتضمن هذا الحديث أصولًا عظيمة من أصول الإيمان. **أحدها**: أن الله سبحانه موصوف بالمحبة وأنه يحب حقيقة. **الثاني**: أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القوي ويحب المؤمن القوي، وهو وتر ويحب الوتـر، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين.

ومنها أن محبته للمؤمنين تتفاضل، فيحب بعضهم أكثر من بعض.

ومنها: أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسـع. فإذا صـادف ما ينتفع به الحريـص كان حرصه محمودًا وكمـاله كله في مجموع هذين الأمريـن: أن يكون حريصًا وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإن حرص على ما لا ينفعه أو فعل ما ينفعه من غير حرص فإنه من الكمال بقدر ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع.

ولما كان حرص الإنسـان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشـيئته وتوفيقه أمره أن يسـتعين بـالله ليجتمع له مقام: «إياك نعبد وإياك نسـتعين» فـإن حرصه على ما ينفعه

---

(١) أخرجه البخاري [٣٤٠٩] وفي مواضع كثيرة، ومسلم [٢٦٥٢] عن أبي هريرة، قلت: وهذا حديث متواتر عن أبي هريرة كما قال ابن كثير في أول كتاب «القصص».

....

عبادة لله تعالى. ولا يتم إلا بمعونته فأمره أن يعبده وأن يستعين به. فالحريص على ما ينفعه، المستعين بالله ضد العاجز، فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده ومصدرها منه ومردها إليه.

فإن فاته ما لم يقدر له فله حالتان: عجز. وهو مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى «لو» ولا فائدة من «لو» ههنا بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح، وأمره بالحالة الثانية. وهي النظر إلى القدر وملاحظته وأنه لو قدر له لم يفته ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبق له ها هنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجوب المقدور، وإن انتفت امتنع وجوده، ولهذا قال: «**فإن غلبك أمر فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل**» فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين: حال حصول المطلوب، وحالة فواته، فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدًا، بل هو أشد إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام بالعبودية ظاهرًا وباطنًا في حالتي المطلوب وعدمه، وبالله التوفيق(١).

(١) انظر: «زاد المعاد» (٢/٣٥٧- ٣٥٨).

فيه مسائلُ:

الأولى- تفسيرُ الآيتينِ في آلِ عِمرانَ.

الثانية- النهيُ الصريحُ عن [قولِ: لوِ]، إذا أصابكَ شيءٌ.

الثالثة- تعليلُ المسألةِ بأنَّ ذلكَ يفتحُ عملَ الشيطانِ.

الرابعة- الإرشادُ إلى الكلامِ الحَسنِ.

الخامسة- الأمرُ بالحرصِ على ما ينفعُ معَ الاستعانةِ باللهِ.

السادسة- النهيُ عَن ضدِّ ذلكَ وهوَ العجزُ.

بابُ

النهيّ عَن سَبِّ الرِّيح

عن أُبيِّ بنِ كعبٍ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسُبُّو الريحَ، فإذا رأيتُم ما تكرهونَ فقولوا: اللهُمَّ إنا نسألُكَ مِن خيرِ هذهِ الريحِ،

النهي عن سب الريح وما يقول عند هياج الريح

قوله: باب

(النهي عن سب الريح)

قوله: عن أبي بن كعب ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال: «لا تسـبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسـألك من خير هذه الريح وخير ما فيها، وخير مـا أمـرت به، ونعوذ بك مـن شر هذه الريح وشر ما فيها وشر مـا أمرت به»(١). صححه الترمذي.

لأنهـا أي الريـح إنما تهب عن إيجـاد الله تعالى وخلقه لها وأمـره. لأنه هو الذي أوجدها وأمرها، فمســبتها مســبة للفاعل، وهو الله ســبحانه. كما تقدم في النهي عن سب الدهر وهذا يشبهه، ولا يفعله إلا أهل الجهل بالله ودينه وبما شرعه لعباده، فنهى ﷺ أهـل الإيمـان عما يقوله أهل الجهل والجفاء وأرشـدهم إلى ما يجب أن

(١) صحيح. أخرجه أحمد (١٢٣/٥) والنسائي في «عمل اليوم» [٩٣٥] وفيه انقطاع، واختلف في رفعه ووقفه.

وله شاهد من حديث أبي هريرة.

أخرجه أحمد [٧٤١٣] وابن أبي شيبة (٢١٦/١٠) والبخاري في «الأدب المفرد» [٧٢٠] وابن ماجه [٣٧٢٧] والطبراني [٩٧٣] بسند حسن. وله شاهد من حديث عثمان بن أبي العاص.

عند الطبراني [٨٣٤٦] وآخر من حديث أنس عند البخاري في «الأدب» [٧١٧] وأبو يعلى [٢٩٠٥].

وخيرِ ما فيها، وخيرِ ما أُمِرَت بِهِ، ونعوذ بكَ مِن شرِّ هذهِ الريحِ، وشرِّ ما فيهَا، وشرِّ ما أُمِرَتْ بِهِ» صححه الترمذي.

يقال عند هبوب الرياح فقال: إذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: «**اللهم إنا نسألك من خير هـذه الريـح وخير ما فيها وخير ما أمرت به**» يعـني إذا رأيتم ما تكرهون من الريح إذا هبت فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد وقولوا «**اللهم إنا نسـألك من خير هذه الريح وخير مـا فيها، وخير مـا أمرت به. ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به**» ففي هذا عبودية لله وطاعة له ولرسوله، واستدفاع للمشرور به، وتعرض لفضله ونعمته وهذه حال أهل التوحيد والإيمان، خلافًا لحال أهل الفسـوق والعصيان الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان.

فيه مسائلُ:

الأولى- النهيُ عن سبِّ الريحِ.

الثانية- الإرشادُ إلى الكلامِ النافعِ إذا رأى الإنسانُ ما يَكرَهُ.

الثالثة- الإرشادُ إلى أنَها مأمورةٌ.

الرابعة- أنها قد تؤمَرُ بخيرٍ وقد تؤمَرُ بشرٍّ.

باب

قولِ الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]،

ما يقول عند هياج الريح

قول الله: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾

قوله: باب

قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية.

وهذه الآية ذكرها الله في سياق قوله تعالى في ذكر وقعة أحد ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ﴾ يعني أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله ﷺ وينجز له مأموله، ولهذا قال: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني لا يغشاهم النعاس من الجزع والقلق والخوف ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ كما قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢] وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله. وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة، عن ابن جريج قال: قيل لعبد الله بن أبي: قتل بنو الخزرج اليوم؟ قال: وهل لنا من الأمور من شيء؟.

قول العلامة ابن القيم رحمه الله: في ظن السوء بالله والذين يظنونه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على ما تضمنته وقعة أُحد[1]:
وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل وأنه يسلمه للقتل، وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره ولا حكمة له فيه. ففسر بإنكار الحكمة. وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسول الله ﷺ وأن يظهره على الدين كله.

وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح حيث يقول: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:٦]
وإنما كان هذا هو ظن السوء وظن الجاهلية وهو المنسوب إلى أهل الجهل وظن غير الحق، لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته المبرأة من كل عيب وسوء، وخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه، وبكلمته التي سبقت لرسله أنه ينصرهم ولا يخذلهم. ولجنده بأنهم هم الغالبون. فمن ظن به أنه لا ينصر رسله ولا يتم أمره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم ويظفرهم بأعدائهم ويظهرهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة، يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالًا لا يقوم بعده أبدًا. فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بجلاله وكماله وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به.

---

(١) زاد المعاد (٣/٢٢٨- ٢٣٦).

فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف أسماءه ولا عرف صفاته وكماله. وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضاءه وقدره. فما عرفه ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته. وكذلك من أنكر أن يكون قدر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها، وأن ذلك إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمته وغاية مطلوبة هي أحب إليه من فواتها. وأن تلك الأسباب المكروهة له المفضية إليها، لا يخرج تقديرها عن الحكمة، لإفضائها إلى ما يحب وإن كانت مكروهة له، فما قدرها سدى ولا شاءها عبثًا ولا خلقها باطلًا: ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [ص: ٢٧].

وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيره، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وعرف أسمائه وصفاته، وعرف موجب حكمته وحمده. فمن قنط من رحمته وأيس من روحه فقد ظن به ظن السوء. ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم ويسوى بينهم وبين أعدائه فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أن يترك خلقه سدى معطلين عن الأمر والنهي، لا يرسل إليهم رسله ولا ينزل عليهم كتبه بل يتركهم هملًا كالأنعام فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازى المحسن فيها بإحسانه والمسيء بإساءته، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصًا لوجهه على امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سبب من العبد، وأنه يعاقب بما لا صنع له فيه ولا اختيار له

ولا قدرة ولا إرادة له في حصوله، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله ويجريها على أيديهم ليضلوا بها عباده، وأنه يحسن منه كل شيء حتى تعذيب من أفنى عمره في طاعته فيخلده في الجحيم في أسفل السافلين، وينعم من استنفد عمره في عداوته وعداوة رسله ودينه فيرفعه إلى أعلى عليين، وكلا الأمرين في الحسن عنده سواء، ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق، وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحسن الآخر. فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحق لم يخبر به وإنما رمز إليه رموزًا بعيدة، وأشار إليه إشارة ملغزة ولم يصرح به وصرح دائمًا بالتشبيه والتمثيل والباطل، وأراد من خلقه أن يتعبوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة والتأويلات التي هي بالألغاز والأحاجي[1] أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه. بل أراد منهم ألا يحملوا كلامه على ما يعرفونه من خطابهم ولغتهم، مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به، ويريحهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان. فقد ظن به ظن السوء، فإنه إن قال: إنه غير قادر على التعبير عن الحق باللفظ الصريح الذي عبر

(١) يقال: كلمة محجية: مخالفة المعنى للفظ. وهي إما من معنى الناحية، وتقديرها أنها جاءت من غير حجاها، أو من معنى الفطنة وهي الأحجية والأحجوة. قال صاحب المثل السائر: وأما اللغز والأحجية فإنهما شيء واحد، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازًا. ولا يفهم منه غرضه. انتهى من هامش الأصل نقلًا عن سر الليال.

به هو وسلفه فقد ظن بقدرته العجز، وإن قال إنه قادر ولم يبين، وعدل عن البيان وعن التصريح بالحق إلى ما يوهم، بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد. فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء.

ومن ظن أنه هو وسلفه عبروا عن الحق بصريحه دون الله ورسوله. وأن الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم وأما كلام الله فإنما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضلال وظاهر كلام المتهوكين والحيارى هو الهدى والحق فهذا أسوأ الظن بالله.

فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء ومن الظانين بالله غير الحق ظن الجاهلية.

ومن ظن به أن يكون في ملكه ما لا يشاء ولا يقدر على إيجاده وتكوينه، فقد ظن بالله ظن السوء.

ومن ظن أنه كان معطلًا من الأزل إلى الأبد عن أن يفعل، ولا يوصف حينئذ بالقدرة على الفعل ثم صار قادرًا عليه بعد أن لم يكن قادرًا، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم الموجودات، ولا عدد السموات ولا النجوم، ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئًا من الموجودات في الأعيان، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا سمع له ولا بصر ولا علم ولا إرادة، ولا كلام يقوم به، وأنه لا يكلم أحدًا من الخلق ولا يتكلم أبدًا، ولا قال، ولا يقول، ولا له أمر ولا نهي يقوم به، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه ليس فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وأن نسبة ذاته إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل سافلين، وإلى الأمكنة التي يرغب عن ذكرها، وأنه أسفل كما أنه أعلى، وأنه من قال: سبحان ربي الأسفل كان كمن قال: سبحان ربي الأعلى. فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن أنه يحب الكفر والفسوق والعصيان، ويحب الفساد كما يحب الإيمان والبر والطاعة والإصلاح فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضى، ولا يغضب ولا يسخط، ولا يوالي ولا يعادي، ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرب منه أحد. وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه المفلحين. فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه يسوي بين المتضادين، أو يفرق بين المتساويين من كل وجه، أو يحبط طاعات العمر المديد الخالصة الصواب بكبيرة واحدة تكون بعدها، فيخلد فاعل تلك الطاعات في الجحيم أبد الآبدين بتلك الكبيرة، ويحبط بها جميع طاعاته ويخلده في العذاب كما يخلد من لم يؤمن به طرفة عين، واستنفذ ساعات عمره في مساخطة ومعاداة رسله ودينه، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أن له ولدًا أو شريكًا، أو أن أحدًا يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، وأنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوصلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم، فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومـن ظن به أنه ينال ما عنـده بمعصيته ومخالفته، كما ينـاله بطاعته والتقرب إليـه، فقـد ظن بـه خلاف حكمتـه وخـلاف موجب أسـمائه وصفاته وهـو من ظن السوء.

ومـن ظن به أنه إذا ترك شـيئًا مـن أجله لم يعوضه خيرًا منه، أو من فعل شـيئًا لأجله لم يعطه أفضل منه، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه يغضب على عبده ويعاقبه ويحرمه بغير جرم ولا سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة ومحض الإرادة فقد ظن به ظن السوء.

ومـن ظـن به أنـه إذا صدقه في الرغبة والرهبة وتضرع إليه وسـأله واسـتعان به وتوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سـأله، فقد ظن به ظن السـوء. وظن به خلاف ما هو أهله.

ومن ظن أنه يثيبه إذا عصاه كما يثيبه إذا أطاعه، وسأله ذلك في دعائه، فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده، وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله.

ومن ظن به أنه إذا أغضبه وأسخطه وأوضع في معاصيه ثم اتخذ من دونه أولياء ودعا مـن دونـه ملكًا أو بشرًا حيًا أو ميتًا يرجـو بذلك أن ينفعه عند ربه ويخلصه من عذابه، فقد ظن به ظن السوء.

فأكـثر الخلـق بل كلهم إلا من شـاء الله يظنون بالله غيره الحق ظن السـوء، فإن غالـب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ، وأنه يسـتحق فوق ما شـاءه الله وأعطاه. ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ومنعني ما أستحقه ونفسه تشهد عليه بذلك وهو بلسـانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به. ومن فتش نفسـه وتغلغل في معرفة طواياها رأى ذلك فيها كامنًا كمون النار في الزناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شرار

عما في زناده، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتًا وتعتبًا على القدر وملامة له واقتراحًا عليه خلاف ما جرى به، وإنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا. فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالك ناجيًا

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله ويستغفره في كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مادة كل سوء ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم. فهي أولى بظن السوء من أحكام الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين الغني الحميد، الذي له الغني التام، والحمد التام، والحكمة التامة، المنزه عن كل سوء في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، فذاته لها الكمال المطلق من كل وجه وصفاته كذلك وأفعاله كلها حكمة ومصلحة ورحمة وعدل، وأسماؤه كلها حسنى.

فلا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل
ولا تظنن بنفسك قط خيرًا فكيف بظالم جان جهول
وقل: يا نفس مأوى كل سوء أترجو الخير من ميت بخيل
وظن بنفسك السوأى تجدها كذاك وخيرها كالمستحيل
وما بك من تقي فيها وخير فتلك مواهب الرب الجليل
وليس لها ولا منها ولكن من الرحمن فاشكر للدليل[1]

قوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ قال ابن جرير في تفسيره ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ الظانين بالله أنه لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على

(١) زاد المعاد (٣/٢٢٨- ٢٣٦).

وقوله: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح: ٦].

كلمة الكافرين به. وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع. يقول تعالى ذكره: على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الذين ظنوا هذا الظن دائرة السوء. يعني دائرة العذاب تدور عليهم به. واختلف القراء في قراءة ذلك: فقرأته عامة قراء الكوفة ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ بفتح السين. وقرأ بعض قراء البصرة (دائرة السوءُ) بالضم. وكان الفراء يقول: الفتح أفشى في السين. وقل ما تقول العرب (دائرة السُوء) بضم السين.

وقوله: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾ يعني ونالهم الله بغضب منه ولعنهم. يقول: وأبعدهم فأقصاهم من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَ﴾ يقول: وأعد لهم جهنم يصلونها يوم القيامة ﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ يقول: وساءت جهنم منزلًا يصير إليه هؤلاء المنافقون والمنافقات والمشركون والمشركات.

وقال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ أي يتهمون الله في حكمه ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية. ولهذا قال تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِ﴾ وذكر في معنى الآية الأخرى نحوًا مما ذكره ابن جرير رحمهما الله تعالى:

قال ابن القيم في الآية الأولى: فُسّرَ هذا الظنُّ بأنهُ سبحانهُ لا يَنصُرُ رَسولَهُ، وأنَّ أمرَهُ سَيضمحلُّ، وفُسرَ بظنِّهم أنَّ ما أصابَهم لم يَكن بقدرِ الله وحكمتِه، فَفُسرَ بإنكارِ الحكمةِ، وإنكار القدرِ، وإنكارِ أنْ يُتَّم أمرَ رسولِه، وأنَّ [لا] يظهرَهُ اللهُ على الدينِ كلِّه. وهذا هو الظنُّ السوءُ الذي ظنهُ المنافقونَ والمشركونَ في سورةِ الفتحِ، وإنما كانَ [هذا] ظنَّ السوءِ؛ لأنه ظنٌّ غيرَ ما يليقُ بِهِ سبحانَه، وما يليقُ بحكمتِهِ وحمدِه ووعدِه الصادقِ، فمن ظنَّ أنه [يديلُ الباطلَ على الحقِّ إدالةً] مستقرةً يَضمحلُّ معها الحقُّ، أو أنكر أن يكونَ ما جَرى بقضائِهِ وقدرِهِ أو أنكرَ أنْ يكونَ [ق/ 28/ ب] قدرِهِ بحكمةٍ بالغةٍ يستحقُّ عليها الحمدَ، بل زعمَ أنَّ ذلكَ لمشيئةٍ مجردةٍ، فذلكَ ظنُّ الذين كفروا فويلٌ للذينَ كفروا مِن النارِ.

وأكثرُ الناسِ يظنونَ باللهِ ظنَّ السوءِ فيما يختصُّ بهِم وفيما يفعلُه بغيرِهِم، ولا يَسلمُ مِن ذلكَ إلا مَن عرفَ اللهَ وأسماءَه وصفاتِه وموجبَ حكمتِهِ وحمدِهِ.

فليعتنِ اللبيبُ الناصحُ لنفسِهِ بهذا، وليتُبْ إلى اللهِ ويستغفرهُ مِن ظنِّه بربهِ ظنَّ السوءِ، ولو فتشتَ مَن فتشتَ لرأيتَ عندَهُ تعنتًا على القدرِ ومَلامةً لهُ، وأنهُ كانَ ينبغِي أنْ يكونَ كذا وكذا، فمستقلٌّ ومستكثرٌ، وفتّش نفسَكَ: هل أنتَ سالمٌ؟ [أم لا؟]

فإنْ تنجُ [منها؛ تنجُ] مِن ذي عظيمةٍ ... وإلا فإنِّي لا إخالكَ ناجيًا

قوله: قال ابن القيم رحمه الله تعالى الذي ذكره المصنف في المتن قدمته لاندراجه في كلامه الذي سقته من أوله إلى آخره.

فيه مسائل:

الأولى- تفسيرُ آيةِ آلِ عمرانَ.

الثانية- تفسيرُ آيةِ الفتحِ.

الثالثة- الإخبارُ بأنَّ ذلك أنواعٌ لا تحصَرُ.

الرابعة- أنهُ لا يسلمُ مِن ذلكَ إلا مَن عرِفَ الأسماءَ والصفاتِ، وعرِفَ نفسَهُ.

بابُ

ما جاءَ في مُنكري القدَرِ

وقالَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: والذي نفسي بيده لو أنَّ لأحدهم مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله؛ ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم استدل بقول النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «الْإِيمَانِ أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» رواه مسلم.

ما جاء في منكري القدر

قوله: باب

(ما جاء في منكري القدر)

أي من الوعيد الشديد ونحو ذلك.

أخرج أبو داود عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم. وإن ماتوا فلا تشهدوهم»**[1][2].

وعن عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة وهو ابن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا**

---

(١) حسن. أخرجه أبو داود [٤٦٩١] والحاكم (٨٥/١) عن ابن عمر وله طرق وشواهد كثيرة حسن بها الشيخ رحمه الله الحديث في «صحيح الجامع» [٤٤٤٢] و«السنة» لابن أبي عاصم [٣٢٨] [٣٢٩].

(٢) قال في عون المعبود (جـ٤ ص٣٥٧) قال الخطابي: إنما جعلهم مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة. يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة. وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله، الشر إلى غيره. اهـ

قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال»[(١)].

قوله: (وقول ابن عمر: والذي نفسي بيده... إلخ) حديث ابن عمر أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحُميد بن عبد الرحمن الحِمْيري حَاجّين، أو معتمرين. فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؟ فوفق الله تعالى لنا عبد الله بن عمر داخلًا في المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرآون القرآن، ويتقفرون العلم[(٢)] يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء، وأنهم مني برآء. والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر. ثم قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود [٤٦٩٢] وأحمد (٥/٤٠٦) وابن أبي عاصم في «السنة» [٣٢٩] [٣٣٨] وضعفه الشيخ في «ضعيف أبي داود» [١٠١٠].

(٢) يتقفرون العلم: أي يطلبون العلم ويتتبعون، وقيل يجمعون وقيل: يتفقرون بتقديم الفاء: أي يبحثون عن أسراره ويستخرجون غوامضه، وقيل: يتقفون من قفوته إذا تبعته، ومنه سميت القافة لتتبعها الأثر قال تعالى ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَٰرِهِم﴾ [المائدة:٤٦] وكل صحيح متقارب المعنى.

وقيل: يتقعرون بالعين أي: يطلبون قعره اي: غامضه ومنه تقعر في كلامه إذا أتى بالغريب منه.

وقيل: يتفقهون بزيادة الهاء كما في رواية أبي يعلى.

انظر: «شرح مسلم» للأبي (١/٩٤-٩٥).

ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه. وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. قال رسول الله ﷺ: **«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا»**. قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»**، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: **«أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**. قال: فأخبرني عن الساعة، قال: **«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»**. قال: فأخبرني عن أماراتها قال: **«أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»**. قال فانطلق. فلبث ثلاثًا، وفي رواية مليًا، ثم قال: **«يا عمر أتدري من السائل؟»** قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **«فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»**[(١)].

ففي هذا الحديث أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك أصلًا من أصول الدين وجحده، فيشبه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥] الآية.

---

(١) أخرجه مسلم [٨] وأبو داود [٤٦٩٥] والترمذي [٢٦١٠] وأخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: «يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «[إن] أول ما خلق الله القلم»، فقال

قوله: (وعن عُبادة) قد تقدم ذكره في باب فضل التوحيد، وحديثه هذا رواه أبو داود ورواه الإمام أحمد بكماله قال حَدَّثنا الحسن بن سوار حَدَّثنا ليث عن معاوية عن أيوب بن زياد، حَدَّثني عُبادة بن الوليد بن عبادة ثنى أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني. قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة. يا بني، إن مت ولست على ذلك دخلت النار**»[(١)]. ورواه الترمذي بسنده المتصل إلى عطاء بن أبي رباح عن الوليد بن عبادة عن أبيه، وقال: حسن صحيح وغريب.

وفي هذا الحديث ونحوه: بيان شمول علم الله تعالى وإحاطته بما كان ويكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق:١٢].

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله لما سئل عن القدر قال: «القدر قدرة الرحمن» واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد رحمه الله.

(١) صحيح. أخرجه أحمد (٣١٧/٥) وأبو داود [٤٧٠٠] والترمذي [٢١٥٥] [٣٣١٩] والبيهقي (٢٠٤/١٠) وصححه الشيخ في «الصحيحة» [١٣٣] وهو في «صحيح الجامع» [٢٠١٦] [٢٠١٧] [٢٠١٨].

له: «اكتب»، فقال: «رب، وماذا أكتب؟» قال: «أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني» [ق/ ٢٩/ أ].

وفي روايةٍ لأحمدَ: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم، ثم قال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة».

وفي روايةٍ لابنِ وهبٍ قال رسول الله ﷺ: «فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره؛ أحرقه الله بالنار».

والمعنى: أنه لا يمنع عن قدرة الله شيء. ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى فضلوا سواء السبيل. وقد قال بعض السلف: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه كفروا.

وفي المسندِ والسننِ عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت: في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء؛ لعل الله يذهبه من قلبي، فقال: «لو أنفقتَ مثلَ أحدٍ ذهبًا؛ ما قبله الله منك حتى تؤمنَ بالقدَرِ، وتعلمَ أنَّ ما أصابَكَ

قوله: (وفي المسند وسنن أبي داود عن ابن الديلمي) وهو أبو بسر بالسين المهملة، وبالباء المضمومة. ويقال أبو بشر بالشين المعجمة وكسر الباء وبعضهم صحح الأول. واسمه عبد الله بن فيروز. ولفظ أبي داود قال: «**لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم. ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم. ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار**». قال: فأتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، قال: فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك وأخرجه ابن ماجه(١).

وقال العماد ابن كثير رحمه الله: عن سفيان عن منصور عن ربعي بن حراش عن رجل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره**»(٢) وكذا رواه الترمذي عن النضر بن شميل عن شعبة عن منصور به. ورواه من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة عن ربعي عن علي فذكره.

(١) إسناده جيد.

أخرجه أحمد (١٨٢/٥-١٨٣) وعبد بن حميد [٢٤٧] وأبو داود [٤٦٩٩] وابن ماجه [٧٧] وابن أبي عاصم في «السنة» [٢٤٥] وعبد الله بن أحمد «السنة» [٨٤٣] وابن حبان [٧٢٧] والآجري في «الشريعة» (ص:١٨٧) واللالكائي [١٠٩٢].

(٢) صحيح. أخرجه أحمد (٩٧/١) والترمذي [٢١٤٥] وابن ماجه [٨١] وابن أبي عاصم [١٣٠] [٨٨٧] والطيالسي [١٠٦] والبزار [٨٠٤] وأبو يعلى [٥٨٣] والحاكم (٣٣/١) والخطيب في «تاريخه» (٣٦٦/٣).

لم يَكُن ليُخطِئكَ، وما أخطأكَ لم يَكُن ليُصيبكَ، ولو مِتَّ على غيرِ هذا؛ لكنتَ مِن أهلِ النارِ» قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت؛ فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

وقد ثبت في «صحيح مسلم» من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة زاد ابن وهب: وكان عرشه على الماء»[1] رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

وكل هذه الأحاديث وما في معناها فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم. ومن مذهبهم: تخليد أهل المعاصي في النار. وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم المعاصي.

وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا. وهذا لازم لهم على مذهبهم هذا، وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر، وعدم تخليد أهل الكبائر من الوحدين في النار.

(١) أخرجه أحمد (٢/١٦٩) ومسلم [٢٦٥٣] والترمذي [٢١٥٦].

فيهِ مسائلُ:

الأولى- [بيانُ] فرضِ الإيمانِ بالقدرِ.

الثانية- بيانُ كيفيةِ الإيمانِ بهِ.

الثالثة- إحباطُ عملِ مَن لم يُؤمِن بهِ.

الرابعة- الإخبارُ بأنَّ أحدًا لا يَجد طعمَ الإيمانِ حتَّى يؤمنَ بهِ.

الخامسة- ذكرُ أولِ ما خلقَ اللهُ.

السادسة- أنهُ جرَى بالمقاديرِ في تلكَ الساعةِ إلى [يوم القيامة، أي:] قيامِ الساعةِ.

السابعة- براءتُه ﷺ ممَّن لم يُؤمن بهِ.

الثامنة- عادةُ السلفِ في إزالةِ الشبهةِ بسؤالِ العلماءِ.

التاسعة- أنَّ العلماءَ أجابوهُ بما يزيلُ الشبهةِ، وذلكَ أنهُم نسَبُوا الكلامَ إلى رسولِ الله ﷺ فقط.

بابُ

ما جاءَ في المُصَوِّرينَ

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قالَ اللهُ تعالى: ومَن أظلمُ ممَّن ذهبَ يخلقُ كخلقي، فليَخلقوا ذرة، أو ليَخلقوا حبة، أو ليَخلقوا شعيرة» أخرجاه.

ما جاء في المصورين

قوله: باب

(ما جاء في المصورين)

أي من عظيم عقوبة الله لهم وعذابه.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم العلة: وهي المضاهاة بخلق الله، لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧-٩] فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان وبهيمة صار مضاهئًا لخلق الله. فصار ما صوره عذابًا له يوم القيامة، وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ. فكان أشد الناس عذابًا، لأن ذنبه من أكبر الذنوب.

فإن كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان، فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه، وصرف له شيئًا من العبادة التي

ولهما عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: «أشدُّ الناسِ عذابًا يومَ القيامةِ: الذينَ يُضاهِونَ بخلقِ الله».

ولهما عن ابن [ق/ ٢٩/ ب] عباس ﵄ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلُّ مُصَورٍ في النارِ، يُجعلُ له بكلِّ صورةٍ صَورها نفسًا يُعَذبُ بهَا في جَهنَّمَ».

ولهما عنه مرفوعًا: « مَن صَوَّرَ صُورَة في الدُّنيا؛ كلفَ يومَ القيامةِ أنْ ينفخَ فيها الروحَ، وليسَ بنافِخ ».

ما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه. فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا يستحقه من خلقه، وجعله شريكًا له فيما اختص به تعالى وتقدس، وهو أعظم ذنب عصى الله تعالى به. ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي عنه، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى. فنجى الله تعالى رسله ومن أطاعهم. وأهلك من جهل التوحيد، واستمر على الشرك والتنديد، فما أعظمه من ذنب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ [الحج: ٣١].

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته».

بعث علي إلى اليمن لهدم القباب وطمس التماثيل والصور

قوله: (ولمسلم عن أبي الهياج الأسدي حيان بن حصين قال: قال لي علي رضي الله عنه) هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سَوِيَّته[1] [2].

فيه تصريح بأن النبي ﷺ بعث عليًا لذلك. أما الصور فلمضاهاتها لخلق الله. وأما تسوية القبور فلما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتعظيمها، وهو من ذرائع الشرك ووسائله. فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته. ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور، وعظمت الفتنة بأرباب القبور، وصارت محطًا لرحال العابدين المعظمين لها. فصرفوا لها جل العبادة: من الدعاء والاستعانة والاستغاثة، والتضرع لها، والذبح لها، والنذور، وغير ذلك من كل شرك محظور.

قول ابن القيم فيما ابتدعه الضالون من بدع القبور محادة الله ولرسوله

---

(١) أخرجه أحمد [٧٤١] [١٠٦٤] ومسلم [٩٦٩] وأبو داود [٣٢١٨] والنسائي (٨٨/٤) وأبو يعلى [٦١٤] والطيالسي [١٥٥].

(٢) في قرة العيون: فهذا ما صح عن النبي ﷺ من إنكار هذه الأمور وإزالتها ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ فأكثروا التصوير واستعملوها وأكثروا البناء على القبور وزخرفوها وجعلوها أوثانًا؛ وزعموه دينًا وهو أعظم المنكرات وأكبر السيئات، تعظيمًا للأموات وغلوًا، وعبادة لغير الله بأنواع العبادة التي هي حق الله على عباده.

....

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم. رأى أحدهما مضادًا للآخر، مناقضًا له بحيث لا يجتمعان أبدًا. فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها وإليها.

ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله. ونهى عن إيقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها. ونهى عن أن تتخذ عيدًا، وهؤلاء يتخذونها أعيادًا ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعاتهم للعيد أو أكثر. وامر بتسويتها، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي فذكر حديث الباب وحديث تمامة بن شفي وهو عند مسلم أيضًا قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم بدردس، فتوفى صاحب لنا، فأمر فضالة بقبره فسوى، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها»[1] وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها عن الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب. ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه. كما روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبر وأن يعقد عليه، وأن يبني عليه»[2] ونهى عن الكتابة عليها، كما روى أبو داود في سننه. عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نهى عن تجصيص القبور، وأن يكتب عليها»[3] قال الترمذي: حديث حسن صحيح. وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره، ونهى أن يزاد عليها غير ترابها. كما روى أبو داود عن جابر أيضًا أن

---

(١) رواه مسلم [٩٦٨].
(٢) سبق تخريجه.
(٣) أخرجه بهذه الزيادة الترمذي [١٠٢٥] والحاكم (٣٧٠/١) راجع أحكام الجنائز للألباني.

رسـول الله ﷺ نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه، أو يزاد عليه[(١)] وهؤلاء يزيدون عليه الآجر والجص والأحجار[(٢)]. قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون الآجر على قبورهم.

والمقصود: أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعيادًا، الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها. وهو من الكبائر. وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه.

قال أبو محمد المقدسي: ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله. ولأن فيه تضييعًا للمال في غير فائدة وإفراطًا في تعظيم القبور أشبه تعظيم بالأصنام. قال: ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر، ولأن النبي ﷺ قال: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر ما صنعوا**» متفق عليه[(٣)]. ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات باتخاذ صورهم، والتمسح بها والصلاة عندها. انتهى.

---

(١) أخرجه بهذه الزيادة أبو داود [٣٢٢٦] والنسائي (٧١/٤) وصححه الشيخ.

(٢) اختصر المؤلف كلام ابن القيم هنا وحذف منه ما يأتي:

«ونهى عمر بن عبد العزيز أن يبني القبر بآجر. وأوصى أن لا يفعل ذلك بقبره وأوصى الأسود بن يزيد أن لا تجعلوا على قبري آجرًا. وأوصى أبو هريرة حين حضرته الوفاة أن لا يضربوا على قبره فسطاطًا. وكره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاطًا» اهـ «إغاثة اللهفان» (جـ١ ص١٠٣).

(٣) سبق تخريجه.

....

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجًا. ووضعوا لها مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابًا وسماه مناسك حج المشاهد مضاهاة منه القبور بالبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام، فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده، من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه وقصدوه، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز عن حصره.

فمنها: تعظيمها الموقع في الافتتان بها. **ومنها:** اتخاذها أعيادًا. ومنها السفر إليها. **ومنها:** مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها وتعليق الستور عليها وسدانتها، وعبادها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لقيمها ليلة يطفىء القنديل المعلق عليها. **ومنها:** النذر لها ولسدنتها. **ومنها:** اعتقاد المشركين فيها أن بها يكشف البلاء وينصر على الأعداء، ويستنزل غيث السماء، وتفرج الكروب، وتقضي الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلى غير ذلك. ومنها: الدخول في لعنة الله ورسوله باتخاذ المساجد عليها وإيقاد السرج عليها. ومنها: الشرك الأكبر الذي يفعل عندها.

ومنها: إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم. فإنهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهية، كما أن المسيح عليه السلام يكره ما يفعله النصارى عند قبره، وكذلك غيره من الأنبياء والأولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم. ويوم القيامة يتبرأون منهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ

....

ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ [الفرقان: ١٧-١٨] قَالَ اللهُ تَعَالَى للمشركين: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾ وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦] الآية وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

ومنها(١): إماتة السنن وإحياء البدع.

ومنها تفضيلها على خير البقاع وأحبها إلى الله، فإن عباد القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب، والعكوف بالهمة على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريبًا منه.

ومنها(٢): أن الذي شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له. وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسنًا إلى نفسه وإلى الميت. فقلب هؤلاء المشركون الأمر وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه والدعاء به، وسؤالهم حوائجهم،

---

(١) اختصر المؤلف من كلام ابن القيم ما يأتي: ومنها مشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد والسرج عليها. ومنها محادة الله ورسوله؛ ومناقضة ما شرعه فيها. ومنها التعب العظيم مع الوزر الكبير والإثم العظيم.

(٢) زاد في الإغاثة: ومنها أن ذلك يتضمن عمارة المشاهد وخراب المساجد، ودين الله الذي بعث به رسوله بضد ذلك. ولهذا لما كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم والدين عمروا المشاهد وخربوا المساجد.

....

واستنزال البركة منه، ونصره لهم على الأعداء. ونحو ذلك. فصاروا مسيئين إلى أنفسهم وإلى الميت. وكان رسول الله ﷺ قد نهى الرجال عن زيادة القبور سدًا للذريعة فلما تمكن التوحيد في قلوبهم أذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه، ونهاهم أن يقولوا هجرًا، ومن أعظم الهجر: الشرك عندها قولًا وفعلًا.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «زوروا القبور، فإنها تذكر الموت»[1] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه فقال: «السلام عليكم يأهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن بالأثر» رواه أحمد والترمذي وحسنه[2] [3].

فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ لأمته، وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئًا مما يعتمده أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟ وما أحسن ما قال مالك بن أنس رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك.

ولقد جَرَّد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء استقبل القبلة، وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم

---

(١) أخرجه مسلم كما سبق.

(٢) ضعيف أخرجه الترمذي [١٠٥٣] والطبراني [١٢٦١٣] وضعفه الشيخ في «ضعيف الجامع» [٣٣٧١].

(٣) حذف المؤلف رحمه الله حديث ابن مسعود: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة» رواه ابن ماجه. وحديث أبي سعيد «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة» رواه الإمام أحمد.

دعا[1] ونص على ذلك الأئمة الأربعة: أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة. وفي الترمذي وغيره: «الدعاء هو العبادة»[2] فجرد السلف العبادة لله ولم يفعلوا عند القبور منها إلا ما أذن فيه رسول الله ﷺ، من الدعاء لأصحابها والإستغفار لهم والترحم عليهم. وأخرج أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»**[3] وإسناده جيد ورواته ثقات يشير. قوله: لا تجعلوا بيوتكم قبورًا أي لا تعطلوها عن الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فأمر بتحري النافلة في البيوت ونهى عن تحرير النافلة عند القبور، وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى وأشباههم.

ثم إن[4] في تعظيم القبور واتخاذها أعيادًا من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ما يغضب الله لأجله كل من في قلبه وقار الله وغيرة على التوحيد وتهجين وتقبيح للشرك، ولكن ما لجرح بميت إيلام.

فمن المفاسد: اتخاذها أعيادًا والصلاة إليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية، وقضاء الدين، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع

(١) قال ابن القيم: فقال سلمة بن وردان: «رأيت أنس بن مالك رضي الله عنه يسلم على النبي ﷺ ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو».

(٢) صحيح قد سبق.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) الذي في نسخ إغاثة اللهفان التي بأيدينا المخطوطة والمطبوعة أن قول المؤلف رحمه الله: «ثم إن في تعظيم القبور....» إلخ. فصل متقدم قبل ما نقله المؤلف هنا.

....

الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم. فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدًا، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت أصواتهم، بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأو أنهم قد أربوا في الربح على الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبديء ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين!! فتراهم حول القبر ركعًا سجدًا يبتغون فضلًا من الميت ورضوانًا، وقد ملأوا أكفهم خيبة وخسرانًا.

فلغير الله بل الشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويسأل من تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإغناء ذوي الفاقات، ومعافاة ذوي العاهات والبليات، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهًا له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركًا وهدى للعالمين. ثم أخذوا في التقبيل والاستلام. أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام. ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، التي يعلم الله أنه لم تعفر كذلك بين يديه في السجود، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقد قربوا لذلك الوثن القرابين وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنيء بعضهم بعضًا ويقول: أجزل الله لنا ولكم أجرًا وافرًا وحظًا، فإن رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول: لا ولا بحجك كل عام.

....

هـذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم، ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم، إذ هي فـوق مـا يخطر بالبال، ويدور في الخيال، وهذا مبدأ الأصنام في قوم نوح كما تقدم. وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور، سد الذريعة إلى هذا المحظـور. وأن صاحـب الشرع أعلـم بعاقبة ما نهى عنه وما يـؤول إليه، وأحكم في نهيـه عنـه وتوعده عليـه، وأن الخير والهـدى في اتباعه وطاعته، والـشر والضلال في معصيته ومخالفته. اهـ كلامه رحمه الله تعالى[1].

---

(١) اختصره المؤلف رحمه الله تعالى؛ وتصرف فيه بالتقديم والتأخير على حسب ما بيدنا من نسخ إغاثة اللهفان. والله يرحم الجميع ويغفر لنا ولهم.

فيهِ مسائلُ:

الأولى- التغليظُ الشديدُ في المُصورينَ.

الثانية- التنبيهُ على العلةِ، وهو تركُ الأدبِ معَ اللهِ لقولهِ: «ومَن أظلمُ ممَّن ذهبَ يخلقُ كخلقِي»؟.

الثالثة- التنبيهُ على قدرتهِ وعجزِهِم، [لقوله]: «فليخلُقوا ذرةً أو شعيرةً».

الرابعة- التصريحُ بأنهُم أشدُّ الناسِ عذابًا.

الخامسة- أنَّ اللهَ يخلقُ بعددِ كلِّ صورةٍ نفسًا يُعَذبُ بها [المصورُ] في جهنمَ.

السادسة- أنهُ يكلفُ أنْ ينفخَ فيها الروحَ [وليسَ بنافخٍ].

السابعة- الأمرُ بطمْسِها إذا وجِدتَ.

بابُ

ما جاءَ في كثرةِ الحلفِ

وقولِ الله تعالى: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩].

ما جاء في كثرة الحلف

قوله: باب

(ما جاء في كثرة الحلف)

أي: من النهي عنه والوعيد.

وقول الله تعالى: ﴿ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٨٩].

قال ابن جرير: لا تتركوها بغير تكفير. وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس يريد لا تحلفوا. وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا. والمصنف أراد من الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس، فإن القولين متلازمان، فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الاستخفاف، وعدم التعظيم لله، وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب**» أخرجاه[(١)].

أي البخاري ومسلم. وأخرجه أبو داود والنسائي. والمعنى: أنه إذا حلف على سلعته أنه أعطى فيها كذا وكذا، أو أنه اشتراها بكذا وكذا، وقد يظنه المشتري صادقًا فيما حلف عليه فيأخذها بزيادة على قيمتها، والبائع كذاب وحلف طمعًا في

---

(١) أخرجه البخاري [٢٠٨٧] ومسلم [١٦٠٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحَلِفُ: مَنفقة للسلعةِ، مَمْحَقة للكسْبِ» أخرجاه.

الزيادة، فيكون قد عصى الله تعالى، فيعاقب بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه، وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسًا. وما عند الله لا ينال إلا بطاعته وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب وعقاب.

وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

ثلاث لا يكلمهم الله

قوله: وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»** رواه الطبراني بسند صحيح(١).

وسلمان لعله سلمان الفارسي(٢) أبو عبد الله، أسلم مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وشهد الخندق، روى عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهما. قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«سلمان منا أهل البيت، إن الله يحب من أصحابي أربعة: عليًا، وأبا ذر، وسلمان، والمقداد»**(٣) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

قال الحسن: كان سلمان أميرًا على ثلاثين ألفًا يخطب بهم في عباءة يفترش نصفها ويلبس نصفها. توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. قال أبو عبيده سنة ست وثلاثين عن ثلاثمائة وخمسين سنة(٤). ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي.

---

(١) صحيح أخرجه الطبراني في «الكبير» [٦١١١] وفي الأوسط [٥٥٧٧] والصغير (٢/٢١) وصححه الألباني.

(٢) من الصحابة اسمهم سلمان نحو من أربعة فمنهم المختلف في صحبته ومنهم لم يرو إلا حديثًا واحدًا أو اثنين، والثالث لم يروا شيئًا، وأكثرهم شهرة وأكثرهم حديثًا هو سلمان وحيث أطلق عند المحدثين فهو الفارسي ولو كان غيره لعرّفه وما أطلقه أو أبهمه، والله أعلم.

(٣) ضعيف جدًا، أخرجه الطبراني [٦٠٤٠] والحاكم (٣/٥٩٨) عن عمرو بن عوف، وانظر: «ضعيف الجامع» [٣٢٧٢] وانظر: «الضعيفة» [٣٧٠٤].

(٤) هذا القول منسوب لابن يزيد البحراني، وقد قال الذهبي في «السيرة» (٣/٣٠٩) وقد فتشت فما ظفرت في نسبه بشيء سوى قول البحراني، وذلك منقطع لا إسناد له ثم قال: فلعله عاش بضعًا وسبعين سنة وما أراه بلغ المئة فمن كان عنده علم فليفدنا، وحكم على القصة التي حكت أنه عاش أكثر من ذلك بالنكارة.

«ثلاثة لا يُكلمهمُ اللهُ»

قوله: (ثلاثة لا يكلمهم الله)[1] نفي كلام الرب تعالى وتقدس عن هؤلاء العصاة دليل على أن يكلم من أطاعه. وأن الكلام صفة كماله. والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه. وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين قيام الأفعال بالله سبحانه، وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئًا فشيئًا ولم يزل متصفًا به. فهو حادث الآحاد قديم النوع، كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعي وأحمد وسائر الطوائف، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضًا. وذلك في القرآن كثير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإذا قالوا لنا يعني النفاة: فهذا يلزمه أن تكون الحوادث قائمة به. قلنا: ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل. ولفظ الحوادث مجمل، فقد يراد به الإعراض والنقائص، والله تعالى منزه عن ذلك ولكن يقوم به ما يشاء من كلامه وأفعاله ونحو ذلك: مما دل عليه الكتاب والسنة. والقول الصحيح: هو قول أهل العلم والحديث الذين يقولون: لم يزل الله متكلمًا إذا شاء، كما قال ابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما من أئمة السنة، اهـ[2].

قلت: ومعنى قيام الحوادث به تعالى: قدرته عليها وإيجاده لها بمشيئته وأمره. والله أعلم.

---

(١) في قرة العيون: هذا وعيد شديد في حقهم. لأنه قد تواتر أنه تعالى يكلم أهل الإيمان ويكلمونه في عرضات القيامة. والأدلة على ذلك في الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه. وفيه الرد على الجهمية والأشاعرة نفاة صفة الكلام.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٢/٥٨٠).

ولا يُزكيهم، ولهُم عذابٌ أليمٌ: أشيمط زان، وعائلٌ مستكبر، ورجلٌ جَعَلَ اللهَ بضاعتَهُ؛ لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح.

قوله: (ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم، فعوقبوا بهذه الثلاث التي هي أعظم العقوبات.

قوله: (أشيمط زان) صغره تحقيرًا له[1] وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه، فدل على أن الحامل له على الزنا: محبة المعصية والفجور، وعدم خوفه من الله. وضعف الداعي إلى المعصية مع فعلها يوجب تغليظ العقوبة عليه، بخلاف الشاب، فإن قوة داعي الشهوة منه قد تغلبه مع خوفه من الله، وقد يرجع على نفسه بالندم، ولومها على المعصية فينتهي ويراجع.

وكذا العائل المستكبر ليس له ما يدعوه إلى الكبر، لأن الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة. و«العائل» الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبيع له، كامن في قلبه، فعظمت عقوبته لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي.

قوله: ورجل جعل الله بضاعته بنصب الاسم الشريف، أي الحلف به، جعله بضاعته لملازمته له وغلبته عليه. وهذه أعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحدًا فتوحيده ضعيف وأعماله ضعيفة بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة على قلة الداعي إليها. نسأل الله السلامة والعافية، نعوذ بالله من كل عمل لا يحبه ربنا ولا يرضاه.

---

(١) تصغير أشمط؛ وهو الذي بشعره شمط أي شيب.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي: قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، قال عمران: «فلا أدري؛ أذكر بعد قرنيه قرنين أو ثلاثًا؟

قوله: وفي الصحيح أي صحيح مسلم. وأخرجه أبو داود والترمذي، ورواه البخاري بلفظ خيركم.

قوله: عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنيه مرتين أو ثلاثًا؟ ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن»[(١)].

قوله: (خير أمتي قرني) لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم والإيمان والأعمال الصالحة التي يتنافس فيها المتنافسون، ويتفاضل فيها العاملون، فغلب الخير فيها وكثر أهله، وقل الشر فيها وأهله واعتز فيها الإسلام والإيمان، وكثر فيها العلم والعلماء ثم الذين يلونهم فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم وكثرة الداعي إليه والراغب فيه والقائم به. وما ظهر فيه من البدع أنكر واستعظم وأذيل، كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت فأهلها في غاية الذل والمقت والهوان والقتل فيمن عاند منهم ولم يتب.

قوله: (فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا) هذا شَكٌّ من راوي الحديث عمران بن حصين رضي الله عنه. والمشهور في الروايات: أن القرون المفضلة ثلاثة، الثالث

---

(١) أخرجه البخاري [٢٦٥١] [٣٦٥٠] [٦٤٢٨] [٦٦٩٥] ومسلم [٢٥٣٥] وأبو داود [٤٦٥٧] والترمذي [٢٢٢٢] والطيالسي [٨٥٢] والطحاوي «مشكل» [٢٤٦٤] وفي «شرح الآثار» (١٥١/٤) والطبراني في «الكبير» (٥٢٧/١٨) [٥٢٨] [٥٢٩] وأحمد (٤٢٦/٤ و٤٤٠) وابن حبان [٦٧٢٩] وأبو نعيم (٢٥٩/٢) والبيهقي (١٦٠/١٠) والبغوي [٣٨٥٨].

ثمَ إنَّ بعدَكُم قومًا يَشهدُونَ ولا يُستشهدونَ، ويَخونونَ ولا يُؤتمنونَ [ق/ ٣٠/ أ]، ويَنذِرُونَ ولا يُوفونَ، ويَظهَرُ فيهمُ السِّمَنُ».

دون الأولين في الفضل، لكثرة البدع فيه، لكن العلماء متوافرون والإسلام فيه ظاهر والجهاد فيه قائم، ثم ذكر ما وقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين، وكثرة الأهواء.

فقال: (ثم إن بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون) لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم الصدق، وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم.

قوله: (ويخونون ولا يؤتمنون) يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم وينذرون ولا يوفون أي لا يؤدون ما وجب عليهم، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم.

قوله: (ويظهر فيهم السمن) لرغبتهم في الدنيا، ونيل شهواتهم والتنعم بها، وغفلتهم عن الدار الآخرة والعمل لها. وفي حديث أنس: «**لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**»[1] قال أنس: سمعته من نبيكم ﷺ، فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم حتى فيمن ينتسب إلى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف[2].

قلت: بل قد دعوا إلى الشرك والضلال والبدع، وصنفوا في ذلك نظمًا ونثرًا فنعوذ بالله من موجبات غضبه.

(١) أخرجه البخاري [٧٠٦٨] وأبو يعلى [٤٠٣٦] وأحمد [١٢١٦٢] والقضاعي [٩٠٣] وابن حبان [٥٩٥٢].
(٢) في قرة العيون: فحدث التفرق والاختلاف في الدين أو حدث الغلو في أهل البيت من بني بويه في المشرق لما كان لهم دولة وبنوا المساجد على القبور وغلوا في أربابها وظهرت دولة القرامطة وظهر فيهم الكفر والإلحاد في شرائع الدين ومذهبهم معروف وظهر فيهم من البدع ما يطول عده وكثر الاختلاف والخوض في أصول الدين، وما زال أهل السنة على الحق ولكن كثرت البدع والأهواء حتى عاد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير.

وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «خيرُ الناسِ: قرني، ثمَّ الذين يَلونهُم، ثمَّ الذين يَلونهُم، ثمَّ يَجيءُ قومٌ تسبقُ شهادةُ أحدِهِم يمينَهُ، ويمينُهُ شهادَتَه».

وقال إبراهيم: كانوا يَضربونَنا على الشهادةِ والعَهدِ ونحنُ صغارٌ.

قوله: وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»**(١).

قلت: وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا ونسي المعاد، فخف أمر الشهادة واليمين عنده تحملًا وأداء، لقلة خوفه من الله وعدم مبالاته بذلك، وهذا هو الغالب على الأكثر. والله المستعان. فإذا كان هذا قد وقع في صدر الإسلام الأول فما بعده أكثر بأضعاف. فكان الناس على حذر.

قوله: **(وقال إبراهيم هوَ النَّخعيّ كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار)** وذلك لكثرة علم التابعين، وقوة إيمانهم ومعرفتهم بربهم، وقيامهم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه من أفضل الجهاد ولا يقوم الدين إلا به. وفي هذا رغبة في تمرين الصغار على طاعة ربهم ونهيهم عما يضرهم. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٦٥١] ومسلم [٢٥٣٣] والترمذي [٣٨٥٩] وابن أبي عاصم [١٤٦٦] والطحاوي (١٥٢/٤) والشاشي [٧٩٤] وابن حبان [٧٢٢٨] وأحمد [٣٥٩٤] [٣٩٦٣] [٤١٧٣] [٤٢١٧].

وأخرج نحوه مسلم [٢٥٣٤] وأحمد (٢٢٨/٢) وعن أبي هريرة وعن عائشة عند مسلم [٢٥٣٦] وبريدة الأسلمي والنعمان بن بشير.

فيهِ مسائلُ:

الأولى- الوصيةُ بحفظِ الأيمانِ.

الثانية- الإخبارُ بأنَّ الحلفَ منفقةٌ للسلعةِ، مَمحقةٌ للبركةِ.

الثالثة- الوعيدُ الشديدُ فيمَن لا يبيعُ [إلا بيَمينهِ] ولا يَشتري إلا بيمينهِ.

الرابعة- التنبيهُ على أنَّ الذنبَ يعظمُ معَ قلةِ الداعِي.

الخامسة- ذمُّ الذينَ يحلفونَ ولا يُستحلفونَ.

السادسة- ثناؤهُ ﷺ على القرونِ الثلاثةِ أو الأربعةِ، وذكرُ ما يَحدثُ بعدَهُم.

السابعة- ذمُّ الذينَ يشهدونَ ولا يُستشهدونَ.

الثامنة- كونُ السلفِ يضربونَ الصغارَ على الشهادةِ والعهدِ.

بابُ

ما جاءَ في ذِمَّةِ اللهِ -تعالى- وذمَّةِ نبيه ﷺ

وقولِ الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل:٩١].

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

قوله: باب

(ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه)

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل:٩١] الآية.

قال العماد بن كثير: وهذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة. ولهذا قال: ﴿ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ ولا تعارض بين هذا وقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ ﴾ وبين قوله: ﴿ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ أي لا تتركوها بلا تكفير. وبين قوله ﷺ في الصحيحين: **«إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرًا منها إلا أتيت الذي هو خير منها وتحللتها وفي رواية وكفرت عن يميني»**(١) لا تعارض بين هذا كله وبين الآية المذكورة هنا وهي: ﴿ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ لأن هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حث أو منع، ولهذا قال مجاهد في هذه الآية: يعني الحلف أي حلف

---

(١) أخرجه البخاري [٣١٣٣] [٦٦٢٣] ومسلم [١٦٤٩] عن أبي موسى.

الجاهلية. ويؤيده ما رواه الإمام أحمد عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة»(١) وكذا رواه مسلم، ومعناه أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ تهديد ووعيد لمن نقض الأيمان بعد توكيدها.

(١) أخرجه أحمد (٨٣/٤) ومسلم [٢٥٣٠] وأبو داود [٢٩٢٥] والنسائي في «الكبرى» [٦٤١٨] وأبو يعلى [٧٤٠٦] والطحاوي [١٦١٥] [٥٩٩١] وابن حبان [٤٣٧٢] والطبراني [١٥٨٠] والبيهقي (٢٦٢/٦).

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّرَ أميرًا على جيشٍ أو سريةٍ؛ أوصاهُ في خاصَّتِهِ بتقوى الله، ومَن معه مِن المسلمينَ خيرًا، ثم قال: «اغزوا بسم الله، في سبيلِ الله، قاتلوا مَن كفرَ بالله، اغزوا

قوله: (عن بريدة) هو ابن الحصيب الأسلمي. وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه. قال في «المفهم».

وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لقواد جيوشه بأن لا يغلوا ولا يغدروا ولا يقتلوا وليدًا إلخ

قوله: («قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى») فيه من الفقه تأمير الأمراء ووصيتهم.

قال الحربي: السرية: الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها. والجيش ما كان أكثر من ذلك. وتقوى الله: التحرز بطاعته من عقوبته.

قلت: وذلك بالعمل بما أمر الله به والإنتهاء عما نهى عنه.

قوله: (ومن معه من المسلمين خيرًا) أي ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيرًا: من الرفق بهم، والإحسان إليهم، وخفض الجناح لهم، وترك التعاظم عليهم.

قوله: (اغزوا باسم الله) هذا أي اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله مخلصين له. قلت: فتكون الباء في بسم الله هنا للاستعانة والتوكل على الله.

قوله: (قاتلوا من كفر بالله) هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم. وقد خصص منهم من له عهد والرهبان والنسوان، ومن لم يبلغ الحلم، وقد قال متصلًا به: ولا تقتلوا وليدًا وإنما نهى عن قتل الرهبان والنسوان لأنه لا يكون منهم قتال غالبًا. وإن كان منهم قتال أو تدبير قتلوا.

ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيتَ عدوَّك مِن المشركين؛ فادْعُهم إلى ثلاثِ خصالٍ أو خلال، فأيَّتهُن ما أجابوكَ؛ فاقبل مِنهم وكفَّ عنهُم،

قلت: وكذلك الذراري والأولاد.

قوله: (ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا) الغلو: الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها. الغدر نقض العهد. والتمثيل هنا التشويه بالقتيل، كقطع أنفه وأذنه والعبث به. ولا خلاف في تحريم الغلو والغدر. وفي كراهية المثلة.

قوله: (وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خلال أو خصال) الرواية بالشك وهو من بعض الرواة. ومعنى الخلال والخصال واحد.

قوله: (فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم) قيدناه عمن يوثق بعلمه وتقييده بنصب «أيتهن» على أن يعمل فيها «أجابوك» لا على إسقاط حرف الجر. و«ما» زائدة. ويكون تقدير الكلام: فإلى أيتهن أجابوك فاقبل منهم. كما تقول: جئتك إلى كذا وفي كذا. فيعدى إلى الثاني بحرف جر.

قلت: فيكون في ناصب «أيتهن» وجهان: ذكرهما الشارح. **الأول:** منصوب على الاشتغال. **والثاني:** على نزع الخافض.

ثم ادعهُم إلى الإسلام، فإن أجابوكَ فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إنْ فعلوا ذلكَ فلهُم ما للمهاجرينَ، وعليهم ما على المهاجرينَ، فإنْ أَبَوا أنْ يتحولوا منها؛

قوله: (ثم ادعهم إلى الإسلام) كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم «ثم ادعهم» بزيادة «ثم» والصواب إسقاطها. كما روى في غير كتاب مسلم. كمصنف أبي داود، وكتاب الأموال لأبي عبيد. لأن ذلك هو إبتداء تفسير الثلاث خصال.

وقوله: (ثم ادعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين) يعني المدينة. وكان في أول الأمر وجوب الهجرة إلى المدينة على كل من دخل في الإسلام. وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من آمن من أهل مكة وغيرهم[1].

قوله: (فإن أبوا أن يتحولوا) يعني أن من أسلم ولم يهاجر ولم يجاهد لا يعطي من الخمس ولا من الفيء شيئًا. وقد أخذ الشافعي رحمه الله بالحديث في الأعراب، فلم ير لهم من الفيء شيئًا. إنما لهم الصدقة المأخوذة من أغنيائهم فترد على فقرائهم. كما أن أهل الجهاد وأجناد المسلمين لا حق لهم في الصدقة عنده، ومصرف كل مال في أهله. وسوى مالك رحمه الله وأبو حنيفة رحمه الله بين المالين، وجوزا صرفهما للضعيف.

قوله: (فإن هم أبوا فاسألهم الجزية) فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر: عربيًا كان أو غيره، كتابيًا كان أو غيره. وذهب أبو حنيفة رحمه الله إلى أنها تؤخذ من الجميع إلا من مشركي العرب ومجوسهم.

---

(١) في قرة العيون: وكذلك إذا ظهرت المعاصي في بلدة. نص عليه الفقهاء في كتبهم اهـ يعني إذا غلبت المعاصي وأهلها لم يقدر ولم يجد سبيلًا للإنكار عليهم. أما إذا وجد السبيل لإقامة الحجة. فإن بقاءه يكون واجبًا لتبليغ الدين خصوصًا إذا كان يدعو إلى التوحيد ومحاربة الشرك والبدع ويجد من يسمع له ويصغي إليه وينتفع بدعوته. والله الموفق.

فأخبرهُم أنهُم يَكونُونَ كأعرابِ المسلمينَ، يجري عليهم حكمُ الله تعالى الذي يجري على المؤمنين، ولا يكونُ لهم في الغنيمةِ والفيءِ شيءٌ، إلا أنْ يُجاهِدوا معَ المسلمينَ، فإنْ هُم أبوا؛ فسلهم [ق/ ٣٠/ ب] الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم [وكف عنهم]، فإن هم أبو فاستعن بالله وقاتلهم»

وقال الشافعي لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عربًا كانوا أو عجمًا. وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه، وتؤخذ من المجوس.

قلت: لأن النبي ﷺ أخذها منهم. وقال: «**اسنوا بهم سنة أهل الكتاب**»[1].

وقد اختلفوا في القدر المفروض من الجزية: فقال مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهمًا على أهل الورق. وهل ينقص منها الضعيف أو لا؟ قولان. قال الشافعي: فيه دينار على الغني والفقير. وقال أبو حنيفة رحمه الله، والكوفيون: على الغني ثمانية وأربعون درهمًا والوسط أربعة وعشرون درهمًا. والفقير اثنا عشر درهمًا.

وهو قول أحمد بن حنبل رحمه الله.

قال يحي بن يوسف الصرصري الحنبلي رحمه الله:

وقاتِل يهودًا والنّصارى وعصبةَ المجـ ... ـوسِ، فإنْ همْ سَلَّموا الجزيةَ أصددِ

على الأدونِ اثني عشرَ درهمًا افرضنْ ... وأربعة من بعدِ عشرين زدِ

لأوسطهمُ حالًا ومن كان موسرًا ... ثمانية مع أربعينِ لتنقدِ

وتسقط عن صبيانِهم ونسائِهم ... وشيخ لهم فانٍ وأعمى ومُقْعِدِ

وذي الفقرِ والمجنونِ أو عبدِ مسلمٍ ... ومَنْ وجبتْ منهم عليهِ فيهتدي

---

(١) ضعيف. أخرجه مالك (٤٢/٢٧٨/١) وعنه الشافعي [١١٨٢] والبيهقي (١٨٩/٩) عن عبد الرحمن بن عوف، وضعفه الألباني في «الإرواء» [١٢٤٨].

....

وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الأحرار البالغين العقلاء دون غيرهم وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين لا ممن نأى بداره، ويجب تحويلهم إلى بلاد المسلمين أو حربهم.

وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل [لهم] ذِمة الله وذمة نبيهِ، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتكَ وذمة أصحابكَ، فإنكم إن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهْون مِن أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم، ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا؟» رواه مسلم.

قوله: (وإذا حاصرت أهل حصن) الكلام إلى آخره فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول: إن المصيب في مسائل الإجتهاد واحد. وهو المعروف من مذهب مالك وغيره ووجه الاستدلال به أنه ﷺ قد نص على أن الله تعالى قد حكم حكمًا معينًا في المجتهدات. فمن وافقه فهو المصيب ومن لم يوافقه فهو المخطىء.

قوله: (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه): الحديث الذمة العهد، وتخفر تنقض يقال: أخفرت الرجل إذا نقضت عهده، وخفرته: أجرته، ومعناه أنه خاف من نقض من لم يعرف حق الوفاء بالعهد، كجملة الأعراب: فكأنه يقول: إن وقع نقض من مُتعدٍ مُعْتدٍ كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد الله تعالى. والله أعلم.

قوله: (وقول نافع وقد سئل عن الدعوة قبل القتال، ذكر فيه أن مذهب مالك يجمع بين الأحاديث في الدعوة قبل القتال، قال وهو أن مالكًا قال: لا يقاتل الكفار قبل أن يدعوا ولا تلتمس غرتهم إلا أن يكونوا قد بلغتهم الدعوة. فيجوز أن تلتمس غرتهم وهذا الذي صار إليه مالك هو الصحيح لأن فائدة الدعوة أن يعرف العدو أن المسلمين لا يقاتلون للدنيا ولا للعصبية وإنما يقاتلون للدين فإذا علموا بذلك أمكن

....

أن يكــون ذلك ســببًا مميلًا لهــم إلى الإنقياد إلى الحق، بخلاف مـا إذا جهلوا مقصود المســلمين. فقــد يظنــون أنهم يقاتلــون للملك وللدنيا فـيزدادون عتــوًا وبغضًا. والله أعلم.

فيهِ مسائلُ:

الأولى- الفرقُ بينَ ذمَّةِ الله وذمَّةِ نبيهِ، وذمَّةِ المسلمينَ.

الثانية- الإرشادُ إلى أقلِّ الأمرينِ خطرًا.

الثالثة- قولُهُ: «اغزوا بسم الله [في سبيل الله]».

الرابعة- قولُهُ: «قاتِلوا مَن كفرَ بالله».

الخامسة- قولُهُ: «استعِن بالله وقاتِلهم».

السادسة- الفرقُ بينَ حكمِ الله، وحكمِ العلماءِ.

السابعة- في كونِ الصحابيِّ يحكمُ عندَ الحاجةِ بحكمٍ لا يدرِي أيوافقُ حكمَ الله أم لا.

باب

ما جاء في الإقسام على الله[بلا عِلْمٍ]

عن جُندبِ بنِ عبدِ الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: مَن ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك» رواه مسلم.

ما جاء في الأقسام على الله

قوله: باب

(ما جاء في الإقسام على الله)

ذكر المصنف في حديث: عن جندب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان. قال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك**» رواه مسلم(١).

قوله: (يتألى) أي يحلف. والألية بالتشديد الحلف. وصح من حديث أبي هريرة قال البغوي في «شرح السنة» وساق بالسند إلى عكرمة بن عَمَّار قال: دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ قال: يا يمامي، تعال، وما أعرفه، قال: لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك أبدًا ولا يدخلك الجنة. قلت: ومن أنت يرحمك الله. قال: أبو هريرة، فقلت: إن هذه كلمة يقولها أحدنا لبعض أهله إذا غضب، أو لزوجته أو لخادمه، قال، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين، أحدهما مجتهد في العبادة، والآخر، كأنه يقول مذنب، فجعل يقول: أقصر عما أنت فيه. قال فيقول: خلني وربي، قال: فوجده يومًا على ذنب استعظمه فقال: أقصر، فقال: خلني**

(١) أخرجه مسلم [٢٦٢١] وأبو يعلى [١٥٢٩] وابن حبان [٥٧١١] والطبراني [١٦٧٩].

وربي، أبعثت علي رقيبًا، فقال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة أبدًا. قال: فبعث الله إليهما ملكًا، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ قال: لا يا رب، قال: اذهبوا به إلى النار. قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته»[1]. ورواه أبو داود في سننه، وهذا لفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة. فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبًا؟ قال: والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة، فقبضت أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا، أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»[2].

(١) حسن. أخرجه أحمد (٢/٣٢٣- ٣٦٣) وأبو داود [٤٩٠١] وابن حبان [٥٧١٢] والبيهقي «الشعب» [٦٦٨٩] وحسنه الألباني.

(٢) حسن. أخرجه أحمد (٢/٣٢٣- ٣٦٣) وأبو داود [٤٩٠١] وابن حبان [٥٧١٢] والبيهقي «الشعب» [٦٦٨٩] وحسنه الألباني.

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد، [قال أبو هريرة]: تكلمَ بكلمةٍ أو بقَت دنياهُ وآخرتَه.

قوله: (وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد) يشير إلى قوله في هذا الحديث: أحدهما مجتهد في العبادة وفي هذه الأحاديث بيان خطر اللسان وذلك يفيد التحرز من الكلام، كما في حديث معاذ «قلت يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: **«ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم»**[1]. الله أعلم.

---

(١) صحيح. أخرجه عبد الرزاق (٢٠٣٠٣) وعبد بن حميد [١١٢] وأحمد (٥/٢٣١) والترمذي [٢٦١٦] وابن ماجه [٣٩٧٣] والنسائي [١٣٩٤] وابن حبان [٢١٤] والطبراني (٢٠/١٢٢/٢٦٦) وهو صحيح.

فيهِ مسائلُ:

الأولى- التحذيرُ مِن التألِّي على اللهِ.

الثانية- كونُ النارِ أقربَ إلى أحدِنا مِن شراكِ نعلِهِ.

الثالثة- أنَّ الجنةَ مثلُ ذلكَ.

الرابعة- فيهِ شاهدٌ لقولهِ: «إنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ» الخ..

الخامسة- أنَّ الرجلَ قد يغفرُ لهُ بسببٍ هوَ مِن أكرَهِ الأمورِ إليهِ.

بابُ
لا يُستشفَعُ باللهِ على خَلقِه

عَن جبيرِ بنِ مَطعمٍ رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله نهكتِ الأنفسُ [ق/ ٣١/ أ]، وجاعَ العيالُ، وهلكتِ الأموالُ، فاستسق لنا [ربك]، فإنا نستشفعُ بالله عليكَ، وبكَ على الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله سبحان الله» فما زالَ يسبحُ حتى عرفَ ذلك في وجوهِ أصحابهِ، ثم قال:

لا يُستشفع بالله على خلقه

قوله: باب (لا يستشفع بالله على خلقه)

وذكر الحديث وسياق أبي داود في سننه أتم مما ذكره المصنف رحمه الله ولفظه: عن جبير بن محمد بن جبير بن مُطعم عن أبيه عن جده قال: «أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال: يا رسول الله! جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ويحك، أتدري ما تقول؟»** وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: **«ويحك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله. إن عرشه على سمواته لهكذا - وقال بأصابعه مثل القبة عليه - وإنه ليئط به أطيط الرجل بالراكب»** قال ابن بشار في حديثه: **«إن الله فوق عرشه فوق سماواته»**[1].

قال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد بن إسحاق بن يسار.

---

(١) ضعيف. أخرجه أبو داود [٤٧٢٦] وابن أبي عاصم في «السنة» [٥٧٥] وضعفه الشيخ في «ضعيف أبي داود» [١٠١٧].

«ويحك أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك إنه لا يستشفع بالله على أحد» رواه أبو داود.

قوله: (ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه) فإنه تعالى رب كل شيء ومليكه، والخير كله بيده، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليمًا قديرًا. إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون. والخلق وما في أيديهم ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء وهو الذي يشفع الشافع إليه، ولهذا أنكر على الأعرابي.

قوله: (وسبح لله كثيرًا وعظمه) لأن هذا القول لا يليق بالخالق سبحانه وبحمده إن شأن الله أعظم من ذلك.

وفي هذا الحديث: إثبات علو الله على خلقه، وأن عرشه فوق سماواته. وفيه تفسير الاستواء بالعلو كما فسره الصحابة والتابعون والأئمة، خلافًا للمعطلة والجهمية والمعتزلة ومن أخذ عنهم، كالأشاعرة ونحوهم ممن ألحد في اسماء الله وصفاته وصرفها عن المعنى الذي وضعت له ودلت عليه من إثبات صفات الله تعالى التي دلت على كماله جل وعلا، كما عليه السلف الصالح والأئمة ومن تبعهم ممن تمسك بالسنة، فإنهم أثبتوا ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله من صفات كماله على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في «مفتاح دار السعادة» بعد كلام سبق فيما يعرف العبد بنفسه وبربه من عجائب مخلوقاته. قال بعد ذلك:

والثاني: أن يتجاوز هذا إلى النظر بالبصيرة الباطنة فتفتح له أبواب السماء، فيجول في أقطارها وملكوتها وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن فينظر سعته وعظمته وجلاله ومده ورفعته، ويرى

السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة إليه كحلقة ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافين من حول العرش لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها إلا ربها ومليكها، فينزل الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين، وإعزاز قوم إذلال آخرين، وإنشاء ملك وسلب ملك، وتحويل نعمة من محل إلى محل وقضاء الحاجات على إختلافها وتبيانها وكثرتها: من جبر كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضر، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، ورد آبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة لملهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكف لعدوان، فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلاف لغاتها وتبيانها واتحاد قوتها، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، ولا تنقص ذرة من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم. فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقًا لهيئته خاشعًا لعظمته عانيًا لعزته، فيسجد بين يدي الملك الحق المبين، سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد، فهذا سفر القلب، وهو في وطنه وداره ومحل ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه، فياله من سفر ما أبركه وأروحه، وأعظم ثمرته وربحه، وأجل منفعته وأحسن عاقبته، سفر هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة، وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب. اهـ كلامه رحمه الله.

وأما الاستشفاع بالرسول ﷺ في حياته فالمراد به استجلاب دعائه، وليس خاصًا به ﷺ بل كل حي يرجى أن يستجاب له فلا بأس أن يطلب منه أن يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة، كما قال النبي ﷺ لعمر لما

أراد أن يعتمر من المدينة «لا تنسنا يا أخي من صالح دعائك»(١) وأما الميت فإنما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته على قبره وفي غير ذلك. وهذ هو الذي يشرع في حق الميت، وأما دعاؤه فلم يشرع، بل قد دل الكتاب والسنة على النهي والوعيد عليه، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ [فاطر: ١٣-١٤] فبين الله تعالى أن دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيامة أي ينكره ويعادي من فعله، كما في آية الأحقاف: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦] فكل ميت أو غائب لا يسمع ولا يستجيب ولا ينفع ولا يضر. والصحابة رضي الله عنهم، لا سيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين، لم ينقل عن أحد منهم ولا عن غيره أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي ﷺ بعد وفاته، حتى في أوقات الجدب، كما وقع لعمر رضي الله عنه لما خرج ليستسقي بالناس خرج بالعباس عم النبي ﷺ فأمره أن يستسقي لأنه حي حاضر يدعو ربه(٢) فلو جاز أن يستسقي بأحد بعد وفاته لاستسقى عمر رضي الله عنه والسابقون الأولون بالنبي ﷺ. وبهذا يظهر الفرق بين الحي والميت، لأن المقصود من

(١) ضعيف. أخرجه أحمد (٢٩/١) وأبو داود [١٤٩٨] والترمذي [٣٥٦٢] وابن ماجه [٢٨٩٤] وضعفه الشيخ في «ضعيف أبي داود» [٣٢٢].

(٢) رواه البخاري. وقد حصل ذلك في عام الرمادة سنة ثمان عشرة، ودام القحط تسعة أشهر. قال الحافظ في الفتح (ج٢ ص٣٣٩) وقد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقعت فيه. فأخرج بإسناده أن العباس لما استسقى به عمر قال: «اللَّهُمَّ إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة؛ وقد توجه القوم إليك بي لمكاني من نبيك. وهذه أيدينا إليك بالذنوب؛ ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث» فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس.

....

الـحي دعاءه إذا كان حـاضرًا. فإنهـم في الحقيقـة إنما توجهـوا إلى الله بطلب دعاء من يدعـوه ويتـضرع إليه، وهم يدعـون ربهم، فمن تعدى المـشروع إلى ما لا يشرع ضل وأضل. ولو كان دعاء الميت خيرًا لكان الصحابة إليه أسبق وعليه أحرص، وبهم أليق، وبحقه أعلم وأقوم. فمن تمسك بكتاب الله نجا، ومن تركه واعتمد على عقله هلك. وبالله التوفيق.

فيهِ مسائلُ:

الأولى- إنكارُه على مَن قال: نستشفعُ باللهِ عليكَ.

الثانية- تغيرُه [تغيرًا] عرفَ في وجوهِ أصحابهِ مِن هذهِ الكلمةِ.

الثالثة- أنهُ لم يُنكِر عليهِ قولَه: «نستشفعُ بكَ على اللهِ».

الرابعة- التنبيهُ على تفسيرِ «سبحانَ اللهِ».

الخامسة- أنَّ المسلمينَ يسألونَهُ الاستسقاءَ.

باب

ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسده طرق الشرك

عَن عبدِ الله بن الشِّخير ؓ قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيدُ اللهُ تبارك وتعالى» قلنا: وأفضلُنا فضلًا، وأعظمُنا طَولًا. فقال: «قولوا بقولِكُم أو بعضِ قولِكم، ولا يَستجرينكُمُ الشيطانُ» رواه أبو داود بسند جيد.

ما جاء في حماية النبي حمى التوحيد

باب

(ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد، وسد طرق الشرك)

حمايته ﷺ حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص وكذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ كقوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**»(١) وتقدم. وقوله: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل**»(٢) ونحو ذلك. ونهى عن التمادح وشدد القول فيه، كقوله لمن مدح إنسانًا: «**ويلك قطعت عنق صاحبك...**»(٣) الحديث أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه: أن رجلًا أثنى على رجل عند

---

(١) أخرجه البخاري [٢٤٦٢] [٣٤٤٥] [٤٠٢١] [٦٨٢٩] [٦٨٣٠] [٧٣٢٣] ومسلم [٦١٩١] وأبو داود [٤٤١٨] وابن ماجه [٢٢٥٣] وأحمد [١٥٤] [٣٩١] والنسائي «كبرى» [٧١٥٧] [٧١٢٨] [٧١٥٩] وأبو يعلى [١٥٣].

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري [٢٦٦٢] مسلم [٣٠٠٠].

وعن أنس ﷺ؛ أنَّ ناسًا قالوا: يا رسولَ الله، يا خيرَنا، وابنَ خيرِنا، وسيدَنا، وابنَ سيدِنا. فقال: «يأيها الناس: قولوا بقَولِكم، ولا يَستهويَنكُم الشيطانُ، أنا محمدٌ؛ عبدُ الله ورسولُهُ، ما أحِبُّ أنْ ترفعُونِي فوقَ مَنزلتِي التي أنزلنيَ اللهُ عزَّ وجلَّ» رواه النَسائي بسند جيد.

النبي ﷺ فقال له: «قطعت عنق صاحبك... ثلاثًا» وقال: «إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب»[1] أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن المقداد بن الأسود.

وفي هذا الحديث: نهى عن أن يقولوا: أنت سيدنا وقال: «السيد الله تبارك وتعالى»[2] ونهاهم أن يقولوا: «وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا» وقال: «لا يستجرينكم الشيطان».

وكذلك قوله في حديث أنس: «أن ناسًا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا ...» إلخ. كره ﷺ أن يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلى الغلو. وأخبر ﷺ أن مواجهة المادح للممدوح بمدحه ولو بما هو فيه من عمل الشيطان لما تفضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه وذلك ينافي كمال التوحيد فإن العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غاية الذل في غاية المحبة، وكمال الذل يقتضي الخضوع والخشية والاستكانة لله تعالى، وأن لا يرى نفسه إلا في مقام الذم لها والمعاتبة لها في حق ربه، وكذلك الحب لا تحصل غايته إلا إذا كان يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات، ومحبة المدح من العبد

---

(١) أخرجه أحمد (٦/٥) ومسلم [٣٠٠٢] عن المقداد.

وأخرجه أحمد [٥٦٨٤] وعبد بن حميد [٨١٢] والبخاري في «الأدب» [٤٨٦٧] عن ابن عمر وأبو داود [٤٨٠٦] والنسائي [١٠٠٧٥] [١٠٠٧٦] وصححه الألباني.

(٢) سبق تخريجه.

....

لنفسه تخالف ما يحبه الله منه والمادح يغره من نفسه فيكون آثمًا، فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأسًا، والنهي عنه صيانة لهذا المقام، فمتى أخلص العبد الذل لله والمحبة له خلصت أعماله وصحت ومتى أدخل عليها ما يشوبها من هذه الشوائب دخل على مقام العبودية بالنقص أو الفساد، وإذا أداه المدح إلى التعاظم في نفسه والإعجاب بها وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة كما في الحديث: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني شيئًا منهما عذبته»[1]. وفي الحديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[2].

وهذه الآفات قد تكون محبة المدح سببًا لها وسلمًا إليها، والعجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وأما المادح فقد يفضي به المدح إلى أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها، كما يوجد كثيرًا في أشعارهم من الغلو الذي نهى عنه الرسول ﷺ وحذر أمته أن يقع منهم، فقد وقع الكثير منه حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك. والنبي ﷺ لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح، صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نصحًا لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده، أو يضعفه من الشرك ووسائله: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة:٥٩] ورأو أن فعل ما نهاهم ﷺ عن فعله قربة من أفضل القربات وحسنه من أعظم الحسنات!

---

(١) أخرجه البخاري «الأدب المفرد» [٥٥٢] ومسلم [٢٦٢٠] عن أبي سعيد وأبي هريرة.
وأخرجه أحمد [٧٣٨٣] والحميدي [١١٤٩] والطيالسي [٢٣٧٨] وهناد في «الزهد» [٨٢٥] وأبوداود [٤٠٩٠] وابن ماجه [٤١٧٤] من طريق عطاء بن السائب عن الأغر عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم [٩١] [١٤٧] عن ابن مسعود.

وأما تسمية العبد بالسيد فاختلف العلماء في ذلك.

قال العلامة ابن القيم في «بدائع الفوائد»: اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر. فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: يا سيدنا قال: «السيد الله تبارك وتعالى» وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «قوموا إلى سيدكم[١]»[٢] وهذا أصح من الحديث الأول. قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي سيد كندة، ولا يقال الملك سيد البشر. قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم، وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك، والمولى والرب. لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق. انتهى.

قلت: فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ [الأنعام:١٦٤] أي إلهًا وسيدًا وقال في قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ أنه السيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد: وقال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده. وأما استدلالهم بقول النبي ﷺ للأنصار قوموا إلى سيدكم فالظاهر أن النبي ﷺ لم يواجه سعدًا به، فيكون في هذا المقام تفضيل والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري [٤١٢١] ومسلم [١٧٦٨] عن أبي سعيد.

(٢) قال هذا حين رأى سعد بن معاذ آتيًا على حمار قد أسندوه لأنه كان مريضًا من جرح أصابه من المشركين في الخندق. وقد دعا به رسول الله ﷺ ليحكم في بني قريظة بعد أن حاصرهم وقبلوا أن ينزلوا على حكم سعد، فكان هذا القول منه ﷺ لأنه مريض ولا يستطيع أن ينزل عن الحمار وحده فأمرهم أن يقوموا لينزلوه ولأنه جاء لهذه القضية، فأراد أن يجعل له من التعظيم ما يناسب هذه الواقعة. وكان سعد بن معاذ سيد الأوس ورئيسهم رضي الله عنه.

فيهِ مسائلُ:

الأولى- تحذيرُ الناسِ مِن [الغُلوِّ].

الثانية- ما يَنبغي أنْ يقولَ مَن قيلَ لهُ: أنتَ سيدُنا.

الثالثة- قولُهُ: «ولا يَستجرِيَنَّكُم الشيطانُ» معَ أنهُم لم يقولُوا إلا الحقَّ.

الرابعة- قولُه: «ما أحِبُّ أنْ ترفعُوني [ق/ ٣١/ ب] فوقَ منزلتِي».

باب

ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

ما جاء في قول الله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾

قوله: باب

قول الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] أي: من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية الكريمة.

قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى: ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته. قال مجاهد: نزلت في قريش. وقال السُّدِّي: ما عظموه حق عظمته(١). وقال محمد بن كعب: لو قدروه حق قدره ما كذبوه. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شيء قدير، فقد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره(٢).

وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية، الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف وذكر حديث ابن مسعود كما ذكره المصنف رحمه الله في هذا الباب قال: ورواه البخاري في غير موضع من

(١) أخرجه ابن جرير [٣٠٢١٠] عن أسباط عن السُّدي.
(٢) أخرجه ابن جرير [٣٠٢٠٩] وفيه انقطاع.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع،

صحيحه. والإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من حديث سليمان بن مهران وهو الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود بنحوه.

حديث الحبر الذي جاء يصف كيف يقبض الله السموات والأرض

قال الإمام أحمد: حَدَّثنا معاوية حدثنا الأعمش، عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: «جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يجعل الخلائق على إصبع والسموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع. فيقول: أنا الملك. فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر. قال: وأنزل الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾»(1) الآية. وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا الحسين بن حسن الأشقر، حدثنا أبو كدينة عن عطاء.

عن أبي الضَّحى عن ابن عباس قال: «مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس، فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السموات على ذهْ وأشار بالسبابة والأرض على ذهْ، والجبال على ذهْ وسائر الخلق على ذهْ؟ كل ذلك يشير بأصابعه، فأنزل

(١) إسناده صحيح على شرطهما.

أخرجه أحمد [٣٥٩٢] من هذا الوجه.

وأخرجه البخاري [١٩٠٥] [٥٠٦٥] ومسلم [١٤٠٠] وأبو داود [٢٠٤٦] والنسائي (٥٨/٦) وابن ماجه [١٨٤٥] والدارمي (١٣٢/٢) وأبو يعلى [٥١٩٢] والشاشي [٣٦٢] [٣٦٣] وابن حبان [٤٠٢٦] والخطيب في «تاريخه» (١٥٦/٣) والبيهقي (٧٧/٧) وفي الشعب [٥٤٧٦] من طرق عن الأعمش، به.

والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك». فضحِكَ النبيُّ ﷺ حتى بَدَت نواجذهُ تصديقًا لقولِ الحَبْرِ ثمَّ قرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

الله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾» وكذا رواه الترمذي في «التفسير» بسنده عن أبي الضحى مسلم بن صبيح به[1]. وقال: حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ثم قال البخاري: حدثنا سعيد بن عفير حدثنا الليث حدثني عبد الرَّحمن بن خَالد بن مُسافر عن ابن شِهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه، فيقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟»**[2] تفرد به من هذا الوجه، ورواه مسلم من وجه آخر.

---

(١) حسن. وهذا إسناد ضعيف.

حسين بن حسن، قال البخاري: فيه نظر، قال أبو زرعة: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ليس بالقوى.

و عطاء كان قد اختلط.

وأخرجه أحمد [٢٢٦٧] من هذا الطريق.

وتابع حسين عليه محمد بن الصلت.

فرواه الترمذي[٣٢٤٠] والطبراني (٢٤/٢٦) من طريق أبي كدينة، به.

وله شاهد من حديث ابن مسعود، السابق.

(٢) أخرجه البخاري [٤٨١٢] من هذا الطريق.

وأخرجه البخاري [٦٥١٩] والنسائي في «الكبرى» [٧٦٩٢] وأبو يعلى [٥٨٥٠] وأحمد [٨٨٦٣] والبيهقي في «الأسماء» (ص:٣٢٣) والبغوي [٤٣٠٣] من طريق ابن المبارك عن يونس عن الزهري، به.

وأخرجه البخاري [٧٣٨٢] ومسلم [٢٧٨٧] والنسائي [٧٦٩٢] [١١٤٥٥] وابن ماجه [١٩٢] من طريق ابن وهب عن يونس به.

وفي رواية لمسلم: «والجبال والشجر على إصبع، ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله»، وفي رواية للبخاري: «يجعل السموات على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع» أخرجاه.

وقال البخاري في موضع آخر: حدثنا مِقْدم بن محمد حدثنا عَمِّي القاسم بن يحيى عن عُبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إن الله تعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على إصبع وتكون السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك»**[1] تفرد به أيضًا من هذا الوجه. ورواه مسلم من وجه آخر.

وقد رواه الإمام أحمد من طريق آخر بلفظ أبسط من هذا السياق وأطول فقال: حدثنا عفَّان حدثنا حمَّاد بن سلمة، أنبأنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله ابن مقسم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها، يقبل بها ويدبر، يمجد الرب تعالى نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا: ليخرن به اهـ[2].

---

(١) أخرجه البخاري [٧٤١٢] ومسلم [٢٧٨٨].

(٢) إسناده صحيح.

أخرجه أحمد [٥٤١٤] وإسناده على شرط مسلم.

وأخرجه مسلم [٢٧٨٨] وابن ماجه [١٩٨] [٤٢٧٥] والنسائي [٧٦٨٩] والطبري (٢٤/٢٦) وابن خزيمة «توحيد» [٩٦] وابن حبان [٧٣٢٤] والطبراني في «الكبير» [١٣٣٢٧] من طريق أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم، به.

وأخرجه ابن أبي عاصم [٥٤٦] والنسائي «كبرى» [٧٦٩٥] والبيهقي في «الأسماء» (ص:٣٤٠) من طريق حماد بن سلمة، بهذا الإسناد.

ولمسلم عن ابن عُمَرَ مرفوعًا: «يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع، ثم يأخذهن «بشماله»، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟».

قوله: (ولمسلم عن ابن عمر الحديث) كذا في رواية مسلم. قال الحميدي وهي أتم، وهي عند مسلم من حديث سالم عن أبيه.

وأخرجه البخاري من حديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السماء بيمينه» وأخرجه مسلم من حديث عبيد الله بن مقسم[1].

قلت: وهذه الأحاديث وما في معناها تدل على عظمة الله وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته. وقد تعرف سبحانه وتعالى إلى عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته، وكلها تعرف وتدل على كماله، وأنه هو المعبود لا شريك له في ربوبيته وإلهيته وتدل على إثبات الصفات له على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان، واقتفى أثرهم على الإسلام والإيمان.

وتأمل ما في هذه الأحاديث الصحيحة من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ربه بذكر صفات كماله على ما يليق بعظمته وجلاله وتصديقه اليهود فيما أخبروا به عن الله من الصفات التي تدل على عظمته وتأمل ما فيها من إثبات علو الله تعالى على عرشه، ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في شيء منها. إن ظاهرها غير مراد، وأنها تدل على تشبيه صفات الله بصفات خلقه، فلو كان هذا حقًا بلغه أمينه أمته، فإن الله أكمل به الدين

---

(١) انظر التخريج السابق.

وروى عن ابن عباس قال: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم»(١).

وأتم به النعمة فبلغ البلاغ المبين. صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين. وتلقى الصحابة رضي الله عنهم عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ما وصف به ربه من صفات كماله ونعوت جلاله، فآمنوا به وآمنوا بكتاب الله وما تضمنه من صفات ربهم جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران :٧] وكذلك التابعون لهم بإحسان وتابعوهم، والأئمة من المحدثين والفقهاء كلهم وصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجحدوا شيئًا من الصفات، ولا قال أحد منهم: إن ظاهرها غير مراد ولا أنه يلزم من إثباتها التشبيه، بل أنكروا على من قال ذلك غاية الإنكار، فصنفوا في رد هذه الشبهات المصنفات الكبار المعروفة الموجودة بأيدي أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى، وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوءة كلها بما هو نص أو ظاهر أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر :١٠] وقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران :٥٥] وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء :١٥٨] وقوله تعالى: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج :٣-٤] وقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة :٥] وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل :٥٠] وقوله

(١) - أخرجه الطبري [٣٠٢١٢] وعبد الله بن أحمد في «السنة» [١٠٩٠] موقوفًا وإسناده ضعيف، وانظر: «العلو للذهبي» [٢٨١].

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا ابن وهب، [قال: قال ابن زيد: حدثني أبي] قال: قال رسول الله ﷺ: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس»[1]. قال: قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت

تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾ [البقرة:٢٩] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤] وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ... ﴾ [يونس:٣] الآية فذكر التوحيدين في هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الرعد:٢] وقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٤-٥] وقوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٨-٥٩] وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة:٤-٥] وقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ

---

(١) - أخرجه ابن جرير (٣/١٠) وأبو الشيخ في «العظمة» [٢٢٠] والعلو للذهبي [٢٧٩] وهو مرسل إسناده ضعيف.

رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض»(١).

مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤] فذكر عموم علمه وعموم قدرته وعموم إحاطته وعموم رؤيته. وقوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: ١٦-١٧] وقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢] وقوله: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الجاثية: ٢] وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]. انتهى كلامه رحمه الله.

قلت: وقد ذكر الأئمة رحمهم الله تعالى فيما صنفوه في الرد على نُفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ونحوهم أقوال الصحابة والتابعين. فمن ذلك ما رواه الحافظ الذَّهبي في كتاب «العلو» وغيره بالأسانيد الصحيحة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر(٢) رواه ابن المنذر واللالكائي وغيرهما بأسانيد صحاح.

---

(١) - ضعيف وفيه نكارة.

أخرجه من طرق الطبري (١٠/٣) وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٧/١) والبيهقي في «الأسماء» (ص:٥١١- ٥١٢) وأبو الشيخ في «الظلمة» [٢٠٨] وفي أسانيده من هو منكر الحديث، وفيهم الكذاب والضعيف.

وقال الذهبي في «العلو» [٢٧٨]: منكر.

وقال ابن عدي في «الكامل» (٢٦٩٩/٧): هذا حديث منكر.

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» [٦٦٣] وإسناده ضعيف، راجع الفتح (٤٠٦/١٣).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: «بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمس مائة عام [ق/ ٣٢/ أ] وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم» أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمه عن عاصم عن ابن ذرٍّ عن عبد الله.

قال: وثبت عن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى أنه قال: لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن: كيف الاستواء، قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق[١].

وقال ابن وهب: كنا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك ﷺ وأخذته الرحضاء وقال: الرحمن على العرش استوى، كما وصف نفسه ولا يقال كيف؟ وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة. أخرجوه رواه البيهقي بإسناد صحيح عن ابن وهب[٢].

ورواه عن يحي بن يحيي أيضًا، ولفظه قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[٣].

---

(١) إسناد صحيح. أخرجه اللالكائي في «شرح الاعتقاد» [٦٦٥] والبيهقي في «الأسماء» [٨٦٨] وابن بطة في «الإبانة» [١٢١] وابن قدامة في «إثبات العلو» [٩٠] والذهبي في «العلو» [٣٢٩].

وقال شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٢٦٤/٦) رجاله ثقات، وتبعه ابن القيم في «الصواعق» (١٣٠٣/٤).

(٢) إسناده جيد. أخرجه البيهقي في «الأسماء» [٨٦٦] وعنه الذهبي في «العلو» [٣٤٤] وقال: سياق البيهقي بإسناد صحيح عن أبي الربيع الرشديني عن ابن وهب.

قال الحافظ «الفتح» (٤٠٧/١٣) وإسناده جيد.

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء» [٨٦٧] وفي «الاعتقاد» (ص:٥٦) والعلو للذهبي [٣٤٤] وقال في «الفتوى الحموية» (ص:٢٤٠) سنده صحيح.

وروواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال الحافظ الذهبي: تعالى: قال: «وله طرق».

قال الذهبي، فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله، وأخبروا أنه معلوم لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفوا عنه الكيفية.

قال البخاري في صحيحه: قال مجاهد استوى علا على العرش[(١)].

وقال إسحاق بن راهويه سمعت غير واحد من المفسرين يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أي ارتفع[(٢)].

وقال محمد ابن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أي علا وارتفع.

وشواهده في أقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، فمن ذلك قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

شَهِدتُ بأنّ وعدَ اللهِ حقّ ... وأنّ النّار مثوىَ الكافرينَا
وأنّ العرشَ فوقَ الماءِ طافٍ ... وفوقَ العرشِ رب العالمينَا
وتَحمِلُهُ ملائكةٌ شدادٌ ... ملائكة الإله مسومينَا[(٣)]

وأخرجه الدارمي في «الرد» [١٠٤] واللالكائي [٦٦٤] والصابوني في «الاعتقاد السلف» [٢٥] وابن عبد البر في «التمهيد» (١٥١/٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٣٢٥/٦) من طرق عن جعفر بن عبد الله، وسنده حسن.

(١) أخرجه البخاري «معلقًا» في «التوحيد» باب «وكان عرشه على الماء» قال في «الفتح» (٤٠٥/١٣) وصله القريابي في «تفسيره» بسند صحيح.

وقال في «التغليق» (٣٤٥٥/٥): سنده صحيح كلهم ثقات.

وذكره الذهبي في «العلو» [١٤٠] عن البخاري.

(٢) أخرجه اللالكائي [٦٦٢] والذهبي في «العلو» [٣٧٦] عن عبد الله بن شيرويه سمعت إسحاق بن راهوية أخبرنا بشر بن عمر قال: سمعت غير واحد من المفسرين فذكر، وإسناده حسن.

(٣) قال النووي في «المجموع» (١٨٣/٢) إسناد هذه القصة ضعيف منقطع.

وروى الدارمي والحاكم والبيهقي بأصح إسناد إلى علي بن الحسين بن شقيق، قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سماواته على العرش استوى، بائن في خلقه، ولا نقول كما قال الجهمية[1].

قال الدارمي: حدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا علي بن الحسين بن شقيق عن ابن المبارك: قيل له: «كيف نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه»[2].

وقد تقدم قول الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره بائن من خلقه، ونؤمن بما وردت به السنة[3].

وقال أبو عمر الطلمنكي في كتاب «الأصول»: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته.

---

(١) إسناده صحيح. أخرجه الدارمي في «الرد» [٦٧] [١٦٢] وفي الرد على بشر [٢٤] [١٠٣] وعبد الله بن أحمد في «السنة» [٢٢] [٥٩٨] وابن منده في «التوحيد» [٨٩٩] وابن بطة في «الإبانة» [١١٢] والصابوني في «عقيدة السلف» [٢٨] والبيهقي في «الأسماء» [٩٠٢] وابن قدامة في إثبات العلو [٩٩] والذهبي في «العلو» [٣٦١] وذكره في «السير» (٨/٤٠١- ٤٠٢) من طرق عنه، وإسناده صحيح.

قال شيخ الإسلام في «الحموية» (ص:١٣٤) بأسانيد صحاح، وقال ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص:١٣٤) بأصح إسناد.

وقال في موضع آخر: «وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر» (ص:٢١٣).

(٢) راجع التخريج السابق.

(٣) صحيح. أخرجه البيهقي في «الأسماء» [٣٦٥]. والجوزقاني في «الأباطيل» [٧٤] وعنه الذهبي في «السير» (٧/١٢٠) وفي «العلو» [٣٣٤] من طريق الحاكم. وفي «التذكرة» (١/١٨١-١٨٢) وصحح إسناده.

وصحح شيخ الإسلام في «درء التعارض» (٦/٢٦٢) وفي «الحموية» (ص:٢٣٢) وقال ابن القيم في «الجيوش» [١٣٥]: رواته كلهم ثقات.

وجوّد الحافظ في «الفتح» (١٣/٤٠٦) إسناده.

وقال في هذا الكتاب أيضًا: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء وعلمه في كل مكان: ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ونحو ذلك من القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء. وهذا لفظه في كتابه.

وهذا كثير في كلام الصحابة والتابعين والأئمة، أثبتوا ما أثبته الله في كتابه على لسان رسوله على الحقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته، ونفوا عنه مشابهة المخلوقين، ولم يمثلوا ولم يكيفوا، كما ذكرنا ذلك عنهم في هذا الباب.

وقال الحافظ الذهبي، وأول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق عرشه: هو الجعد بن درهم. وكذلك أنكر جميع الصفات. وقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة[1]، فأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية، فأظهرها واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الأوزاعي وأبي حنيفة، ومالك والليث بن سعد والثوري، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة وابن المبارك ومن بعدهم من أئمة الهدى.

---

(١) أخرجه القصة البخاري في «خلق أفعال العباد» (ح:٣ص:١٣) وفي «التاريخ الكبير» (٦٤/١) (١٥٨/٣) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ح١٣ و٣٣٨) والرد على بشر (ص:١١٨) والأجري في «الشريعة» (٦٩٤-٢٠٧٢) وابن بطة في «الإبانة» (ص:١٤٦) واللالكائي [٥١٢] والبيهقي في «الشهادات» (٢٠٥/١٠- ٢٠٦) وفي «الأسماء» [٥٦٣] والخطيب في «تاريخه» (٤٢٥/١٢) والخلال في «السنة» [١٦٩٠] والذهبي في «العلو» [٣٣٠].

وهي قصة مشهورة عند العلماء وذكروها في «تصانيفهم» وانظر «السير» (٤٣٣/٥) والبداية (٣٥٠/٩) و«تهذيب الكمال» (١١٨/٨).

فقال الأوزاعي إمام أهل الشام على رأس الخمسين ومائة عند ظهور هذه المقالة: ما أخبرنا عبد الواسع الأبهري بسنده إلى أبي بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني محمد بن علي الجوهري ببغداد حدثنا إبراهيم بن الهيثم حدثنا محمد بن كثير المصيصي سمعت الأوزاعي يقول: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرشه. ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. أخرجه البيهقي في الصفات ورواته أئمة ثقات(١).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: لله أسماء وصفات لا يسع أحدًا ردها ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، ونثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه، كما نفى عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ اهـ من فتح الباري(٢).

---

(١) راجع التخريج السابق.

(٢) قول الشافعي أخرجه «الهكاري» [٧] وعنه ابن قدامة في «إثبات العلو» [١٠٩] وفي «ذم التأويل» [٣٥] وذكره الذهبي في «العلو» [٤١٠] وفي السير (١٠/٧٩) وابن القيم في «الجيوش» (ص: ١٦٥).

[و]عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هل تدرون كم بين السماء والأرض؟» قلنا: «الله ورسوله أعلم» قال: «بينهما مسيرة خمسمائة عام [ومن كل سماء إلى سماء خمسمائة سنة وكثف كل سماء

حديث الأوعال الذي رواه العباس

قوله: عن العباس بن عبد المطلب ساقه المصنف رحمه الله مختصرًا، والذي في سنن أبي داود: عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: «ما تسمون هذه؟» قالوا: السحاب «قال: والمزن» قالوا: والمزن. «قال: والعنان» قالوا: والعنان قال أبو داود: لم أتقن العنان جيدًا قال: «هل تدرون ما بعد ما بين السماوات والأرض؟» قالوا: لا ندري قال: «**إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء التي فوقها كذلك، حتى عد سبع سماوات، ثم فوق السابعة بحر بين أسلفه وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسلفه وأعلاه كما بين سماء إلى سماء، ثم الله تعالى فوق ذلك**» وأخرجه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن غريب[1].

وقال الحافظ الذهبي: رواه أبو داود بإسناد حسن[2] وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه: «ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام»[3] ولا منافاة بينهما.

(١) ضعيف. أخرجه أحمد (٢٠٦/١) وأبو داود [٤٧٢٤] والترمذي [٣٣٢٠] وابن ماجه [١٩٣] وابن أبي عاصم [٥٧٧] وابن خزيمة «التوحيد» (ص:١٠١- ١٠٢) وأبو يعلى [٦٧١٣] ومحمد بن عثمان في «العرش» [١٠] واللالكائي (٣٨٩/٣) وأبو الشيخ في «العظمة» [٢٠٦] والحاكم (٥٠١/٢) والبيهقي في «الأسماء» [٥٠٦] وضعفه الألباني.
(٢) ضعيف كما سبق.
(٣) ضعيف.
أخرجه أحمد [٨٨٢٨] والترمذي [٣٢٩٨] وابن أبي عاصم [٥٧٨] والبيهقي في «الأسماء» (ص:٣٩٩-٤٠٠)

مسيرة خمسمائة سنة] وبين السماء السابعة [والعرش] بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم» أخرجه أبو داود. [والله أعلم].

لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلًا، ونيف وسبعون سنة على سير البريد، لأنه يصح أن يقال: بيننا وبين مصر عشرون يومًا باعتبار سير العادة، وثلاثة أيام باعتبار سير البريد. وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقفه. هذا آخر كلامه(١).

وضعفه الشيخ رحمه الله.

(١) في قرة العيون: قلت وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما مع ما يدل عليه صريح القرآن فلا عبرة بقول من ضعفه.

وقد ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى هذا المصنف العظيم ببيان توحيد الإلهية لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد؛ وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد، فقام ببيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونهوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد. فالدعوة إلى ذلك هي أهم الأمور وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه، وأعطى القدرة على الدعوة إليه، والجهاد لمن خالفه ممن أشرك بالله في عبادته؛ فقرر هذا التوحيد كما ترى في هذه الأبواب؛ ثم ختم كتابه بتوحيد الأسماء والصفات لأن أكثر العامة ليس لهم التفات إلى هذا العلم الذي خاض فيه من ينتسب إلى العلم. وأما من ينتسب إلى العلم فهم أخذوا عمن خاض في هذه العلوم وأحسنوا الظن بأهل الكلام، وظنوا أنهم على شيء، فقبلوا ما وجدوه عنهم، فقرروا مذهب الجهمية، وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات. وخالفوا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمة الحديث والتفسير من المتقدمين وما زال أهل السنة متمسكين بذلك لكنهم قلوا. فهدى الله هذا الإمام إلى معرفة أنواع التوحيد فقررها بأدلتها، فلله الحمد على توفيقه وهدايته إلى الحق حين اشتدت غربة الإسلام فضل عنه من ضل من أهل القوى والأمصار، وغيرهم. وبالله التوفيق.

فقد اجتمع في هذا المصنف أنواع التوحيد الثلاثة التي أشار إليها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله:

والعلم أقسام ثلاث، ما لها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وصلى الله على ... [illegible]

....

قلت: فيه التصريح بأن الله فوق عرشه كما تقدم في الآيات المحكمات، والأحاديث الصحيحة وفي كلام السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما، ولا عبرة بقول من ضعفه لكثرة شواهده التي يستحيل دفعها وصرفها عن ظواهرها.

وهذا الحديث كأمثاله يدل على عظمة الله وكماله وعظم مخلوقاته، وأنه المتصف بصفات الكمال التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها رسول الله ﷺ، وعلى كمال قدرته وأنه هو المعبود وحده لا شريك له دون كل ما سواه.

وبالله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم كتاب «فتح المجيد» بعون الله الحميد.

وكان الفراغ من تحقيق هذا السفر العظيم يوم الأربعاء

فيهِ مسائلُ:

الأولى- تفسيرُ قولِهِ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧].

الثانية- أنَّ هذهِ العلومُ وأمثالُها باقيةٌ عندَ اليهودِ الذينَ في زمنهِ ﷺ لم يُنكِروها ولم يتأوَّلُوها.

الثالثة- أنَّ الحبرَ لمَّا ذكَرَ للنبيِّ ﷺ، صدَّقَه، ونزلَ القرآنُ بتقريرِ ذلكَ.

الرابعة- وقوعُ الضحكِ [الكثيرِ] مِن رسولِ الله ﷺ، لما [ذكرَ] الحبرُ هذا العلمَ العظيمَ.

الخامسة- التصريحُ بذكرِ اليدَينِ، وأنَّ السماواتِ في اليدِ اليمنَى، و[أنَّ] الأرضينَ في الأُخرَى.

السادسة- التصريحُ بتسميَتِها الشِّمالَ.

السابعة- ذكرُ الجبارينَ والمتكبرينَ عندَ ذلكَ.

الثامنة- قولُهُ: «كخردلةٍ في كفِّ أحَدِكم».

التاسعة- عظمُ الكرسيِّ بالنسبةِ إلى السماواتِ.

العاشرة- عظمُ العرشِ بالنسبةِ إلى الكرسيِّ.

الحادية عشر- أن العرشَ غيرُ الكرسيِّ [والماءِ].

الثانية عشر- كَم بينَ كلِّ سماءٍ إلى سماءٍ.

الثالثة عشر- كم بينَ السماءِ السابعةِ والكرسيِّ.

الرابعة عشر- كم بينَ الكرسيِّ والماءِ [ق/ ٣٢/ ب].

الخامسة عشر- أنَّ العرشَ فوقَ الماءِ.

السادسة عشر- أنَّ الله فوقَ العرشِ.

[السابعة عشر- كم بينَ السماءِ والأرضِ].

الثامنة عشر- [كثفُ] كلِّ سماءٍ خمسمائةِ عامٍ.

التاسعة عشر- أنَّ البحرَ الذي فوقَ [السماواتِ؛ بينَ] أعلاهُ وأسفلِهِ مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ، واللهُ سبحانَه وتعَالى أعلمُ.

قائمة المحتويات

تم بحمد الله

فتح المجيد

شرح كتاب التوحيد

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

دراسة وتحقيق

أبو أنس المصري السلفي

حلمي بن محمد بن إسماعيل الرشيدي

عفا الله عنه

لأول مرة يطبع على ثلاثة مخطوطات



الدار العالمية للنشر والتوزيع

31 ش الصالحي - محطة مصر - الإسكندرية

تليفون: 002034970370 فاكس: 002033907305

محمول: 0106552118

E-mail:alamia_misr@hotmail.com

دار أصحاب الحديث

كفر الدوار - مساكن مجلس المدينة بانطونيادس

تليفون: 045/2273013 محمول: 0127048730